دروسٌ في

مُسَمَّى الإيمان

دروس صوتية مع مقرمة للشيخ المجاهد:

عمر بن محمود أبي عمر «أبي قتادة الفلسطيني»

حفظه الله وثبته على الحق

قام بتفريغها و اعدادها:

أَبوقتادة الأَيوبي

الأنصار
AL-ANSAR
مؤسسة الأنصار الإعلامية

دروسٌ في

مُسَمَّى الإيمان

دروس صوتية مع مقدمة للشيخ المجاهد :

عمر بن محمود أبي عمر"أبي قتادة الفلسطيني"

حفظه الله وثبته على الحق

قام بتفريغها و اعدادها :

أَبوقتادة الأَيوبي

شرعي في جماعة أنصار الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

إلى " **أهل الجهاد والإجتهاد** "..

و إلى " **المسترشدين بمنهج الطائفة المنصورة** "..

و إلى " **شباب الإسلام ذخائر الأمة** "..

و إلى " **طلاب العلم** الأذكياء الأتقياء المخلصين المصلحين أبناء **الشافعي وابن حنبل وابن تيمية** "**..**

وإلى شيخنا المجاهد " **أبي قتادة** "..

إليهم جميعاً أهدي هذا الكتاب.. راجياً من المولى عز وجل أن يتقبله منا وأن يبارك فيه ويجعله نافعاً للإسلام والمسلمين. إنه تعالى سميعٌ قريبٌ مجيب.

مقدمة التفريغ
للشيخ أبي قتادة الفلسطيني (حفظه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين أما بعد ..

فإن الله عز وجل له الحكمة البالغة في التقدير والإيجاد، يرفع ويضع، ويديم ويقطع، والناس يسيرون في هذه الحياة طمعاً فيما يطلبون ويشتهون، فمن يطلب المال سعى له سعيه، ومن طلب الجاه سلك له مسلكه، ومن أراد العلم فإنه لا بد أن يجري على طريق الأنبياء والرسل، والناس في هذا الباب؛ أي باب طلب العلم لهم موازين في النظر إلى القبول والرد، وإلى البركة والمحق،يرجون الدخول في سلك العلماء والصالحين، وهم في شك مما يقع لهم، يخافون الفوت والترك من الله لهم، وعيونهم فيما يقولون ويفعلون أن يقبل الله منهم عملهم وجهدهم، فإن سارت كتبهم في الناس ، أو حصل لها القبول من العلماء فرحوا بهذا رجاء أن يكون هذا من القبول الإلهي لها، مع الخوف من المكر الإلهي لهم في شيء اختفى في قلوبهم لا يحسون به ولا يعلمونه كان سبباً في الرد وعدم القبول، وهكذا يكون طالب العلم وهو يعلم ويكتب في موقف الآمل والخائف، يفرح أن بدت علائم القبول، ويخاف عليها الزوال بسبب طواريء الشر في الأعمال والنيات، وكم من كتاب صار له الانتشار حيناً ثم غاض في بحر النسيان ، فلم يعد يذكر أو يعرف، وكم من كتاب لوحق صاحبه ، بل أخذ منه كل مقومات البقاء والإستمرار ثم يكون القبول لهذا الكتاب فيسري بين الناس، ويكون فيه البركة والدوام، فهذه سنة الله تعالى الجارية في شأن الكتب والمقالات ، وذلك لعمل السنة الإلهية التي قدرها الله حكماً في الوجود بقوله تعالى (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) والخبيث قد يكون في الشيء

ذاته، فينسب الخبث إلى ذات الشيء كما ينسب للنجاسات والربا وكلام الشر، وقد يكون الخبيث بما يعمل من عمل في ظاهره الصلاح مع النية السيئة كالرياء، فالصلاة للناس عمل خبيث، مع أن الصلاة في نفسها خير وصلاح، والله يقول (فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) وهذه القاعدة القرآنية تجمع مع الأولى ليحصل قانون البقاء والدوام لكل موجودات الحياة من علم وعمل وذكر وسير أناس، فمن لم يراقب حركة الحياة في الوضع والرفع ليعرف قوة الحق والعلم فهو غافل عن أعظم سنة إلهية في الوجود، فهذا القرآن يقرر الحقيقة هذه بقوله (فهل ترى لهم من باقية) يقولها ليرى الناظر البصير أين ذهب الشر، وكيف صار مآله، وفي المقابل يقول عن المتقين (ورفعنا لك ذكرك) وذلك لأن الصالحين يقولون على لسان إمام الحنفاء (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)، فهذه قاعدة بقاء الحق وأهله وكتبه ومقالاته، يجب أن يدخل المرء فيها ، ويطلب من الله تعالى سراً وعلناً أن يكون من أهلها ، بشرط سلوك سبيلها من الاتقان والحكمة واتباع سنن الوجود، والذين يقفون أمام الحق ذاهبون ، ذلك لأن الحق لا ينازع، لأن عماد قوته نسبته لله تعالى الحق المبين، والباطل ظلمة ما أسرع أن تزول بقليل من النور، ولذلك ليس من الشر ولا من الرياء أن ترى طالب العلم يفرح أن سارت كلماته بين الناس، أو انتشر كتابه بين طلبة العلم يرددون كلماته ويشرحونها ويقتبسون من نورها، وهم على وجل في حياتهم أن تكون هذه حسناتهم عجلت لهم، فإذا ذهبوا إلى ربهم كان للتاريخ كلمة الفصل في هذا، وحسمت كلمات وموقف التاريخ هذه القضية بين الناس. انظر إلى كتب الإمام النووي رحمه الله تعالى ، وتأمل موقع كلامه وكتبه بين العلماء والعامة تعلم على ظن غالب أنه ممن نودي على اسمه في الملأ الأعلى بقوله: إني أحب فلاناً فأحبوه، فوضع له القبول في الأرض، نحسبه والله حسيبه، وأنت ترى أن لهذ الرجل العظيم في نفس طالب العلم موقع الحب والإحترام والتقدير، وكأن موقع اسمه هذا كموقع كلمة الرحمة، وموقع كلمة الطيب زكاءً وحباً، ثم تأمل كم حورب ابن تيمية رحمه الله تعالى في عصره وبعد عصره، وكم قيلت فيه مقالات الشر والتبديع بل التكفير كذلك، ثم انظر كيف صار لها القبول بين العلماء والعامة،

وكيف صار ذكر اسمه معلماً على الحق والسنة والاهتداء، وقبلهما الإمام البخاري الذي خرج من بلدته غريباً حزيناً، متمنياً لقاء الله تعالى، ثم ها هو كتابه لا يذكر إلا مع اقتران الحق في أجلى صوره البشرية، لا يبلغ فوقه في هذا الباب أحد، وهكذا سيرة الكتب والكتّاب، وسيرة العلم والعلماء، لا يرفعون بقرار قضائي، ولا يسقطون بقرار رجل ولا حكومة ، والذين يحاربون الكتب التي يريد الله لها الرفعة، ويمنعون كتب العلم سيذهبون هم إلى مزابل التاريخ وستبقى الكتب علماً يسير في الناس. لقد أعدم سيد قطب رحمه الله لكلماته، وحوربت كتبه بقرارات طواغيت أزكمت أنوفها برائحة النتن الذي يصفق لهم أهلها ويكذب على الله فيهم بالمدح والتمجيد، وشنت على هذا الرجل وما زالت حروب التبديع والتضليل، فهل ترى الجبل قد اهتز، أو ترى أن القبول من القلوب قد رفع، أو أن الناس رموا كتبه في البحر، كل هذا لم يقع، بل ما زال الناس يحبونه ويلعنون قاتليه، وما زال طلبة العلم يأخذون منه كلماته التي مجّد فيها الله ، وأثنى فيها على كتابه، وانتصر فيها لحكم الله تعالى في الأرض. هذه سنة الله في هذا الباب، والناس يتسابقون للدخول فيها، بدمعاتهم بين يدي مولاهم أن يقبلهم وقوفاً على طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول: لك العتبى حتى ترضى، ولكن عافيتك أوسع لي. ويديمون السؤال لربهم أن يجعل كلماتهم من العلم المقبول، والأثر الدائم، رجاء أن يصيبهم قول الحبيب عليه الصلاة والسلام: أو علم ينتفع به. وصاحب هذه الكلمات التي ألقاها في بيته بين يدي طلاب حق إن شاء الله تعالى تعليماً لهم حقيقة الإيمان وأحكام الأسماء التي تنتمي لهذا الإسم العظيم لم يكن يرجو إلا أن يفقه عليه سامعوها، وحينها كان هذا الرجل لا يقدر أبداً على الكلام وقد القيت بين يديه سماعات تسجل له كلامه، بل يضيق بها، وتحبس عليه بعض لسانه وهو يتكلم، ولكنها مضت بفضل الله تعالى حتى تمت على وجه من الضعف الشديد، ثم سارت بين الناس وتلقاها طلبة العلم بالقبول، وقام العديد من المحبين بتفريغها، على ما في تفريغ الأشرطة الكلامية إلى حرف كتابي وورقي من المفارقات التي يعرفها طلبة العلم، فإن المرء ينشط لأمور في الخطاب الكلامي لا يفعلها أبداً وهو يكتب، كما أن الكاتب يوثق ويرتب على أحسن ما يجب

ويقدر، والمتكلم يعجز ويضعف، ويذهب عقله هنا وهناك، وينقطع به الكلام من جهة إلى جهة، وهكذا لا يكون القول على اللسان يشبه في الإتقان ما يكون به الحرف المكتوب، ولكن لهذا الزمان ضرورته ووجهته، والناس بين محب لحرف يقرؤه ، وبين آخر يسمع ويحب هذا أكثر، وأنا من جيل لا أحب أكثر من تقليب ورقات كتاب بين يدي، أحكم عليه وجهة نفعي به، لا هو يحكم علي في وجهة إلقاء مراده. هذه الورقات هي افراغ لأشرطة الدورة الشرعية لمسمى الإيمان، حاولت فيها جهدي أن أصيب الحق، وأن أعرض لإخواني مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة، كما أعرض لهذا الإسم تصورات الآخرين من أهل العقائد والمذاهب الأخرى، ولما كانت مسائل الأحكام التي تتعلق بمسمى الإيمان هي أجل ما يتكلم بها ، وينشط طالب العلم للظفر بها، كان لا بد من ذكر مسائل لها تعلق بهذا الباب، وذلك بذكر التكفير وموانعه وشروطه، استكمالاً للفضل، ولأن هذا الباب في هذا الزمان له ضرورته، وقد خلط الناس فيه، وانقسموا إلى قسمين، مفرط ومفرط كما يعلم طالب العلم الصادق المصيب. لقد وصلني بعض التفريغات لهذه الدورة في مسمى الإيمان التي قام بها أخوة صدق وأخوات كذلك، وطلبوا مني النظر فيها لتصلح للنشر كتاباً، ولكنها جاءت في أوقات عصيبة ، أحكمت علي الدنيا بأسوارها وقيدها، فلم أنشط لها، وما زلت أعلن عجزي في النظر لما يفرغ من أشرطة كلامية إلى كتب وأوراق، وأترك الأخوة يفعلون هذا، لما يرون من انتفاعهم بذلك، كما أن بعض الأخوة يفرغون بعض المقالات والأجزاء إلى أشرطة سمعية والناس في ما يعشقون مذاهب كما يقولون. والآن قام الأخوة الأحبة ممن لهم مقامات الجهاد والعمل لدين الله تعالى ومقارعة الطواغيت بتفريغ هذه الأشرطة، فجزاهم الله خير الجزاء، وأسأل الله تعالى أن يجعلها في موازين أعمالهم يوم القيامة، وأن يحصل لفعلهم القبول من الله والرضى، فيكون لها النفع في النفوس والعقول والقلوب، كما أسأله تعالى أن يجعل لها القبول في الأرض، وأن يغفر لقائلها، والعامل على تسجيلها، ونشرها وتفريغها، فهو سبحانه تعالى أهل العطاء والكرم جل في علاه، كما أسأله أن يجبر الكسر، وأن يبارك فيها، على ما فيها من تقصير وضعف وجهل، فهذه سماتنا وخصائصنا، لا سمات لنا

غيرها، إذ نحن بنو البشر حكم علينا بالضعف والخطأ والنسيان، والله يغفر ويجبر ويبارك جل في علاه نعمة ومنّا وكرماً، وهو أهل لذلك سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين

أبو قتادة عمر بن محمود أبو عمر

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث بالسيف بين يدي الساعة رحمةً للعالمين، الضحوك القتّال، قائد المجاهدين وإمام المتقين، سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الأكرمين المجاهدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اجعلنا منهم. آمين آمين!

أما بعد:

كتاب " **دروسٌ في مُسمَّى الإيمان** " الذي نقدمه لكم، في أصله دروس مسجلة على أشرطة صوتية للشيخ العالم المجاهد " **أبي قتادة الفلسطيني** " حفظه الله وثبته على الحق وأحسن عاقبته.

نظراً لأهمية موضوع هذه الدروس، ألا وهو " **الإيمان، حقيقته ومسمّاه عند أهل الحق أهل السنة والجماعة** "، ونظراً لغزارتها العلمية ومنهجها التصحيحية التجديدية للمصطلحات والمفاهيم الشرعية السنية، ونظراً لمكانة صاحبها الدعوية والجهادية والتجديديه للمفاهيم السنية الشرعية عند أبناء الأمة - دعاتها ومجاهديها وغيرهم -؛ قمنا بتفريغها وكتابتها، لتكون كتاباً ومادة مكتوبة، يسهل الانتفاع منها لعدد أكثر من المخاطبين ويسهل إنزالها في المواقع الإسلامية والجهادية في ساحات الأنترنت، ليستفيد من هذه الدروس المهمة جداً، عدد أكثر من إخواننا المسلمين وطلاب العلم الشرعي.

ونن**به على**: أن في تفريغنا لهذه الدروس، قمنا بتعديل بعض الجمل والكلمات ليتناسب مع طبيعة المادة المكتوبة؛ كإضافة حروف، وتقديم وتأخير أخرى، وإستخدام جمل فصيحة بدل غيرها، وقمنا - أحياناً - بإختصار بعض المواضع إختصارا غير مخل بأصل المبحث، وقمنا

بتخريج وتحقيق أحاديث الكتاب – حسب الإستطاعة –، وعلقنا على متن الكتاب ببعض التعليقات والتوضيحات والهوامش التي رأيناها مفيدة ومعينة لتكميل فهم المراد من كلام المؤلف لدى القارئ.

هذا، ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم ويجعله نافعا لعباده. إنه ولي ذلك والقادر عليه. آمين!

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمدلله رب العالمين.

أبوقتادة الأيوبي

شرعي في جماعة أنصار الإسلام

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم ربّنا نسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً والشفاء من كل داء، ونعوذ بك من فتنة القول والعمل.

أهلاً وسهلاً بكم وجزاكم الله خيراً على أن تُرونا وجوهكم، نسأل الله عزوجل أن ينفعنا في هذه البلاد المظلمة، ظلمة الكفر، وظلمة الغربة وظلمة اللسان..

قطعاً بلا شك، نحن بحاجة إلى هذه الدورات والجلسات، بحاجة إليها، أشد مما يحتاج الإنسان الظمئان إلى قطرة الماء في صحراء طاحلة في هذا الزمان، وسواء في بلادنا أو في هذه البلاد، ظلمة على ظلمة..

قيامنا بهذه الدروس رحمةٌ من الله عز وجل. وإن شاءالله كلكم جميعاً، ستشعرون معي بفضيلة هذه الجلسات على ما فيها من ضعف، وعلى ما فيها من القصور وعلى ما فيها من ضيق ذات العلم – إن جاز هذا التعبير –، فعلومنا ضحلة وكلماتنا عاجزة أن تعبر عمّا في صدورنا، لغلبة العجمة علينا في هذا الزمان..

أقول: إخواني**!** إختيارنا عادتاً في الدروس أو في دوراتنا أن نتكلم عن موضوع **الإيمان** ليس إختياراً عبثياً إن شاء الله تعالى ولكنه لأنه أمر مهم وجدٌ خطير إن شاءالله سبحانه وتعالي، وسبب ذلك أن هذا المفهوم – و هو مفهوم الإيمان – الذي نحن مقبلين عليه لتحديد مفهومه الشرعي عند الأوائل، لخطورة هذا الأمر وما ترتب عليه..

نعم**!** أقول: لأن هذا اللفظ وهو لفظ الإيمان لفظ خطير ولفظ مهم، وقد دخله ككثير من الألفاظ الشرعية ثم العربية، دخله كثير من الدخن، إما بادخال معان ليست منها وإما باخراج معانى شرعية منها..

قلنا: كثيرٌ من الألفاظ العربية ثم بعد ذلك الشرعية، دخل فيها دخن، أو خرج منها الحق..

ولابدّ من مقدمة:

الإنسان أسيرٌ لأفكاره، يتحرك حسب ما يعتقد، فإذا وجدتَ إنساناً يعتقد شيئاً ما، ثم يتصرف على هوى آخر، أو منحى آخر، غير منحى الأفكار الذي يعتنقها، فهناك عوارض تعترض إقبال المرء على العمل بعد فكرته التي يعتنقها..

كما سنتبين في دراستنا لحركة الإنسان – لنرى توافق حركة الإنسان العادية مع المفاهيم الشرعية، لأن **الذي خلق هو الذي أمر** –، فسنرى في دراستنا لحركة الإنسان أنّ العمل لا يتم إلا بأمرين، لا يمكن أن يوجد عمل في هذه الدنيا إلا بأمرين، وسنفصل كثيرا عند باب " مفهوم العمل " عند أهل السنة والجماعة، وهو المفهوم الموافق للأمر الكوني القدري الخلقي في داخل حركة الحيوان..

نقول: **العمل، لا يمكن أن ينشأ إلا بوجود الإرادة،** والإرادة لا توجد إلا بأمرين، **الأمر الأول: العلم،** لأنك لا يمكن أن تقبل على أمر تريده إلا بماذا؟ إلا وأنت عالم بهذاالشيء.[١]

– **المثال** –: إنسان يريد أن يشرب، هو يعلم وجود الماء ويحتاج لوجود هذا الشيء، إذن هو عالم بالأمر الذي يقبل عليه، فلا إرادة بلا علم، ثم، ليس فقط العلم، لأنه **لابدّ من وجود القوة الدافعة** وهي التي تسمى عندنا **بمحبة الأمر** وهي سلطة اللذة.

إذن، العلوم لدى الإنسان، أولا هو **سلطة العلم، ثم سلطة اللذة.**

---

[١] راجع: مجموع الفتاوى لإبن تيمية٩/٣٠٤ – قواعد الأحكام في مصالح الأنام (العز بن عبدالسلام) ٢/ ١٠٢ – أحياء علوم الدين للغزالي٤/ ٣٨٤ – ٣٨٥.

ما هي سلطة اللذة؟ هي القوة الدافعة لديه للإقبال على العمل. فإذا رأيت أمرءا ما، عالما بشيءٍما على حقيقته، أو على حقيقةٍ ما – سواء كانت هذه الحقيقة في ذهنه موافقا للواقع أو حقيقة متوهمة غير موافق للواقع –، وبعد ذلك يقبل على غيرطريق العلم الذي إستقر لديه، فيكون المانع لديه، هو عدم وجود الدافع، عدم وجود القوة الدافعة لديه.

كيف ينشأ الدافع؟ نحن ديننا كله الذي هو مبسوط في الكتاب والسنة، يحدد لنا ما هي الدوافع للإقبال على العمل. فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ليقول للناس، هناك جنة – و هذه هي القوة الدافعة للعمل – و هناك نار – و هذه هي القوة الكافحة – لعدم الإقبال على المنهيات.

فالقوة الدافعة، الموافقة لقوة العلم، تشكل الإرادة، وبعد ذلك إذا وجد القوة الدافعة مع قوة العلم ووضوح العلم في ذهنه، تمام الوضوح.. وبعد ذلك – لوقوع العمل حسب الإرادة – لابدّ من عدم وجود الموانع التي تمنع حركة الإنسان بهذا الشيء. إذن لابدّ أن يكون عنده القدرة والقوة لعمل الشيء وهذه القدرة – كما سنبين في موضع القضاء والقدر عند أهل السنة – تقسم إلى قدرتين، ١ – قدرة وهي مناط التكليف و٢ – القدرة عند حصول الإرادة للفعل...[٢]

نرجع إلى النقطة التي بدأنا منها، وهي العلم، أنه **لا إرادة إلا بالعلم**. فإذا دخل في العلم الفساد، دخل بعد ذلك الفساد في الإرادة. فأي منفعة بعد ذلك تحصل وأي قوة تحصل وأي دافع يحصل، لا قيمة له، إذا كان العلم فاسدا.

إذن الأمر الأول الذي علينا أن نهتم به، هو **" وضوح العلم "**. وهذا يعني أن يكون العلم موافقا لحقيقة المعلوم، أي موافقا للحق. فإذا حصل بعض الغبش أو بعض الخيوط التي تعيق وضوح العلم، أو التي يحصل بسببها فساد العلم، يحصل الفساد في إرادة الإنسان، فإذا فسدت إرادة الإنسان، يفسد

[٢] راجع: رسالة (التحفة العراقية في الأعمال القلبية) لابن تيمية ص١٣.

الإنسان لأن الإنسان هو الإرادة. **الإنسان هو الإرادة**، ولذلك التكليف الإلهي للإنسان، تكليفٌ على الإرادة، تكليفٌ للإرادة، والثواب والعقاب يترتب بعد ذلك على الإرادة [٣].

بمعنى - مثلاً - لو أن إنساناً أراد أن يشرب الخمر، فجاء إلى كاسٍ من الماء - على الحقيقة - وهو يظنها خمراً، فشربها على أنها خمراً، فإنه يأثم وإن لم يحصل الأمر الكوني وهوالسكر، فهنا نفرق بين الأمرين - كماهوواضح - أن وقوع الأمرالشرعي - الثواب أو الإثم - متعلق بالإرادة، أما - وقوع الأمر الكوني - وهو هنا الشيء المراد بالعمل - متعلق بحقيقة الشيء - أي حصول الشيء على حقيقته أم عدم حصوله -. ففي هذا المثال كون الرجل لم يسكر، هوعدم حصول الأمر الكوني، الذي هومتعلق بحقيقة الشيء المراد بالإرادة، وكونه أثم، هو الأمر الشرعي الذي ترتب على الإرادة. فكما ترون بين الأمرين عمومٌ وخصوصٌ، وعدم إتفاق، وأحياناً بينهما إتفاق.

فإذا جاء رجل ليزنى بأمراةٍ في الليل، فوطئها على أنها أجنبية، ثم تبين له بعد ذلك أنها زوجته، فهذاالرجل، إذا وُلد من جماعه، ولدٌ، يكون هذا الولد ابنه على الحقيقة شرعاً وكوناً (قدراً)، ولكن يحصل لديه الإثم، أي إثم الزنا.

إذن مناط التكليف الشرعي على ماذا؟ مناط التكليف الشرعي متوجهٌ إلى الإرادة. إذا أراد إنسان أن يشرب ماءً، فغلط فشرب خمراً، هل يأثم؟ لا يأثم، هل يحصل لديه السكر؟ نعم يحصل لديه السكر.

الأمرالكوني موافق لحقيقة الشيء، والأمر الشرعي موافق لإرادة الشيء. وهناك أوامر شرعية، ليكون الأمر الشرعي موافقاً للأمرالكوني. يعني هناك أوامر شرعية، أنت مأمور بها أيها الإنسان، ليحصل التوافق مأبين الأمرالشرعي والأمرالكوني، وهذا منوطٌ بماذا؟ بالوسع والقدرة. بحسب وسع الإنسان وقدرته في أن يصيب في أرادته الشرعية، الأمرالكوني على حقيقته.

[٣] يقول **سيد قطب** رحمه الله في " الإرادة ": «..فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف والجزاء». (في ظلال القران١/ ٦١) وانظر في الظلال أيضا (٤/ ٢٢١).

أقول: إذن التكليف، مادام تكليفٌ الهي وهوتكليف حقٌ، موافق لحقيقة الإنسان، فالتكليف مكلفٌ به الإرادة، إذن الإنسان في مجموعه، هو ماذا؟ هوالإرادة، **الإنسان في مجموعه هوالإرادة.** ثم لو أراد إنسان ما أن يصنع خيراً، ثم عجز عن أن يحصل الخير ليعمله، يحصل الأجر لديه أم لا؟ يحصل الأجر لديه. ولوأراد الإنسان أن لايصنع خيراً، فوقع الخير بغير أرادته، هل يحصل لديه الأجر؟ لا، لايحصل لديه الأجر. **" إنما الأعمال بالنيات "**. [٤] وسنتبين أن قوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات [٥] "، أن الأعمال بمفهومها الشرعي على معنى والأعمال بمفهومها القدري على معني..

إذن التكليف الإلهي متوجهٌ إلى الإنسان، أي متوجه إلى الإرادة، لأن الإنسان هوالإرادة، والموت هو فقدان الإرادة، والخطأ هو فقدان الإرادة، وكلها حالات تمتنع حصول التكليف الشرعي على الإنسان. **ومناط الإرادة في الأصل، معلق بالعلم**.. ومن هنا جاءت أهمية العلم في الشريعة، جاءت أهمية العلم من أجل أن تتَشَكل الإرادة لدى المسلم تشكلاً صحيحاً، موافقاً للحقيقة. ويمنع الإسلام أي وهمٍ اوأي ظنٍ، بتشكل علمٍ لدى الإنسان، مخالفٍ لحقيقة الأمر. فهمتم إخواني؟!..

حصول الأوهام،.. كيف يحصل الوهم؟ أو كيف يحصل الظن الذي هو مخالفٌ للحق، الذي هو مخالف للعلم؟ – العلم الشرعي ماذا؟ هو الحق –، مامعنى الحق؟ ما معنى الشيء كونه حقاً؟ مامعنى حقيقة الشيء؟ أي، **على ما هو عليه في الواقع**..

تصل درجة الوهم إلي الكفر، وتصل درجة الظن إلى الكفر، وقد تزيد وقد تنقص، **ككل الفاظ الوجود، ليس لها مرتبةٌ واحدة، ولكن لها مراتبُ متعددة**..

الحقُ، هو شيءٌ لايتعدد.. لكنه ممكن أن يتنوع. – مثلاً – كلمة " إنسان "، أنا إنسان، وأنت إنسان، ولست أنا أنت، ولا أنت أنا، ولا أنت غيرك ولاغيرك أنت، إذن تتنوع، واضح؟.. لكنه هل يمكن ان نطلق على الخنزير إنسان؟ بحجة كونه هذا اللفظ ممكن أن يستغرق غير الإنسان؟ لايمكن. لكن

---

[٤] **الإجماع** على أنه لا ثواب ولا عقاب إلا بالنية. (الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان. ص٢٧. ط. المكتبة التوفيقية.) و(الفروع لابن مفلح الحنبلى ج١/ ص١١١).

[٥] حديث متفق عليه.

الإنسان ماذا؟ يتنوع. الحق قد يتنوع، لكنه أبداً لايكون إلا واحداً، لأن الحقيقة لاتكون إلا واحدةً " **فماذا بعد الحق إلا الضلال** "[٦]، وهذا هو الصواب.

وسنتبين إذا أفسح الله عزوجل لنا في أعمالنا، أن مِن بعض أوهام الضلالات التي دخلت في أمتنا هو قول " **الموافقية** " او " **التوفيقية** " وهم فرقةٌ قالوا بتعدد الحق، يعني [مثلا] إذا قال الحنفية في هذا الأمر، أنه جائز، وقال مخالف له شافعي، أنه حرام، فعندهم – أي عند الموافقية –، كلاهما مصيب وكلاهما حق. وهذا قول **أبو حامد الغزالي**، ليس جماعة خيالية، وهذا قول بعض فرق الكلام التي قالت: كلاهما مصيب. ولذلك أخرجوا لنا كلاما بقولهم: " **كل مجتهد مصيب** ".[٧] وقدخلطوا مأبين الأمرالشرعي والأمر الكوني، لأننا قلنا إذا شرب الرجل كأسا على اساس أنه ماء – وهوفي حقيقته خمر –، أنه يسكر، وهوشرعياً ليس بآثم. هل توافق الأمرالشرعي مع الأمرالكوني؟ الأصل أنه شرب خمراً فإنه آثم، لكن لم يتوافق الأمر الشرعي مع الأمر الكوني. فإذن قد يفترق الأمر الشرعي مع الأمرالكوني، بمعني: أن الرجل اجتهد ليصيب الحق فأخطأه، قديكون مأجوراً، ولكن لايعني كونه مأجوراً، أنه مصيب. لا تلازم بينهما، كما تبين لنا في المثال الذي ذكرنا، أن الرجل شرب خمراً وهو غير مأزور، فلا توافق بينهما..

إذن القضية الأولى التي نريد أن نتبينها، هو العلم..

بلاشك أن المعاصى تحدث بالهوي، لكنه قبل الهوى الظن، كماقال الله عزوجل: [**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**][٨]. إذ هوى تعود إلى القوة الدافعة، والظن يعود إلى العلم، فهمتم؟..

أعيد! الإرادة تشكل – كماقلنا – بالعلم والقوة الدافعة. رجلٌ حصل لديه العلم أن هناك مالاً، ولكن لايمكن أن تحصل الإرادة لديه لتحصيله إلا بتحصيل الدافع لتحصيل هذا المال، كالرغبة فيه، والقوة الدافعة تتشكل بأمور، والعلم يتشكل بطريق٢ – **التعلم**، – كما قال صلى الله عليه وسلم: [**إنما**

[٦] يونس ٣٢.

[٧] للمزيد من التفصيل في هذا الموضوع راجع (مجموع الفتاوى ج٢٠/ ص١٩).

[٨] النجم٢٣.

العلم بالتعلُّم] [9] -، و٣ - **التوفيق الإلهي،** كما قال علي رضي الله عنه، - وقد سئل: أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيءٍ؟ قال -: لا، وأقسم قسمه المشهور - والذي فلق الحبة وبرأ النسمة - ثم قال: إلا فهماً يعطيه الله عزوجل رجلاً في القرآن.. " [10]

فالفهم هوزيادة العلم، العلم والأسس، تحصل بالتعلم وبعد ذلك " **ففهمناها سليمان وكلًّا آتينا حكماً وعلماً "** [11]. فالفهم مرتبة زيد عن مرتبة العلم.

قلنا أنه لايحصل الإرادة لتحصيل شيء أو لعمل شيء إلا بوجود العلم، وثانياً بوجود القوة الدافعة - التي هي - الرغبة في تحصيله..

ما هو ضد العلم؟ " الظن، الجهل ". وما هو ضد الرغبة في تحصيله إذا كان حقاً؟ " الهوى "..

بلاشك أن المعاصى الحاصلة في أمتنا، وما من معصيةٍ تحصل في الدنيا قط، إلا وتحصل بسبب الظن والهوى وقديكون الظن هو الأغلب وقديكون الهوى هوالأغلب، لكنه لاتقع معصية إلا باقتران الظن مع الهوي، كما لاتحصل الطاعة إلا بالحق، **والحق هو إجتماع العلم مع قوة الرغبة "** رجاء الدار الآخرة ".

وقدتحصل معصية ما، لدى الإنسان بسبب الظن، فالغالب عليه الظن، ولكن مع هذا لاتنسى الهوي**!**، وقديكون الغالب عليه الهوي، ولكن لاتنسى أن في المسألة جهلٌ، ومن هنا: **جماع المعاصي، شهواتٌ وشبهاتٌ،** أما الشبهات فهوعدم حقيقة العلم، عدم العلم الحقيقي، وأما الشهوات فهي الهوى المخالفة للرغبة في الدار الآخرة.. فهمتم إخواني؟.. واضح؟..

---

[9] أخرجه الطبراني في الكبير، وابن أبي عاصم في العلم عن معاوية. وأورده البخارى معلقاً بصيغة الجزم في صحيحه باب (العلم قبل القول والعمل). وحسنه **الألباني** في سلسلة الاحاديث الصحيحة رقم ٣٤٢.

[10] رواه البخارى باب فكاك الأسير. رقم (٣٠٤٧).

[11] الأنبياء (٧٩).

نحن في هذه المقدمة من أجل أن نبين.. بلاشك حتّى يحصل لديكم الرغبة على العمل، لابدّ ان نذكرلكم، أبواب الفضائل لهذا العمل، ولكن قبل ان نُحدث لكم، قبل ان ندرس فضيلة العمل، علينا ان نتحقق من حقيقة العمل، ماهوحقيقة العمل شرعاً وقدراً؟ ولذلك المشايخ الآن - يااخوتي! - عامة كلامهم في فضائل الأعمال[١٢]، وفي فضائل الشرع ولكن هذه الأعمال وهذه الامور التي يدعون إليها، حقيقتها غير واضحة لدى الناس.

الآن لو جئت إلى رجلٍ من أهل فلسطين، وجاء خطيب ليتحدث عن الجهاد، - عندهذاالرجل - كلمة الجهاد تفهم بما هي مقرونة في ذهنه فقط، بما هي مقرونة بجهاد اليهود في فلسطين، وهولايفهم جهاداً سوى هذا، ولو جئت إلى مسلم الآن وتكلمت معه على فضيلة العبادة، عبادة الله عزوجل، فضيلة أن يعبد المرء ربه عزوجل ويتفرغ لعبادة الله عزوجل، يحصل لديه الشوق للعمل، لكن أين المصيبة؟ العبادة - على حقيقته - غيرواضحةٍ لديه، العبادة ليست واضحة لديه..

وكذلك أعظم مفهومٍ دخل فيه التحريف ودخل فيه الغموض ودخل فيه ماليس منه وخرج منه ما هو من أركانه وما هو من حقيقته، هو الكلمة التي، بحقيقتها دخلت في قلوب الصحابة، فصنعت منهم الصحابة، وهي نفس الكلمة التي هي في قلوب الناس الآن ويؤمنون بها، ولكن صنعت بهم ماترون في هذاالزمان. هذه الكلمة هي **كلمة التوحيد** و**كلمة الإيمان،** هذه الكلمة، لما أخذها الصحابة وأخذها عامة المؤمنين من الحواريين من أتباع الأنبياء، صنعت منهم بشراًجديداً، وغيرت حياتم وواقعم وقلبت باطنهم وظاهرهم رأسا على عقب، تجردوا مما هم كانوا فيه كليا، لأنهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، آمنوا بما يدعو إليه، وهو دعوةٌ إلى كلمةٍ واحدةٍ، وهي **[قولوا لااله الا الله محمد رسول الله]،** فصنعت بهم هذه الصنائع الكبيرة في أول لحظة وفي أول الأمر. أما نحن، هذا المسلم في هذا الزمان وفي الأزمنة المتأخرة التي سبقتنا، آمن بالله، وبلاإله إلا الله محمد رسول الله، وآمن بالصلاة والصوم والزكاة

[١٢] المثال البارز لهذا الأمر، ماهو مشاهد في عمل اخواننا المسلمين في " جماعة التبليغ "، حيث ان عامة دعوتهم وعامة كلامهم في أبواب فضائل الأعمال...

والحج والجهاد والأمر بالمعرروف والنهي عن المنكرو.. و..، وصنعت منه عاجزاً كلاً على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير.. [13]

أما المسلم الصحابي الأول، أخذ هذه الكلمة فقط [لااله الاالله]، فغيرت حياته من غير تبعٍ لأي أمر آخر من الأوامر التي تقتضيها أو تلزمها هذه الكلمة، فصنعت منه ذاك الصحابي وذاك الإنسان العظيم الذي غير مسير التاريخ وفتح القلوب والبلاد. واما مسلمون اليوم، هذه الكمة ومعها الآلاف ومئات الآلاف من الأوامر الشرعية، وصنعت منهم ليس رجلا سلماً لرجل، لكنه رجلا فيه شركاء متشاكسون[14] وكلاً عاجزاً أينما يوجهه لا يأتي بخير، يجاهد، يأتي بالمصيبه!، يأمر بالمعروف، يأتي بالمصيببة!، يزكي، يأتي بالمصيبة!، يذهب إلى الحق، يأتي يالمصيبة!، يدخل المساجد، فيصنع المصائب!، لهذه الكلمة!، يصنع المصائب أينما توجهه في هذا الزمان، ولديه على كل طريق هاد وعلامات وصورة وإشارات تبين له وتهده ومع ذلك لا يأتي بخير!، و " **الكلمة** "، فقط كانت في زمن الأوائل تأتي بكل خير، **كلمة طيبة تؤتى ثمارها كل حين بإذن ربها**..

قد يقول لنا قائل، السبب هو الهوي، لكن – نقول – أكان نفوس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خالياً من الهوي؟ أيخلى الإنسان قط من الهوي؟ أبداً. [15]

ومن مصائب الصوفية، ومن ضلالات الصوفية، أنهم صوروا الإنسان على أنه قد يترقى فيخرج من نفسه ومن هواه ومن أرادته، يعني مراتب الصوفيه إذا قرأتم كتبهم، أنهم يصورون ولياً من أولياء الله..، من هو الولى عندهم؟ هوالذي لا تخطر على قلبه خطرات المعاصى ولا الهوى ولا رغبات النفس!

هذه، صورة الولي لديهم! لكن إذا رجعت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم من خير عظيم، إلا أنك تجد فيهم حركات الإنسان، التي تختلف فيها الطبائع، يختلف فيها البشرية، ولذلك

[13] اشارة إلى آية (٧٦) من سورة النحل.

[14] اشارة إلى آية (٢٩) من سورة الزمر.

[15] راجع كتاب (دراسات في النفس الإنسانية) للشيخ **محمد قطب** حفظه الله، فإنه كتاب جيدٌ جداً في موضوع حقيقة الإنسان وحقيقة النفس الإنسانية.

أنا أدعو إلى هذا الموضوع – على الهامش –، وهو، أن من الأمور التي لابدّ أن نبينها، أنا لا أدعو أى أحد، بل أنفر من أن يقرأ إنسان كتب المتأخرين الداعية إلى طبقات الأولياء وإلى خصال البشر الصالحين..، لما يقرأ المسلم المعاصر الأن.. – وهذه أدت إلى المساوئ الخطيرة في مجتماعتنا وفي شبابنا، وفي جماعتنا –؛ لما يأتي المسلم ويذهب يقرأ مناقب الإمام أحمد بن حنبل – على سبيل المثال – و يقرأ خصاله، فهو لا يرى إلا إنسانا لا شبهة فيه ولا شبهة فيه أبدا، إنسان يقوم الليل، يصوم النهار، ليس له إلا العلم، لا يتحرك.. لا تذكر فيه حركات الإنسان العادية، لا تذكر من خصاله أنه يجلس مع إبنه وأنه قد يخاصم زوجته، وقد تبغض عليه زوجته فتؤذيه، وأنه قد يغضب وينسى نفسه فيرد عليها الكلمة بالكلمة، وقد يخاصم صديقه على بيع عقار، أو على بيع أرض أو ما شابه ذلك أو في تجارة مال و..، لا تذكر هذه الخصال، لا تذكر إلا نموذج لا يكاد يوجد إلا في الخيال، لا تذكر حركة الإنسان العادية..

فلما يقرأ المسلم هذه الخصال، ثم يدخل في جماعة من جماعات المسلمين أو في عمل من أعمال المسلمين فيرى حركة الإنسان الطبيعي، بماذا يصاب؟ بالإحباط، وأنه لا يرى على وجه الأرض رجلا يستحق أن يسمى ولياً أو رجلاً يستحق أن يسمى صالحاً، ولذلك إما أن تسقط قيمة الدين لديه بحيث يقول – يقول العوام ويقول المشايخ –..؛ الآن إذا أراد الإنسان أن يتكلم عن الدين، يقال له – حتّى الشيخ يقول له –: أيش؟ أتريد أن أكون مثل الصحابة؟ أو، هل يمكن أن نكون مثل الأوائل؟.. أو حتّى إذا جئت بأمر للناس تأمرهم به، يقولون لك، هذه الأوامر للصحابة، ليست لنا، لا نستطيعها نحن..

إذن، إما أن تسقط التكاليف لديه بحجة أننا لسنا مثلهم، أو يصاب بحالة نفورٍ من البشر ومن الناس بحيث يعتزل ويصبح **مريضاً نفسيا**.

و أغلب المشايخ الذين تصيبهم هذه الحالة، **إما شيخٌ متحلل،** لايهتم بالأوامر، – لا أريد أن أضرب الأمثلة، انظروا الشيوخ الأزهريين، وانظروا مُخرجى الجامعات، وانظروا الشيوخ التقليديين في المساجد – متحللين، إذا جئت له بأمر، يقول: [دعنا يا أخي، هذه الأوامر، للصحابة]!.. و**إما شيخٌ مريضٌ نفسياً**، معتزل في نفسه وفي صومعته ولا يرى امكانية خيرٍ في أمته قط.. فهذه الحالة نصاب بها حين

لانرى – ولانعرف – الإنسان – على حقيقته –. ولذلك أنا أقول، إقرأ، لو رجعت إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم المحفوظة، بحركات الإنسان المتمثلة بالصحابة، ترى بشراً عادياً، لأنها محفوظة بحفظ الله فقط، لأنها جزء من الشريعة.. فترى الصحابي الذي ينام عن الطاعة، وترى الصحابي الذي عندما أرسل ليأخذ الزكاة من **خالد** رضي الله عنه – فمنع زكاته، فيأتى الصحابي ويرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: منع خالد زكاة المال، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **" أما خالد فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله "** [16]

قام صحابي آخر وقال أتأخذون سلاح رجلٍ يدافع عن رسول الله؟ قام آخر وقال: أنت منافق..

ترى حركة الإنسان..

لما كانت أفضل النساء صنعاً للطعام، **صفية** زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ترسل طعاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو في بيت عائشة رضي الله عنها، فعائشة تغار، وفي بيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتمسك القدر وتلقيه حتّى لا يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **إناء بإناء وطعام بطعام**.. [17]

ترى حركة الإنسان.. فهمتم؟..

الآن كثير من المشايخ وأنا مع تقديرى – لابدّ أن أذكره – مع تقديرى العظيم لهذا الإنسان العظيم وهو الشيخ **عبدالرحيم الطحان**.. [18]

فانه يبالغ.. مبالغةً.. وقد يقول لك: «و في السند الصحيح أن الرجل قد دخل وسمع أن أوانى البيت يسبح!.. وكان أربعين عاماً يقوم الليل وأربعين عاماً يصلى الفجر بوضوءالعشاء»، وهكذا..

---

[16] انظر صحيح البخارى (١٤٦٨) مع فتح الباري ٣/ ٣٣٤.

[17] رواه الترمذي برقم ١٣٥٩، وقال حديث حسن صحيح. وقال الألباني: حديث صحيح.

[18] كان صوت الشيخ غير مفهوم هنا، والشريط كان فيه انقطاع.

ولمايسمع المرء هذا الكلام يصاب الحالة التي ذكرنا، اما الحالة الأولى التحلل، واما الحالة الثانية النفرة من الناس ومن الحياة ويصاب بعاهات النفس وآثارها..

ومن هنا وبهذا المدخل، يعرف كثير من الناس كيف يفسر أحداث الصحابة..

وكثير من الناس عندما تخاطبه عن الصحابة وعن فضائل الصحابة وعظمة الصحابة، يتخيلهم أنهم فقدوا إحساس بشريتهم، يعني لا يوجد لديهم هوى ولايوجد منهم من حبب إليه شيء من الدنيا، ولايرى حركة الإنسان، فإذا جاء إلى مشكلة يقول: هؤلاء، الصحابة..

ومنهج **الشيعة** إلينا ماهو؟ الخبيث الشيعة إذا أرادوا أن يتكلموا على عائشة – مثلاً – جمعوا لك أمثال هذه الأحاديث، ويقولون: أنظروا، هذه عائشة..، وإذا رأى قتال الصحابة في مسألة يقول: لا يمكن الصحابة – إن كانوا أهل الخير والصلاح – أن يكون عندهم رغبة في المال ولا رغبةً في الملك**!**..

هل هذه الفطر البشرية، ممكن، لأى مرتبة من تربية الدنيا، أن تلغى بشريتها، أو تغلي فطرها؟.. **الإسلام لا يلغى الفطرة، الإسلام يقوم الفطرة**، رغبات المال تبقى في الفطرة قآئمة، ما من إنسان في الدنيا الا ويحب المال، ولايمكن للرجل الا ويحب النساء، رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب النساء[19]. واضح إخواني؟..

ولايمكن لإنسان أن لا يشتهي الطعام، أولياء الله الذي ذكرهم الله تعالى في كتابه – أهل الكهف – الذين تركوا الدنيا، ومع ذلك لما أرسلوا رسولهم ليأتيهم طعاماً، ماذا يقولون؟

ائتنا بـ **" أزكى طعام "**[20]، نعم،..

الصوفية أدخلوا فينا هذه الأفكار، فأوصل لدينا أن فطرة الإنسان يمكن بتربيتها عن طريقةٍ ما، أن تلتغى لديه الشهوات فيصبح الإنسان بلا هوي..

---

[19] عن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حبب الي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة. [رواه النسائي في السنن رقم ٣٩٣٩.. وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح].

[20] سورة الكهف (١٩)..

هذه النقطة أردت أن أذكرها من أجل أن نبين أن الهوى لا يمكن أن يلغى من الإنسان، ومن هنا فان الرب، وهو ربّنا، علينا أن نطيعه لأنه هو الذي خلقنا وهو الذي أوجدنا، لو لم تكن هناك جنة ولا نار، فيجب علينا أن نطيعه ومع ذلك ساقنا الله سبحانه وتعالى إلى طاعته عن طريق رغبات النفس، وهواالجنة، ساق عباده إلى الجنة وذكر لهم النساء وذكر لهم الطعام وذكر لهم الشراب، ساقهم إلى طاعته وجعل طلب هذه الرغبات ديناً ومن تركه فإنه لايسمى مسلماً. فإذا قال الرجل – لربه – أنا أعبدك، ليس خوفاً من نارك، فهو إذا لم يخف النار لم يستجب لأمر الله تعالى بأن يخاف النار، لأن مِن أوامر الله تعالى أن يخاف النار[٢١] وإذا قال رجل ما، أنا لا أعبدك طمعاً في جنتك فقد عصى الله بعدم الرغب والرهب[٢٢]..

هذه مقدمة لنا، لنرى إذا نشأت فكرة ما، لدى الإنسان، فكرة خاطئة، إلى أى درجةٍ يصل هذا الإنسان من الخذلان وعدم الإقبال على العمل. إذن **" العلم الحقيقى الموافق للواقع هو أساس تشكيل إرادة الإنسان ".** والإرادة هي تتشكل بالعلم والقوة الدافعة، وبعد ذلك، ليس هذا فقط، ولابدّ أن يكون عنده القدرة، ومن القدرة عدم وجود الموانع. – وهذا سنفصله في باب العمل، لنرى كيف يحصل العمل لدى الإنسان، من أجل أن نرى موافقة كلام الشارع مع حقيقة حركة الإنسان –.

في تاريخنا نشأت أفكارٌ، غزت الأمة حتّى إستقرت فيها وجلست، وتحت مسمى الدين...

كيف يريد الشيطان أن يتحرك مع المسلم؟ – لأن الشيطان، لكل واحد من البشر إذا وقف أي موقفٍ، لابدّ أن يكون له طريقة وأسلوب يتعامل به مع هذا الإنسان، فصاحب الشهوة، الرغبات يحرك به، فالشيطان يسَول له بأن يغلب عليه الشهوة، وصاحب الشبهة – أى صاحب الظن – يتلعب به الشيطان من خلال أوهامٍ تترسخ في دينه على أنها الحق، وأنها الإسلام –. فهمتم إخواني**!؟**.

---

[٢١] قال تعالى: (**لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**) الزمر ١٦.

[٢٢] قال تعالى في شأن نبيه زكريا (عليه السلام): [**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**]. الأنبياء: ٩٠.

نحن في تاريخنا صار القائد لنا هو **القرآن**، والقائد لنا، هو **السنة**، وهما يحملان أوامر ويحملان مصطلحات، فكيف يأتي الشيطان على المتعبد الذي يتبع الكتاب والسنة؟

أعظم لعبةٍ مُرست عليه، بأن فُرغت كلمات الحق، كلمات القرآن والسنة من معانيها الصحيحة، ووضعت بدلاً منها معاني باطلة، لأن **خاصية هذه الدنيا أنه لا يوجد فراغٌ**. بمعني: أن كأساً من الماء، لايمكن أن تضع فيه الزيت حتّى تفرغه من الماء، واضح إخوتي؟.. وكأس الزيت لا يمكن أن تضع فيه الماء حتّى تفرغه من الزيت. ومن هنا **قال السلف: " ما من بدعة أحييت إلا أميتت بدلاً منها سنة، وما أحييت سنة إلا أميتت بدلاً منها بدعة " ٢٣**.

ولذلك، فإن الإنسان من حيث أنه، عبدٌ خلقاً وفطرةً، لذا لايستطيع الإنسان أن لا يكون عبداً، إما أن يكون عبداً لله، وإما أن يكون عبداً لغيرالله عزوجل، لأن العبودية في الإنسان، ليست صفة طارئةً، بل هي صفةٌ أصيلةٌ وصفةٌ ذاتيةٌ في خلقته. واضح؟..

الآن نحن كما قلنا، كلمة **الإيمان** التي هي مدار البحث، هذه الكلمة قد دخل فيها من المفاهيم الباطلة وقد أخرج منها من المفاهيم الحق، فهذه الكلمة جُردت من حقيقتها، فصنعت منا كما صنعت. المسلم الآن – حتّى المتدين – هو كلٌ عاجزٌ لايأتي بخير، لفقدان كلمات الحق مدلولها الصحيح عنده..، فنحن نهتم في هذه الدروس أن نبسط هذه الكلمة بطريقةٍ سهلةٍ بسيطةٍ، لنعيد إليها بعد ذلك نضارتها التي تعامل بها السلف، وتعامل بها الصحابة رضوان الله عليهم. فإذا إجتمع لدينا العلم الصحيح لكلمة **الإيمان** ولكلمة التوحيد، ثم فُرغت أهواءنا من الإقبال على المعاصى بتسويل الشيطان لنا في المعاصي، بعد ذلك نُقبل على مراد الله عز وجل إقبالاً صحيحاً.. وللذكر، فإن أول معصيةٍ وقعت من الإنسان، كانت بإجتماع الظن والهوي. ما هي أول معصيةٍ وقعت من الإنسان؟ آدم عليه السلام، قال الله سبحانه وتعالى له، لاتقرب هذه الشجرة، هذه شجرة المعصية، فسماها الشيطان " **شجرة الخلد** " [هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى] طه١٢٠

---

[٢٣] روى **الطبراني** في المعجم الكبير (رقم ١٠٤٦٣) و**ابن بطة** في الإبانة (رقم ١١و٢٣٣) عن **ابن عباس** رضي الله عنهما، انه قال: **" ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتّى تحيا البدع وتموت السنن "**.

فأول معصيةٍ وقعت من الإنسان هو **بتغيير الحقيقة**، تغييرحقيقة الشيء لدى الناظر، ها!.. ثم بعد ذلك بإثارة مكامن الشهوة لديه، و**أعظم مَكمَنٍ للشهوة هو حب الملك والبقاء.**

الإنسان لم يسعي؟ إما للتملك، وإما لبقاء حياته، فأول معصيةٍ وقع فيها الإنسان كانت بسبب **تغيير حقايق المعاني**. ومن هنا، فالسحر لأنه يغير حقيقة الأمور على ما هي عليه، في نظر الرائي، فانه كفر وشرك و**الساحر لايستطيع أن يفعل السحر حتّى يكفر**، [إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ] البقرة [١٠٢].

ولذلك، يأتي إبليس على المتدينين، لإضلالهم، بتغيير أسماء بأسماء أخرى وحقائق بأسماء مدعاة..

.. **هكذا** إذا تبين لنا هذا تمام الوضوح وفهمنا ألاعيب الكلمة، الكلمة سرٌ،..

إخواني! الإنسان أسير الكلمة، عبدٌ[٢٤] للكلمة، المسلم لما قال كلمة " لا إله إلا الله "، تغيرت حياته، والكفر كلمةٌ، المرء يكفر بكلمة، الإسلام كلمة، والكفر كلمة، المعصية كلمة، الإنسان هو الكلمة، التي تُشَكل العلم الذي تشكل الإرادة التي تُشَكل الحركة والعمل..

و في النهاية إما إرادة حق إلى الجنة وإما إرادة باطل إلى النار، فإذن تَعجَبون إذا كان أول كلمة خاطبنا الله بها، " **إقرأ** " ثم قال: [اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ]، انظر! ما هو صفة الوصل ما بين " إقرأ " " أكرم "؟! **إن كرأمة الله عز وجل وإن إكرام الله سبحانه وتعالي، لاتُعطى لل إنسان إلا بعد العلم**، ووسيلة العلم القراءة، والقراءة لابدّ لها من قلم، وهي حركة الحياة، حركة الحياة..

فلذلك ترون توافق أول كلمةٍ إلهية لنا - بصفتنا أننا نحمل خاتمة الرسالات -، وبين أول أمر أُعْطِيه ابونا آدم كونياً. الكلام! [وعلم آدم الأسماء..].

ما تَشَكلت كرامة آدم (عليه السلام) بأن يسجد له ملائكة الله إلا بعد أن عَلمه الله الأسماء، وبها - بتعلم آدم الأسماء - حاجج الله سبحانه ملائكته بأنه يسحق الإرث، ثم نحن نستحق الإرث الإلهي في هذه الدنيا إذا عَلِمْنا، إذا قرأنا، واضح إخواني؟

---

[٢٤] أى مقهور وذليل للكلمة وتبعاتها..

و **الكلمة سِرُّها عظيم**، وألاعيبها خطيرة جداً جداً إلى درجةٍ عإلية، وهي تحتاج إلى فنٍ وإلى ذكاءٍ وإلى خطورة، واللهِ بالكلمة يقنعك الرجلُ بالكفر! بسطوة الكلمة وبيان الكلمة وسحر الكلمة! [**إن من البيان لسحراً**] [٢٥].. كما أن السحر يغير حقائق الأشياء لدى الناظر، فإن الكلمة تغيرحقائق الأشياة في ذهنه وعقله. هنا، كلمة الإيمان، لأنها أساس عطاء الله لنا، ولأنها بها تدخل الجنة يوم القيامة، فإن أمر تصفيتها في هذا الزمان أمر عظيم. وستكتشفون معي أن **إنحراف كلمة الإيمان عن مفهومها الصحيح هو إنحراف حركة حياة المسلمين في هذا الزمان**، ستكتشفون ذلك، والله ما رأيت – وأنا أزعم هذا وأقول – والله ما رأيت معصيةً تقع في هذا الزمان وما رأيت كفراً يقع في هذا الزمان من قبل مسلمٍ، ولا رأيت ضلالاً اقترفه حركة المسلمين خلال التاريخ إلا بإنحراف كلمة الإيمان! – والله – إنحراف كلمة الإيمان!..

المسلمون الآن، في هذا الزمان مؤمنون بدين الإسلام، فالمشكلة ليست مشكلة عدم الإيمان، ولكن **المشكلة، مشكلة الأفكار**، بـ عض الجماعات وبعض الناس – ممن صاحب رأى وكلام في المسلمين – وبعض التنظيمات، تزعم أن المشكلة مشكلة التربية، يعني مشكلة عدم صلاح الدافع.. بعض الناس – الآن – يتصور، إذا أصلحنا الدافع لدى الإنسان بأن نُرَغِّبه ونحضه، تنتهي المشكلة!

الآن هناك جماعاتٌ مشغولين بماذا؟ ببيان الفضائل..، على أي حقائق؟ حقائق مجهولة..، إما أن تكون مجهولة وإما أن تكون مزيفة، وكلاهما ظن وكلاهما خطأ..

و هكذا سترون أن عدم وضوح كلمة الإيمان وعدم بيان مدلولها الصحيح – كما كانت عند الأوائل – هو الذي يورث المسلم المعاصر – في هذا الزمان وفي كل زمان –، يورثه ضلالاً، أي: ضلال حركته في هذه الحياة؛ ستكتشفون هذا، وخاصةً، عندنا توحيدان، نحن – أهل السنة والجماعة – عندنا توحيدين، التوحيد الأول كما رأيتم ما هو؟ المتعلق بالشريعة، الشريعة التي لها علاقة بالإثم وعدمه..، وتوحيد آخر له علاقة بماذا؟ بالقَدَر. أنتم رأيتم في مثال الخمر، ماذا يحتاج الإنسان ليصيب الإثم، ولأن يسكر؟ ماذايحتاج؟ يحتاج إلى توحيد الشرع وإلى توحيد القدر. فهمتهم إخواني؟..

[٢٥] حديث شريف رواه البخارى في صحيحه برقم (٥١٤٦) باب الخطبة.

يعني الآن رجل أراد أن يشرب الماء، فشرب الخمر، هل يأثم؟ لا. هذا الشرع، ولكن رأيناه سَكر..، سكر أم لا؟ نعم سكر. فلم يتوافق الشرع مع القدر.

رأيناه إنسانا أراد ماءً، فشرب ماءً، أنتفع بالماء، وافق التوحيد الشرعي، فلم يأثم، لأنه أراد الماء وهو أمر مباح له، متعلق بالشرع، ووافق أمراً قدرياً فلم يسكر، فتَوافقَ الأمر الشرعي مع الأمر القدري.

فسعادة الإنسان متعلقةٌ بتوحيدين، توحيد الشرع وتوحيد القدر، وبهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتوحيد الشرع وتوحيد القدر، **وفساد الناس – كل الناس حتّى النصارى –، في هذا الزمان، إما بفسادهم في توحيد القدر وإما بفسادهم في توحيد الشرع.** وفساد المسلمين في هذا الزمان بتوحيد القدر وبتوحيد الشرع، فهم وقعوا في المعاصي لعدم وضوح توحيد الشرع لديهم، ومتخلفين كونياً لعدم وضوح توحيد القدر..، أرأيتم ماذا إجتمع علينا من أقطارها؟!

أقل شيء، الكفار مهتدون كثيراً بتوحيد القدر وإن كانوا في التصور فاسدين لكن في حركة الحياة مهتدون كثيراً وفي توحيد الشرع فاسدون..

المسلمون في هذا الزمان لا توحيد الشرع ولا توحيد القدر، لماذا؟ لعدم وضوح التوحيد، وهذا سنكشفه إن شاءالله في دروسنا معكم، ستروه معي، نمشي معكم قليلاً قليلاً وخطوةً خطوةً لنكشف **مَواطن المرض،** ولابأس بعد ذلك حين تسمع متكلماً يتكلم، فتسكت لعظم المصيبة التي تراها! ما تستطيع إلا أن تسكت، وستسمع خطيباً – يخطب – فكأنَّ صرير الحديد في أُذُنيك! وتتمنى في تلك اللحظة أنك لم تَلد ول م تدخل في هذا المسجد. ستصاب بالهول لخطورة كلماتٍ تقال مستدلاً لها بالكتاب والسنة وهي أشبه بالكفر وقريباً من الكفر!، ولعل بعضكم يظن أنه مكتشف – هذه الأمور وهذه الإنحرافات من قبل –، لا!، أنا سأتجاوز عن الإحترام بالأدب أنكم لستم مكتشفين شيئاً، كلكم! مَن أعرفه منكم ومن لا أعرفه، لأنه لو كنا مكتشفين لكان حالاً آخر ووضعاً آخر..، ستكتشفون كلمات..، لما نقرأ القرآن، ونحول أن نعمل، فنعمل خطأً، أينما يوجهه لايأتي بخير، لماذا؟ **لأن الكلمات الموجودة في القرآن، معانيها ليست حقيقة في ذهنكم** وأنَّ من أعظم كلماتٍ يتردد في جنبات القرآن، إما التوحيد وإما كلمة الإيمان..، سترى هذه الوعود الإلهية وهذا الكلام عن المؤمنين وهذا

الخطاب بالمؤمنين وهذه التقريرات الكونية السنية كيف تجري في الحياة، كلها بمعاني باطلة في الذهن، يحتاج إلى جلساتٍ هادئةٍ هادئة، طويلاً، لتكتشف إلى عمق الإجرام في قلبك..

ستكتشفون أنكم مرجئة! - مع الإعتذار - وستكتشفون أنكم جبرية!، - تشتمونها! - ومع ذلك..، سنكتشف مع بعضنا البعض، عمق هذا الأثر، لأنه تاريخ، وموجود في الكتب، ونشأنا عليه، حتّى نحتاج إلى مدة طويلة بعد أن يتوضح في أفكارنا، يحتاج إلى مدة طويلة ليسْلَب من نفوسنا، وأن - علوقه - علوق سُرعان الفكر التي تقفز إلى الذهن، مع ورود كلمةٍ ما، يحتاج إلى مدة طويلةٍ، لتسبق كلمة الحق أو ليسبق معنى الحق معنى الباطل.

***هذه المقدمة**، أظن انكم سرتم معنا خطوة خطوة فيها، لنبدأ بعد ذلك في موضوعنا " **مُسمَّى الإيمان** ". نحن دورتنا في " مسمى الإيمان " و " **الحكم على المعين** "، لأنّا سنرى أنه لاتلازُمَ مطلقٍ بين حقيقة الإيمان وما بين الحكم على الرجل بالإيمان، واضح؟ مثلاً، أننا نحكم على الرجل بأنه مؤمن وقد يكون في الحقيقة أنه منافقاً، **فلا تلازم مطلق بين الحكم على المعين بالإيمان، وما بين وجود حقيقة الإيمان عنده.**

فنحن دورتنا في " مسمى الإيمان " و " الحكم على المعين "، يعني كيف نحكم عليه - أي علي المعين - أنه مسلم، كيف نحكم عليه أنه مؤمن، كيف نحكم عليه أنه كافر، كيف نحكم عليه أنه منافق..، ثم نتحدث عن الحكم على الطائفة..، لماذا جعلنا حكم الطائفة مع بحثنا في الحكم على المعين؟ لأنه في ذهن المسلمين، يتعامَل مع المسلم باعتباره مسلماً، لكن لايتعامل مع الإنسان بإعتباره في جماعةٍ ما..، لأن وجود الإنسان في جماعةٍ له حكمٌ يختلف من وجوده منفرداً، وستكتشفون أنه مَرَّات، **لتُطْلَق على جماعةٍ حكماً شرعياً، ولايستلزم الحكم على أفرادها،** فالحكم على المعين يستلزم بيان حكم الجماعة، **لأن الأحكام المتعلقة بالجماعة لها مناطات أخرى غير مناطات الحكم على المعين..**

هذه هي دورتنا معكم وهذه هي إفتتاحيتنا معكم، شديداً نوعاً ما..، أضحك بعضكم نوعاً ما..، لكنها حقيقة نوعاً ما..

جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

من هم أهل السنة والجماعة؟

نحن كما قلنا دورتنا في موضوعٍ وهو " **مسمى الإيمان** " أو بمعنى آخر " **الإيمان عند أهل السنة والجماعة** "..

لِلذكر إخواني: فما هو مُسمَّى الشيء؟ مُسمَّى الشيء هو حقيقته، - مثلاً - " الكرسى " هو اسمٌ لشيء معين، فما هو هذا الشيء؟ هذا هو الكرسي. **فمُسمَّى الشيء، حقيقة الشيء.**

الإيمان، اسمٌ لشيء معين، ما هو هذا الشيء؟ ما هو حقيقته؟ فمسمى الشيء هو حقيقة الشيء. بخلاف الإسم، فإن الإسم قد يكون هو حقيقة الشيء، وقديكون لفظاً دالًّا على حقيقة الشيء، الإسم يطلق مرةً على حقيقة الشيء ومرةً يدل على لفظٍ دالٍ على حقيقة الشيء، لما قال الله عزوجل: (**سبح اسم ربك الأعلي**). ما المقصود بالإسم هنا؟ هو الله عزوجل - أي: سبح الله، سبح ذات الله -، إذن المقصود بالإسم هنا ليس لفظ الدال على الله سبحانه وتعالي، ولكن يدل على ذات الله [سبحانه وتعالي]، أي على مسمى الله عزوجل وهو ذاته سبحانه وتعالي..

لكن أنت عندما أقول لك: «أكتب إسم فلان، او انطلق إسم فلان»، فإنك تنطق لفظاً أو تكتب حرفاً، فتقول " خالد "، هذا اسم الخالد، هل هو حقيقة الخالد؟ لا..

هل الإسم هو المسمي؟[٢٦]

هذا بحث من أبحاث المتكلمين، ليس هذا وقت الكلام عليه، لكن للذكر أن الإسم عند أهل السنة والجماعة ليس هو ذات الشيء، ولا هو أمر خارج عن الشيء، هو لفظ دال على حقيقة الشيء لكن مرَّات يطلق الإسم على حقيقة الشيء كما قال سبحانه وتعالي: [**سبح اسم ربك الأعلي**]، واضح؟ فهنا المقصود [سبح ربك الأعلي] وهو الله سبحانه وتعالي، لانريد أن نخوض في هذه المسائل ولكن للذكر، مَن الذي نريده؟ نريد أن نبحث عن حقيقة الإيمان، وليس اسم الإيمان، فاسم الإيمان لا نريد أن نَتعرَّف

[٢٦] راجع شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رحمه الله (١/ ١٠٢) و**قاعدة في الإسم والمسمى** للإمام ابن تيمية رحمه الله ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٢٠٥و٢٠٦) وبدائع الفوائد لابن القيم رحمه الله (١/ ١٩و٢٠).

على إشتقاقه اللغوى ولانريد أن نتعرف على حروفه وعلى إجتماع ألفاظه، بل نريد أن نتعرف ما هو الشيء الذي إذا وجد أُطلق عليه إسم الإيمان. فمسمى الشيء هو حقيقة الشيء..

الآن نحن نريد أن نتكلم عن مفهوم وارد لدينا، وهو لفظ " **السنة والجماعة** ". نريد أن نعرف من هم أهل السنة والجماعة؟ ولماذا اشتق منه هذا الشعار؟ من أين جاء شعار " أهل السنة والجماعة "؟

- للذكر - أنه لا يوجد - لا في آية قرآنية، ولا في حديث نبوى -، ذكر كلمة [السنة والجماعة]، لا يوجد. فهذاالشعار، شعار متأخر، رُفع - هذا الشعار - للدلالة على أمور إعتقادية وطريقة عمل ومنهج سلوك، إذا اتبعه المرء استحق أن يدخل في جماعة (**أهل السنة والجماعة**).

الآن، السؤال: مادام أن هذا اللفظ لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، فمِن أين أُتِى بهذا اللفظ " السنة والجماعة "؟

الفِرَق كثيرة، سنتكلم عن أهمها في درسنا هذا ودروس القادمة، لكن الآن نريد أن نعرف من أين جاء اسم " أهل السنة والجماعة " وما هو حقيقة هذا الشعار وهذا الإسم؟

تعلمون أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «**تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»؛ **قيل وما هي يا رسول الله؟ قال:** «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

هذا لفظ **الترمذي** وهو عند **الحاكم** كذلك ورواه الآخرون بهذا اللفظ. [٢٧]

[٢٧] المستدرك للحاكم ٤٤٤ - سنن الترمذي (٢٦٤١) و(٢٦٤٠) وقال: **حسن صحيح**.. قال الإمام السخاوى رحمه الله في المقاصد الحسنة: " **حسن صحيح** وروى عن أبي هريرة وسعد وابن عمر وانس وجابر وغيرهم ". اه. وأخرجه: أبوداوود في السنن (٤٥٩٨—٤٥٩٩) وأحمد في المسند (٩) (١٢٤)، وابن ماجة في السنن (٣٩٩٢ - ٣٩٩٣) والآجري في الشريعة (٢٧) وابن أبي العاصم في السنة (٥٣و٥٤) وغيرهم. وأورده الشيخ " محمد جعفر الكتانى " في كتابه " **النظم المتنأثر من الحديث المتواتر** " وعدة من الأحاديث المتواترة.. و**صححه الألباني والأرناؤوط والآخرون.** وللتفصيل المزيد راجع كتاب (المفصل في تخريج حديث افتراق الأمة) للباحث: على بن نايف الشحود.

هل هذه الفرق مسلمة ام كافرة؟ هذا سنأتي عليه، هذه الفرق التي تنتسب إلى أمة النبي صلى الله عليه وسلم هل هي فرق مسلمة على الحقيقة، وليست كافرة؟ أم أنها تنتسب إلى الإسلام ظاهراً وحقيقتها كافرة؟ هذا بحثٌ سنؤجل الكلام عليه. لكن الآن: النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن جميع الفرق التي تنتسب إلى ملة الإسلام وإلى أمته صلى الله عليه وسلم كلها في النار إلا واحدة وهي الفرقة الناجية، إذن يوجد شعار وهو " **الفرقة الناجية** ". فالفرقة الناجية هي " **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ". ما هو عليه صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: ما هو عليه، هو **السنة**،.. طريقته هي السنة. والسنة بمعنى الطريق، ف " **ما أنا عليه** "، أي: **السنة**.

الآن، في صفة تجمع هذا الشخص - و هو رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتجمع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، هي صفة **علاقة أميرٍ بمأمور**، ليس فقط علاقة نبي بتابع، وعلاقة معلمٍ بتلميذ، وعلاقة مرشد بتابع، لا**!** ولكن هناك علاقة أخرى غير علاقة معلم لتلميذه، وعلاقة المرشد لتلميذه، والمرشد لتابعه، لا، هناك **علاقة سياسية**. واضح؟..

علاقة أخري، فيها إمتثال أمر السياسية وغير ذلك، التي فهمها الصحابة حتّى ولو لم يوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فَهُم عليهم أن يكونوا على هيئةٍ ما، من الحياة، ومن هنا لما مات النبي صلى الله عليه وسلم بحثوا الصحابة عن ماذا؟ **بحثوا عن الخليفة**. لأنهم فهموا أن الفرقة الناجية، ليس فقط وجود النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ولكن هناك طريقة العمل لهذه الفرقة الناجية وهو أنها لابدّ أن تكون مجتمعاً على هيئة ما، وعلى طريقة ما، ولذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، قوله " **و أصحابي** ". فلو كانت القضية، - يا اخوتي**!** - هي قضية نبي صلى الله عليه وسلم يرشد أتباعاً أن يتمثلوا أمره، منفردين كلٌ على حِدّة، من غير رابطٍ يجمعهم فإنه لا يستدعى أن يقول صلى الله عليه وسلم " **أنا وأصحابي** "؛ ويقول ما أنا عليه، اي: تُصلون كما أصلي، تصومون كما أصوم، وتزكون كما أزكي، وتحجون كما أحج، وتقومون الليل كما أقوم الليل، وتذكرون الله كما أذكر الله، وهكذا.. وليس هناك رابطٌ بينكم كلٌ على حدة في بيته وكل واحد في مسجده وكل واحد في منظومة حياته المستقرة لديه بحيث لو كان رجلٌ ما، هناك - حين يسلم -، ملتزم بأمر قيادةٍ قبلية فهو يبقى تحت أمرة قبيلته، أو رجلٌ هناك تحت أمرة قطاع طريق سياسي، فهو تحت أمرته، او واحد ملتزم وتحت أوامر فارس والروم،

فهو تحت أمرتهم مع بقاءه متديناً على طريقةٍ دينيةٍ ما، كبعض الأديان التي حُرفت، او الأديان الوضعية التي تقول: أنت تكون تحت أمرة أى منظومةٍ وأى جماعةٍ من غير أن يؤثر علاقتك بهذه المنظومة وهذه الجماعة، على أنتسابك لهذا الدين، مثل مثلاً الآن، الديانة النصرانية التي تقول: كونك أنت تحت الحكومة الأمريكية التي تحكم بنظامٍ علمانى ما، أنت نصراني، نصرانيتك هذه لاتتأثر بعلاقتك بمجموعتك العلمانية السياسية في أمريكا، وكذلك تستطيع أن تكون نصرانياً مع إمكانية أن تعمل في جماعة بعثية، وكذلك يجوز لك - و أنت نصراني - أن تكون متديناً نصراني ومع ذلك تكون تحت أمرة منظومة سياسية شيوعية، فهذا لايؤثر عليك وعلى ديأنتك!!

بعض الديانات، لاتهتم بهذه القضية، وأغلب مشايخنا في هذا الزمان يطرح الإسلام بهذه الصيغة، ما هي الصغية؟ أنت مسلم بريطاني، أنت مسلم أردني، أنت مسلم أمريكي، أنت مسلم شيوعي!، أنت مسلم إشتراكي!، أنت مسلمٌ بعثي!، أنت متدين بعقيدة ما وهذا لا يتأثر بصفة الجماعة التي تنتسب إليها، أو أنت مسلم ممتثل تحت أمرة قبيلة ال " واق واق " وأنت مسلم ممتثل تحت أمرة قبيلة " **فهد بن عبدالعزيز** ".. وهكذا.. لايتأثر أنتسابك للإسلام بدخولك في جماعةٍ من الجماعات، هذا لايؤثر عليك..

هذا الطرح..، **الإسلام لا يقبله،** لابدّ من علاقةٍ بين المسلمين، و**لايستحق المرء أن يكون من الفرقة الناجية - بل هو من أهل النار - إذا لأينتظم في جماعة ترفع شعار الإسلام،** وعلاقة فيما بينهما كما كانت علاقة محمدٍ صلى الله عليه وسلم - ليس كنبي، ليس بصفة نبي، ولكن بصفة قائدٍ - لجماعة من الصحابة، ليس بصفتهم أتباعاً للنبي، ولكن بصفتههم جماعة لقائدٍ ما، كما هي نفس الصفة..، الآن النبي صلى الله عليه وسلم يحمل صفتين، **الصفة الأولي،** صفة النبوة، والصفة **الثانية،** صفة القيادة. ذهب صفة النبوة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فلابدّ من أن يوجد ويبقى صفة القيادة. **فالعلاقة بين الصحابة وأبي بكر، كالعلاقة بين الصحابة ومحمد صلى الله عليه وسللم من جهة كونه قائداً.**

هذه العلاقة، من لم يدع إليها ولم يعتبرها من الإسلام ويموت دونها لايستحق أن يعتبر من الفرقة الناجية ومن هنا كانت ضرورة أن يقول صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية، " ما أنا عليه اليوم

وأصحابي ". فلو كانت القضية قضية السنة، أو الدين - بمعنى الإعتقادات والشعائر العبادية والطاعات الشخصية الفردية -، لما كان ضرورة أن يقول " ما انا عليه وأصحابي ". ولو كانت القضية قضية النبوة، أى أنهم أتباع لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم فقط، لصفته نبياً، لقال " ما أنا عليه "، أى أنكم تكونوا مثلي، فيما أمركم به بصفة النبي، وفيما أُعَلّمكم له بصفة النبي وما أقوم به بصفة النبي..، **ولكن لماذا ذكر الجماعة هنا؟** ليدل على طبيعة العلاقة في داخل منظومة التي يسمى " بأهل السنة والجماعة " او " الفرقة الناجية " فهمتم هذه القضية؟! فقوله صلى الله عليه وسلم هنا " الصحابة، او أصحابي " ليددل لى طبيعة العلاقة بين المسلمين جميعاً وهي الجماعة.

فـ " ما أنا عليه " هو السنة، و " ماهم عليه جميعاً " من طبيعةٍ عمليةٍ سلوكيةٍ، اسمها ماذا؟ " **الجماعة** ". وخروج أهل البدع عن مفهوم أهل السنة والجماعة قديكون خروجاً بمفهوم السنة وقد يكون خروجاً بمفهوم الجماعة، بمعني: هناك فِرَقٌ ما، تأتي إلينا وتقول: نعم! أنا ممتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر وينهي ولكن لا أدخل في الجماعة، - الجماعة الآن نحن سنبينه - فإنه يكون مبتدعاً ضالاً، كما إذا قال: أنا لا أدخل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهمتم إخواني؟ واضحاً هذا؟..

الآن، أنا سأتكلم - الحقيقة - على بعض الأمور المبينة في هذا الحديث وهي التي نحتاجها في زماننا هذا، هذا الشعار " ما أنا عليه اليوم وأصحابي " أي " السنة والجماعة "، نحن الآن سنفسر، ما هي السنة وسنفسر ما هي الجماعة عند الأوائل ونرى ما نحن محتاجين إليه في زماننا هذا، لهذا اللفظ العظيم الجامع " **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ".

الآن - فقط للذكر فيما أُنبه عليه - **أن كلمة " اليوم " هو ضابطٌ وشرطٌ**، قوله صلى الله عليه وسلم " ما انا عليه اليوم " يدل على أن **إكتمال الدين** هي التي تأخذ به الفرقة الناجية، لأن الفرقة الناجية إذا أخذت بأي مرحلةٍ من مراحل الإسلام قبل بلوغه وإكتماله، لاتستحق أن تسمى فرقة ناجية، لو أن رجلاً قال: المطلوب من الناس - مثلاً - أول دعوة محمدٍ صلى الله عليه وسلم وهو أنه قال للناس " قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله "..

فلو أن رجلاً قال المقصور على طلب الناس في هذا الزمان، هو فقط أن يقولوا " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وأما بعد ذلك من الشرائع المطلوبة، فهي ليست مطلوبة منهم، فهذا ماذا يكون؟ **يكون كافراً.**

روى **الإمام الآجرى** رحمه الله (م٣٦٠ه) في كتابه (**الشريعة**) عن **الإمام سفيان بن عيينة** رحمه الله (م ١٩٨ه) - و هو إمام عظيم - من طريق محمدبن عبدالملك المصيصى أبو عبدالله قال: " كنا عند سفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة، فسأله رجل عن **الإيمان**؟ فقال: **قولٌ وعملٌ**، قال: يزيد ماشاءالله، وينقص حتّى لايبقى منه مثل هذه - و أشار سفيان بيده -، قال الرجل: كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل؟ **قال سفيان**: كان القول قولهم قبل أن تقرر أحكام الإيمان وحدوده، إن الله عزوجل بعث نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كلهم كافة أن يقولوا: لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فلما قالوها، عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عزوجل، فلما علم الله عزوجل صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالصلاة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا مانفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم، فلما علم الله عزوجل صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا مانفعهم الإقرار الأول ولاصلاتهم.. الخ[٢٨]. - يقول **الشيخ أبوقتادة**: - بعد ذلك جعل يعدد شرائع الإسلام شريعة شريعةً، ليقول أن كل شريعة جاءت، لو لم تقبل من قبل هؤلاء الصحابة لما عُدَّ الرجل مؤمناً..

إذن قوله صلى الله عليه وسلم **" اليوم "** هو ضابط للفرقة الناجية، لأنه قد يأتي رجل ويقول في مسألة من مسائل الدين بما كان قبل إكتمال الشريعة، واضح إخواني؟ فهذا لا يستحق أن يسمى مِن أهل السنة والجماعة، وأكبر دليل على هذا، عمل **أبي بكر الصديق** والصحابة رضي الله عنهم، في مواجهة أهل

[٢٨] **" الشريعة " للإمام الآجري ص٩٩**. باب تعريف معرفة الإيمان والإسلام وشرائع الدين. وللامام أبوعبيد القاسم بن سلام رحمه الله (١٥٧ - ٢٢٤ه) كلام مفيد في هذا الموضوع؛ شبيه بهذا القول للامام ابن عيينه رحمه الله. موجود - هذا الكلام - في كتابه **الإيمان** ص ٥٤ وما بعدها [طبع الدار الارقام بالكويت.. ١٤٠٥ه، بتحقيق الألباني]. راجعه فانه مفيد جداً.

الردة.. لأنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إرتد الناس، ولم يبقى من أهل الإسلام إلا بعض المناطق، مكة، المدينة، الطائف، اليمن وأطراف بحرين، فقط هذه الأماكن أليسيرة التي ربما لم يصل خبرها إلى **أبي بكر** رضي الله عنه، ربما أهل بحرين ويمن لم يصل إلى أبي بكر خبرهم على أنهم ارتدوا أم لم يرتدوا، فارتد الناس، على ماذا ارتدوا؟ بعضهم ارتد كاملاً عن الدين، وبعضهم ارتد ولغى أصل النبوة وأصل الإسلام وأصل الدين، وبعضهم ارتد ردةً جزئيةً، وهذه الردة الجزئية كذلك كانت في مراتب، بمعنى أن بعضهم قال: " لا زكاة، لا يوجد زكاة، ألغيت الزكاة " وبعضهم قال: " أنا أؤدي الزكاة ولكن لا أؤديها لأبي بكر، لأن الله عز وجل يقول ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢٩]. - يقول: - أن المامور بأخذ الزكاة منا هو الذي تنفعنا صلاته، فهذا أبوبكر صلاته لاتنفعنا، فإذن ليس هو المأمور بأخذ الزكاة، سقطت الزكاة بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعضهم قال: أنا أؤدى الزكاة، ولكن لا أؤديها لأبي بكر، ليس له الحق أن يأخذه منا..

فأبوبكر رضي الله عنه بما أخذ عندما عامل هؤلاء القوم؟ هل أخذ بوقت من أوقات تَنزُّل التشريع وتنزُّل الأحكام، قبل نزول أحكام الزكاة مثلاً، هل أخذ بهذا؟ ما أخذ إلا بإكتمال الشرية، وقال: **" والله لو منعونى عِقالاً - أو عَنَاقاً - كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه.. "** [٣٠]. ما قال: نريد أن نبدأ معهم بالدعوة إلى " لا إله إلا الله " من جديد..، هم كانوا مقرين - بلا إله إلا الله، وبعضهم كفر بلا اله إلا االله ولكن **أبوبكر** رضي الله عنه قاتل الناس على جميع شريعة الإسلام، قاتل الكافر بلا إله إلا الله على " لا إله إلا الله "، وقاتل المانع عن الزكاة - منعاً كلياً -، على منعه كلياً

[٢٩] التوبة (١٠٣).

[٣٠] رواه البخارى في صحيحه، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٦٨٥٥). ورواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله، برقم (١٣٣).

وقاتل مانع الزكاة الذي لايؤديها لأبي بكر رضي الله عنه، قاتلهم جميعاً على قوله صلى الله عليه وسلم " ما أنا عليه اليوم وأصحابي "، على مسألة إستقرار الدين (**اليوم اكملت لكم دينكم**). [٣١]

فأيُّ جماعة وأي فرقة لاتأخذ في حركتها ولاتأخذ في منهجها إكتمال الدين، فهي جماعة، أقل ما يقال عنها، أنها بدعية ضالة، وقد تصل إلى درجة الكفر العياذ بالله عز وجل، أيُّ جماعة تقول: هذه المرحلة، هي مرحلة تتستدعى إسقاط بعض التكاليف، أو تنازل على بعض الأحكام الشرعية، هذه الجماعة لاتستحق أن تسمى الفرقة الناجية، بل هي من الفِرق التي شذت وقال عنها صلى الله عليه وسلم: " **أنها في النار** "..

فالفرقة الناجية هي الفرقة التي تأخذ بجميع مسائل الإسلام وأحكام الشريعة، واضح يا إخوتي؟..

هذا الأمر لابدّ أن ننتبه إليه، لأن الآن، كثيرٌ من الجماعات والفِرَق الآن والتنظيمات لاتدعو إلى اكتمال الدين، يعني بمعنى أن هناك جماعة يزعمون الهداية والإرشاد ويزعمون الصلاح ومع ذلك يريدون مثلاً مِن بعض الفِرَق ومِن بعض الجماعات المسلمة المجاهدة أن تتنازل بمطالبتها بإقامة الحكومة الإسلامية. لماذا؟ قالوا: **لأن الناس في هذا الزمان غير مستعدين لقبول الحكومة الإسلامية**.. [٣٢]

وضعوا شروطاً، **أولاً**: ما أنزل الله بها من سلطان، **ثانياً**: إن هؤلاء يريدون من المسلمين أن يعتبروا الصلاح باطلاً وأن يعتبروا الحق باطلاً..!، مطالبة الحكومة الإسلامية في أي مرحلة، هذا حقٌّ ودينٌ في أي مرحلة كانت، سواء كنتَ مستضعفاً أم لا، عليك أن تؤمن أن إقامة شرع الله عزوجل واجبٌ عليك. أمّا أنك تقدر – فعلاً – على إقامته أو لاتقدر، هذه مسألة أخري..، أنت هناك في **بريتانيا** قد لاتستطيع أن تقوم بكثير من أحكام الشريعة المترتبة على المسلم الذي هو في قمة العزة وهو في دار

---

[٣١] المائدة (٣)..

[٣٢] نجد المثال البارز لهذه الدعوات، في اقوال وتصريحات جماعة " الإخوان المسلمين " وفروعاتها، كجماعة " الحماس الفلسطينى "، حيث صرحوا في كثير من بيانات وتصريحاتهم بأنهم **لن يطبقوا الشريعة الإسلامية!! وليسوا في حاجة لامارة إسلامية!..**

[راجع كتاب: حديث الإفک، للدكتور أكرم حجازى حفظه الله].

الإسلام والهجرة، أنت تشعر بأنك مُكلَّف به وأنّه دينٌ وأنه حقٌ وأنت تجب أن تقوم به، بعد ذلك أنت تقوم بهذا العمل أو لا، هذا منوط بماذا؟ **منوط بالقدرة**، ما هو قدرتك فيها مثلاً أن تدعوهم إلى الإسلام، لكن أنت كذلك لا تلغى حق الله تعالى عليك بوجوب مجاهدة الكفار، ووجوب إيذائهم..، هذا الحق لايلغي، ويبقى مستقراً في دينك، وأما مطالبتك به أو قيامك به، فهذا منوط بالقدرة.. – مثلاً – هنا شيخ يزعم العلم، يزعم أن المطالبة بالحكومة الإسلامية خطأ**!**، كأنه يريد أن يلغي.. وعليه أن يقول: أنتم مطالبتكم صحيح، والواجب أن يقول أنتم بطلبكم في هذا الوقت، لإقامة الحكومة الإسلامية، هذا حق، لأنه أمر الله عزوجل عليكم ولكن عليكم الآن أن لا تعملوا له – بالقتال و.. –، لأنه ليس في وسعكم وفي قدرتكم، ولكن اعملوا في ما هو في وسعكم وفي ما هو في قدرتكم،.. فهمتم إخواني؟

إذن بارك الله فيكم: هذا القيد، " اليوم "، يجب أن يكون حجة لنا، على كل طائفة وعلى كل جماعة، وعلى كل شيخ وعلى كل فرقة تدعو إلى الأخذ بأي مرحلةٍ من مراحل التشريع، وتقول هذا منهجي أن لا أخذ بهذه المسألة الآن..، هذا باطلٌ، أي جماعة تقوله..

نحن نريد أن نأخذ الإسلام كاملاً، ونؤمن به، لكن ماذا نستطيع الآن أن نعمل، في موضوعنا وفي مسألتنا في هؤلاء " حكام الردة "، نحن ننشأ الجماعة من أجل إقامة الحكومة الإسلامية، تقوم الجماعة.. و الجماعة في مفهومها العام غير موجود كما سنبينه..، فقدان صفة الجماعة بمفهومها العام من الأمور التي فقدت في الأمة، لأن **الجماعة لها مفهومان**، مفهوم **خاص**، ومفهوم **عام**، **فمفهوم العام هو "** وجود خليفة أو حاكم مُمَكن، يحكم بشريعة الإسلام، والمسلمون كلهم داخلين في هذه الجماعة "، هذا غيرموجود. فجماعة تقوم بهذا الحق غيرموجود..

أنا الآن أريد أن أقيم هذا الحق المفقود، فهي – الأصل – أن تقوم لهذا الحق بما هو شرَع الله عزوجل، شرع الله أن تجاهد وشرع الله أن تتعلم الناس هذا الحق، وشرع الله أن تدعو الناس لهذا الحق،

وتبين المخالفين وتفضح كما فضح الله عزوجل المشركين في وقت إستضعاف المسلمين – في صدر الإسلام – بقوله تعالي: **(تبت يدا أبي لهبٍ وتب)**.[٣٣]

هذه الآية فضحت رمزاً من رموز المشركين، وهذه السورة نزلت في وقت الأستضعاف ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة..

فجماعة تقوم لهذا الحق، عليه أن تدعو الناس لهذا الحق، وأن تقاتل عليه، لأن الشرع يقول بمقاتلة المعادي، لكن بعد ذلك، ترى الجماعة أنه لاتقدر على هذه المرحلة من مراحل الإسلام.. ماذا تفعل؟ لاتقول للناس نلغى هذه من منهجنا!، ولاتقول هذه ليس في ديننا، ولاتقول الجماعة هذا ليس من منهجنا، لكن تقول: **لانقدر الآن على القيام بهذه المرحلة**.. نريد أن نجاهد، هل عندنا القدرة أن نجاهد؟ ماعندنا القدرة، فما هو المطلوب؟ المطلوب أن نُعِدَّ لهذه، القدرة، أن نُعد لأي أمر عُدَّته..

مثلاً، نحن الآن نريد أن نُعلِّم الناس الدِّين – لأن الناس جَهَلَةٌ – لكن نحن نفقد العلم، ما هو المطلوب؟ أن نطلب العلم، لنُعلِّم الناس. نحن نريد أن نجاهد، ما المطلوب للجهاد؟ القدرة، عدم وجود القدرة يستدعى أن نُعِدَّ لها – بقدر ما نستطيع –.. وأاما أن تأتي جماعة وتلغي بعض الشريعة في مرحلة من مراحل الدين، فهذه، فرقةٌ ضالةٌ. وكما رأيتم[٣٤]، إذا لُغِي هذا الأمر في مرحلة فإنه يصل إلى درجة الكفر – العياذ بالله عزوجل – واضح إخواني؟.. هذه القضية لابدّ أن نفهمها، **أن الفرقة الناجية هي التي تأخذ بما إستقر عليه الإسلام – في آخِر أمره وهو مرحلة إكتمال الدين – بشروطه وأحكامه** الموضوعة في كتب الفقه..

مُميِّزات الفرقة الناجية:

بعد هذا نريد أن ندخل في موضوع (ما هي مميزات هذه الفرقة، **ما هي صفات الفرقة الناجية؟)**

[٣٣] سورة المسد، وكذا فضح رموز المشركين في سورة القلم التي نزلت في وقت الأستضعاف بمكة.

[٣٤] اى في كلام الإمام ابن عيينة رحمه الله.

هذه الفرقة..، شرطُ السنة.. قوله صلى الله عليه وسلم **" ما أنا عليه "**، أي **السنة**، يبين لنا **توحيد مصدر التلقي**..

أول صفة لهذه الفرقة، أنها **" توحيد مصدر التلقي "**.

لأنه صلى الله عليه وسلم قال: " ما أنا عليه " ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين يعود الدين وحين تعود الخلافة..، ماذا قال رسول الله عليه وسلم؟ قال: (تكون النبوة فيكم ماشاءالله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافةٌ على منهاج النُّبوة فتكون ماشاءالله أن تكون ثم يرفعها إذا شاءالله أن يرفعها ثم تكون ملكاً عاضَّاً فيكون ماشاءالله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبريةً فتكون ماشاءالله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة، ثم سكت.) [٣٥]..

إرجعوا إلى قوله صلى الله عليه وسلم " تكون النبوة فيكم ماشاءالله أن تكون، ثم خلافة على منهاج النبوة " وآخر الأمر أيضاً ماذا ستكون؟ **" خلافة على منهاج النبوة "**، ليدل لنا في هذا الحديث أن هذه الجماعة تكون في آخر الوقت على الأمر الذي كان أول الوقت.

إذن لايمكن لجماعة أن يقول – في أي مرحلة من المراحل –: نحن في هذه المرحلة نريد أن نأتي بأفكار جديدة ونريد أن نأتي بعقائد جديدة، نريد أن نأتي بإشتقاقات جديدة..، هؤلاء كما سنبينه الآن، كلُّها فِرقٌ – قريبة أو بعيدة –، لكنها على الجملة قد افترقت عن السنة والجماعة.

[٣٥] أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٣، رقم١٨٤٣٠) والطيالسى (ص٥٨، رقم٤٣٨) والبراز (٧/ ٢٢٣. رقم٢٧٩٦) قال **الهيثمي** في الزوائد (٥/ ١٨٩): " رواه أحمد في ترجمة النعمان بن بشير، والبراز أتم منه والطبراني ببعضه في الأوسط و**رجاله ثقات "**. وقال **الحافظ العراقي** في (محجة القرب إلى محبة العرب) (١٧/ ٢): «**هذا حديث صحيح** ». وحسن **إسناده " الارناؤوط "** في تحقيق المسند. و**صححه الألباني** في السلسلة الصحيحة رقم ٥.

إذن **أول هذه الميزات**، أنّ أهل السنة والجماعة، **تَوحَّدوا مصدر تلَقِّيهم**..، ماذا يعني توحيد المصدر التلقي؟ يعني أن لاترى مصدراً لدين الله عزوجل ولالشرع الله عزوجل ولألفاظ الدين التي يسيرون عليها، حتّى ألفاظ الدين، إلا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

فلذلك، القائلين بالعقل..، نعلم أن لابدّ من استخدام العقل ليدُلَّنا على بعض الأفهام أو على بعض المفاهيم –، القائلين بالعقل لم يوحِّدوا مصدر التلقي، لأنهم نظروا فقالوا أن الشرع كمصدرٍ للتلقي غير كافٍ من أجل أن يبصرنا ويهدينا إلى الحق الذي نريده، فإذن جعلوا العقل مَدخلاً..

وهؤلاء مثل – مثلاً قديماً – **المعتزلة**، مثل **المتكلمين**، مثل الذين يسمون في هذا الزمان **بالمستنيرين**، الفرق المستنيرة أو الجماعات المستنيرة، التي تريد أن تسترشد بالعقل من أجل أن يدُلَّها على الصواب، هؤلاء إما أن يستقل العقل لديها بالتشريع، مثل الخصومة التي قامت مع الإعتزال، أو خصومة التي قامت في داخل **حزب النهضة التونسي**، خصومة قامت: هل نأخذوا بالنصوص مسترشدين بالعقل، أم نُلغي النصوص ولاقيمة لها ونأخذ بقواعد الشريعة الدالة على المصالح والمفاسد؟**!!** انظروا إلى درجة الخصومة في الفرق التي تريد أن تُحيى الإسلام**!** جماعة قالت: لا، نأخذ بالنصوص مع إرشادات العقل وهداياتها، وجماعة قالت ماذا؟ قالت: النصوص لا قيمة لها ولكن كليات الدين**!!** ما هي كليات الدين عندهم؟ جلب المصالح ودرء المفاسد. ما هي المصلحة عندنا؟ **ما هي المصلحة في ديننا**؟ هي التي جاء بها الشرع، **ما هو المنكر وما هي المفسدة**؟ الذي جاءبه الشرع بنفسه. فهذا هو الصلاح وهذا هو الفساد، وهذه هي المصالح وهذه هي المفاسد، لكن حين يكون ميزان المصالح والمفاسد هو العقل، إذن العقل هو المستقل بالتشريع، بقوله هذا حلال لغلبة المصالح عليه – عقلاً لا نصاً –، وهذا حرام لغلبة المفسدة عليه، – ماذا – عقلاً..

فهؤلاء جماعة يغلب عليهم هذا الأمر..، وصل الأمر بالفِرَق في تاريخنا والمعاصرين أن النص لا قيمة له، العقل هو أساس التشريع!.. هذه جماعة يجعلون العقل قسيم النص، بمعنى أن النص يحْترم ويبقي، فإذا وافق العقل، حَياهُ الله، وإذا لم يوافق العقل، ماذا نصنع؟ علينا أن نَعْجِنَ النقل، علينا أن نَلوي عنق النقل ليوافق العقل..، ومن هؤلاء في مسائل العقيدة فرق كلامية وفي الفقه كذلك **جماعات**

الرأي الذين قالوا أنّ كل حديث آحاد غير مُشتهِر وغير متواتر، كل حديث آحاد على خلاف القياس، لا نأخذ به. ما هو القياس مقصود به؟ الحكم العقلي. **القياس هو الحكم العقلي**، فكل حديث لا يوافق القياس، لا نأخذ به..

السني، الفرقة الناجية، ابتداءً يسلِّم أمام النص، تأخذ النص وتمشي فيه، إن عَقِلَتْه فهذه مرتبة العقلاء، فهموا النص وعملوا به وبعد ذلك أدركوا غايات المصالح فيه لأن مراتب الممتثلين للنص ليس مرتبة واحدة، ولكنه مراتبٌ في العقل والإدراك. يأتي مسلم عامي تقول له ما هي المصلحة في الصلاة؟ يقول: " ما أدري، الله تعالى أمرني بالصلاة وأنا أقوم بها، لاتناقشنى "، هذه مرتبة " أنا أمتثل أمر الله ولا أفسِّر بعد ذلك "، وهناك مرتبة أخري، مرتبة العلماء والفقهاء والحكماء الذين يفقهون دين الله عزوجل، يفهمون الدين، يأتي النص، فيسلِّم له قلباً وبعد ذلك يدرك غاياته عقلاً. وهذه درجة الحكماء في ديننا الذين فهموا النص، بعد ذلك لو سألته عن حكمة هذا النص وعن مصالح هذا النص، يبين لك حكمته ومصالحه، وهذا فهمٌ يؤتيه الله عزوجل عباده وبهذا تتعدد مراتب الناس في عبوديتهم لله عزوجل وفي خضوعهم للنص.

فرقٌ بين من أخذ النص وسَلَّم له، كدرجة العوام، ليس له وراء العمل بالنص أمر، وفرق بين من أخذ النص واستطاع أن يدافع عنه أمام الأعداء، لو جاء إليه واحد وقال له " هذا النص يخالف العقل "، لو افترضنا أن غبياً – و الأغبياء كثير وهم الغالب على تاريخ الأمم والفرق – لو جاء وقال: " هذا النص لا يوافق المصلحة وأنتم تقولون إن الدين جاء للمصلحة "، فماذا يصنع هذا الفقيه وهذا العالم؟ يبين له موافقة هذا النص للمصلحة وأن المصلحة المتوهَّمة في عقله – بالعقل، ها! بالعقل يستشهد له – يبين له بالعقل أن المصلحة التي في ذهنك ليست حقيقية، ولكنها متوهمة، أو هي ليست راجحة ولكنها مرجوحة، وإنما جاء النص بماذا؟ بالمصالح الراجحة.. [٣٦]

---

[٣٦] قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: " فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء ويعلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة

فهمتم مراتب الناس؟ فهمتم ما هي المصلحة في ديننا؟ **المصلحة أن تعمل بالنص**، كما قال **الإمام ابن حزم** عليه رحمةُ الله عندما سئل عن العقل قال: **" العقل هو العمل بالوحي "** [٣٧]، هذا هو مقدار العقل..

فهمتم مراتب الناس في قضية الخضوع للنص؟..

إخواني! لابدّ أن نعلم أنه **لا يوجد في الدنيا مصلحة مطلقة ومفسدة مطلقة**، لا يوجد عمل في ديننا مستقل بالمصالح لامفسدة فيه – بالنسبة لكل أحد من الخلق –، لا يوجد مِن عمل من أقدار الله، من مخلوقات الله، مستقل بالمفاسد لا مصلحة فيه. الآن، الخمر التي نهينا عنها، لماذا؟ لمفسدتها. هل فيها مصالح؟..، يأتي واحد ويقول لك: يا عمِّ لماذا تحرم الخمر؟ رجلٌ في عمله وتعبه ومشاكل الحياة ومشاكل الناس، تأتى له بكاسٍ من الخمر فيشربه، فينسى الدنيا ومشاكله، فأنت بهذا تريحه!..، فالمصلحة موجودة أو متوهمة؟ موجودة..، الآن يأتي آخر ويقول لك، كما قال شيخٌ – هذا شيخٌ يدعى العلم وهو سلفي – يقول هذا الشيخ: أنه في الجزائر، عامة الناس يشتغلون في كروم العنب – في مزارع العنب – فهي الداخل الرئيسى للفقراء هناك، وهي تعد مدخلاً صحيحاً من مداخل رؤوس الأموال للبلد، لأنها تُصدِّر هذه الكروم إلى الفرانسة لصناعة الخمر، – يقول – فهل من مصلحة الإسلام أن يمنع هؤلاء ويذهب هذه المصلحة الموجودة، وتحل بدل هذه مصلحة، المفسدة، وهي فقر الناس وفقر الدولة؟!.

هو يقول: " هذه مصلحة "!.. هل هي مصلحة؟ نعم هذه مصلحة، ولكنه ينسى تلك المفاسد.. يعني كلُّ إنسان يستطيع أن يبين لك الصورة التي يريدها، أن فيه المصلحة – **عليكم أن تنتبهوا لها في حوارات العقول والمناقشات** –، كل إنسان يستطيع أن يقول لك " حتّى الكفر فيه مصلحة ". الآن الكفر، أليس فيه مصلحة للناس؟ فيه مصلحة!، الذي يكفر..، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ

ونافعة ما ليس بمشروع، علم أن ضررها راجح على نفعها ومفسدتها راجحة على مصلحتها إذ الشارع لا يهمل المصالح ". [الرد على البكري ج١ص١٦٧. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة].

[٣٧] وقال رحمه الله تعالى: **" العاقل من أطاع الله "**. (الإحكام في أصول الأحكام ص ١٨).

النَّاسُ أمة واحدةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) (الزخرف٣٣ (. الكفر فيه مصلحة! والدين – للمؤمنين به – فيه مفسدة! – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم..**) الحديث.[٣٨] فالواحد يقول: " من المصلحة أن لايقع عليَّ البلاء ومن المفسدة وقوع البلاء

عليَّ، فأكفر حتّى لا يقع عليَّ البلاء "!!..

إذَن يستطيع كل إنسان في هذه الدنيا ان يحاججك.. فمن الذي هو العليم الخبير المطلق الذي يعلم ميزان المصالح والمفاسد، ويعلم أن مصلحة هذا ولو توهَّمْتَها، مصلحة ضعيفة، إلّا أن الشرع يثبت أنها قوية، وذلك بأنَّه أمرك بها..، لما الشرع أمرك بهذا إذَن هذا فيه مصلحة راجحة على المصلحة المتوهمة لديك، وحين نهاك عن أمر، إنما نهاك عنه من أجل مفسدته، ولو تَوهَّمْتَ أنه مصلحة راجحة، لأنه لا يوجد في الدنيا، لا يوجد أبداً..، يوجد المصالح المطلقة، فقط في الجنة، والمفاسد المطلقة في النار. النار مافيه خير أبداً، والجنة ما فيه شر أبداً. وأما الدنيا فيختلط فيه كل أمر ويختلط فيه المصالح بالمفاسد، وهذا من بلاء الله، وهذا سنبينه **أنه كما في قَدَر الله تختلط المصالح والمفاسد، كذلك في القرآن، اللفظ الذي يحتوى على الحق، فيه مايمكن أن يوهِم في العقل مفسدةً**، بمعني: هل يستطيع أحد من الناس أن يحتج بها في القرآن والسنة على بعض كفره؟! نعم! جميع فِرَق الضلال التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم إنما ضلَّت لأنها أخذت بغير جانب الحق في النص، أخذت بالجانب الآخر[٣٩]..

---

[٣٨] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٤٨٢) وابن حبان (٢٩٢٠) والحاكم (١٢٠) وقال **صحيح على شرط الشيخين**. و**صححه** الارناؤوط في تحقيق مسند أحمد (٢٧١٢٤) و**صححه الألباني** في سلسلة الاحاديث الصحيحة برقم ١٤٣.

٣٩ قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أنزل عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..) الآية. آل عمران٧. وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣)) الحج [٥٣ – ٥٢].

فجانب العقل - عند أهل السنة - يلغَى حين يمْتَثل أمر الله، فإذا وقعت حادثة يبحث عن أمر الله، يعمل به، بعد ذلك ما دور العقل عنده؟ أن يدرك غايات الرب في هذا الأمر، فهو عنده القدرة على أن يرُدَّ على المشككين ويرد على أصحاب البدع ويبين عظمة النص وما فيه من خيرات وما فيه من محاسن. هذا توحيد المصدر لدى الإنسان المسلم، لا يقبل العقل، واضح إخوتي؟ فهذه الجماعة لاتقبل العقل.[٤٠]

هذا بالنسبة للمتكلمين، ثم هي بالنسبة للصوفية، **الصوفية** ماذا قسيم النص عندهم؟ الصوفية ترى الكشف (الذوق)، قسيم النص، ولذلك هم يقولون بنظام الذوق..، " **من ذاق عرف** ". نظام الذوق الذي يحس له المعانى في قلبي، وهذا للأسف - كما رأيتم أن العقل، كثير ما يسَير قطعات المسلمين، كذلك - الذوق يسير كثيراً من قطعات المسلمين، تقول لرجل لماذا تمشي مع هذه الجماعة؟ يقول: هناك أحسستُ بقلبي، في هذه الجماعة رأيت راحة قلبي!.. تسمعون هذا الكلام؟ كثير من الناس يحتج لدخوله في الفرق والجماعات براحة قلبه، بالذوق، ما يذوق. يقول هذا قلبي أين يرتاح ذهبت!..

ولو أخذنا بنظام الذوق ونظام العقل، كل شيءٍ في الدنيا.. الخمر - مثلاً - تؤلم أو لا تؤلم؟ تؤلم، ولكن فيها كذلك بعض الترياق على السم، فيها أو ليس فيها؟ فيها..، كما في القدر، اختلط المصالح والمفاسد، كذلك في الشرع، فمن هذه المصالح ما يذوقه المرء ويحسه، فيقول أنا أحس بقلبي مع هذه الجماعة، - مثلاً الصوفي - يقول: " والله كيف تريدني أن أقتنع أن هذه الحضرة - الحضرة الصوفية - لا قيمة لها، وأن أخرج منها وقلبي مملوءٌ بـ - الذوق الذي يسميه هو - الإيمان؟!.. كذلك عامة **جماعة التبليغ** - مع الإحترام والتقدير لما فيهم من الخير - إذا سألتهم ما دليل حقانيتها؟، يقول لك جواباً واحداً: " لقد شعرتُ بقلبي في هذه الجماعة، خرجتُ معهم، والله لقد انشرح صدري.. ".

الذوق، هذا، ليس له قيمة في دين الله، متى يكون له قيمة؟ **هل الذوق له قيمة في دين الله**؟ كما أدركنا أن العقل له قيمة، وهو إدراك عظمة النص ليوافق الحق الكوني الذي بسطه الرب عزوجل في خلقه. كذلك الذوق هل له قيمة؟ نعم. أين؟ بعد أن ترى النص. فكل ذوقٍ تراه بع ذلك موفقاً للنص، فهو

---

[٤٠] أي كمصدرٍ للتلقي.

ذوقٌ صحيحٌ وليس متوهم، وليس من تلعُّب الشيطان بك لأن الشيطان قد يغْري، يفتح لك الأبواب، من العسل الممزوج بالسمِّ الكثير..

إذن، فهؤلاء الجماعة – أى أهل السنة والجماعة – يأخذون مصدر التلقي عندهم واحداً، لا يقولون بحق إلا وقد شهد له الشرع، – كما قال **ابن القيم** – الدينار كيف تعرف أنه مُزيف أو غير مُزيف؟ إذا كان خارجاً من مصنعٍ له حقانية السك، بمعنى أنه إذا خرج من مَصنَعٍ مُزيف، أي من سكةٍ مسكوكةٍ بسكةٍ أخري، فإنك لا تلتفت إليه..، كذلك الحق لا يكون عندك حقاً إلا إذا كان مصدوراً ومطبوعاً أين؟ من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مقتضيات " لااله الا الله محمدرسول الله " أي انك لا تُقَدِّم بين يدي الله ورسوله..

فمصدر التلقي عندهم واحد، لا العقل يشارك بالتشريع ولا الذوق ولا المنامات ولا أي شيءٍ آخر.

سؤال: ما هذا المصدر؟ الجواب: فقط الكتاب والسنة. أهل الأصول يزيدون القياس والإجماع، ولكن في الحقيقة، القياس والإجماع لا ينشئان حكماً.

أهل الأصول وأهل العلم يقولون في القياس، أن القياس لا ينشيء حكماً ولأينشيء حلالاً ولا حراماً ولكنه يكشف الحلال الموجود في النص الذي لم تستطع أن تهتدي إلى النص، أو لم تستطع أن تهتدي إلى فهم النص، فالقياس ليس مصدراً للتشريع، وتفصيل هذا الموضوع ليس هذا مكأنه، هذا في دورة الأصول إذا قدَّرَه الله..

ثم الإجماع لا ينشيء حكماً، لو أن كل العالَم اجتمع على كفرٍ، أو أقرَّ الكفر، ومنهم المنسوبون إلى أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم – و هذا غيرممكن –، هل يصبح الكفر ديناً وحقاً؟ أبداً، – طبعاً هذا الأمر مُتوهَّم ولا وجود له، لأن هذا، أمر لا يكون قدراً، ولا تجتمعوا أبداً –. [41]

---

[41] لأن الله تعالى قدّر أن يبقى على كل حالٍ في العالَم، طائفة على الحق باقية إلى أن يأتي أمر الله. قال تعالى: (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) الأعراف ١٨١.

لكن لو فرضنا أن يقع هذا الأمر، هل يصبح حقاً؟ نعوذبالله! فالإجماع لا ينشيءُ حكماً، لكنه يؤكد حكماً، بمعني: لو جاء حديث نبوي فأخذ به جماعة وأنكره جماعة، فدلالة هذا الحديث على المراد، **دلالةٌ** ظنيةٌ، لوجود المخالف، بمعنى أنه يسَع للناس - أي أهل العلم - أن يخالف بعضهم بعضاً لوجود الخلاف، لكن لو جاء هناك نصٌ نبوي وأجمعت الأمة على أخذه، أكد لنا أن هذا النص معناه، هو الذي أخذ به من طريق الإجماع وثبوته عن طريق أهل الأمة له أنه حقٌ لاشبهة له. **فالإجماع ماذا يصنع؟ يؤكدُ حكماً ثبت بالنص**، ولذلك **لا إجماع بلا نص**، وهذا شرحه كثير..، ولكن مصدر التلقى ماهو؟ الكتاب والسنة، فقط..

الشيء الثاني من مميزات أهل السنة والجماعة - يعني مقتضيات قولنا: هؤلاء أهل السنة - **أنهم يأخذون بجميع النصوص.**

لماذا هذا القيد؟ لماذا قيد " يأخذون بجميع النصوص "؟

إخواني! الله عزوجل في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع دينه في مسألة واحدة وهذه المسألة في نص واحد. بمعنى الآن لو أردنا أن نعرف ما هو بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم في من يدخل الجنة، فلو جاء رجلٌ وأخذ بنصٍ واحد، في من يدخل الجنة، لكان ضالاً، لأنه بهذا النص، إن أخذه مفرداً ولم يأخذ ببقية النصوص، فإنه يرُدُّ بقية النصوص. وعلى هذا فإن جميع الفرق الضالة، قدضلت لأنها أخذت ببعض النصوص دون بعض، وهذا الفهم كان مضادّاً لفهم النصوص الأخري..

نضرب أمثلةً: عندنا فرقٌ في موضوع الإيمان، من يدخل الجنة؟ من هو المؤمن؟ جاء جماعة من الفرق فقالوا: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **" من قال لا إله إلا الله دخل الجنة "** [٤٢]، هذا **حديثٌ صحيح**. فقالوا هل هناك اشتراط لدخول الجنة غير قوله لااله الاالله؟! فلماذا تجعلون لشرط دخول الجنة أن يصلى ويصوم ويزكي، وأى أمر آخر من الأوامر التشريعية، سواء كان من أركان الدين أو من

[٤٢] أخرجه الحاكم في المستدرک (٧٧٤٦) والطبراني في الكبير (٦٢٢٣) وابن حبان في صحيحه (١٥١) **وصححه الألباني** في تحقيقه لفقه السيرة.

واجبات الدين أو من مستحبات الدين؟ إذن الرجل يدخل الجنة إذا قال " لا إله إلا الله " و إذا عمل أى شيءٍ بعد ذلك فإنه لايمنع من دخول الجنة..

هل هذا النص يفيد هذا المعني؟ يفيد هذا المعني.. إذا هذه الفرقة قالت: دخول الجنة معلق بالإيمان والإيمان هو أن يقول العبد " لااله الاالله " فقط..

جاء فرقة ثانية، فنظرت وقالت: هناك حديث آخر وهو حديث **المقداد بن الأسود** رضي الله عنه، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

«يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلنى فضرب أحدى يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال أسلمت لله، أفاقتلهُ يا رسول الله بعد أن قالها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقتلهُ فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال "». [٤٣]

هذا الحديث معناه: أن هذا الرجل قبل أن يقول تلك الكلمة كان كافراً، إذن قول النبي صلى الله عليه وسلم " أنت بمنزلته قبل أن يقولها " بمعنى إنك إن قتلته بعد تكلمه بهذه الكلمة، تكون بمنزلته، أى تكون كافراً [٤٤]. إذن في هذا الحديث دليل على أن من قتل مسلماً فهو كافر، – هذا المعنى يفهم من هذا الحديث –، الآن لو جاءت فرقة وقالت: " من قتل مسلماً فهو كافر " ونسيَ أهل حديث (من قال لا اله الاالله دخل الجنة)..، أجمعوا لنا بينهما! هذا الحديث يقول " من قال لااله الاالله دخل الجنة " وليس فيه اشتراط (إن لم يقتل مسلماً (. وأهل الحديث الآخر يقول بـ " من قتل مسلماً فهو في النار ". هذه الفرقة لو أخذت بهذا الحديث فقط، كانت ضالة، لأنها ردَّت الحديث الصحيح الذي يقول (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة). والفرقة الأولى لو أخذت بحديث (من قال لااله الا الله دخل الجنة) فقط، كانت ضالة أيضاً، لأنها ردت الحديث الآخر الصحيح! فهمتم؟

---

[٤٣] متفق عليه (رواه البخاري: كتاب المغازي ٤٠١٩، ومسلم: كتاب الإيمان، ١٣٩).

[٤٤] قال **الإمام النووي** رحمه الله: " (فإنه بمنزلتک..الحديث)، فأحسن ما قيل فيه وأظهره ما قاله **الإمام الشافعي** و**ابن قصار المالكى** وغيرهما أن معناه: فإنه معصوم الدم محرم قتله بعد قوله لا إله إلا الله كما كنت أنت قبل أن تقتله وإنک بعد قتله غير معصوم الدم ولا محرم كما كان هو قبل قوله لا إله إلا الله ". [شرح النووي على مسلم٢/ ١٠٦].

فما هو الطريق؟ هو طريق أهل السنة والجماعة، [45] أنهم يقولون بجميع النصوص، فيعْمِلونها في وقتٍ واحد، فيهتدون فيها إلى الحق. فهمتم هذا؟

إذا فجميع الفرق الضالة، وما من فرقةٍ من فرق الأهواء إلا جاء ضلالهم من جهةِ أنهم أخذوا ببعض النصوص دون بعض، كما قدمنا، نضرب مثالاً آخر: مثلاً في مسائل القدر: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله عزوجل قبض قبضةً[46]، فقال: للجنة، وقبض قبضة، فقال: للنار ولا أبالي ". [47]

واضح الحديث؟ ماذا يفيد؟ إن القضية مفروغ منها، والعمل لاقيمة له، إذن ماذا تعمل أنت بعد ذلك، هو جرى على قبض الأول، والقبض الأول هو إرادة الله دخل فيها، - وتقول فرقةٌ بهذا الحديث - إذا عِلْمُ الله بدخول الجنة لبعض عباده، هو الأصل في دخول الجنة ولادور لعمل العامل، أي: القضية مفروغ منها..

الآن! هل هذا الحديث يفيد هذا المعني؟ نعم يفيد هذا المعنى مستقلاً - أي دون تقييده بالنصوص الأخرى -! إذن هذه الجماعة قالت: أن الإنسان مجبور والعمل لاقيمة له، فالإنسان مجبور، والله تعالى يجبر عباده على ما قضى في علمه، ولا قيمة لإرادة العبد[48]..

وتأتي جماعة أخرى وتقول بنصٍ أو بحديثٍ آخر، مثل ما ذكرناه آنفاً (من قال لا اله الاالله دخل الجنة). في هذا الحديث ربَطَ النبي صلى الله عليه وسلم دخول الجنة بماذا؟ على قول العبد، أين ذكر علم الله تعالي؟ فلا ذكر عن علم الله.. فمن أخذ بهذا الحديث دون أن ينظر إلى علم الله، ضلَّ [49]، ومن أخذ بالحديث الأول دون النظر إلى الحديث الآخر المفيد لإرادة الإنسان في الأعمال ضلَّ..

---

[45] **طريق الجمع بين أطراف الأدلة.**

[46] أي " من خلقه ومن الناس ".

[47] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٦٩٣٣و١٩٧٤٧). ابن بطة في الإبانة (٢٦١٦) **وصحح إسناده الألباني في** (السلسلة الصحيحة١/ ٧٨).

[48] وهذه الجماعة هم (الجبرية).

[49] وهؤلاء هم القدرية.

وماذا هو حال أهل السنة؟، **أهل السنة يأخذون بجميع السنة وبجميع النصوص** وإذا ظهر لبعضهم أن هناك تعارض، فهو تعارضٌ متوهَّم وفي الحقيقة لا تعارض.. [٥٠]

فهمتم هذه النقطة؟ فما من فرقةٍ بدعيةٍ أنتسب إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وقد ضلت بأخذها ببعض النصوص دون بعض. وأما أهل السنة فلا يضرهم، أُورِد عليهم ما تريد، فإنه مقيدٌ بما ورد في النصوص الأخري، كل حديث مقيد بما ورد في أحاديث أخري، فيجمون النصوص في حالة واحدة، أو في وقتٍ واحد..

الآن كيف صنع أهل السنة بالحديث الأول؟ جمعوا بين النصوص، (من قال لا إله إلا الله ولم يقتل مسلماً دخل الجنة).. فهمتم؟

ها هنا لابدّ من نقطةٍ أن نُنبِّه عليها ونبينها.. و هي: هل في قول النبي صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)؛ أو في الحديث الآخر، تلك المعانى الباطلة التي فهمتها الفرق الضالة؟ يجب أن نعلم أن النص على الحقيقة لو إنفرد، - و لانجمع بينه وبين النصوص الأخرى - فإنه لايدل بذاته ومنفرداً، على باطلٍ كما يحْمِلُه أهل البدع. يعني - مثلاً أن قوله صلى الله عليه وسلم: " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " بذاته، وبهذا النص، لايفيد ما إستقر عليه عقيدة المرجئة، فإن في ذاته معنى حقيقياَ وهو المعنى الذي عليه أهل السنة والجماعة، ولكن لألَّا تَضِلَّ الأفهام ببعض المعانى التي يحتملها وهي المعانى الضعيفة، في هذا النص، فقد وُجِدَ النصوص الأخرى التي تبين المعنى الحقيققى من هذا النص. لأن هذا النص يحتمل عدَّة معانٍ فمنها المعنى الواضح الظاهر وهو المعنى الحق الذي يدل عليه بقية النصوص الأخرى المرشدة له في داخل هذا النص..

---

[٥٠] التعارض بين حديثين صحيحين، لا يوجد أصلاً ولا أبداً. قال الإمام **ابن خزيمة** رحمه الله: " لا أعرف أنه روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، ومن كان عنده فليأت به حتّى أؤلِّف بينهما " أنتهي. وقال **الإمام الشافعي** رحمه الله في الرسالة: " ولم نجد حديثين مختلفين إلا ولهما مخرجٌ.. " إنتهي. [الكفاية في علم الرواية ص٦٠٦ - البحر المحيط للزرشكى - تدريب الراوى للسيوطى ٢/ ١٩٦].

إذا إخواني! الميزة الأولى لأهل السنة والجماعة، أن المصدر الوحيد لدين الله عزوجل هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، و**ما خالف هذا فهو الهوي. خلاف الحق ماذا؟ الهوي**.. كما قال الله عزوجل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [51]. إذن **خلاف الحق الهوي**. قال الله عزوجل: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[52]. فخلاف الوحي ماذا؟ الهوي.. و قال الله عزوجل: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [53]. **فخلاف الهدى ماذا؟ الهوي**.. و ما من قولٍ يخالف الكتاب والسنة، إلا ومبعثه الهوى مع مبعثٍ آخر، أو داعٍ آخر وهو الجهل والظن الذي تحدَّثنا عنه في المحاضرة الأولي.

وقلنا أن الميزة الثانية لأهل السنة، أنهم يأخذون بجميع النصوص الصحيحة، حيث صح النص، فإنه حَقٌّ في ذاته، وحَقٌّ بمجموع النصوص التي تكون مع هذا النص في هذه المسألة.. ولابدّ أن نجمع جميع النصوص الواردة في مسألة واحدة، لنعرف حكم الله عزوجل ونعرف إرشاد الرب عزوجل لنا في هذه المسألة..

" المَيزة الثالثة "

الآن نأتي إلى الميزة الثالثة ولماذا قال أهل السنة بقولهم " السنة "؟ لأن كثيراً من أهل البدع قد رَدُّوا كثيراً من السنن لِظَنّهم أنها تعارض ظاهر القرآن. فمجال أهل البدع في الطعن لايستطيعون أن يطعنوا في كتاب الله عزوجل ولكن طعنهم إنصَبَّ أين؟ على السنة. **لأن السنة قاضيةٌ على الكتاب** – كما قال السلف –. وهذا اللفظ **رفضه الإمام أحمد** رحمه الله، قال: لايقال السنة قاضية على الكتاب وإن تدأوله كثيرٌ من سلفنا الصالح. قال: **السنة مفصلة ومبينة للكتاب**.. [54]

---

[51] ص٢٦.

[52] النجم٣ – ٤.

[53] النجم ٢٣.

[54] روى **ابن عبد البر** في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩١) **والحازمى** في الاعتبار ص٩٩، عن **يحيى بن أبي كثير** أنه قال: ﴿**السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة**﴾.. وانظر سنن الدارمى رقم ٥٨٧. ويوضح **الإمام**

فالكتاب حمالُ أوجُهٍ[55]، ولم يأتي الكتاب بتفصيل مسألة تفصيلاً تامَّاً، والتفصيل أين يكون؟ يكون في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذلك عامة أهل البدع لم يَرُدُّوا كتاب الله عزوجل، ولم يردوا آية، وإن ورد من بعض أهل البدع أنَّ قلبه قد إحترق من دلالة آية فقال: " أتمنى أن تُمْحى هذه الآية من كتاب الله ". كما ورد عن **عمروبن عبيد** أحد أئمة المعتزلة كان يقرأ قوله سبحانه وتعالى (**قل هو الله أحد الله الصمد..**) السورة، فقال: " لَوَدِدْتُ أن تُحَك هذه الآية من كتاب الله "[56]! لأنها فيها الدلالة على ضلال مذهبه وفيها الدلالة على صحة مذهب أهل السنة المخالفين له..

لكن عامة أهل البدع لايستطيع أن يغتنم من الكتاب إلّا تأويلاً له، فمَن يحدد أن هذا التأويل تأويل حق أو تأويل باطل، مَن؟ الجواب: السنة النبوية، لأنها تُفَصِّل وتُبَين..

الشاطبي رحمه الله ما يقصد العلماء بقولهم " ان السنة قاضية على الكتاب " فيقول: [الجواب أن قضاء السنة على الكتاب ليس بمعنى تقدمها عليه، واطراح الكتاب، بل إن ذلك المعبر في السنة هو المراد في الكتاب، فكأن السنة بمنزلة التفسير، والشرح لمعانى أحكام الكتاب]. (الموافقات٤/ ٣٩٤—٣٩٥). **كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:** " جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن ". والإمام أحمد رحمه الله، تحاشا أدباً لفظ (قاضية على الكتاب) عندما سئل عن الأثر السابق فقال: " ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكن السنة تفسر الكتاب وتبينه ". [طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١//٢٥، وانظر الموافقات ٤/٤٠٨ - ٤٠٩]. إذن: المسألة والخلاف، لفظي فقط، كأن الإمام أحمد تحاشي إطلاق اللفظ، وأتى بلفظ يفهم منه المعنى تماماً، وهو أن السنة مبينة للقرآن. ومعنى أن السنة قاضية على القرآن أنه إذا إختلف اثنان فيتحاكما إلى القاضي. كل واحد يدلي ما عنده من دليل، فيقول القاضي: الحق مع فلأن، فإذن القاضى قضى لفلأن بعد ما ثبتت حجته وظهرت واستبأنت، كذلك السنة، أى أن هناك لفظة في القرآن تحتمل معنيين فتأتي السنة فتقضى بين المعنيين وتقول: المعنى الأول هو المراد.. والثاني غير المراد. فتكون السنة قدقامت بدور القاضى بين المعاني. فلذلك صارت قاضية على كتاب الله، لا لأنها مقدمة على كتاب الله.

[55] أخرج **ابن سعد** من طريق عكرمة عن **ابن عباس** ان علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال: إذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاججهم بالقرآن **فإنه ذو وجوه،** ولكن خاصمهم بالسنة ". واخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل، قال: صدقت، ولكن **القرآن حمالٌ ذو وجوه،** تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن، فإنهم لم يجدوا عنها محيصاً، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة. [الإتقان في علوم القرآن للسيوطي١/ ٤١٠].

[56] راجع " **إجتماع الجيوش الإسلامية** " للامام ابن القيم.

فالسنة النبوية تُفَصِّل لنا معنى الحق المراد بكتاب الله عزوجل، **فالكتاب حمَّال أوجه،** لأن ألفاظه عامة مُجملة كما **قال السلف**: القرآن جاء بمجمل القضايا..، إذا أراد رجل بدلالة لفظٍ عام في الكتاب أن يحمله على معنى باطل، مَن الذي يرُدُّه؟ السنة ترده، إلى المعنى الصواب، إلى معنى الذي أراده الله عزوجل، ولذلك لم يقولوا - أى أهل الفرقة الناجية والسلف الصالح - لم يقولوا (**الكتاب**) بدل " السنة "، لم يقولوا هذه فرقة (الكتاب والجماعة)، ولكن قالوا: (السنة والجماعة). لأن عامة أهل البدع، خصومتهم، في السنة، أي في ردها. واضح يا اخوتي؟.. هذا لابدّ أن نفهمه، ولذلك أهل السنة، بفضل الله عزوجل هم الذين اشتغلوا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعاً وتنقيباً له وبحثاً له وتصنيفاً لهذا، فلذلك تميزوا بأنهم أهل الحديث، لأن عامة جهود أهل السنة كانت مُنصبةً على جمع الحديث والبحث عن مفرداته وعلى معانيه وعلى تفسيره وعلى دلالاته، أما أهل البدع، فان عامة ضلالهم، إنما أخذت من عدم فهمهم للسنة، أو عدم أخذهم بها، وقالوا بأقوال مبتدعة، **لعدم جمعهم لسنة رسول الله** صلى الله عليه وسلم..

الآن! **الشيعة،** مانصيبهم من السنة النبوية؟ لاشيء!. إلَّا حظاً يسيراً الذي ذكروه في كتبهم من طرقٍ باطلة، لكنها أصابت الحق، هي طرقٌ باطلة، ولكن قد يصيب الجاهل أو الأعمي. وقد يصدق الكذوب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيطان: (**إنّه قد صدقك وهو كذوب**) [٥٧].

فعندهم حظٌ يسير من الحق، وأهل السنة أولى به لأنه موجود بطرقٍ صحيحةٍ عند أهل السنة.

الآن! **الخوارج** مِن أين جاؤوا بِرَدِّ كثيرٍ من الأحاديث أو برد كثيرٍ من الأحكام الشرعية؟

جاؤوا من عدم فهمهم للسنة وعدم سماعهم لها. فهم يردون **الرجم،** الخوارج يردون حكم الرجم ويقولون أن الرجم على المراة المحصنة لم يرد، لأنه لا يوجد في كتاب الله! [٥٨] ما الذي دعاهم أن يقولوا هذا القول؟ عدم فهمهم وعدم إحاطتهم بالسنة..

---

[٥٧] رواه البخارى في صحيحه (باب إذا وَكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكِّل فهو جائز). ورواه في باب (صفة إبليس وجنوده) برقم ٣٠٣٣.

فلذلك أهل السنة كان عامة جهودهم أن يجمعوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستسلموا له..

وكذلك من الفِرَق التي اقتربت أو ابتعدت كثيراً أو قليلاً عن أهل السنة والجماعة، المتوهِّلون بالأخذ بالرأي، وهم الفقهاء.. هؤلاء، لأنهم قالوا " **أن الشريعة جاءت بالكليات** "، هكذا ظنوا أن الشريعة بنصوصها – بنصوصها المفردة – لم تستوعب حوادث الزمان والمكان، إنما جاءت الشريعة وجاءت النصوص النبوية بالمجملات وبالكليات. هكذا قالوا، وقالوا إن الشريعة بنصوصها لم تستوعب الحياة كلَّها، لم تستوعب جميع الأحداث ولم تستوعب جميع القضايا وجميع ما يقع للناس من أمورهم الحيأتية، – **وهذا القول باطلٌ وضلال وإن إمتلات وحُشيت به كثيرٌ من كتبِ الفقه والأصول** –. فلذلك هم – أي أهل الرأي – نظروا إلى بعض الأحاديث واعتبروها كلية وجعلوها كلية في أذهانهم وفرضوا على هذه الأحاديث معاني قياسية ما، عقلية وكلية مع هذه الأحاديث، فكل حديثٍ أو كل مسألة قبل ذلك، كل مسألة عرضت لهم أرجعوها لهذه الكلية، ولم يلتفتوا هل يوجد لهذه الحادثة نصٌ آخر، حتّى لو جاء حديثٌ بعد ذلك يخالف هذه الكلية الواردة في أذهانهم على معنى هذا الحديث، رَدُّوه بقولهم أنَّ هذا الحديث على خلاف القياس،.. وهذا مثاله كثير عند الفقهاء أو عند القائلين بالرأي، أو الذين سمَّاهم السلف بـ (**الأرأيتيين**)، حتّى **قال الشعبى** رحمه الله: " إنَّ هؤلاء قد بغضوا إليَّ المسجد، حتّى لكناسة بيتى أحب إليَّ من المسجد، قالوا: من هم يا أبا عمر؟ قال " **الأرأيتيون** "»[٥٩].

---

[٥٨] ما أشبه الليلة البارحة، فلا يزال من المبتدعة والعصرانيين، من يقولون بهذا القول الفاسد، ويردون هذا الأمر الثابتت المتواتر في الشريعة. (إنا لله وإنا إليه راجعون)!

[٥٩] أنظر الأحكام لابن حزم رحمه الله (٦/ ٧٨٩)./ عُرِفتْ مدرسة الإمام أبي حنيفة رحمه الله عند السلف بمدرسة (الأرأيتيين)، أي: الذين يفترضون الوقائع بقولهم (أرأيت لو حصل كذا؟ أرأيت لو كان كذا؟). فقد سأل مالكاً – رحمه الله – بعضُ تلاميذه يوماً عن حكم مسألة فأجابه، فقال تلميذه: أرأيت لو كان كذا؟ فغضب مالك وقال: هل أنت من الأرأيتيين؟ هل أنت قادم من العراق؟ ". [السنة ومكانتها في التشريع ص٤٠٣]. وكان فقهاء أهل الحديث يحذرون من الإفتراضيين، ويطلقون عليهم تسميات عدة مثل: (الآرائيين)، (الهداهد)، (الأرأيتيين)، (أصحاب أرأيت) وينهون تلاميذهم عن مجالستهم والأخذ عنهم وإتباع طريقتهم، **قال أبو وائل**: " لا تقاعد أصحاب أرأيت "،

مثلاً، أضرب لكم عنهم أمثلة فقهية حتّى تتضح الصورة..

قالوا: " **أنه لا يجوز بيع المعدوم** "، ثم قالوا " أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن بيع العدوم، ولا يوجد حديث صحيح في هذا ولا حديث حسن[60] - لكن أخذوها من بعض الأحاديث الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن بيعٍ كان فيه المبيع معدوماً. مثل قوله صلى الله عليه وسلم (**لاتبع ماليس عندك**) [61]، فهذا الذي ليس عنده، هذا معدوم، فنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعه، ثم نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمر قبل أن يحمر أو يصفر أو قبل أن ينضج[62].

فهذا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، لأنه معدوم، فجاؤوا إلى هذه الأحاديث وقالوا: هذه تؤدي بنا إلى قاعدة قالوها وهو نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع المعدوم، هذه القاعدة إستقرت في أذهانهم مثلاً، فجاؤوا إلى بعض الأحاديث الأخرى التي فيها جواز بيع المعدوم، منها - كما تصوروا - من جواز بيع المعدوم، جواز الإجارة، الإجارة هي بيع المنفعة والمنفعة معدومة عند تسليم الأجرة، بمعنى لو أنك الآن دفعت لرجل مأة دينار، أجرةً لبيتك لشهر القادم، فأنت قد إشتريت منه منفعةً الآن ليست حاصلة، وإنما تحصل لك مع الزمن، فالإجارة - كما قالوا - هي بيعٌ لمعدوم[63]، لأن المنفعة معدومة، فقالوا الإجارة على خلاف القياس،.. فلماذا قالوا بها، هل لشدة سطوة المخالف أم لا؟ هذه قضية أخري.. لكن أنظر إلى قولهم هذا جاؤوا إلى بعض الأحاديث القليلة وجعلوها هي الكليات وبعد

وقال الشعبي: " ما كلمة أبغض إليّ من أرأيت ". وقال **الشعبي** أيضاً: " **إنما هلك من كان قبلكم في أرأيت** ". [راجع جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر رحمه الله ٢/ ١٤٦ - ١٤٧].

[60] راجع اعلام الموقعين عن رب العالمين. للامام ابن القيم الجوزية • (١/ ٣١٢). حيث قال: (ولم يأت عنه (صلى الله عليه وسلم) حرف واحد أنه صلى الله عليه وسلم نهي عن بيع المعدوم). ا٥.

[61] أخرجه أصحاب السنن الأربعة وأحمد وغيرهم. وهو **حديث صحيح**. (انظر ارواء الغليل في تخريج احاديث منارالسبيل٥/ ١٣٢).

[62] رواه ابن حبان في صحيحه (٥٠٨٢) والدار قطني (٣١٢١)، والطبراني في الكبير (١٢٩٤٧) وأخرجه مسلم (٣٩٠٩).

[63] انظر اعلام الموقعين (٢/ ٢٣) باب (الرد على من جعل الاجارة على خلاف القياس).

ذلك لم يهتموا بجمع الأحاديث فقالوا، كفانا عشر أحاديث، مائة حديث، مائتي حديث، هي كليات الدين وبعد ذلك نُرجع إليها بقية الأحكام الأخري، فلم يهتمُّوا بجمع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالبقية، ولذلك يقعون في الخطأ، إمّا أن يصيبوا مرةً إذا وافق قولهم القياس الصحيح، وإما أن يخطئوا..

ولذلك، أهل السنة، رفعوا هذا الشعار – أي (السنة والجماعة) لهذه الإعتبارات التي نذكرها لكم.

" ما هو معنى الجماعة؟ "

الآن نأتي إلى اللفظ الآخر من هذا الشعار وهو (**الجماعة**):

الجماعة الواردة في الأحاديث على معانٍ، يعني بمعنى هنا الجماعة تأتي بمعنيين، **المعنى الأول**: وهو **الإسلام**.. في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، جاء الجماعة بمعنى الإسلام، ودليلنا على هذا الأمر، قوله صلى الله عليه وسلم: (**لا يحل دم أمريءٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بأحدى ثلاثٍ النفس بالنفس، والثيب الزانى والتارك لدينه المفارق للجماعة**). [٦٤] ففي هذا الحديث، الجماعة معناها الإسلام، فالفارق للجماعة بهذا المعنى هو المرتد..

والجماعة بمعنى الثاني كذلك ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: **" من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشقَ عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه "**. [٦٥]

الجماعة هنا كما فسرها **الإمام ابن جرير الطبري**[٦٦] وكما فسرها **الإمام الشاطبى** [٦٧]رحمهما الله، هم المسلمون ومن معهما. المنطوون تحت راية إمامٍ مُمكن. وهذا قوله صلى الله عليه وسلم الذي ينطبق

---

[٦٤] متفق عليه.

[٦٥] أخرجه مسلم (باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع) رقم ٣٤٤٣.

[٦٦] راجع فتح الباري (١٣/ ٣٧) وفيه نقل ابن حجر رحمه الله اقوال الإمام الطبرى رحمه الله في معنى الجماعة شرعاً.

[٦٧] راجع (الاعتصام) للامام الشاطبى رحمه الله.

عليها: " **من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتةً جاهليةً** " [68] و قوله صلى الله عليه وسلم: (**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**) [69]، أي تارك لهذه الجماعة، أي جماعة مَن؟ الإمام الممكن..

رجلٌ خرج عن الإسلام، هذا ما حكمه؟ **مرتد**، لكن خرج عن جماعة المسلمين بالمفهوم الثاني، فما حكمه؟ هل هو مثل حكم الأول؟ لا. هذا يسمى عندنا **باغٍ**، هؤلاء التاركين لجماعة الإسلام، هؤلاء مرتدون لكن جماعة خرجوا من تحت إمارة الإمام وخرجوا عليه ولم يرتضوا بيعته، فإذا خرجوا من تحت أمرته وصارت لهم شوكة وقوة ومنعة، حينئذٍ هؤلاء يسمون **البغاة**، وأما إذا رفضوا بيعة الإمام – وهو إمام حق وعدلٍ – ولكن لم يخرجوا عليه، فهؤلاء لا يسمون بغاة، لكنهم مع ذلك يصيبهم نصيبٌ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية "**..

إذن رجلٌ خرج من أمرة المسلمين، من إمام المسلمين، قال لا أطيعك، وخرج وجعل له جماعةً وقوة شوكة ومنعة له، فهذا ما يسمي؟ الباغي. ما هو حكمهم عندنا؟ حكمهم أن يقاتَلوا..

شروط البغاة:

ما هي شروط البغاة عند أهل السنة والجماعة؟ حتّى نفصل أكثر [70]:

أولاً: رفضوا بيعة الإمام ورفضوا الإنطواء تحت أمرته.. إما بأن بايعوه إبتداءً ثم نكسوا بيعتهم، وإما بأن رفضوها أصلاً. لكن هل هذا كافٍ لأن يسموا بغاةً؟

لا؛ لابدّ – **ثانياً**: – من أن يكون لهم شوكة ومنعة – خرجوا بقوة السلاح –.

---

[68] متفق عليه.

[69] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه. باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن في كل حال) برقم ٣٤٤١.

[70] راجع (الموسوعة الفقهية الكويتية) ٨/ ١٣٣. باب (شروط تحقيق البغي).

ثالثاً: أن يكون لهم تأويل سائغ [71] لما خرجوا عليه، قد يخرجوا عليه طلباً للعدل أو..، المهم أن يخرجوا بتأويل لهم – شريطة أن لايكون هذا التأويل، تأويلاً يقطع بفساده، كتأويل المرتدين، فهؤلاء ليسوا بغاة، لأن الباغى كما قلنا، تأويله سائغٌ، أي مُحتَمِلٌ للصحة والفساد –..

الآن السؤال: هل البغاة عصاة بعدم بيعة الإمام، إذا كان الإمام إمام حق وعدل؟ نعم، عصاة لكن هل كل عاصٍ يستدعى أن يكون فاسقاً؟ لا، ولذلك البغاة ليسوا فسقة، [72] عصاة بخروجهم، لكن قد يكون لهم حسناتٌ تمنع عليهم إطلاق لفظ الفسق، كما سيأتي في الحكم على المعين، الحكم على المعين بالفسق.

قد يقوم الرجل بمعصية ولكن لا يستدعي أن يكون فاسقاً، فلا تقولوا ولا تظنوا أن كل من بغيٰ على الإمام ينبغي أن يكون فاسقاً ويطلق عليه اسم الفسق وحكمه،..

إذن إخواني**!** ليس هناك من تلازم بين كونه باغياً وفاسقاً.، ولذلك ردّ الإمام **ابن تيمية** رحمه الله على **أبي الوفاء ابن عقيل** رحمه الله، إمام من أئمة الحنابلة، عندما قال في بعض كتبه، أن البغاة فسقة، قال **ابن**

---

[71] قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: فإن التأويل السائغ هو الجائز الذي يقر صاحبه عليه إذا لم يكن فيه جواب كتأويل العلماء المتنازعين في موارد الإجتهاد. [مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٨٦].

[72] يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: " وكل من كان باغياً أو ظالماً أو معتدياً، أو مرتكباً ما هو ذنب، فهو قسمان: متأول وغير متأول، فالمتأول المجتهد، كأهل العلم والدين، الذين اجتهدوا، واعتقد بعضهم حل أمور واعتقد الآخر تحريمها..فهؤلاء المتأولون المجتهدون غايتهم أنهم مخطئون، وقد قال الله تعالى: (ربّنا لا تؤأخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة٢٨٦، وقد ثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء..والعلماء ورثة الأنبياء، فإذا فهم أحدهم من المسألة ما لم يفهمه الآخر لم يكن بذلك ملوماً ولا مانعاً لما عرف من علمه ودينه، وإن كان ذلك مع العلم بالحكم يكون إثماً وظلماً، والإصرار عليه فسقاً، بل متى علم تحريمه ضرورة كان تحليله كفراً. فالبغي هو من هذا الباب.

و أما إذا كان الباغي مجتهداً متأولاً، ولم يتبين له أنه باغ، بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئاً في إعتقاده، لم تكن تسميته " باغياً " موجبة لإثمه، فضلاً عن أن توجب فسقه. والذين يقولون بقتال البغاة المتأولين، يقولون: مع الأمر بقتالهم، قتالنا لهم لدفع ضرر بغيهم، لا عقوبة لهم؛ بل للمنع من العدوان. ويقولون: إنهم باقون على العدالة؛ لا يفسقون ". [مجموع الفتاوي٣٥/ ٧٥ – ٧٦].

تيمية، هذا لا يستدعى التلازم و – يؤوِّل ابن تيمية قول أبي الوفاء، ويقول – لعل أباالوفاء نظر إلى عامة البغاة في عصره فرءاهم من الفسقة، فغلب الظن عليه أن كلَّ باغٍ فاسقٌ.

إذن، هؤلاء – أي البغاة – حكمهم أن يقاتَلوا، ولا يتبَع مدبرهم، ولا يذفَّفُ على جريحهم[٧٣]، ولا يغنموا، ولكن يؤخذ أموالهم التي قاتلوا بها، كالسلاح و.. ولكن هل تُسبيٰ نساؤهم؟ لا تسبى نساؤهم[٧٤]، ولذلك لما قاتل علي رضي الله عنه.. معاوية ومعاوية باغٍ على علي رضي الله عنه، وكان علي رضي الله عنه، [٧٥] عندما يجتمع لديه قتلة معسكر معاوية وقتلة معسكره يصلي عليهم جميعاً، ويأمر أن لا يتبَع مُدبِرُهم، يعني الذي يهرب لا يتبع، ولكن يتبَع بشرطٍ، إذا أرادوا أن يلحقوا بجماعةٍ أخرى لهم..

وفرق بين البغاة والخوارج، فإن الخوارج لهم عقائد، ونحن نحمل عليهم حكم أنهم خوارج لعقائدهم، لا لخروجهم عن الإمام، بمعنى مثلاً لو افترضنا ان فضيلة **الشيخ جهيمان** (رحمه الله) خرج عن إمامٍ حق – وطبعاً ليس كذلك – فإنه هل يسمى خارجي؟ لا يسمي، ولكن يسمى باغياً، هذا على زعم من ضلَّ وتلعب الشيطان برأسه وذهب وقال عن هؤلاء، أنهم خوارج في هذا الزمان وقال لأنهم خرجوا عن الإمام..، فحتّى على هذا المذهب وعلى هذه الطريقة فإنة لا يسمَّى خارجياً، – و الخوارج سنأتي إلى فرقتهم ومتى يسمى رجل خارجى –، حتّى يسمى رجل خارجياً، لابدّ له من صفات مجتمعة فيه، وليست هذه الصفات التي بين أيدينا في البغاة.. لو كان الرجل رفض بيعة الإمام وله تأويل ولم

[٧٣] روى الحاكم في (المستدرک) عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم **لعبدالله بن مسعود**: " يا ابن مسعود، اتدرى ما حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة؟ قال **ابن مسعود**: الله ورسوله اعلم، قال: " **فإن حكم الله فيهم أن لا يتبع مدبرهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يذفف على جريحهم** " [المستدرک ٢٦٦٢]. قال الحافظ الذهبى في التلخيص: فيه كوثر بن حكيم، وهو متروک. ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٨٢). وقال فيه: تفرد به كوثر بن حكيم وهو ضعيف.

[٧٤] وقد **اتفق الفقهاء** على عدم جواز سبي نساء البغاة وذراريهم. [الموسوعة الفقهية الكويتية٤/ ٢٠٨]

[٧٥] لتفصيل هذا الموضوع راجع [مجموع الفتاوى لابن تيمية٣٥/ ٥٨ – ٨٠].

يكن له شوكة ومنعة، هل يقاتَل؟ الصحيح أنه لا يقاتَل، قد يعَزَّر، له الحق أن يعزِّر، [٧٦] فيحْبَس ولكن لا يقاتَل بأن يشرى عليه السيف. إلّا إذا كان له شوكة وقوة ومَنَعة..

ومن هنا عليكم أن تتوضح لديكم بعض الصُّور مثل قوله صلى الله عليه وسلم (**مات ميتة جاهلية**).. لا يعني " جاهلية " أنه كافر. لفظ الجاهلية، لفظٌ له مراتب، ليس مرتبة واحدة، فمن الجاهلية أن يكون الرجل باغياً ولا يبايع الإمام الحق، ومن الجاهلية أن يكون كافراً، ومن الجاهلية أن يكون صالحاً ويعمل عملاً من الأعمال الجاهلية، كقوله صلى الله عليه وسلم **لأبي ذر**: (**إنك أمرؤٌ فيك جاهليةٌ**) [٧٧]، و**أبوذر** هو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه: (**ما أظَلَّتْ الخضراءُ ولا أقلَّت الغبراءُ أصدقَ مِن أبي ذر**) [٧٨].. ومع ذلك يقول له (إنك أمرؤٌ فيك جاهلية).. فهمتم؟

إذن لا يستدعي لفظ الجاهلية، الكفر، لكن هل من الجاهلية الكفر؟ نعم.. هذا لفظٌ له مراتب كلفظ الكفر ولفظ الإيمان والإسلام، وليس له مرتبة واحدة بل له مراتب.. فلا تضربوا الأمور بعضها ببعض..

إذا الجماعة الأولى بمعنى الإسلام، والجماعة الثانية في كلامه صلى الله عليه وسلم بمعنى الجماعة المنطوين تحت راية إمامٍ ممكن..

الآن ثالثاً: الجماعة في كلام – كذلك – أهل العلم، ككلام **ابن مسعود** رضي الله عنه – لعمروبن ميمون –: (**الجماعة ما وافق الحقَّ، وإن كنتَ وحدك**). [٧٩]

---

[٧٦] قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: (والباغي المتأول يجلد عند مالك والشافعي وأحمد). [مجموع الفتاوى ٣٥/٧٦].

[٧٧] متفق عليه. رواه البخارى في كتاب الإيمان برقم ٢٩. ومسلم في صحيحه، باب اطعام المملوک مما يأكل والباسه مما يلبس (برقم ٣١٣٩).

[٧٨] أخرجه الترمذي، (٣٧٣٧) وقال هذا **حديث حسن**.

[٧٩] أخرجه اللاكانى في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة. برقم (١٣٩) والطبراني في مسند الشاميين (٢١٥) بلفظ: **" انما الجماعة ما وافق طاعة الله وان كنت وحدک "**.

فإذَن الجماعة هنا أهل الحق.. وعندما فسر **الإمام البخارى** رحمه الله الجماعة، قال: **"** هم أهل العلم **"**.. [٨٠]

إذا هنا الجماعة، بمفهوم أضيق من الجماعة المنطوين تحت راية الإمام الممكن.

و المنطوون تحت راية الإمام الممكن قد يكونوا من أهل البدع فكأن يكونوا يكونوا **جبرية**، أو يكونوا مرجئة، ويقاتلون مع الإمام، ومع ذلك لا يسمون أهل السنة والجماعة، لأن الجماعة بهذا المفهوم الضيق الذي نبحث عنه، هم مَن؟ أهل الحق الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: **الفرقة الناجية،** (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، أهل الحق الذي يقومون بالأمر الحق الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم..

هذا التارك لأهل الحق والباقى مع جماعة المسلمين – المنطوين تحت راية الإمام – مسلمٌ مبتدعٌ، كما ستراه، والخارج من جماعة المنطوين تحت راية الإمام قديكون مسلماً صالحاً ومن أهل الحق، لأن كثيراً من أهل الحق مَن خرج عن الإمام الممكن وبقي مع أهل الحق، ولكنه من البغاة. مثلاً بعض العلماء يعُدُّ **عبدالله بن زبير** (رضي الله عنه) من البغاة وبعضهم لا يعُدُّهُ من البغاة، وإنما يعُدُّ من كان **عبدالله** ضدّه من البغاة.

مثلاً **ابن حزم** رحمه الله يعده خليفة ويعد الآخرون بغاةً، – يقول – فلما تَمَكن ابن زبير صار هو الخليفة وغيره هو الباغي.. وهكذا.. و مع ذلك فإن ابن زبير من أهل الحق..

فكون الرجل من البغاة لا يخرِجه من كونه من أهل الحق وإن أصابه بعض المعصية التي تعادل بَغيه، إذا كان قد خرج بتأويل، والتأويل على غير وجهه الصحيح.

إذا هؤلاء هم الجماعة.. الآن **ما المقصود بأهل السنة والجماعة؟** الجامعين لهذه وهذه، الجامعين صفة (المنطوون تحت راية إمام مُمكن) وصفة (كونهم أهل الحق)، ليخرج منهم أهل البدع وهم المنطوون تحت راية إمام ممكن فهؤلاء هم الجماعة، فأهل السنة والجماعة الذين يرون القتال مع الإمام وإن كان

---

[٨٠] صحيح البخارى (باب قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة وهم أهل العلم].

فاسقاً، يقاتلون مع البَرِّ والفاجر ولايرون الخروج عليه بمعصية، ولكن هناك خلاف في الخروج على الإمام إذا كان ظالماً، وهو خلاف من أهل السنة، معتبر، أن يكون ظالماً وأن لا يقيم مقاصد الخلافة، قديكون رجلٌ إماماً مسلماً ولم يكفُر ولكن خليفة ولم يقم بمقاصد الخلافة، فكثير من الأئمة الأوائل والثقات قالوا بجواز الخروج عليه. كأن يزيد ظلمه على عدله، وأن يمنَع الفيء وأن ينتشر في زمانه.. فيجوز حينئذٍ - بتقدير القوة وغيرها - الخروج عليه.. وقالوا: قال الله تعالى: **(لا ينال عهدي الظالمين)** البقرة١٢٤. - فاحتج به بعض الأئمة أن الإمامة لا تكون لظالمٍ وهكذا..

الآن الجماعة بهذا المفهوم غير موجودة، لأنه لا يوجد أمير للمؤمنين ممكن يقوم بشئونهم، لكن جماعة من أهل الحق هل هذا يمتنع؟ لا، ولذلك هنا أريد أن أبين لكم أمراً لابدّ أن تسمعوا، وهو يحتاج إلى تفصيل شديد ولكن أمر عليه، لألّا تخلط لديكم الأمور، فتُظنُّوا أنَّ الأحاديث متضاربةٌ..

حديث **حذيفة بن اليمان** رضي الله عنهما الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تَعضَّ بأصلِ شجرةٍ حتّى يدرِكك الموتُ وأنت على ذلك)**. [81] هذه الفرقة التي نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة أن يعمل معها وأن يدخل فيها، ما هي هذه الفِرق، هل هي فِرق بدعية؟ أي فرقٍ؟ فنُقرِّر، أو نمشي مع هذا الحديث مشياً ليتضح لنا وضوحاً صحيحاً، سليماً.

الآن أول نقطة، لنجمع بين الحديثين، حديث أهل السنة والجماعة (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) وبين حديث (فاعتزل تلك الفرق كلها)، لأن هذا الحديث (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) هل يمنعك يا مسلم - بل هو يأمرك - هل يمنعك يا مسلم أن تكون من أهل الحق؟ هو يدعوك في أي حالٍ أن تكون مع أهل الحق، فالجماعة الذين يلتقون على الحق، ويقومون بشأنه، هؤلاء يكونون بوقت وجود الإمام وبعدم وجوده.

[81] أخرجه البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٣٣٨)، ومسلم، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال (٣٤٣٤). وسيأتي الحديث تماماً.

الآن الجماعات المسلمة التي جمعت ميزات أهل السنة والجماعة، ولم تجمع البدع، لم يكن فيها جبرية وليس فيها إرجاء.. الجماعة تقوم لتنشر السنة التي أميتت في بلدٍ من البلاد، أو تحيى حقاً أماته الناس في منطقةٍ من المناطق. فهذه الجماعة من أي فرقةٍ تكون؟ من أهل الحق. وإجتماعها على الأمير، هذا جائزٌ بل هو واجب لقوله صلى الله عليه وسلم: (**لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلّا أمروا عليهم أحدهم**). [82] أو (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمِّروا عليهم أحدهم**) [83].

فالإمارة لمجرد الإجتماع، أيُّ جماعة..، عليهم أن يؤمِّروا عليهم أحدهم..

إخوتي**!** إنتبهوا لهذه النقطة، لأنها إن غابت عن أذهانكم غابت أمورٌ كثيرة: الجماعة الكبيرة جماعةٌ تشتمل أى قسمٍ آخر، هناك أميرٌ وله جماعة المسلمين، كل المسلمين الذين تحته، سواءٌ كانوا من أهل الشوكة أو من غير أهل الشوكة فأي مسلم تحته والمبايع له، من النساء والأطفال والرجال، هم من جماعة المسلمين بالمفهوم الثاني – أي أنهم منطوون تحت هذه الراية –..

الآن لو عجزت هذه الجماعة أو قصرت – وقد تقصر – عن القيام ببعض الحق، مَن الذي يجبر هذا الحق؟ أهل الحق، الذين هم القسم الآخر الذي كان العلماء في ذاك الزمان يتحدثون عنه مع وجود الخلافة، كان علماؤنا **كإبن مسعود** رضي الله عنه، كالإمام **البخارى** والإمام **أحمد** وغيرهم، عندما يتحدثون عن الجماعة يتحدثون عنها مع وجود الخلافة، ليكون هناك أهل حقٍ، يثبتوا عليه إذا قصَّرت الدولة به، وإذا نَسِيتْه، أو قال بخلافه، بمعنى لو أن الخليفة صار من أهل البدع، كما كان المأمون، وقال قولةً مبتدعة كقول المأمون بخلق القرآن، من الذي يرُدُّ الأمة أن تسير في هذا الضلال، من الذي يردهم؟ أهل الحق..

الإمام هو الذي فَسد**!** مَن الذي يرد الناس، لألّا يصبحوا أهل الفساد وإن كان إماماً، مَن؟ **أهل الحق**. ولو اجتمعوا على الحق الذي فُشي خلافه أو أنتشر خلافه، وبايعوا عليه، فإن البيعات على مسائل

---

[82] أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عبدالله بن عمرو (٦٣٦٠).

[83] أخرجه أبوداوود (٢٦٠٨) وهو **حديث حسن** وحسنه الألباني.

من مسائل الحق جائزة حتّى مع وجود الخلافة[84]، – ليس بيعة الإمام، لأن بيعة إمام آخر جديد، فهذا معصية (**إذا جاءكم أحد وأنتم جميعاً على أمر واحد فاضربوا رأسه كائناً من كان**)، هذا لايجوز أن يبايع بيعة الخلافة – لكن بيعة وعقد وعهد وإجتماع على أمر قصّر فيه الخلافة، أو قالت بخلافه، وعصت الله فيه، ولم تخرج من كونها جماعة المسلمين..، هل يجوز إجتماع هذه الجماعة والبيعة فيما بينهم وائتلاف فيما بينهم؟ هل يجوز؟ هل حدث هذا في التاريخ الإسلامي؟ نعم حدث كثيراً، بيعات كثيرة قامت على أمورٍ حقة، **عكرمة بن أبي جهل** رضي الله عنه، كان الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وامير الجيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، كاد أن يكشَف جيش المسلمين، **عكرمة دعا** الناس: من يبايع على الموت؟ فبايعوا على أمر حقٍ، سواءٌ قصّر فيه الجيش أو قصّر فيه جماعة المسلمين، وهو البيعة على الموت ليردوا كفر الكفار وهجمتهم على المسلمين، وتبايعوا على هذا العمل الصالح[85]..

إذَن العهود على عملٍ صالح ضمن جماعة المسلمين على أمر حقٍ، سواء قصرت فيه الجماعة الكبيرة أو قالت بخلافه، فإن هذا الأمر، أمر مشروع وجائز وقد يصل إلى درجة الوجوب..

و أفضل مثالٍ بين أيدينا، ومدحه الأئمة الكبار، هو بيعة **أحمد بن نصر الخزاعى** رحمه الله سنة٢٣١ ه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عموماً[86]. هذا الرجل كان في زمن الإمام أحمد، في زمن الدولة العباسية. الخلافة ضعفت، أصاب فيها الضعف، خاصةً في البغداد، وأنتشر في البغداد الأشرار والقطاع الطرق واللصوص، وعاونهم على ذلك بعض الشرفاء، يعني بعض الناس المنطوين تحت الخلافة، قد قصّروا في القيام بمثل هذا الواجب، بل قد صاروا مثلهم والتحقوا بهؤلاء الأشرار يعاونوهم ويتستر عليهم، وهذا " **أحمد بن النصر الخزاعى** "، رحمه الله إمام من أئمة الحديث، إمامٌ كبير من أئمة الحديث، وكان له فضلٌ آخر سوى أنه عالم من علماء المسلمين، أنه كان ابن شيخ عشيرة، يعني أبوه كان رجلٌ له القبول بين قومه.. فلما رأى هذا العالم فساد الدولة في التقصير في هذا الحق، جمع تلاميذه وجمع أقاربه

[84] انظر كتاب (العمدة في اعداد العدة) للشيخ عبدالقادر بن عبدالعزيز (باب: الرد على شبهة متعلقة بالعهود).

[85] انظر البداية والنهاية ٧/ ١١.

[86] انظر البداية والنهاية (١٠/ ٣٠٤و٣٠٣).

وجيرانه وبايعهم بيعةً مذكورة في تاريخ الإمام الطبرى عليه رحمة الله والبداية والنهاية لابن كثير رحمه الله، بايعهم على أن يقوموا بالحق الذي قصّرت فيه الدولة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بايعهم على أن يقابلوا جميع قطاع الطرق واللصوص في داخل البغداد وقام بهذا الحق خير قيام، فلما قضى على اللصوص، خاف الخليفة في ذلك الزمان أن يكون هذا الرجل طالباً للملك فأخذه وسجنه وقتله، مات هناك في السجن.. والإمام أحمد رحمه الله مدح فعله، ولم يذكر في التاريخ أن عالماً عاب عليه..

ومن ضمن البيعة والعهد الذي تعاقدوا عليه، أنه مُعين عندهم، لو أن الخليفة – مثلاً – شرب الخمر، أن يأمروه بالمعروف وينهوه عن المنكر. يعني حتّى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلوبٌ منهم أن يقوموا به على خليفة المسلمين، وهذا هو الذي قام به عامة علمائنا في التاريخ..، فإذا كانت الخلافة قائمة وأمير المسلمين موجود وشوكة وقوة ومنعة لهم وقامت الأحكام، ومع ذلك يجوز مثل هذه الجماعات التي تقوم على حقٍ قُصِّر فيه أو قيل بخلافه، فهل علينا أن نتوقف ولو قليلاً، لنقول بأنّ هل يجوز أو لا يجوز هذه الجماعة مع عدم وجود الخلافة وعدم وجود الإمام الممكن؟! فما هو وجه قول أغبياء هذا الزمان وجهلة وصبيان هذا الزمان أن يقولوا بأن الجماعة والتنظيم والبيعة والعهد مع عدم وجود الخلافة، أنها بدعة؟ ما هو وجه قولهم؟ إلّا أنّ هؤلاء – فقط لأمر واحد – إمّا أن يكونوا عملاء للطواغيت، وإما أن يكونوا، وصل درجة جهلهم إلى أن ينكروا أن تسير القرود على صفة جماعات!..، لو رأيت القرود لرأيتها تسير على هيئة الجماعات..

النبي صلى الله عليه وسلم أجاز – بل أمر – أن يكون هناك أمير سفرٍ مع وجود أمير الخلافة، ففي هذا الزمان جماعةٌ من جماعات الحق.. هذه الجماعة – حتّى نستحق أن نسمى بأننا أهل السنة والجماعة، ليس فقط إعتقاداً ومعرفة وتصوراً ولكن حقيقةً وواقعاً –، **هذه الجماعة واجبة في هذا الزمان أو ليست واجبة؟ واجبة بلا شك، واجبة وآثمٌ من لا يكون في جماعة..**

الآن قد يتبادر إلى بعض الأذهان **حديث حذيفة** رضي الله عنه، جاء في هذا الحديث أن **الحذيفة رضي الله عنه يقول:** (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر

مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله أنّا كنا في جاهليةٍ وشرٍ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍ؟ قال: **" نعم "** قلت: وهل بعد ذلك الشر من خيرٍ قال: **" نعم وفيه دخنٌ "** قلت: وما دخنه؟ قال: **" قومٌ يهدون بغير هديي، تَعرِف منهم وتُنكر "**. قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **" نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها "** قلت: يا رسول الله! صفهم لنا. قال: **" هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا "**، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: **" تَلزَم جماعة المسلمين وإمامهم "**. قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **" فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك "**). متفق عليه.

للذكر، أنَّ في هذا الحديث دليل على أن **الجماعة تُطلق على المعنى الثاني " جماعة المسلمين المنطوين تحت راية إمام مُمكن "**، والجماعة في هذا الحديث ليس بالمعنى الأول وهو " الإسلام " والّا فالحذيفة مأمور بأن يلتزم الإسلام في " الشر " و " الخير ". وهذه قضية خارجة من مناط النقاش.

في هذا الحديث نجد أن رسول الله صلى الله على وسلم قال لحذيفة: " أن تلزم جماعة المسلمين وامامهم ". وقال في جواب قول الحذيفة – فان لم يكن لهم جماعة وامام – قال: " فاعتزل تلك الفرق كلها "..

إخواني! تقرر لديكم أن الفِرق البدعية بوجود الإمام وعدم وجود الإمام، يجب أن تعتزل و**الإلتزام بأهل الحق، يكون في كل حال**، يجب عليك أن تكون مسلماً وأن تكون من أهل الحق وأن لا تخرج عن الإمام، هذا عليك أن تكون هكذا في كل حال. أي أن لا تدخل في فرقة وفي جماعة من فرق أهل البدع، وهذا سواء الإمام موجود أو غير موجود، يعني هذا أمر ينبغي أن تكون عليه على أي حال – وجد الإمام أو لم يوجد –..

الآن! لما قال صلى الله عليه وسلم له: " خيرٌ وفيه دخن "، لو كانت القضية متعلقة بكونه من أهل الحق أو من أهل الباطل، لكان كافياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول له: " فكن مع الخير وإياك الدخن ". لو كانت القضية متعلقة بالخير، بمعنى ماذا؟ أهل الحق، التزام الحق، معرفة الحق والقيام به..، لوكانت القضية بهذا البعد وهذا المنحى وهذا المفهوم لكان كافياً أن يقول صلى الله عليه

وسلم: " فكن مع الخير وإياك والدخن ". [87] لماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم؟.. إذن هل هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن الفِرَق الإعتقادية، أم الفرق بمفهوم المنطوين تحت راياتٍ – أئمة وغير أئمة –؟ على أى حديثٍ يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ عن ماذا يتحدث صلى الله عليه وسلم حينما يسأله الحذيفة رضي الله عنه " فما تأمرنى إن أدركنى ذلك "؟ فيقول صلى الله عليه وسلم له " تلزم جماعة المسلمين وامامهم "؟ عن ماذا يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ربما يكون إمام المسلمين من أهل البدع، إذن عن ماذا يتحدث؟

حديث حذيفة هذا، على ماذا يدور، هل يتحدث عن قضايا " ستفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي: ما أنا عليه اليوم وأصحابي "؟ الجماعة الذين يلتزمون الحق، وجد الإمام، أو لم يوجد؟ هل هذا الحديث – ما أنا عليه اليوم وأصحابي – في هذا الزمان الذي لا يوجد فيه إمام ممكن، هل ينطبق على جماعة من الناس أو لا ينطبق؟ **هل في هذا الزمان، موجودٌ ناسٌ يكونون على ما هو عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ام لا؟ نعم موجود** – كما يدل عليه حديث الطائفة المنصورة –..

إذن **حديث " ماأنا عليه الوم وأصحابي "** لا يتحدث عن قضايا " الإمام الممكن، أي، القضية التي يدل عليها حديث الفرقة الناجية، هي قضية الذين يعتقدون الحق ويلتزمونه ويقومون به..

الآن**!** حديث حذيفة، هل يتحدث عن نفس المعنى الذي يتحدث عنه حديث الفرقة الناجية؟ لا، لو كان نفس المعني، لكان قول النبي صلى الله عليه وسلم " عليك بالحق وعليك بالخير وإياك والشر والدخن وإياك والدعاة إلى أبواب جهنم "!. لكن النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث عن **افتراقٍ سياسي**، ولايتحدث عن إفتراق عَقدي، لأنه قديكون امام المسلمين من أهل الفرق البدعية، فهل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وهل يمكن أن يقول له " فعليك بما عليه الإمام "؟!.

---

[87] ونعلم أن أهل الحق والخير باقون إلى قيام الساعة ولا يضرهم من خالفهم أو خذلهم. كما جاء في حديث الطائفة المنصورة.

عندنا **مانعان** لأن نقول أنّ هذا الحديث يبحث عن المسائل الإعتقادية: **المانع الأول**: أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدث عن قضية الإمام والإلتحاق به ولم يتحدث عن قضايا الإعتقاد وتصورها والإيمان بها والتزامها. ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث عن قضايا الإعتقاد، لما قال له: " خيرٌ وفيه دخن "، لو كان يتحدث عن قضايا الإعتقاد، ماذا كان جواب النبي صلى الله عليه وسلم؟ لقال له: " التزم الحق، عليك ما أنا عليه وأصحابي، وإياك أن تَشُذَّ من الفرق الضالة ". فهمتم إخواني؟ هذا مانعٌ..

و المانع الثاني: إمامهم قديكون من أهل البدع، فهل يجوز لك أن تلتزم إمامهم وهو من أهل البدع؟ يعني بمعنى أن تلزمه بقوله في قضايا الإعتقاد، ها! ان تلتزم عقيدته؟ يعني٠ مثلاً – المأمون قال بخلق القرآن، فنقول له، عليك أن تعتقد بما يعتقد هذا الإمام، هل هذا يجوز؟ لا يجوز، إذن الحديث عن ماذا يتحدث؟ عن الفرق السياسية.. فيه إمام ممكن وفيه جماعات سياسية أخرى إسلامية – وقطعاً – البدعية،.. الآن الإمام موجود، ومع ذاك تخرج فرق بدعية تزعم أو تريد الخروج عن الإمام، ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة؟ أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، حتّى لو كان إمامهم بدعي، أن تلزم حكمه، وأن تلزم أمرته،..

فالحديث يتحدث عن أمرةٍ سياسية.. إذن هذا الحديث ليس عن الفرق الإعتقادية، ولكنه حديث عن الفرق البغاة السياسية الخارجة عن الإمام..

قال حذيفة: إذا لم يكن جماعة ولا إمام؟..

هذا مانع ثالث، لو كانت القضية، قضية التزام أهل الحق – أي عقيدة أهل السنة والجماعة – ماكان يسأل هذا السوال وجهٌ وفائدةٌ، لأنه سواء، وجد الإمام أو لم يوجد، عليك أن تكون مع أهل الحق،..

إذن، حديث " **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** " حديث عن الفِرق الإعتقادية البدعية الضالة. وحديث حذيفة هذا..

متى لا يكون للمسلمين إمام؟ متي؟ أي حالةٍ من حالات الإسلام التي مرَّ فيها، لا يكون للمسلمين إمام؟ أي حالة؟ **حالتين**: إما بعدم الوجود الكلي، وهذه لم تكن إلا مع سقوط الخلافة الإسلامية، وإما عدم الوجود الجزئي، الأصل إذا وجد الإمام، ماذا نصنع؟ نلحق به، الآن سقطت الخلافة في هذا البلد وهذه المنطقة، سقط سلطان المسلمين في هذا البلد، فيجب على المسلمين إذا كان إمام المسلمين ودار الخلافة موجوداً، أن يلتحقوا به، وإن لم يقدروا الإلتحاق به، سقط عنهم هذا الجواب للعجز. **فهذا سقوط جزئي**، بالنسبة لهذه الطائفة التي عاجزة عن القيام بهذا الواجب..

و إما أن تكون الخلافة، معدومةً كلياً، ولا يكون للمسلمين إمام ولا جماعة،..

فماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الحالة؟ **الإعتزال،** " فاعتزل تلك الفرق كلها "..

إذن هناك سؤال: فما هي هذه الفرق المأمور بإعتزالها؟ هل هي الفرق الإعتقادية؟ لا. بل هي الفرق السياسية وغير المسلمة، لأنه ما يسقط لفظ ال **" فرقة الإسلام "** إلا بكفر الحاكم،.. **إلا أن تروا كفراً بواحاً**[88].. أنتهت جماعة المسلمين، ليس الإمام مسلماً وانفسخ عقد جماعة المسلمين.

فالحالة الوحيدة التي لا يكون فيها جماعة ولا إمام، كلياً في العالم، هي أن يكفر الإمام وأن تكفر طائفته، تنفسخ عقد دولة الإسلام، - إما دولة الإسلام الكلية المتمثلة بالخلافة أو دولة الإسلام الجزئية في بلدٍ من البلاد - حينئذٍ هذه الفرق التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعتزالها، هذه الفرق هنا بمعنى **أولاً**: الفرق السياسية.. **ثانياً**: الكافرة.. فهمتم؟!..

حينئذٍ عليك أن تعتزلها، إذا كان إمام المسلمين موجوداً في بلدٍ آخر، فاذهب إليه، وإذا لم يوجد " فاعتزل ". هل الإعتزال هنا، يمنعك من التزام جماعة الحق إذا وُجِدت في بلدك؟ لا، لا يمنعك.. لأن الحديث الآخر (ماأنا عليه اليوم وأصحابي) يأمرك أن تكون دائماً مع أهل الحق، دائماً في كل وقت، ولكن إياك والفرق التي تفترق عن حكم الله فتخرج من جماعة المسلمين وإمام المسلمين.. بمعنى هذا الذي ترونه في هذا الزمان..

---

[88] حديث متفق عليه.

يعني لو لم يكن إلا هذا الحديث – اى حديث حذيفة – لكان كافياً أن " محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم " فهمتم هذا؟! هذا الحديث يصوِّر واقعكم، ها هي الفرق، لا يوجد جماعة ولا إمام للمسلمين،. والفرق الكافرة، أو الجماعات الكافرة وتحت أمرة الكفار، ما هي؟ **الأردن** فرقةٌ – أي الحكومة الأردنية – و **السورية** فرقة و**السعودية** فرقة، و**الخليج** فرقة و**المغرب** فرقة و**مصر** فرقة وهكذا.. **هذه هي الفرق!**، فعليك أن تعتزلها.. وإذا وجدت أهل الحق، تعمل معهم لأنه ينبغي أن تعمل دائماً – سواء وجد الإمام أو لا يوجد – عليك أن تكون دائماً من أهل الحق، لكن إذا لم تجد إلّا نفسك، فاعتزل، وأجلس ولو أن تعض على جذع شجرةٍ ويأتيك الموت وأنت على ذلك..

ممكن أن يقول رجل، أنا أدخل في هذه الفرق، من أجل كسب الرزق والطعام..، والحديث – كما ترون – يتحدث عن الطعام والشراب.. و في الحديث إشارة إلى أن إذا قال رجلٌ: أرأيت يا رسول الله إن إتبعت هذه الفرق، فأكلت من طعامها وشرابها فقط؟ قال صلى الله عليه وسلم: **لا إياك أن تكون معهم، فاعتزل، ويكفيك الله بما كفي به عباده المسلمين..**

هذه الفرق إياك أن تكون لهم شرطياً، أو عريفاً أو موظفاً، أو.. أو.. [٨٩] اعتزل اعتزل!، ولو أن تموت جوعاً، إياك أن تقرب هذه الفرق..

إذن الذي فهمتم مِن " فاعتزل تلك الفرق كلها " هي الفرق السياسية، إذا وُجِدَ إمام المسلمين، تلتحق به وجماعته.. و إذا لم يوجد فعليك بأهل الحق دائماً.. فاعتزل تلك الفرق السياسية.. ها!.. أما

---

[٨٩] عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفا ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً**»./ هذا في الأمراء السوء من المسلمين، فما ظنك بالأمراء والحكام المرتدين الكفرة أعداء الله!!. [الحديث رواه المنذرى في الترغيب والترهيب (٧٩٠). ورواه ابن حبان في صحيحه (٤٦٦٩). وأخرجه أبويعلى (١١١٥). قال **الهيثمي**: " رجاله رجال الصحيح خلا عبدالرحمن بن مسعود وهو ثقة ". – **صححه الألباني** في السلسلة الصحيحة (٣٦٠) – ورواه الطبراني في المعجم الكبير بلفظٍ آخر عن ابن مسعود موقوفاً برقم (٩٣٨٥)].

الفرق بمفهوم الديني، دائماً أنت مع من؟ مع أهل الحق، مع أهل السنة والجماعة دائماً – وجد الإمام أم لم يوجد –.

والحمد لله رب العالمين وجزاكم الله خير الجزاء..

هل يجوز لجماعةٍ تنتسب لأهل السنة والجماعة، أن تسمى باسمٍ حقٍّ؟

مازِلنا إخواني! في تحديد وتجلية مصطلح " أهل السنة والجماعة "..

للذكر، هل يجوز لجماعةٍ تنتسب لأهل السنة والجماعة، أن تتسمى بإسم حق؟ لأمر تقوم بها؟ يعني، نحن في نهاية الأمر، قلنا: الجماعة، أهل الحق، فهل أهل الحق يجوز لهم أن يتَسَمَّوا بشعارٍ ما، هل يجوز لهم؟ أم أنه فقط يكفينا أن نقول نحن مسلمون؟

الجواب: بما عليه السلف..

ماذا كان عليه السلف؟ قلنا إنه كان يكفي لنا جميعاً أن نتسمى بأننا مسلمون، كان يكفي هذا، فلماذا جاء بعد ذلك شعار أهل السنة والجماعة؟

لأن اسم الإسلام صار شعاراً عاماً ليس فيه التحديد لما عليه أهل الحق، فلابدّ أن نضع شعاراً لأهل الحق، أهل الحق قد يقوم بعملٍ من الأعمال تتميز به الفرقة أو الجماعات الأخرى من أهل الحق الأخرين القائمين على حقٍ آخر، كما كان الصحابة رضي الله عنهم سُمُّوا " الصحابة " وكان يكفيهم أن يسموا مسلمون، أو أهل السنة والجماعة، فلماذا سموا " الجماعة "، تميزاً لهم عن غيرهم، كذلك في الصحابة. لماذا كان هناك جماعة إسمها المهاجرون وجماعة إسمها الأنصار؟

إذن هذا الشعار لعملٍ، لماذا سموا مهاجرين، لأنهم قاموا بعملية الهجرة، وهؤلاء سموا أنصاراً لأنهم قاموا بعملية النصرة. والهجرة والنصرة أمران شرعيان في دين الله عزوجل، كذلك إذا وجد مثل

هذا الأمر، ولو أن جماعة سمَّت نفسها بأنها جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن هذا لا يعَدُّ شراً لأنها تعمل بهذا العمل، أي جماعة تقوم بهذا العمل.

إذن جماعة من جماعات أهل السنة والجماعة عملت عملاً من أعمال أهل الحق ومن عمل أهل السنة والجماعة وتميزت به. لماذا تميزت به، إما لأنها إصتبغت بهذا الأمر لأنها شغلت به، وإما لأن هذا الأمر قصّرت فيه الأمة فأرادت أن تحييه.

ولذلك إخواني! **لا بأس لجماعة من جماعات الحق أن تطلق على نفسها إسماً شرعياً للعمل الذي تتقوم به،** وهذا لأيناقض كونها إسلامية، أو كونها من أهل السنة والجماعة.. لا بأس في هذه التسمية وإن كنا نحن نعتبر أن التعصب المذهبى بدعة، إلا **أنه لم يمتنع عالمٌ قط في تاريخنا ان يقول أنا حنبلي، أو الشافعي** – مثلاً – حتّى أئمة الدعوة السنية السلفية كانوا يقولون " أنا حنبلى " حتّى **أبو اسماعيل الهروي** (٤٨١هـ) **الإمام**، من أئمة أهل السنة في مسائل الأسماء والصفات، كان شعاره عند وفاته **" أنا حنبلى ما حييتُ وإن أمُت فوصيتى للناس أن يتحنبلوا "**. [٩٠] وهذا **ابن تيمية** ما كان ينكر أنه حنبلى وابن القيم، ما كان ينكر أنه حنبلي، وفلان شافعي، وفلان مالكي وفلان حنفي..

وعلى رغم أن هذه الأسماء في الحقيقة – ما كان ينبغي أن تقوم، إلا أن العلماء لم يشعروا بأن هذه الأسماء ضد دين الله عزوجل أو ضد أن يكونوا سنياً، لم يشعروا أن هذه الأسماء توصل لهذه المرتبة التي عليها أهل التقليد المتعصبين، الذين يفرقون الناس شيعاً وأحزاباً..

إذن جماعة الحق لها أن تسمى بإسم شرعي، كأن تسموا أنفسهم **بجماعة المجاهدين** أو **جماعة الجهاد** أو غيره مثل هذه الأسماء الشرعية، هذا لا يوجد في ديننا ما يمنع منه، وهو شعار من دين الله وليس هو خارج دين الله عزوجل، هو شعار يرفع عملاً صالحاً دعت إليه الشريعة، تلبَّسوا به هذه الجماعة ورفعوا لأنفسهم وتميزوا به وهذا ليس حراماً، و**شيخ الإسلام** عليه رحمة الله، أجاز مثل هذا الأمر، ولم ير فيه شيئاً.. إنما المنكر وضد المعروف وأن يتكالبوا ويتجمَّعوا على أمر خلاف الحق، وليس قضية الإسم،

[٩٠] راجع (سير اعلام النبلاء) ١٨/ ٥٠٦ – ٥٠٧.

ولكن قضية العمل، على ماذا تجمَّعوا؟ على أمر سني؟ فحسن. رفعوا شعاراً سنياً؟ فحسن، أي عملاً من أعمال السنة، ولذلك شعار **" أهل الحديث "** الذي رفعها السلف وأهل السنة، هو من هذا القبيل، وسنفصل مَن هم أهل الحديث، فيما يأتي من الدروس، إن شاءالله..

إذن يجوز لأهل الحق أن يتسموا بإسمٍ شرعي موافق للحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا لا شيء فيه، والمنهي عنه، أن يرفعوا شعاراً بدعياً. والشعار البدعى هو الذي لا يوجد في دين الله، أو الذي دلَّ على معنى باطلٍ، والمنهي عنه أيضاً، هو أن يتكابلوا وأن يتجمعوا على أمر باطلٍ.. و أما أمر التجمع وأساس التجمع نفسه، فهو حق وهو في دين الله ومن دين الله، **ودين الله لا يقوم أبداً، ولن تقوم له قائمة إلا بالجماعة**.. حتّى جماعة المنطوين تحت راية الإمام الممكن، حتّى هؤلاء بحاجة إلى الجماعات المسلمة الصغيرة التي تقومون بها تقصِّر فيه الجماعة الكبيرة – كما قدمنا ذكر هذه المسألة –.. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الآن نحن توضَّحت لدينا صورة الإسلام ودوائره بإقترابها من الحق. النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" تفترق أمتي.. "**، فعندنا إذن: **أولاً**: الدائرة الأولىٰ الكبيرة، وهي دائرة أمته، وهي دائرة الإسلام، وهي أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم..

ثم بعد ذلك قال: **" تفترق أمتي.. كلها في النار إلا واحدة "**.. إذن في داخلها – أي داخل الأمة – الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة..

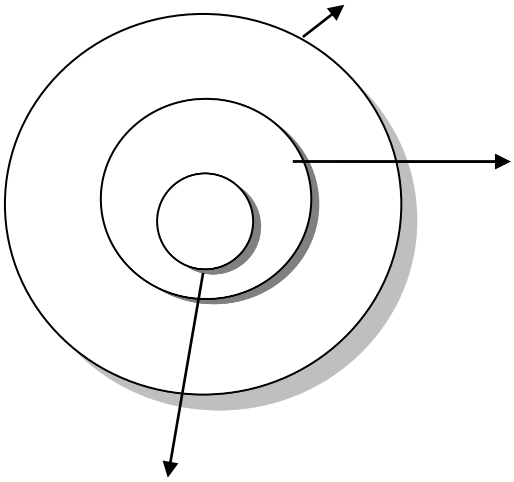
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: **" لاتزال طائفةٌ من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس "**. [٩١]

فإنهم أهل الحق، كما قال **ابن مسعود** رضي الله عنه: **(الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)** [٩٢]..

---

[٩١] حديث متفق عليه، بل هو حديث متواتر، راجع (صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها). للشيخ أبي بصير الطرطوسى حفظه الله.

[٩٢] سبق تخريجه.



دائرة الإسلام وأمة النبي صلى الله عليه وسلم

دائرة الفرقة الناجية

دائرة الطائفة المنصورة

فإذن هذه، هي الطائفة المنصورة.. إذن أمة النبي صلى الله عليه وسلم جامعة للسنى والبدعي، بمعنى أهل البدع الذين لم يكفروا ببدعتهم، أي لم ينقضوا أصل الإلتزام بالإسلام، هؤلاء من أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، والدائرة التي ينبغي أن تلتزم بها، تلتزم بالإسلام، ولكن هناك دائرة أضيق، عليك أن تلتزم بها، وهي الفرقة الناجية، التي قال عنها صلى الله عليه وسلم) ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، وفي هذه يدخل العلماء ويدخل العوام، ويدخل الحامى لدين الله ويدخل العامي، والتاجر و..، نحن إعتقادنا أن عوام المسلمين من الفرقة الناجية، بالرغم أنهم مقلدون وعلى ضعفهم وعلى جهلهم، ومع ذلك هم من الفرقة الناجية، ليسوا خوارج ولا مبتدعة ولاضالّين، ليسوا جبرية ولا قدرية، العوام، هؤلاء من الفرقة الناجية، أي، الذين هم (على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه)..

لكن النبي صلى الله عليه وسلم مدح طائفة، قال عنهم " **طائفة** "، أي لقِلَّتهم، هذه الطائفة، مدحها النبي صلى الله عليه وسلم..، " **لا تزال** " أي لاتنقطع أبداً..

بعض العلماء كما قرأتم مثلاً كتاب (**العقيدة الواسطية**) لابن تيمية رحمه الله، يذكر في طيات كتابه، أن

الطائفة المنصورة، هي الفرقة الناجية.. ولكن كما نحن في الحديث – يعني –، يوجد فيها عمومٌ وخصوص. **الخاص**، هو الطائفة الممدوحة **من قِبَل النبي** صلى الله عليه وسلم، وهي الطائفة المنصورة، وأما **العام**، فهو فرقة **" أهل السنة والجماعة "** وهي **" الفرقة الناجية "**..

صفات الطائفة المنصورة:

الآن**!** ما هي خصال هذه الطائفة المنصورة؟

نأخذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أول خصلة**: أنها مسلمة.

الخصلة الثانية: أنها ليست من أهل البدع، بالشروط التي ذكرناها، الآن الطائفة المنصورة جامعة لِكلِّ خصال الحق التي في الفرق الأخري،.. فطائفة المنصورة، طائفة مسلمة، وليست فقط، ولكنها ناجية، بمعنى الميزات التي ذكرناها. عقيدتها، عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكنها تميزت بخصال، والعلماء القدماء لما جاءوا لطائفة المنصورة، وجدنا عامَّتُهم **قد اتفقوا** على أنها **" أهل الحديث "**.

لما تذهب أنت وترى تفسير **الإمام أحمد** رحمه الله، في معنى الطائفة المنصورة، يقول لك: **هم أهل الحديث.** [٩٣] **والإمام مسلم** يقول: أهل الحديث،.. و **علي بن مدينى** يقول: هم أهل الحديث[٩٤]، والبخارى يقول: أهل العلم و..، فعامتهم إنما يفسرون الطائفة المنصورة بمَن؟ بأهل الحديث أو أهل العلم..

[٩٣] راجع (معرفة علوم الحديث) للحاكم النيشأبورى ص٢.

[٩٤] راجع (شرف أصحاب الحديث) للخطيب البغدادي. ص١٠.

من هم أهل الحديث؟

فالآن نريد أن نرى مَن هم أهل الحديث؟ هذا هو السؤال: **ما هو مقصود الأوائل بكلمة أهل الحديث**؟ ما هو المقصود بها؟

بعض الناس ظن في هذا الزمان أنه من جلس وراء كرسية ومكتبة واشتغل بالحديث تصحيحاً وتضعيفاً، فهو مِن أهل الحديث، وهذا كلامٌ باطلٌ مردودٌ عليه، لأن هناك من إشتغل في الحديث النبوى **صلى الله عليه وسلم** وهو من أهل البدع، أي لا يستحق أن يكون من الفرقة الناجية وليس من أهل السنة والجماعة، فضلاً عن أن يكون من أهل الطائفة المنصورة. نضرب لكم من هذا القسم في عصرنا، امثلة: ذكرنا لكم أمثلة سابقاً، ومن أمثلتهم: **" الغماريون "** في المغرب، هؤلاء الغمارية من أئمة الحديث في عصرنا ومع ذلك هم من أهل البدع، يقولون بعبادة القبور، ويقولون بالتجهم، ينفون أسماء الله وصفاته وبعضهم يقولون بالجبر، وبعضهم يقول بعقيدة المعتزلة، كالشيخ **عبدالله بن صديق الغماري**، (وقد توفي) عقيدته عقيدة المعتزلة[٩٥]..

فأهل الحديث ليسوا هم المشتغلين بالحديث فحسب، إذن **مقصود الأئمة، بأهل الحديث مَن هم؟** أي الذين هم على عقيدة أهل الحديث، وبهذا فسره من؟ فسره **الإمام النووى** رحمه الله، وكذلك أقر النووى تفسير **القاضي عياض**[٩٦]، والقاضي عياض لما فسر قول الإمام أحمد – بأن الطائفة المنصورة، هم أصحاب الحديث – قال: " إنما أراد أحمد، أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث ". [٩٧]

إذن مقصود الأوائل، من أهل الحديث، الذين هم على عقيدة أهل الحديث، تمييزاً عن أهل الرأي المتوسعين في الرأي، وتمييزاً لهم عن القائلين بالبدع، كالخوارج وغيرهم وما شابه به ذلك. تمييزاً لهم عن

[٩٥] راجع (الجهاد والاجتهاد) للمؤلف – الشيخ أبي قتادة الفلسطينى – ص٥٦.

[٩٦] راجع صحيح مسلم بشرح النووي ج١٣/ ص٦٧.

[٩٧] المرجع السابق.

أهل البدع، لأن أهل البدع رفعوا شعارات وعبارات أخرى التزموا بها، أو بأشخاص، وتقلّدوا أقوالهم أو ما شابه ذلك..

للذكر، نحن إخواني! حتّى لا نظن أن هناك تعارضٌ مأبين قوله صلى الله عليه وسلم في الطائفة المنصورة، وما بين قول أئمتنا القدماء بأنهم أهل الحديث، ذكرنا هذا التفصيل، وذكرنا وبينّا ما المراد بأهل الحديث في كلامهم..

الآن نرجع إلى صفات الطائفة المنصورة. **ما هي صفات الطائفة المنصورة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟**

طبعاً صفات الطائفة المنصورة، وردت في أحاديث كثيرة، وتجتمعوا في الصفات التالية: **الصفة الأولى**: **أنها عالمة**، هذه الطائفة لابدّ أن تكون عالمة..

ما معنى " العالمة " هنا؟ مرتبة العلم، ليست مرتبة واحدة، ولكن مراتب متفاوتة، ولكنها مع علمها، أنها على الحق، بمعني: هل ممكنٌ للطائفة المنصورة أن يكون في أفرادها من هو مقلّد؟ نعم ممكن أن يكون فيهم مقلد، لكن هذه الطائفة، على الجملة ماذا؟ على الجملة – نتحدث على الجملة، ها!.. –، فمن دخل فيهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(هم القومُ لا يشقيٰ بهم جليسُهُم)** [٩٨].

كما أن جماعة المسلمين المنطوين تحت راية إمام ممكن، أدخلنا فيهم أهل البدع ومع ذلك سُمُّوا جماعة المسلمين. واضح إخواني؟..

فهذه، نقول أنها عالمة، بمعنى أنها تتقيد بالعلم، وتقول به، وتَحُثُّ عليه وتهتمُّ به وتدع إليه، وهكذا.. و من رجالها العلماء..

لكن – للذكر إخواني! –، إن واقعنا يستدعى أن نضع إشارات وعلامات على بعض الكلمات.. نقول:

---

[٩٨] حديث متفق عليه (بخارى ٥٩٢٩. باب فضل ذكر الله). (ومسلم ٤٨٥٤باب فضل مجالس الذكر).

العلم في هذا الزمان، وأغلب الذين يتَسَمّون بالعلماء إنما اشتهروا عن طريق المناصب التي ينبغي أن تكون لأهل العلم – كما هو العادة الجاري في القرون الماضية – ولكنها صارت في هذا الزمان مناصب رسمية وحكومية، تُعطىٰ عن طريق قرار الدولة والقرار السياسية..

بمعني: لو سئل رجل، مَن الآن، العالم في البلد الفلاني؟ لا يجد إلا وزير الأوقاف!..

كيف صار وزير الأوقاف؟ بقرارٍ سياسي، وليس باشتهاره بالعلم.. ثم لو سئل مَن أيضاً مِن العلماء؟ يقول: المفتي فلان، من الذي عينه مفتياً؟ الدولة..

ولو سئل مَن العالم في تلك البلد؟ يقول قاضي القضاة – وهذا الإسم طبعاً لا يجوز كما تعلمون، فهو على قياس **شاهنشاه وملك الملوك**[99] – مَن الذي عينه قاضي القضاة في تلك البلد؟ عينه الحاكم والدولة..

إذن كان العلم عند الأوائل يعرف عن طريق العلم، بعطاء الرجل في علمه وإجتهاده فيه، وإشتغاله فيه.. عن طريق ذلك يعرف هذا الرجل بأنه عالم، وكان عند الأوائل، طريقة معرفة علم الرجل هو أن يمتحن من قِبَل شيوخه، كما قال **الإمام مالك** رحمه الله: **" ما أفتيت حتّى شهد لي سبعون من أهل العلم أني أهل لذلك "**. [100]

وأما الآن وفي هذا الزمان، للأسف، نرى أن الرجل يشتهر بالعلم، بغير طريقٍ شرعي وبغير طريقٍ صحيح، الآن باستطاعتهم أن يجعلوا أغبى الناس وأحقر الناس وأفجر الناس وربما أكفر الناس أنه من علماء المسلمين، وبعد ذلك يتصدر للفتوى ويصبح عالماً. بل بعض هؤلاء، ممن أنتسب نفسه إلى العلم والعلماء، وممن يسمّون أهل العلم، يسرق الكتب سرقة!، هو مسئول في جامعة فيأخذ من تلاميذه، طلبة الجامعة، يكلفهم ببعض الأفعال، فيأخذها ويزيد عليها وينقص منها قليلاً ويخرجها بإسمه وبعد ذلك يعَدُّ من أهل العلم، وهناك كثيرٌ من العلماء غير مشهورين في هذا الزمان..، بمعنى الآن لو أننى

[99] راجع **كتاب التوحيد** لمحمد بن عبدالوهاب. باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

[100] راجع (الفقيه والمتفقه) للخطيب البغدادي. ج٢/ ص١٥٣ – ١٥٤.

سألت كلَّكم جميعاً، أن اذكروا لي عالماً أو عالمين من علماء موريتانيا – الآن المعاصرين – هل تعرفون؟ لا تعرفونهم!. هل معقول أن موريتانيا خلت من العلماء؟!.. لو قلنا لكم، اذكروا لنا بعض علماء اندونيزيا. هل تعرفونهم؟ لا تعرفونهم. هل معقول اندونيزيا خلت من العلماء؟ وكذلك سائر بلاد المسلمين..

لكن الآن – وللأسف – أقول لكم، أذكروا لي علماء السعودية، كلُّكم تحفظون أسمائهم، لماذا؟ ما هو السبب؟ – أنا لا أنكر العلم وغيره، وأنا لا أنكر أنه إذا اشتهر الرجل قد يكون عالماً – لكن أبين لكم أن طريقة اشتهار العلم الآن في هذا الزمان ليست هي طريقة صحيحة، هذا هو الذي أريد أن أقوله، بعد ذلك يتحقق في الرجل الذي اشتهر، أنه عالمٌ حقيقتاً أو غيرعالم، هذه قضية أخرى ولها ميزان آخر، ولكن أقرر لكم أن الآن علماء السعودية مشهورين ليس لعلمهم، ولكن لقوة المال الذي يدفع للأشرطة والكتب التي تنشر، الشيخ من الشيوخ إن لم يكن عنده أشرطة وتلاميذ يقومون بهذه الأشرطة وأموال تدفع..، مِن أين تعرفون المشايخ؟ كثير من المشايخ بما تعرفونهم أنتم؟ بالأشرطة، إذا لا يوجد دار نشر تقوم برعاية أشرطته، كيف تعرفونه؟!..

فالآن من أجل أن تعرفوا كون الرجل عالماً، عليكم أن تتحققوا من هذا ولا يكفي أن ترونه يتلبس بلباس العلماء أو بلباسٍ رسمي..

الآن! **الأزهر، شيخ الأزهر** بم يعين؟ يعين من قبل الحكومة، الحكومة الكافرة المرتدة تعين الشيخ، وبهذا يصبح شيخاً وعالماً، وإذا نقمت الحكومة على رجلٍ، لايصبح عالماً. ولذلك هناك علماءٌ كثيرٌ في أمتنا، يغيبون عن الأمة ولا تعرفهم الأمة، بسبب أنهم أصحاب الحق ويصدعون بالحق وكلامهم كلام الحق، والحكومات الكافرة يغيبونهم لألّايعرفون عند العامة..، إما أن تحبس عنهم المال، أو تحبس عنهم الدروس، وتمنعوا أن يقوموا بالتدريس أو.. أو.. أو ماشابه ذلك.. فلا يعرفون..

فلذلك قضية كون الرجل من العلماء، علينا أن نتحقق منها تحقيقاً صحيحاً. فهمتم إخواني؟!..

الرجل قديكون صحفي.. الآن – مع احترامنا وتقديرنا –، مَن هو **أبوبكر الجزائري**؟ ما حال **أبوبكر الجزائري**؟ رجلٌ صحفي، تبنَّى قضية أن القبور بدعة والكلام عن السنة، وماشابه ذلك..، بعد

ذلك هذه البلدة تبنَّته، رفعته، حتّى صار مدرساً للتفسير ولغيره، لكن إذا جلست معه، لا يعدو أن يكون طالب علم عادي جداً، لكن هو يملأ السمع والبصر في هذا الزمان، بما؟.. وعندما أُختُبِروا ببعض الأمثلة الصحيحة الدالة على علمهم وعدم علمهم؛ خرج منهم القيح والنتن والصديد، ما خرج منهم العلم الصحيح.. **شيخ الأزهر** - والله - أقرا هذه الأيام شهادة الشيخ - الله يرحمه - **صلاح اسماعيل** - سمعتم به؟ - هذا رجلٌ من علماء الأزهر أخطأ وضلَّ **عليه رحمة الله** بدخوله البرلمان، لأنه لم يبين له أو كان جاهلاً بحال الدولة،.. يذكر حال البرلمان وما هو فيه، ثم يذكر مناقشته لشيخ الأزهر "**علي جاد الحق**" (م - ١٤١٦ ه)..

سبحان الله! لا يعدوا أن يكونوا - والله - **بياعي بندورة** في الطرقات، لكن لبسوا **الجُبَّة** وأُعطُوا الإسم الرسمى فصاروا مشايخ وعلماء..

حال "**جاد الحق**" مثل حال رئيس.. [١٠١] في الأزهر، صار رئيس دولة واضح كفره وضلاله، ويمارس السياسة الضلالية، تحت دعوى أصول الفقه الأزهرية، وهذا شيخ الأزهر.. ضربه **جاد الحق**، لأنه كان شيخ الأزهر، فهو يقول بضلالاته.. لأنه يملك شيخية الأزهر، كلاهما ضال، كلاهما نفس المنهج ونفس الحال.. هذا حالهم..

فإذن، هذا أمر ينبغي أن تتوثقوا، نحن لا نشتم أحداً ولا نسبُّ أحداً، طريق العلم في آخر الزمان - لابدّ أن أذكر أموراً، سريعاً جداً لكم، لتتنبهوا لها، وإن كانت ليست هي مدار البحث -، النبي صلى الله عليه وسلم، مدح إخوانه في آخر الزمان..

لأن في هذا الزمان كثير من الناس يقولون لنا - مثلاً، إذا **ذُكر** رجلٌ من أهل العلم، أو أهل الجهاد - يقولون: هذا الرجل ما صنف كتاباً، أو لم تتلمذ على الشيوخ و..

الأصل، إخواني! - للذكر - أن الشيخ والتلمذة على الشيوخ، ليس هو مقصد من مقاصد العلم، ولكنه وسيلة لتحصيل العلم، فإذا كان هناك رجلٌ حصل العلم بغير وسيلة الشيوخ فإنه لا يقال له:

---

[١٠١] كان كلام الشيخ غير واضح هنا..

أنت لست عالماً لأنك لم تأخذ الوسيلة الصحيحة..، لأن الوسيلة الصحيحة للعلم، هي القراءة " **إقرأ وربك الأكرم** "، فإذا وجد السماع والتلقي، كما كان الأوائل يتلقون، فحسن.، وعامة علوم الأوائل كانت تؤخذ عن طريق **الوجادة** – التي شرحناها في علوم الحديث – بأن يجد العالم كتاب الشيخ، فيقرأه ويتثقف عليه، ولذلك سئل الإمام " **العز بن عبدالسلام** "، هل يجوز لنا أن نفتي (أو أن يفتي العالم) بكتابٍ من كتب العلم المشهورة التي وجدها، ولم يسمعها من شيخ؟ **العزبن عبدالسلام** رحمه الله يقول: «ما طاب لي الفتوي، حتّى إقتتنيت كتاب " **المحلى** " " لابن حزم..». [102]

إقتناه، ما سمعه من شيخ، بل **ابن حزم**، لم يكن حياً في ذلك الوقت، وكتبه قد احترقت أمام عينيه في حياته[103]، فاشترى **ابن عبدالسلام** هذا الكتاب فقرأه وصار تطب نفسه بالفتيا، بأن يقرأ من هذا الكتاب..، إذن بعض الناس يجعل الغاية وسلية، ويجعل الوسيلة غاية..، القصد العلم، فإذا تعلم الرجل العلم بأي وسيلة من وسائل التعلم، كالوجادة، كالقراءة من الكتب، أو السماع من شيخ، أو السماع من شريط، فهذا لا يضر، القصد أنه تحصل العلم.. – بلا شك أن الأوائل كانوا يهتمون بالشيوخ لأسباب نحن محتاجين لها في هذا الزمان لكن ليست على درجة الأوائل في احتّياجهم إليها.. **لماذا كان الأوائل يحتاجون الشيوخ اكثر من حاجتنا نحن اليوم؟** لقلة الكتب **أولاً**، **ثانياً**: لأن الكتب لم تكن مضبوطة بمثل هذا الضبط اليوم..

الآن لو أن أي واحد في هذا الزمان، أخرج كتاباً وقال هذا كتابٌ **للترمذي**، كتاب نَسَبه للإمام الترمذي وأخرجه للمطابع، هل الناس يثقون به بدون طرق صحيحة لوجادة هذا الكتاب؟ لا، بل يردون عليه ويسفِّهون رأيه ويدَّعون أنه كاذب،..

لكن في ذلك الوقت وعند الأوائل، لإتصال الرقوعة الإسلامية، ولبعض الإتصال بينهم – أي الإتصال في السند والشيوخ – ممكن لواحد أن يأتي ويؤلف كتاباً ويكتبه ثم يقول هذا كتاب للإمام

---

[102] راجع " ذيل طبقات الحنابلة " لابن رجب الحنبلي، عند ترجمة ابن قدأمة الحنبلي. قال **ابن عبدالسلام**: " لم تطب نفسي بالفتيا حتّى صار عندي نسخة المغنى لإبن قدأمة ".

[103] انظر سير اعلام النبلاء " للامام الذهبى " (١٦/ ٢٨٥).

الترمذي ويصدقه الناس..، فكان لابدّ من ضرورة سلسلة الشيوخ ولذلك إعتبر **الإمام ابن كثير** – عليه رحمة الله – أن القراءة على الشيخ الآن للكتاب هي لأجل البركة، ولأن أصول الكتب عندهم قد إستقرت، فيجوز لأي أحد أن يأخذ هذا الكتاب..

فاعتبرها أنه للبركة، واعتبر أن من تلعُّب الشياطين ببعض طلبة العلم، الأستزادة من الشيوخ، يعني هو يسمع سنن الترمذي – مثلاً – من شيخ، ثم يأخذه من شيخ ثم يذهب إلى شيخ آخر، ثم يذهب.. حتّى إذا سئل من شيوخك؟ يعد ألف شيخٍ، وهو ليس بحاجة، لأن الشيخ يضبط عليه الكتاب، هذا سبب، و**السبب الثاني** – يعني كان هناك ضرورة الشيوخ – أن الكتب، التصحيف فيها كثير، لأنها لم تكن بمثل هذه البراعة الكتأبية في هذا الزمان، ومن نظر في مخطوطات الأوائل، يشعر أنه لابدّ من رجلٍ يقرأ عليه الكتاب، ليعرف ضبطه، ربما لفظ " **غَير** "، يقرأه " **غَبَر** " وربما يقرأه " **عير** " وهكذا لعدم النقاط ولعدم..، ولكن في هذا الزمان سهل الأمر..

إذن المقصد هو **حصول العلم**، إذا حصله بالقراءة، فحياه الله، وإذا حصله عن طريق الشيوخ، فحياة الله، ولايقال: " لا يكون رجلٌ عالماً حتّى نعرف شيوخه "..، هذا للأوائل كان مكان اعتبار، لكن في هذا الزمان غير معتبر، والأوائل كذلك، كانت عامة علومهم تأتي عن طريق الوجادة.. على سبيل المثال، لو قرأتم كتاب **" فتح البارى " لابن حجر**، وأردتم أن تجمعوا لنا مصادر ابن حجر في فتح الباري، لوجدتم عجباً، ربما يجتمع لديكم ألف وخمس مائة كتاب، أو ألفي كتاب، هل تصدِّقون أن كل هذه الكتب قد قرأها ابن حجر على الشيوخ؟ أبداً، قرأ بعضها، ثم صار يقع في يده كتاب، فقرأه وينقل عنه – إذا تَوثَّق به وإذا ضُبِط أصله –. وهذا كثير، لو قرأتم كتاب **" درء تعارض العقل والنقل " لابن تيمية**، أو سائر كتبه، ترون أنه ينقل من كتاب فلان وفلان و.. النقولات الكثيرة، هذه النقولات كيف نقلها وعن أي طريق؟ **طريق الوجادة**، أي، أن الكتاب الفلاني اشتهر له بالضبط وتوثق به، ثم يأخذ منه وينقل الأقوال منه..

ولذلك إذا أردنا أن نحتج أن طريق علومنا في الأصل في هذا الزمان هو الكتاب وليس الشيوخ – لأسباب عدة –، نحتج بـ **" أولاً "**: **النص**، لدينا حجة النص، أن الطائفة المنصورة في هذا الزمان، علمها تتلقى عن طريق الصحف، عن طريق الورق!..

ما دليلنا؟ دليلنا، دليل العلماء الذين ذكروه في كتبهم على جواز الوجادة، وهو الحديث الذي احتج به العلماء على جواز الوجادة طريقاً للتحمُّل..

ما هو الحديث؟ هو **حديث عمروبن شعيب عن أبيه عن جده**، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟ "** قالوا: الملائكة.. قال: **" و ما لهم لايؤمنون وهم عند ربهم؟ "** قالوا: فالنبيون. قال: **" و ما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ "** قالوا: فنحن. قال: **" وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ "** قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إن أعجب الخلق إليَّ إيماناً لَقوم يكونون بعدكم يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها "** – وفي رواية – **" قوم يجيئون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني، أولئك إخواني "**. [١٠٤]

وصف رسول الله **صلى الله عليه وسلم** هؤلاء بأنهم يأخذون علمهم من **الصحف المُعَلَّقة** أو من الورق المعلَّق، يأخذون دينهم وعلمهم من الورق المعلَّق، ولذلك **عامة علوم الناس الآن من أين**؟ من الورق المعلَّق، الآن يقرأون كتب الأوائل، كابن تيمية وابن حزم وغيرهم..

إذن هذا النص لنا. فالنص داعي لنا بأن العلوم الصحيحة في هذا الزمان تؤخذ عن طريق الكتب لأن عامة الأذهان قد دخلها الفساد والدخن، فلا تأمن مِن أين ترجع إلى الأصل، **فالعصمة في الورق المعلق**، النصوص النبوية واستشهادات العلماء وغير ذلك.

ثانياً: واقعنا يدل على انه لا يفلح الرجل في هذا الزمان، بعلمه حتّى يتحرر من إطار الشيوخ، أي شيوخ التقليد، لو رجل أراد أن لا يأخذ علمه إلا من شيوخ الأزهر، ماذا يخرج لنا؟

---

[١٠٤] رواه **أبويعلى والطبراني والبراز والحاكم** والبيهقي في (**الدلائل**) وغيرهم وهو **حديث حسن وصححه الألباني** في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢١٥).

يخرج صوفياً مقلداً أشعرياً، ليس له إلا هذه الصفات الثلاثة، لو أراد الرجل أن يخرج من الزيتونة، رجل لا يريد إلا أن يخرج من شيوخ الزيتونه..

قد يأتينى رجل الآن ويقول: يأخذ من علماء السعودية. أقول له ما هو الفارق؟ إذا كانت القضية، قضية الهند وشيوخ السعودية؟ بالنسبة لي كجاهل، جاهل مقلد، ماهو الفارق؟ لا شيء.. فأنا كيف أفرق أن هذا عالمٌ مهتدي وهذا ضال؟ بما؟ بالرجوع إلى الورق المعلق.. قلت: أن عامة من أبدعوا في هذا الزمان وقدَّموا لنا الخيرات، وقدَّموا لنا العلوم واصلحوا عقولنا وقلوبنا، هم الذين أخرجوا من عقولهم الكثير ممَّن أخذوه من مشايخهم وأصلحوه عن طريق الورق المعلق. الآن لو جئنا إلى **محمد بن عبدالوهاب** رحمه الله، ما هي العلوم التي كانت سائدة في عصره، ومن هم الشيوخ الذين كانوا يعطون العلم في زمانه؟ من هم؟ القبورية والصوفية عباد القبور، والمقلدين والقائلين بأن " ابن تيمية كافر " وأن " القائل بأن الله في السماء " مجسِّم، والقائل بأن " القبر المعروف ترياق مجرَّب "؛ فمِن أين جاءت العلوم الزاكية الفاضلة الصحيحة **ابن عبدالوهاب؟** من أين؟ وقعت بين أيديه كتب ابن تيمية المحرَّمة التي كان لا يستطيع أحد من طلبة العلم أن يحملها إلا أن يزيف غلاف الكتاب، ويكتب على الكتاب اسماً آخر مزيفاً، وإلا بعد ذلك يتَّهم بالكفر والزندقة..

فوقعت هذه الكتب بين يديه فهداه الله، فكان نعمة وخيراً عن طريق الكتب والورق المعلق.. هكذا **" سيدقطب "** من أين جاء علمه هذا – رحمه الله – من أين جاء العلم؟ المفاسد التي لدى **السيد** رحمه الله في كتابه – في ظلال القرآن – من أين جاءت؟ جاءته من الشيوخ، من الأزهر، كأقواله التي تميل إلى التأويل في الأسماء والصفات، أو **كإنكاره الحديث الآحاد،** أنه حجة في العقائد، من أين جاءه هذا الكلام؟ من الأزهر، ولو همَّ أن لا يأخذه إلا بالحق، بالكتاب والسنة فلم يضل أبداً، بل خيراته ما جائت إلا من الورق المعلق، **وسيد** خيراته في البلاد وأثره على العقول والنفوس والشباب وتوحيد المسلمين وتوحيد عقول المسلمين أعظم وأشد من أن ينكره جاهل متغأبي، واحد جاهل، صبى من صبيان الضُلّال في هذا الزمان أراد أن يشتم بعض العلماء – و أنه في درجة عإلية من الغباء يعني لا أستطيع أن أتصورها، ولا في المنام – يقول له رجل، – وهو جالس ويظن نفسه **" علي بن المدينى "!** ويسئل عن الرجال، ما رأيك في فلان؟ فيقول فلان..، وسئل عن رجلٍ، – و ليته سئل عن **أحمد بن**

حنبل لنرى رأيه! –، سئل عنه ماذا تقول في الفلان؟ قال: **ضالٌ!**، قالوا: لما؟ قال: يستشهد بكلام سيد قطب!!.

قال فلان ضال لأنه **يستشهد بكلام سيد قطب!!!**

إذن العلم، طريقه الورق المعلق في هذا الزمان حتّى الآن الشيخ **ناصرالدين الألباني** الذي ينتسب إليه بعض التلاميذ الذين يقولون للناس " أين شيوخكم؟ ".. من هم شيوخ شيخ ناصر؟

من هم شيوخه؟ الورق المعلق، وما جاءه الخير إلا بالورق المعلق، خيراته العظيمة من الورق المعلق.. فهمتم إخواني؟

الصفة الثانية من صفات الطائفة المنصورة:

الآن – وبعد هذا الأستطراد الطويل –، الصفة الثانية للطائفة المنصورة: **أنها قأئمة على الحق**. أنها عالمةٌ، وليست فقط عالمة، ولكنها قأئمة على الحق. ما معنى القائم على الشيء؟ أي، **عالمٌ به، قائلٌ به، عاملٌ به**، إذن هي على الحق. أين يكون الحق، فهم يعملون به، أين يكون قول النبي صلى الله عليه وسلم، فهم قائلون به ويعملون به، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

المخالف معروفٌ، لكن **الخاذل** قد يكون منهم. المخالف قديكون بدعي، وقد يكون مخالفاً في بعض المسائل الذي هذه المسائل جعلت قلبه يعرِض عنهم ولايدخل معهم..

ولكن من **المُخَذِّل**؟ هو منهم!، الرجل العالم ولكن غير قائم ومخذل..

فهؤلاء، هذه الجماعة، هذه الطائفة المنصورة، لا يضرها من خالفها ولامن خذلها، فقد يخذلها الصديق وقد يخذلها العالم بحقهم، والخذلان درجاتٌ كما تعلمون..

الصفة الثالثة:

فهذه الطائفة قائمة على الحق، كذلك هذه الطائفة من صفاته - عليكم رحمة الله - أنها " **مقاتلةٌ** " بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي مِن قيامها على الحق، لكن نعجب في هذا الزمان أن نقرر مثل هذه الفروع للدلالة على تفسير الأصول والقواعد.

*بل إن سبب ورود حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائفة، **سببه القول بتعطيل الجهاد (القتال)!**

سبب ورود حديث " **سلمة بن نفيل الكندي** " رضي الله عنه، الذي فيه ذكر الطائفة المنصورة، سببه أنه أخبر أن جماعة من الناس قالوا بسقوط القتال، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الباقين على عهد القتال، هم الطائفة المنصورة:

" عن سلمة بن نفيل الكندى " قال: " كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجلٌ: يا رسول الله**!** إذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا: " لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها " فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال: " **كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوامٍ ويرزقهم منهم حتّى تقوم الساعة وحتّى يأتي وعدُ الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة..** " الحديث.[١٠٥]

و قوله صلى الله عليه وسلم: " **و لايزال من أمتي أمة** "، هذا خبر، ولكن يتضمن الأمر، وأعظم درجات الأمر أن يأتي بصيغة الخبر، وهذا شرحه في الأصول،[١٠٦] لكن لماذا أعظم درجات الأمر يأتي بصيغة الخبر؟ لأن الخبر سيقع، سواء فعلته أو لم تفعله، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا أقبل الليل

---

[١٠٥] أخرجه أحمد: ٤/ ١٠٤ (١٧٠٩٠) والنسائي في السنن (٣٥٠٥)، وهو **حديث صحيح** وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٣٥).

[١٠٦] انظر (البحر المحيط للزركشي) باب: (ماقام الدليل على عدم وجوبه هل يسمى أمراً).

من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم ". [١٠٧] فهو أمر لك بأن تفطر، لو قال رجلٌ لا أريد أن أفطر.، حصل الإفطار ولو لم تفطر،..

وهو من أشد أنواع الأوامر. فقال صلى الله عليه وسلم: **" ولاتزال طائفة من أمتى "**، وهو تحريض وكذلك إخبارٌ – و لاتزال طائفة من أمتى تقاتل على الحق لا يضرها من خالفها ولا من خذلها.. – روايات عديدة، بعض الأحاديث يقول – وهو عندالنسائى في الكبررى –، ذكره **ابن النحاس** (م٨١٤ه) في كتابه **(مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق)** –، قال في رواية النسائي: ".. حتّى تقوم الساعة، ولاتضع الحرب أوزارها حتّى يخرج إليأجوج ومأجوج " [١٠٨]..

لِمَ يتركون الجهاد حينئذٍ؟ بالنص! ما هو النص؟ حديث **" نواس بن سمعان "**، عندما ينزل **عيسى بن مريم** عليه السلام: ".. فينزل عند **المنارة البيضاء** شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً يده على أجنحة ملكين فيتبعه، فيدركه فيقتله [١٠٩] عند باب لد الشرقي. – قال – فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عزوجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أنى قد أخرجت عباداً من عبادى لا يدان لأحد بقتالهم فحَوِّز عبادى إلى الطور، فيبعث الله عزوجل يأجوج ومأجوج.. " الحديث. [١١٠]

حينئذٍيسقط القتال، وفي رواية **" حتّى يقاتل آخرهم الدجال "** [١١١] وفي رواية **" حتّى يقاتل آخرهم مع عيسى بن مريم "** [١١٢] وهكذا روايات متعددة وكلها على معنى واحدة..

---

[١٠٧] متفق عليه [بخارى كتاب الصوم باب " متى يحل فطر الصائم (١٩٥٤). مسلم: باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار (٢٦١٢).]

[١٠٨] السنن الكبرى للنسائى ٨٧١٢. وانظر (مشارع الاشواق ١/ ٨٣) **قال محققه:** " رواه النسائي **باسناد حسن**. ورواه أحمد **باسناد حسن**، المسند ٤/ ١٠٤ ".

[١٠٩] أي: **يتبع الدجال، فيقتله.**

[١١٠] صحيح مسلم. باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٥٢٢٨)، مسند أحمد (١٧٦٦٦).

[١١١] أبوداوود (٢٤٨٤) وأحمد (١٩٩٣٤) **قال الارناؤوط** في تحقيق المسند: **" اسناده صحيح على شرط مسلم "**. **وصححه الألباني** في صحيح الجامع الصغير ٧٢٩٤.

إذن متى هذه الطائفة المنصورة لا تقاتل؟ متي؟ فقط في آخر الوقت!..

قديقول قائل: " أهل الحديث الذين مدحهم الإمام أحمد وغيره، لم يكونوا مقاتلين؟ ". نقول له: " كفي بجهلك جهلاً "! فإن كثيراً من علماء الحديث كانوا مقاتلين، إما أن يقاتلوا في جبهة الإسلام الداخلية، برد البدع، وبعضهم وأكثرهم كان مقاتلاً، ولايصنف كتبه إلا في الأربطة، كأمثال: " **عبدالله بن مبارك، ابراهيم الحربي**، و.. ". هكذا، كثيرٌ منهم إإذا رجعتَ إليهم، كانوا مقاتلين.

وقديقول قائل: " لكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تزال.. "، - لأنه، كثيراً، لما إنسان يدخل في قلبه الوهن والجهل، قد يبحث عن الطير في السماء، ليحتج به! - قديقول قائل: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تزال طائفة " لكننا رأينا في بعض الأوقات لا يوجد قتال في العالم الإسلامي، إذن هذا يدل على تخلف القتال عن الطائفة المنصورة، لأن الطائفة المنصورة قطعاً أنها لم تزل، ولكن زال القتال؟! ".

نقول، وأقول في هذا المقام: أتحدي، أن يذكر لي رجلٌ من الناس، يقول لي في زمنٍ يسير من أزمان المسلمين منذ أول ما شُرع القتال إلى يؤمنا هذا، لا يوجد قتال. أتحدَّي، أمّا إذا أنتم لا تعتبرونها جهاداً وقتالاً، هذا شيءٌ آخر! الآن في هذا الزمان بعض الناس، يعتبر أن بعض الجهاد ليس بجهاد! [١١٣]، فهذا - يعني - كفي به جهلاً، وكفي به ضلالاً، واضح إخواني!؟.. أما الجهاد لم يتوقف قط، ولم يتوقف أبداً، أعطونى زماناً من الأزمنة، وقف فيه القتال.. أبداً، أبداً، لا يوجد..

و أهل الأصول قالوا: " **عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود** ".. يعني ربما أنت تقول: " أمريكا غير موجودة " وأبوك وجدُّك قد يجهل وجود أمريكا، لكن عدم وجدان أمريكا لا يدل على عدم وجودها..

[١١٢] راجع مسند أحمد ١٩٨٦٤. قال **الارناؤوط** اسناده **صحيح على شرط مسلم**.

[١١٣] من مصاديق هذا الصنف من الناس، **جماعة اخوان المسلمين** بكل فروعاتها، حيث أنهم يعتبرون الجهاد في العراق وافغانستان وسائر بلاد المسلمين ضد الغزاة الصليبين وعملائهم من الحكام المرتدين وأنصارهم، يعتبرونه ارهاباً وتطرفاً! فإنا لله وإنا إليه راجعون!

أنا أخبركم عن دولةً، اسمها دولة " **دار الإسلام** "، دار الإسلام دارٌ مسلمة سلفيةٌ كان أعداءها يسمونها " السلفيين "، أين هذه الدولة؟ **في أندونيزيا**. سقطت في ستينات على يدِ **" سوكارنو "!** آخر دار إسلام حقيقية، موجودة، ولكن سقطت، لأسباب..

القتال لم يتوقف، والقتال في فلسطين لم يتوقف، المجاهدون في كل مكان لم يتوقفوا قط، أما أن يقال: أن الجهاد في سوررية لم يكن جهاداً! والجهاد في افغانستان لم يكن جهاداً!..، أما أن يأتي رجلٌ متبجح، ويجلس وأمامه الماء البارد وغير ذلك ويقول عن المجاهدين في الجزائر ومصر، ليس جهاداً..

جهاد هذا، جهاد **الرواتب العالية** وجهاد **الكلمات الفارغة الرنانة**..، هذا جهاد؟! لماذا ليس جهاد الافغان والجزائر و.. جهاداً؟ ما هي ضوابط الجهاد؟ واحد يضع شروطاً جديداً للجهاد، ما أنزل الله بها من سلطان. يقول شيخٌ في كتابٍ له يسميه **" السلفية "** - وهذه، في الحقيقة هي **القاديانية** وليست السلفية، وهو يشرح في كتابه، " القاديانية " ولا يشرح **السلفية**، لكن هكذا الشعارات والتلاعب بالألفاظ، - يقول: " أن الجهاد ".. - أنه يحارب، يظن أنه يحارب وهو مثل **" دون كيشوت "** يحارب طواحين الهواء.. - فيقول: " و أما الجهاد فلا يقوم به إلا أميرٌ عام ". - وقال - " شاء من شاء وأبي من أبي ". حارب! حارب!..

و هذا الذي يقول هذه الأقوال، يقول عن قتال **" صدام "** ضد ايران، هذا جهاد أهل الإسلام في هذا الزمان!.. بأى عقلٍ نلتقي جهل هؤلاء؟! وبأي عقلٍ نناقش أمثال هذه الأقوال؟!

القصد، أن الطائفة المنصورة، نحن نقول - " شاء من شاء وأبي من أبي " -، **هي طائفة مقاتلة**، تؤمن بالجهاد في كل وقتٍ وفي كل حينٍ، وختاماً أننا نقول في هذا الزمان أن جهاد المرتدين..، كما سنبين في مسمَّى الإيمان، وأن هؤلاء الحكام في هذا الزمان، لم يدخلوا في الإيمان لا ظاهراً ولا باطناً، فهم كفارٌ بقلوبهم وكفارٌ بظواهرهم، وظواهرهم أكفر من بواطنهم،.. نقول: إن جهاد هؤلاء في هذا الزمان وضرب الرصاص عليهم، وترويع هؤلاء الكفرة وطوائفهم، هو أعظم أنواع الجهاد في هذا الزمان، ولا يقوم به إلا الطائفة المنصورة، لا يقوم به الا الطائفة المنصورة..

هكذا..، هي إخواني! صفات الطائفة المنصورة التي مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، **فاسألوا الله كثيراً بقلوبكم وأعمالكم أن تكونوا من أهلها وأن تدخلوا فيها**، ومن لم يرض بهذه الصفات التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أصلاً وعقلاً ليس داخلاً في الطائفة المنصورة، كيف يدخل فيها عملاً؟! فهو أبعد الناس من أن يكون من الطائفة المنصورة..

أما المشتغلين بالحديث، المشتغلين بالتصحيح والتضعيف وسرقة الكتب، هم الطائفة المنصورة [١١٤]، ومن يعرض نحره لرد الكفر والكفار عن بلاد المسلمين، هذا من الخوارج؟!..

وليس من صفات الطائفة المنصورة أن تكون – حتماً – مجتمعة في مكان واحد، بل قدتكون مُشتَّتة ومتفرقة، ومادام إجتمعت هذه الصفات في أي فرقةٍ فهي من الطائفة المنصورة، وقد تعددت كما ذكره العلماء، منهم **الإمام النووي**[١١٥] ومنهم **" ابن حجر "** عليهما رحمة الله عزوجل.

هذه الطائفة إخواني! مازالت موجودة و**البحث عنها واجب** و**إن لم توجد، فإيجادها واجب**، ومن لم يعمل مع هذه الطائفة ولم يدخل فيها، فأحريٰ به أن يبكى على نفسه في هذا الزمان وأحرى به أن يندُب على حظه أنه لم يهتدي إليها ولم يستطع أن يقوم بحقها، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لطاعته ويرزقنا حُسن القول والعمل وأن يجعلنا من أهلها. آمين!

إخواني! بقى لنا نقطة واحدة على موضوع " أهل السنة والجماعة "، نقطة واحدة، وهي: **" على ماذا تطلق هذه الكلمة (أهل السنة والجماعة) في إطلاقات كتب العلماء المتقدمين على ماذا يطلقونها؟ "**..

اصطلاح **" أهل السنة والجماعة "** لها **إطلاقان** عند العلماء المتقدمين:

---

[١١٤] للمزيد من البيان في هذا الموضوع راجع (الجهاد والاجتهاد) للمؤلف. حفظه الله.

[١١٥] قال **الإمام النووي** رحمه الله: " ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض ". [صحيح مسلم بشرح النووي ج١٣/ ص٦٧].

الإطلاق الأول: **أهل الحق**.. - كما تبين لنا -. لكن لها إطلاق أوسع من هذا وأشمل منه، وهي (**الإطلاق الثاني**): مقابلةً لفرقة الرافضة. كانوا يقولون أهل السنة والجماعة وكانوا يقولون مقابلاً لهم أهل الرفض، **فالمقابلين للروافض، يسمون " أهل السنة والجماعة "**. **إذن**، بهذا الإعتبار، هناك فرقتان " أهل التشيع " والباقي " أهل السنة والجماعة ".. **إذن الإطلاق الثاني لإصطلاح (أهل السنة والجماعة) كان مقابلةً للروافض الشيعة.**

الآن**!** أهل الحق لا يدخل فيها الأشاعرة والماتريدية. كما سيتبين لنا من الدروس القادمة - إن شاءالله -، أن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة (الفرقة الناجية)**!** بل هم من الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم، أنهم فرق أهواء، وأنهم في النار!. وهذه الكلمة شديدة كما ترون، التي نقولها أن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة، بل هم من الفرق المبتدعة، لكن الواقع، سنبين بالواقع والدراسة وكلام العلماء وكلام السلف أن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة)..

هذا في إطلاقات الأوائل..، فقط للذكر، حتّى إذا وقعت بين أيديكم كتب الأوائل، تعلموا ما هي عبارة الرجل في معنى أهل السنة والجماعة، ماذا يقصد بهذا، لئلا تظنوا إختلاط الأمر، وهذا الأمر قد ذكره - إن أردتم المرجع - قد ذكره **ابن تيمية** رحمه الله، في كتابه **منهاج السنة النبوية**..

بقيت نقطة أخري، حتّى نختم الموضوع. **النقطة الثانية** هي: أن لفظ السنة والجماعة كلفظ الإيمان والإسلام. بمعني: " **إذا إجتمعا إفترقا، وإذا إفترقا إجتمعا** ".. هل تعرفون معنى هذه الجملة؟ هذه العبارة بمعني: إذا جاء لفظ السنة مقروناً مع لفظ الجماعة، فإن لكل واحد معنى يتفرق من معنى الآخر، فكما تبين لنا أن لفظ السنة غير لفظ الجماعة حين يجتمعها، لكن إذا جاء فقط أهل السنة، دون أن يذكر معها لفظ الجماعة، فإنها تحتوي على معنى الجماعة، وإذا قيل " **الجماعة** " فإنها يعنيٰ بها كذلك **أهل السنة**، فهما لفظان إذا إجتمعا إفترقا، كل واحد على معني، كما فصلنا - لا نريد أن نعود -، السنة ليست هي بمعنى لفظ الجماعة، كما رأيتم، وكذلك، قد يكون الرجل ليس داخلاً مع إمام ممكن، فليس هو مبايع للجماعة، ومع ذلك هو من أهل السنة.، ممكن؟ نعم ممكن.

الآن قديكون في الرجل السنة ولايكون من الجماعة، وقديكون من الجماعة كما تبين لنا وليس هو من أهل السنة، وقد يكون جامعاً بين الأمرين " السنة والجماعة "، كالذين ينطوون تحت راية إمام ممكن، فإنها تتضمن البدعي والسني..

إذن: فمعنى " إذا إجتمعا إفترقا " أي: (**إذا إفترقا لفظاً، إجتمعا معناً، وإذا إجتمعا لفظاً إفترقا معناً**). هذا هو معنى الكلام.

بارك الله فيكم! بهذا، نحن نُنهي موضوع أهل السنة والجماعة.

الفرق المبتدعة:

ندخل الآن في موضوع " **الفِرق** " بارك الله فيكم.

الآن! ما هي الفرق التي شذت؟ أو من هم أئمة الفرق الذين شذوا من أهل السنة والجماعة؟ من هم؟

تعرفون إخواني! – للذكر تاريخياً – أن أول مسألة حدث فيها الخلاف في أمة محمد صلى الله عليه وسلم هو موضوع " **الإيمان** " [١١١]، أول بدعةٍ حدثت في الأمة هي بدعة الخوارج، الذين اختلفوا عن أهل السنة والجماعة، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين وعامة المسلمين، في موضوع الإيمان، وقالوا بتكفير صاحب الذنب مطلقاً، قالوا: " أي معصيةٍ من المعاصي، صاحبها كافرٌ !"

[١١١] قال **الإمام ابن رجب الحنبلي** رحمه الله في " **جامع العلوم والحكم** " ص٣٩: " وهذه المسائل – أعني: مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق – مسائل عظيمة جداً، فإن الله علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والإختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر.. ".

هذه أول بدعةٍ حدثت في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وافترقت عليها الأمة، ثم تتوالد بعد ذلك الفرق، فافترقوا في موضوع الإمامة مثلاً، فبعضهم قال: " **إن الإمامة من أركان الدين** "! وهؤلاء كذبوا، فالإمامة ليست من أركان الدين، لأننا رأينا الرجل ربما يكون مسلماً ولا يكون منطوياً تحت راية امامٍ..

بل هم أضل أكثر من ذلك وقالوا: أن الإمامة، لشخصٍ معين والإعتقاد بها من أركان الإسلام، ومن لم يعتقد أن الإمامة في فلان وفلان، فهو كافر!

فجعلوا إمأمة بعض الأشخاص، من أركان الإسلام، كما إعتقد الروافض، أنه لابدّ من إعتقاد الرجل حتّى يكون مسلماً، أن يعتقد أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو **علي** رضي الله عنه، فمن لم يعتقد هذا، فهو كافر عندهم، هذا من أركان الإيمان عندهم، وقد كذبوا وقد رد ليهم الأئمة، وأكثر ممن رد عليهم في هذه النقطة، هو **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله، في كتابه " **منهاج السنة النبوية** ".

لكن – للذكر هنا – فإن هناك بعض الجهل في الإستشهاد بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية، أنا – كما ترون – لا يهُمُّنى أن نسير لتحديد بعض الألفاظ، بمقدار ما يهمنا معالجة الواقع في استشهاداتٍ باطلة، أما أن نحارب طواحين هواء، أو نحارب، كما حارب **أبو حية النمري**، حارب بسيف من خشب لأناسٍ ماتوا وبادوا.. فهذا ليس من العنترية في شيء، نحن نريد أن نعالج الواقع الذي نعيشه في هذا الزمان..

جاء **الدكتور " ربيع المدخلي "** في كتابٍ له، وقال: " أنه من قال أن الإمامة من الدين فهو من عقيدة الشيعة "! وهذا جعله رداً على بعض الحركات أو على الحركات الحق التي نعتقدها أنها حق، التي تريد أن تحيى الإمامة التي بادت (الخلافة الإسلامية)..

استشهد بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على " **أبي مطهر الحِلِّي** " الكاذب، الذي ألّف كتاباً سماه " **منهاج الكرأمة** " فهو – كما رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية وقال

هو " **منهاج الندأمة** " - جعل افتتاحية الكتاب - **المطهر الحلى** هذا الشيعى الخبيث - جاء وروَّج لمذهب التشيع في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فجعل في مقدمة كتابه " أن الإمامة هي ركن من أركان الدين ". فرد عليه شيخ الإسلام رحمه الله، فقال في كتابه " أنه لم يقل بهذا القول أحد في دين الله عزوجل من المعتبرين، سواء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من العلماء الثقات، **ثانياً،** لعدم وجود دليل، لا في الكتاب ولا في السنة، على أن الإمامة هي من أركان الدين "..

المهم! من حيث أننا ندعو إلى إحياء الإمامة التي سقطت في الأمة، نحن ندعو والجماعات الحق، والجماعات الجهاد والجماعات المسلمة تدعو إلى احياء **منصب الخلافة** الذي هو **الإمامة العظمى** كما سماها أئمتنا من السلف، سموا الخلافة بالإمامة العظمي.. فذهب - **ربيع المدخلى** - واستشهد بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، على بطلان الدعوة إلى الإمامة العظمي**!!**، فهمتم هذه القضية؟!

لكن هذا كلام ضلال وكلام فساد، ليس هو الذي أراده شيخ الإسلام رحمه الله، وليس كلام شيخ الإسلام في الرد على أهل السنة في عقيدتهم في الإمامة، وانما يرد - كما ذكرنا - على أهل البدع من الروافض في عقيدتهم الباطلة في الإمامة..

فالإمامة التي يرد عليها شيخ الإسلام، ليس الإمامة التي عند أهل السنة والجماعة..

هل الإمامة عند أهل السنة والجماعة لها وجود وهي جزءٌ من دين الله عزوجل؟ هل لها وجود؟ لها وجود. النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ".** [١١٧]

والنبي صلى الله عليه وسلم أمر - كما في حديث حذيفة رضي الله عنه - أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

بل**!** إخواني**!** أريد أن أنبهكم أن دين الله عزوجل - و هذه أكررها - أن دين الله كله لا يقوم إلا بوجود إمأمة وتمكين..، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأمروا بِالْمَعْرُوفِ

[١١٧] أخرجه مسلم رقم ١٨٥١، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِّ عَاقِبَةُ الْأُمُور) [118]. إذن حتّى إقامة الصلاة، الله عزوجل ربطها بماذا؟ **بالتمكين،** بدينه، ليس هذا معني، كمعنى بعض الضلال الذين قالوا " أن الصلاة لا تجوز حتّى يوجد الإمام " نقول لا؛ ولكن إقامة الصلاة في الأمة لا تكون إلا بعد التمكين..، الآن هل تستطيع أنت أن تقيم الصلاة في جارك؟ هل تستطيع أن تقيم الصلاة حتّى في ابنك؟ لو أنه شكى ابنك إلى دولة من دول الطواغيت " أن أبي يضربنى من أجل صلاة الفجر في المسجد "، ماذا يصنعون بك؟! لو أن زوجةً ذهبت إلى محكمة من محاكم الطواغيت وقالت للمرتدين: أن زوجي يرهقنى صعداً بإقامة صلاة الفجر معه، أو في وقتها..، هل يستطيع الرجل في زماننا أن يقيم الصلاة في أبنائه، وفي زوجه وفي جيرانه وفي أهله؟! لا يستطيع..، مَن الذي يقيم الصلاة في الحقيقة في الأمة؟ التمكين لدين الله عزوجل، أي إقامة الخلافة والإمامة العظمي.

هنا نريد أن نرد على الرجل – و **هو الربيع المدخلى** – الذي زعم أن الإمامة ليست في دين الله ولا وجود لها!، ثم إذا قيل لهم " نريد أن نجاهد ".. قالوا: " لابدّ من وجود الإمام "! العجيب!! يعني كيف الأمور؟ قالوا " الإمامة ليست في دين الله " وإذا قيل " نريد أن نجاهد، لا ضرورة للإمأمة خلاص "! قالوا: " لابدّ من الإمامة "!

مثل الذي يسمى عند الفلاسفة والمناطقة **بالدور،** تعرفون الدور؟ **الدور** هو ترتب وجود الشيئين على بعضهم البعض، بمعنى – مثلاً – أنا لا أوجد حتّى تكون، وأنت لا تكون حتّى أوجد! فهذا لا وجود له. وهذا من مفاسد الآراء،..

فالآن قالوا: " الإمامة ليست في دين الله "! قلنا: " نريد أن نجاهد " قالوا: " لابدّ من وجود الإمامة "! فنقول: " نريد الإمامة لأن نجاهد ". قالوا: " هذا ليس في دين الله "! متى يحصل هذا؟!.. كالدور. كما رأيتم..

[118] الحج ٤١.

فالإمامة التي يتكلم عنها شيخ الإسلام في الرد عليها في مقدمة كتابه " **منهاج السنة** " ليس هي التي ندعو إليها، وهي إحياء الإمامة العظمى " **خليفة المسلمين** "، وإنما يرد على الإمامة التي هي عند الشيعة الروافض، التي لها معانى غير المعانى التي عندنا،..

فالدعوة إلى إيجاد الإمامة، هي الدعوة لإحياء " تسع أعشار= ٠٠٩ " الدين..

إخواني! بعض الأئمة، - و أنا لا أقول بقولهم -، بعض الأئمة، قال: " أن صلاة الجمعة، لا تقوم إلا بوجود الإمام "، وهذا قولٌ **لأبي حنيفة** رحمه الله، أبوحنيفة عنده لاتجوز صلاة الجمعة، إلا وجود امامٍ عامة، امام المصر،..

و **الزكاة!** ذكر **أبوعبيد القاسم بن سلام (م٢٢٧ ه)** - هذا امام عظيم - رحمه الله، يذكر عن بعض الأئمة في كتابه " **الأموال** "، أن الرجل لو أدى زكاة ماله، لوحده دون أن يؤديها للامام، لاتسقط عنه الزكاة.. قال بعض الأئمة: " لابدّ من وجود الإمام ".. الزكاة لابدّ له من وجود الإمام!

الحج، لا يعلن إلا بأمير المسلمين! لابدّ أن يكون له أمير.. و**الصوم!** هكذا من يعلنه؟.. بالأسف الآن صيامنا، ماهو سبب اضطراب هذا الصيام الذين صاموا به؟ واحد صائم، واحد مفطر، واحد..، لعدم وجود إمأمة عامة، لأننا مضطرين أن نأخذ ببعض أقوال مفتى الطواغيت في هذا الزمان، واضح إخواني؟!..

الصلاة والزكاة والصوم والحج، هي أوامر فردية، لا تقوم إلا بصفة جماعية في دين الله..

من أجل أن تروا قيمة الجماعة في دين الله عزوجل،.. قيمة الجماعة.. أنا أقول دائماً لكم، وإذا ما حفظتم هذا، فلا قيمة لما نتعلم ولا قيمة لما ندرس، لأن حركة الإسلام لا تقوم إلا بجماعة، أقول: " **إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول ماجاء ما أقام إلا أمرين، لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول دعوته إلا أمرين**:

الأمر الأول: التوحيد. و**الأمر الثاني: الجماعة**. الأمر الأول: التوحيد، الإيمان، الذي سنفصل معناه، والأمر الثاني: الجماعة.

كان الرجل إذا أسلم ماذا يفهم؟ يفهم أن يخرج من قومه ويتحرر من تقاليد قومه، ومن أحكام قومه ومن إرتباطاته مع عائلته وآباءه.. وبماذا يرتبط؟ برسول الله صلى الله عليه وسلم ويرتبط بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يرتبط برسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه أنه نبي فقط ولكن، يرتبط بهم أيضاً بإعتبارهم جماعة، (**ماأنا عليه اليوم وأصحابي**)، العلاقة بينهم..، ولذلك الولاء لجماعة المؤمنين، هو من أركان الإيمان، ولو أن رجلاً ما، قاتل تحت رايةٍ كافرةٍ أو قُتل تحت رايةٍ كافرةٍ، ضد رايةٍ مسلمةٍ، ولو كان معتقداً بالإسلام، ماحكمه في ديننا؟ كافر! كافر! وعلى هذا النمط نزلت الآيات[119] التي لن تعذر من لم يهاجر في سبيل الله عزوجل وقاتلوا تحت راية قريش، قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم..

إذن أنت لاتنظر فقط إلى نفسك، ولا تقل: " أنا نفسي حكمي ".. ولكن انظر إلى " من تدخل فيه وتتعامل معه ". أنت لك حكمان، حكمٌ بإعتبارك شخصٌ، وحكمٌ باعتبار جماعتك التي أنت فيها، وهذا سنبينه عندما نتكلم عن حكم الطائفة.، بمعني: أنت، لا نتعامل معك بإعتبارك شخص، مَن، فلانٌ من الناس، أنت تعتقد بالإسلام ولكن ليس هذا كافياً للحكم عليك، هناك حكمٌ آخر وهو شخصيتك فيما أنت فيه من جماعة، أين أنت؟ ماهو حزبك؟ ما هي طائفتك؟ ما هي الجماعة التي أنت فيها وتنتمي إليها؟

أليس هذا في دين الله موجود؟.. أن الرجل ربما يكون مسلماً، ألم يكن " **عباس بن عبدالمطلب** " في نفسه معتقداً بالإسلام الحق؟ كان في معركة بدر، كان في نفسه يعتقد بالإسلام الحق، ولكن عندما أخذ وأسر في طائفة قريش، حين وضع نفسه تحت راية قريش، ماذا كان حكمه؟ ماذا غَلَّبْنا؟ هل غلبنا حكم الطائفة التي انطوى تحت راية، أم حكمه باعتباره الشخصي؟ غلبنا حكمه باعتبار الطائفة!..

[119] سورة النساء [٩٧ – ٩٩].

لَمَّا قال: " ألم تعلموا أني مسلم "؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **دع عنك هذا، خاصمت فخوصمت** ". [١٢٠]

بمعني، المعركة قأئمة بين كونك أنك تدَّعي الإسلام وبين كونك تقاتل تحت راية كافرةٍ. مَن الذي يغلب؟ الراية. قال: خاصمت فخوصمت، أنت تدَّعي أنك مسلم ولكن رايتك كافرة، وهكذا..

فلذلك قضية الجماعة، وفي أي جماعة تكون أنت، هذا لابدّ أن تنتبه له.. ومع الأسف هناك ناس كثيرون يقولون في هذا الزمان بعدم إحياء الجماعة – بمفاهيمها الثلاثة التي فصلناها –. هذا الذي لا يقول بالجماعة – بمفهومها الشرعي – هذا، ينقصه شق " إتِّباع الحق "..

الشق الأول: هو أن يقول بالسنة. **والشق الثاني**، أين هو؟ **ما هي جماعته**. وقد بينا في حديث حذيفة، أن كثيراً من الناس يقول أنا سنى ومع ذلك هو في الفِرَق التي نهي عنها الشرع، الفرق الكافرة، يشتغل في أحكام الكفر!، واضح إخواني؟..

ولذلك هناك فتوى ذكرها " **القاضى عياض** "، أسوقها، وإن شاءالله سأقوم على نشرها[١٢١]، وجهدت بحثها، والكلام على ظروف هذه الفتوى والكلام عليها ومناقشتها. فتوى ذكرها الإمام القاضى عياض رحمه الله، إمام المالكية في عصره، عن الخطباء الذين كانوا يدعون للحاكم " **بأمر الله العبيدى** "، قيل وسُئل عنهم جماعةً مثل " **أبي زيد القيروانى** " و " **ابن عذرة** " و " **أبومحمد الكبرانى** " و..، جماعة من أهل العلم سئلوا مِن هؤلاء الجماعة الخطباء، وقيل لهم – قيل للمسئول من العلماء السنية –، قيل عن الخطباء إنهم سنية بمعنى عقيدة السلف، كان هؤلاء الخطباء على عقيدة السلف ولكنهم في نهاية خطبتهم يقولون: " اللهم صلِّ على عبدك الحاكم "، والحاكم معروف العبيدي، – الكلام عليها يطول، سأقوم على نشرها إن شاء الله، لأنها مهمة –، ماذا قال العلماء؟ **أجمع أصحاب السحنون** من أئمة

---

[١٢٠] راجع أصل الحديث في البخارى وغيره.

[١٢١] نشر الشيخ هذا الفتوي، تحت عنوان: " **فتوى خطيرة، عظيمة الشأن في حكم الخطباء والمشايخ الذين دخلوا في نصرة وتأييد المبدِّلين لشريعة الرحمن** ".

المالكية وغيرهم على أن هؤلاء الخطباء كفرةٌ، ولم ينظروا إلى كونهم سنياً، وإنما نظروا إلى الراية التي أنتموا إليه، إلى راية الحاكم (بأمرالله العبيدي)، فألحقوهم بالراية وحكموا عليهم بحكم الراية..

ومن هنا إخواني!، فأن يأتي رجلٌ ويقول أنا سنى ويذهب ويجلس تحت قبة البارلمان، هو بهذا قد دخل في طائفتم، لأنه صار جزءاً من الحكومة، قديقول أنا معارض..، كما سنتبين في قضية الحاكمية، والكلام على المرجعية، لأنه سنتكلم عليه بعد ذلك عن قضية الأنتخابات؛ **المعارض في الحكومات، جزءٌ من الدولة،** والإصدار لا يخرج بصفة القوة إلا بوجود المعارضة له، والقانون يقول أنت معارض قبل صدور القرار، ولكن بعد صدوره هو يخرج باسمك، لأن القرار لن يكتسب قوةً إلا بوجودك أنت، فإنه خرج باسم ممجلس النواب، ومجلس النواب ومجلس الشعب من هم؟ أنت هل، تعترف أنك من البرلمان؟ نعم. صدر القرار باسمك، قدتكون معارضاً..، أقول: أنت معارضٌ قبل إقراره، ولكن بعد إقراره، هو يخرج باسمك، وهكذا كان يقول لهم الهالك (**رفعت المحجوب**) [١٢٢]، كان يقول للإخوان المسلمين في البرلمان، كان يقول " نحن معارضون "!، نقول: نعم أنتم معارضون قبل خروج القرار ولكن بعد خروجه، القرار خرج باسمكم..

و لذلك القضية – كما ترون – ماذا؟ هل هي أمر سهلٌ – قضية أنتماء الرجل للجماعة –؟ الجماعة التي ينتمى إليها هي قضية خطيرة، وعدم فهمها أدّى بالمسلمين إلى درجة..، سأضرب لكم مثالاً، ينبغي أن يكون واضحاً، لكن نحتاج إلى مثال هي أوضح لديكم، قد تستغيبونه ولكن لا تستغيبون المثال الآخر، كيف يجوز لمسلمٍ شيخ مدَّعى أنه سنِّي، وبعد ذلك يجلس وهو مفتي في جيش من جيوش الطواغيت؟ لجيش **الجزائر** أو **السورية**، جيش **ليبيا**، وهناك يعتبر نفسه شيخ مسلم يدعو للإسلام وهو

---

[١٢٢] الهالک (**رفعت المحجوب**)، صاحب التاريخ الأسود، أمين الإتحاد الإشتراكى وصاحب ميثاق عبدالناصر، كان رئيساً للمجلس الشعب المصرى من عام ١٩٨٤ إلى ١٩٨٩.

عليه الرُّتب العسكرية[١٢٣]، لأنه واعظ، لأنه كثيرٌ من الجيوش الآن تضع في داخلها ما يسمى بـ (قسم الإفتاء الديني)، فيكون فيها شيخ ومع ذلك رتبته عسكرية!، مثل ما عندنا في الأردن..

الآن هذا غير واحد يقول: كيف؟ يعني أنت تريد أن لا يكون هذا؟! نقول: هو جزءٌ من هذه الطائفة، دخل فيها بحيث أن دمه حلال!، هو منهم!.. وصل أمر إستغفال هذه القضية، حتّى صار يقال يوجد مفتي لمسلمي قوات الأمريكية!، مفتى مسلم - وتخرَّج من معاهد الدعاة والوعاظ -، في داخل الجيش الأمريكي!، **جيش أمريكى وفيه ماذا؟ مفتى مسلم!!** هذا تستغربونه؟! لكن أغرب!، كيف يكون مفتى مسلماً وهو في جيوش الردة؟!.. و عدد المسلمين! في الجيش الأمريكي، يقال " ستة عشر الف " أو " ثمانية آلاف "، أو " أربعة آلاف "!، وبعضهم يقول أكثر من ذلك، **مسلمون! في جيش أمريكا ولا يرهب!** ويأتي شيخ متبجح، طول عمره يتكلم عن السنة، ويقول نعم! - يتكلم -: " نعم، مسلمون في جيش أمريكا، ما المعارضة؟! ما المخالفة؟! مسلم في جيش أمريكا؟! ".

ونحن للأسف بحِسِّنا " مسلم، هذا مسلم "، لأن عندنا ماهو المسلم؟ المسلم..، مثلنا، أنا وأنت، مثل مسلمي الشوارع، مسلمين سأبين على دين الله عزوجل وممتهنين القرآن،، ومحتقرين دين الله عزوجل والرسول صلى الله عليه وسلم! ومع ذلك عندما يأتي إلى عقد الزواج، - يقال: - يا أخي! هذا مسلم! والواحد منا يزوِّجه ابنته، ويقوم على الشهادة على عقده و...، كأن الإسلام صار شركات دفن الموتى في بلاد الأروبا!.. إلى هذه الدرجة صار الإسلام، صار الإسلام مثل " أنت فلسطينى "، يعني ثابت لك بحكم الميلاد ولو كفرت، فأنت مسلم، يسب الرب والدين والإله ويحتقر الدين، وهو مسلم!.. مسلمٌ في منظمة التحرير الفلسطينية! وهي ترفع راية ماذا؟ العلمانية! تقول نحن رايتنا علمانية!

---

[١٢٣] قال الشيخ أبومصعب السوري في كتابه (دعوة المقاومة) ص١٢٨: " فقد روى لنا اخوة المجاهدون في الجزيرة أن **(عائض القرني)**.. **لبس بزة عسكرية** وصلّى بالقوات السعودية المرابطة على حدود العراق بقيادة **(شوارزكوف)** وتحت رايات أمريكا، أيام عاصفة الصحراء، وخطب فيهم صائحاً: (سِر يا خادم الحرمين ونحن نبايعک على الجهاد)! ".

ومع ذلك هو يقول، أنا مسلم! لا يرى مناقضة! بل ولو جاء رجلٌ ليقول هذا كافر أو هذا كفر، من الذي سيخرج عليه؟ المشايخ، المشايخ سيخرجون عليه! وينكرون هذا الموقف ويعدُّونه تطرفاً!..

أرأيتم حكم الطائفة كم هو عميق؟ قضية الجماعة؟ هذه..، قضية الجماعة؟ واضح إخواني؟ عليكم أن تفهموا هذه القضايا، لألّا تجيء يوم القيامة وتظن نفسك أنت مسلم، (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [١٢٤]. هذه الآية لو كان لنا قلوب لبكينا عليها، نحن المسلمون في آخر الزمان، ونحن نحسب أننا نحسن صنعاً، وأننا مسلمون، نحسب ونحسب الناس مسلمين، إذا ذُكر المسلمون..، هكذا صارت الإسلام، هو مجرد العائلة والنسب و.. و.. و..، سبحان ربي الأعلي، سبحان ربي العظيم، فالقضية خطيرة كما ترون، القضية إذا لم تتنبهوا لها.. وتحتفظوا بهذا السر في قلوبكم وتهتموا به وتعتبروا أن **أولاً**: لا اله الاالله محمد رسول الله، **وثانياً**: أين تكون.

والرجل لا قيمة لقوله (لااله الا الله محمد رسول الله) وهو باقٍ تحت راية كفر. لا قيمة له، ليس مسلماً، وهذا من أركان دين الله عزوجل..

شيخ متبجح، يدّعي ويقول: نعم! أنا عرض عليَّ أن أكون مفتياً في الجيش الأمريكى ولكني إخترت وأثرت أن أكون بعيداً "!! أثر الرجل! عنده زهد! فقط أثر! ولم يقل: " ولكني رفضت أن أكفر بالله "!.. وبعض الناس قال: " ومن محاسن وجود القوات الأمريكي في الخليج أن بعض المشايخ ذهب إليهم ودعوهم للإسلام، فأسلموا..! [١٢٥]

سيد قطب عليه رحمة الله، عندما جاءه رجلٌ ليلقِّنه " لا اله الاالله " وهو على حبل المشنق،.. هه!.. " قل لا إله إلا الله "..! بالله عليكم!.. والله إن الأمة فقدت الحياء، وبعض مشايخنا لاحياء، القضية ليست قضية الدين كما ترون، بل هي قضية الحياء، هؤلاء وصلوا إلى درجة الخنزرة، خنازير! فقدوا الحياء،..

---

[١٢٤] سورة الكهف (١٠٥)..

[١٢٥] قال الشيخ أبومصعب السورى في كتابه (دعوة المقاومة) ص٤٧: "..بل اعتبر كبار المنافقين منهم، أن قدوم الأمريكان إلى جزيرة العرب من أكبر نعم الله على هذه الأمة وأنه يستأهل سجود الشكر!! كما عبر عن ذلك (**الشيخ أبوبكر الجزائري**) عضو هيئة كبار (العملاء) السعودية ".

شيخ مُجبَّب بقسطان وعمَّأمة، يأتي إلى رجلٍ يُقتَل من أجل لا إله إلا الله يقول: " قل لااله الاالله "! فقال له: " يا بُنيَّ أنت تأكل الخبز بلا إله إلا الله، وأنا أُعلَّق على المشنق من أجل لااله الاالله "!..

هؤلاء بحاجة إلى لا إله إلا الله، المسلمون بحاجة إلى هذه الكلمة، كما غاب عن المسلمين، ودخلوا في طوائف..، ومنازعة القضية عند بعض المشايخ بهذه الصورة: " هل يجوز أن ندخل في الأعمال العامة للدولة المعاصرة "؟ بعضهم مثل **الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق** قال.. وإرجاء وضلال..[126] حتّى النظم الكافرة.. قال: " النظم المعاصرة "، النظم المعاصرة ما هي؟ إذا كانت مسلمة، فالشغل معها حلال..، يعني ما ادرى كيف نناقش هؤلاء.. والله يصل المرء لحالة الذهول مع هؤلاء!.. يأتي ويقول: " نعم إن الأدلة على جواز الدخول في الأنظمة " تقول له: " ماهو الدليل "؟ يقول: " دخول يوسف عليه السلام عند الملك " تقول: " يوسف اشتغل عند من؟ " يقول: " عند حاكم كافر " تقول له: " الحاكم هذا عندك كافر أم غير كافر؟ " يقول: " بل مسلم وغير كافر! ".. إذن لماذا تحتج بيوسف عليه السلام؟، هناك مسلمٌ قاضى إسمه **أبويوسف يعقوب** تلميذ أبي حنيفة، يشتغل عند **هارون الرشيد،** ماهي المشكلة؟..

إذا كان الحاكم مسلماً، فلماذا تذهبون إلى يوسف عليه السلام؟ إذهبوا إلى أبي يوسف.. مثل الآن إخوان المسلمين، قالوا، ذهبوا، عندهم تنظيم وإمارة، والإمارة لاتلتزم بأمر الحكومة، ومرات يحمل السلاح ومرات لا يحمل السلاح، كذا..

نقول لهم: عندكم الدولة كافرة أم مسلمة؟ إذا كان كافرة، فذهب المشكلة، وإذا كان مسلمة، إذن أنتم بغاة! لكنهم، الآن أي واحد منهم يقول عن الدولة، أنها كافرة، يطرد من التنظيم.. من يستطيع من هذه الجماعة الآن أن يقول عن النُّظم أنها كافرة؟!..

ملك حسين كافر؟!.. ملك حسين في أزمة الخليج، جعلوه خليفة المسلمين، هو **وصدام حسين!**، إذا سألتهم عن أحد من هؤلاء الطواغيت، هل هو مسلم؟ قالوا: نعم مسلم! إذن فكيف هذا التنظيم

[126] هنا كان في الشريط انقطاع.

ضده؟! إذن فأنتم بغاة! إذن مايفعله **الملك الحسين**، وما يفعله **حسنى مبارك** وما يفعله **السادات**، وما يفعله **حافظ اسد**، عملٌ شرعي، لأنه يعاقب من؟ يعاقب بغاة. وإذا كانوا كفرة، فالمسألة حلٌ.. إذن الخارجين على هؤلاء الكفرة ليسوا بغاة، وليسوا خوارج وليسوا ضالّين، بل يقومون بعملٍ، الإجماع عليه، أجمع عليه الأمة، تناقلته الأمة خلفاً عن سلف.[127]

هؤلاء يتلعبون بنا!، مرةً تأتي من هذا الباب فيحتج لك بكذا، ومرة يأتي من بابٍ آخر وهكذا..

عليك أن تنسجم سلوكك وعملك على ما تقول عن الدولة، أن تقول عنها أنها مسلمة، فيجب عليك أن تعمل على إسلامية الدولة، أما أن تلعب بنا مرة شمالاً ومرة..، هذا لا يجوز هذه القضية خطيرة، ولذلك من قال من المشايخ في هذا العصر، أن هؤلاء الداخلين في هذه الطوائف – أي الحكومات الكافرة –، إن لم يكن بدخوله فيهم، حكمه حكمهم، – أي أن يكون كافراً على التعيين –، أقل ما يقال عنه أن حكمه حكمهم – أي حكم الطائفة –، كما سنتبين في الحكم على الفرد والجامعة في قضية التكفير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندماسئل عن اطفال المشركين، قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أهل الدار من المشركين، يبيتون، فيصيبون من نسائهم وذراريهم، فقال صلى الله عليه وسلم: " **هم منهم** ".[128] قال صلى الله عليه وسلم اقتلوهم لا بأس بقتلهم – مادام الحال هكذا – فإنهم منهم! هل هذا يعني أن الأطفال كفار؟ لا، لأن أطفال المشركين الذين لم يبلغوا الحلم، على الفطرة بعد، وهذا هو الرأي الصواب والحق الذي عليه كثير من السلف وأدلتهم كثيرة، لا نريد أن نخوض فيها، لكن حكمهم ماذا؟ حكم الطائفة وهم أطفال ولكن حكمهم حكم الطائفة لمجرد وجودهم فيها.. فمن قال عن الشيخ الفلاني، هذا حكمه حلال الدم، أو حلال المال لوجوده في طائفة من طوائف الردة،.. وجَهلُك بأنك إذا دخلت في طائفة من طوائف الردة، هل هذا يضر بدينك أم لا،

---

[127] نقل الإمام النووي رحمه الله (شرح مسلم ١٢/٢٩٩) والإمام ابن حجر العسقلأنى (فتح الباري ج١٣/ ص٧و٨و١١٦و١٢٣) **الإجماع على وجوب الخروج على الحاكم الكافر وخلعه.**

[128] رواه البخارى (الفتح ٦/١٤٦) ومسلم (١٧٤٥).

هذا جهلك به، مسألة من مسائل التي تدخل في أصل الدين – وقد لا يعذر فيه بالجهالة**!** – فاحذر**!** وتنبه**!**..

كان علماؤنا سئلوا من قريب، عمن أراد أن يتجنَّس..، أرسل أهل تونس رسالة إلى **مشايخ الأزهر،** إلى **شيخ يوسف الدجوي،** و**الشيخ علي محفوظ** وعالِمٌ آخر.. أرسلوا إليهم بهذا السؤال: " هل يجوز لمسلم أن يتجنس بجنسية أمة غير مسلمة إختياراً منه، كما هو الشأن في التجنس بالجنسية الفرنسية الآن في تونس؟ ".. فقالوا في الجواب: " **من طلب الجواز الفرنسى كافر "!** قالوا لما؟ قالوا لأن التجنس بالجنسية الفرانسية، يعني يقاتل المرء تحت راية الفرنسة ضد إخوانه[١٢٩].. انظروا إلى ادلتهم**!!**..

ونحن في فلسطين جاؤوا لنا – أي الإنكليز – جاؤوا بأناس مسلمين لقتالنا، جاؤوا بناسٍ مسلمين من الهند.. ومازال آباؤنا كانوا يذكرون بالهنود، كانوا مسلمين.. نعم! ولا يرون هذا ناقضاً للإسلام، يقاتل تحت راية إنكليزية، ويقاتل تحت راية فرنسية، ويقاتل تحت راية أمريكية[١٣٠]، ولا يرونه ناقضاً من نواقض الإسلام..

---

[١٢٩] راجع كتاب (التجنس بجنسية دولة غير إسلامية) لمحمد السبيل، بحث في مجلة المجمع الفقهي، عدد الرابع، من ص١٥٠إلى ١٥٧.

وقد سئل **الشيخ محمد رشيد رضا** رحمه الله عن تجنس المسلم بجنسية تنافي الإسلام – كما هو حاصل في بلاد تونس آنذاك – وما يتضمنه هذا التجنس من إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة، والوقوف مع الكفار عسكرياً لقتال المسلمين.. الخ. فكان من جوابه:

" إذا كانت الحال كما ذكر في هذا السوال، **فلا خلاف بين المسلمين** في أن قبول الجنسية، **ردةٌ صريحة،** و**خروج من الملة الإسلامية،** حتّى أن الإستفتاء فيها يعَدُّ غريباً في مثل البلاد التونسية التي يظَنُّ أن عوامها لا يجهلون حكم ما في السوال من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.. " الخ. [مجلة المنار مجلد ٢٥، جزء ١ص٢٢].

[١٣٠] كما أفتى دكتر " **يوسف القرضاوي** " مفتي الفضائيات!، أفتى " المسلمين في أمريكا " بجواز مشاركة الجيش الأمريكى في حربها على السلام والمسلمين في أفغانستان والعراق و... من البلاد الإسلامية. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا الفتوي، التي تحمل توقيع **القرضاوى** وتوقيع كل من " **طارق البشري** " و " **هيثم الخياط** " و " **محمد سليم العوا** " و " **فهمى هويدي** "،. نشرها " **فهمى هويدي** " في رأيه الأسبوعى في جريدة " الشرق الأوسط " بتاريخ ٨ اكتبر –

ماهو الإسلام؟ ماذا يعني الإسلام – عند هؤلاء -؟ كأنه نصرانية جديدة فقط، نختلف نحن والنصارى في قضية التصور فقط!! أما قضية السلوك، فنحن والنصارى سواء!! ولذلك نقول دائماً، كان هؤلاء الناس يقولون أن بريتانيا تسلم بماذا؟.. الآن فقط بريتانيا، بماذا تفترق فقط عن بلادنا، بماذا؟ لأنها لا تقول لا اله الاالله! فقط! فقط تقول، ها! تقول وتعتقد ما تعتقد بالنسبة لله وبالنسبة لأي قضية.. – عند هؤلاء – أن بريتانيا ليست بمسلمة، لأنها لاتقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله). فإذن بريتانيا الآن يكفيها لأن تسلم أن تقول (لا إله إلا الله) وبعد ذلك لها أن تشرع ما تشرع من القوانين، و**المَلَكة** هي الملكة والبرلمان هو البرلمان والتنظيمات هي التنظيمات،.. مايتغير شيء..، فقط تصبح مسلمة بماذا؟ بقول لااله الاالله، وخلاص! تحل المشكلة!..

إلى أي درجة عادت الجاهلية من جديد؟! إلى أي درجةٍ الواقع الذي نحن نعيش فيه بئيس!، إلى أي درجة نحن فيه من البلاء؟! والله عزوجل يرحمنا!..

قلنا نتكلم عن رئوس الفرق، سنمر عليها سريعاً، لأن مجال شرح هذه الفرق يطول، لأن هذه الفرق سَتَمُرُّ أسماءها كثيراً علينا في موضوع الإيمان، فلذلك، يجب أن يكون عندنا نوع يسير من الإطلاع عن هذه الفرق ومبادئها وعقائدها.

تشرين الأول – عام ٢٠٠١.!! (فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العَظيم من المصيبة الواقعة على ألأمة ما أعظمها!!).

فرقة الخوارج:

أول فرقة نريد أن نخوض فيها وهي " الخوارج ". تعرفون القصة لا أريد أن أطول كثيراً، تعرفون أن علياً رضي الله عنه بويع بالخلافة من أهل المدينة، من أهل الحل والعقد في المدينة بعد أن قتل مظلوماً عثمان رضي الله عنه، فأبي أهل الشام أن يبايعه حتّى يقتلوا قصاصاً قتلة عثمان، لأنهم ادعوا أنهم أولياؤه[١٣١]..

المهم**!** قام ماقام من الفتن بين المسلمين، في **معركة الجمل** التي بدأت بتحريض من بعض المنافقين بين فرقة عائشة وفرقة علي رضي الله عنهم، وهي ذاهبة إلى الشام..

وبعد ذلك وقع **موقعة صفين**. في موقعة صفين، كاد جيش علي أن يغلب جيش معاوية لكنهم التجأوا إلى حيلة " طلب التحكيم ".. قيل: رُفع المصاحف أولاً – و إن كنت أظن أن هذا، يعني رفع المصاحف كذبٌ، لأن المصاحف كان في ذلك الزمان قليلة جداً، فأظن تاريخياً أن هذا الكلام كذبٌ – لكنهم اتفقوا على قضية التحكيم، فقام علي رضي الله عنه، أبي عن ذلك، لأنه رأى في ذلك ألعوبة، وهو خليفة يجب على هؤلاء أن يبايعوه، وكيف يتنازل، والتحكيم تنازلٌ، قالوا – أي ناس من جنوده –: هؤلاء طلبوك إلى حكم الله..، القضية طويل..

تمت التحكيم، **وقصة التحكيم باطلةٌ** – على الصحيح – لأن ما روي إلا من طريق **" سيف بن عمر التميمى "** [١٣٢]، فقضية التحكيم " أنا أخلع خاتمي و.. " هذه لم تثبت إلا من طرق باطلة..

---

[١٣١] للمزيد من التفصيل في هذا الموضوع راجع كتاب **" العواصم من القواصم "** للإمام أبي بكر ابن العربى رحمه الله وكتاب **" الخلفاء الراشدون بين الأستخلاف والأستشهاد "** للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي.

[١٣٢] قال الإمام الذهبى رحمه الله في ميزان الاعتدال (٢/ / ٢٥٥) عنه: " هو كالواقدي. قال يحيى بن معين عنه: ضعيف، فليس خير منه – اى من الواقدي –، قال أبوداوود: ليس بشيء. قال أبوحاتم: متروك. وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة. وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر ".

القصد، بعد أن قبل علي رضي الله عنه التحكيم، هؤلاء الذين أجبروه على التحكيم قالوا، هذا قَبِل حكم الرجال، ولا حكم إلا لله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، إذن فعلي كافر ومعاوية كافر وعمروبن العاص كافر و..، من أين جئتم بهذا؟ قالوا: لأن المعاصي هي كفرٌ..

إذن أول ماجاء به في قضيتهم، هي قضية التكفير بالمعصية، بمطلق المعصية.. أو التكفير بالذنب، أو التكفير بالكبائر.

فهؤلاء عندهم أن الزاني كافر والسارق كافر، والكاذب كافر وهكذا، لماذا يقولون هذا؟ هذه القضية نحن لسنا الآن في سدد شرحها، لأنه في موضوع مفارقة أهل السنة لفرق أهل البدعة في قضية الإيمان.. ولكن هم يقولون أن المعصية كفر، والكفر لا يوجد فيه صغير وكبير، كله الكفر، والإيمان نوعٌ واحد إذا ذهب بعضه ذهب كله، **هذه القضية، أصل قضية الخوارج**.

ثم هم يلتقون على **قضية ثانية** وهي **" تكفير المخالف "** و استحلال دمه وماله..

قال **الإمام الشافعي** رحمه الله: (أهل البدع إذا خالف أحدهم صاحبه، قال كفرت، والعلم فيع إنما يقال أخطات) [١٣٣]. فهم كانوا في جدالهم ونقاشهم إذا خالفهم رجلٌ في أي مسألة قالوا عنه " كافر ".

فهم يكفرون المخالف، أي واحد لا يقول بعقيدتهم، فهو عندهم كافر، ولذلك هم **يكفرون باللزوم**، يعني لو جاء سنى وقال: أن فاعل معصية ليس بكافر، فهم يكفرونه لعدم تكفير هذا. وهم يرون هذا التسلسل الكبير. فتكفير المخالف، هذا من طريقهم. نحن أهل السنة، هل نكفِّر المخالف؟ لانكفر المخالف، إلا إذا كان خلافه معنا كفراً، ففي هذه الحالة فهو كافر - بعد توفر الشروط وأنتفاء الموانع في حقه - و إذا كان خلافه معنا ليس بكفر، فلا نكفِّره.

إذن الخلاف على مراتب عندنا أما أولئك - أي الخوارج - عندهم، المخالف مرتبة واحدة، أيُّ واحد يخالفهم فهو كافر!

[١٣٣] اورده الإمام اللاكائى في (شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة) ج١/ ص١٤٦. ط. دار الطيبة. الرياض.

ثالثاً: أنهم يرون الخروج على إمامٍ عدلٍ.

هذه أسس الخوارج، كل الخوارج يلتقون عليها. بعد ذلك هناك فرقٌ للخوارج تزيد ببعض الشروط وتأتي ببعض الأمور وتخالف في بعض المسائل، و..، هذه مسألة أخرى فمثلاً بعض الخوارج يرون أن قضية الإمام ليست مهمة في دين الله، ولو أن الناس قاموا بالدين بدون الإمام، لا ضرورة للامام، مثلاً بعضهم يقولون بهذا، وبعضم يقولون بمثل (**الإباضية**) الآن، لا يقولون بأن فاعل الكبيرة كافرٌ كفر أكبر، بل يقولون: بأنه **كافرٌ بالنعمة** " – ونهايته في جهنم أو في الجنة؟ – قالوا: في جهنم،..

المهم، هذا مجمل معتقداتهم..

نحن رأينا أن لفظ (الخروج) يوافق لفظاً، مع " البغاة " الذين خرجوا عن الإمام العدل، ولكن لا يوافق هذه المعاني، فالأئمة لا يطلقون الخوارج إلا أصلاً على من اجتمع فيه هذه الشروط، وخاصتاً الشرط الأول والشرط الثاني.

اما قضية الخروج عن الإمام الحق – إذا ظلم أو جار – فبعض أهل السنة يقولون بها وليسوا من الخوارج..

الآن الخوارج، يسمَّون بأسماء كثيرة في كتبنا، نحن لا نشرح كثيراً، فالقضية طويلة، يسمون كذلك عندنا الحرورية، وسمُّوا **خوارج** لأنهم خرجوا عن الإمام " علي " وسمُّوا كذلك **الحرورية**، لأنهم **لَمَّا** فارقوا الإمام علي رضي الله عنه، ذهبوا، فاجتمعوا في مكان في الجنوب الغربى من العراق يسمى **الحروراء**. ويسمون أيضاً في بعض الكتب، **أهل النهروان**. لأن أول معركة قامت بين علي رضي الله عنه وبينهم، التي وافقت وعد النبي صلى الله عليه وسلم لقتلهم كما سنبين في الحديث، كانوا في منطقة يسمى النهروان..

للذكر إخواني، أنا ذكرتها، لكن من غير تفصيل، للذكر، **هل هذه الفِرق، كافرة عندنا؟** لما قال صلى الله عليه وسلم: " تفترق أمتي.. " الخ. فهل هذا افتراقٌ عن دائرة الإسلام؟ – تذكروا الدائرة – أم أنها إفتراق عن دائرة أهل الحق، مع بقائها في الإسلام؟ **على الجملة، هذه الفرق لم تكفر**، واضح إخواني؟

وإن سمَّى العلماء هذه الفِرق بأنها كافرة، لكن لم يكفِّروا أفرادها، [134] والدليل على هذا: **أولاً**: قوله صلى الله عليه وسلم: **" تفترق أمتي "**، فنسبهم إلى أمته، ثم تعامُلِ الصحابة معهم رضي الله عنهم، فهذا علي رضي الله عنه لم يكفرهم، وقد سئل عن أهل النهروان، هل كفروا؟ فقال **" من الكفر فروا "**. [135]

فأولاً: نسبهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى نفسه، إلى أمته، **وثانياً**: الصحابة، وهم الذين لم يختلفوا في هذه المسألة – فيه خلاف ولكنه يسير – و أن عامة الصحابة لم يكفِّروا هؤلاء القوم، يرونهم ضُلّالاً، يرونهم كلاب أهل النار. مامعنى كلاب أهل النار؟ بعض الناس، كقوله صلى الله عليه وسلم: **" العاق لوالديه في النار "**. [136] مامعنى قوله " في النار "؟ – أنه خالد في النار – كما هو قول الخوارج، لكن عند أهل السنة معنى " أنه في النار "، **أنه معذب في النار**، بمقدار معصيته، إلا أن يغفر له بمبادئ الغفران. وهكذا **" كلاب أهل النار "** أي أنهم من أهل النار، وهم كلابها إلا أن تشملهم الله مغفرته، إذن هم معرَّضون للوعد؟ نعم. معرضون للوعد ومعرضون للوعيد، قد يصيبهم الوعيد بذنوبهم وقد يصيبهم الوعد بمغفرةٍ، لأنه: **" من قال لااله الاالله دخل الجنة "** [137] واضح إخواني؟..

فهؤلاء الجماعة..، لا يأتي واحد ويقول، ناس كلاب أهل النار، معناه أنهم كفرة، هذا الجهل، – لابدّ من الجمع بين النصوص – قلنا أهل أهل السنة لا يأخذ بنص واحد، بل يقول بالجمع بين أطراف الأدلة.. والدليل على مانقول – بعدم كفر الخوارج – أن علياً رضي الله عنه، صلّى على قتلاهم، والدليل على ما نقول، أن أئمة الحديث رووا عن الخوارج، فهذا **" عمران بن حِطان "** شيخ أكبر فرقةٍ ضالةٍ من الخوارج – الأزارقة – ومع ذلك روى له الإمام البخارى في صحيحه،.. ولو كان كافراً، هل يجوز الرواية عن كافر؟ هل تقبل رواية الكافر؟! لا..

---

[134] قال النووي رحمه الله: " المذهب الصحيح المختار الذي قاله الاكثرون والمحققون أن الخوارج **لا يكفرون كسائر أهل البدع** ". (شرح النووي على مسلم ٢/ ٥٠).

[135] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ / ١٧٣) وعبدالرزاق في " المصنف " برقم (١٨٦٥٦).

[136] ورد هذا الحديث، بهذا اللفظ: (ثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والمدمن من الخمر والمنان لما أعطي). أخرجه النسائي في الكبرى (٢٣٤٣) وأحمد (٦١٨٠)). وهو حديث صحيح.

[137] وواضح وجلي، " إذا أتى بشروطها، ولم يرتكب نواقضها "..

فهؤلاء لم ينقضوا أصل الدين بل خالفونا ببعض الأمور التي ظنوا أنها قربة إلى الله من دين الله عزوجل ولم ينقضوا أصل الدين، ولذلك هؤلاء ليسوا كفاراً..

نعم! نعم! يوجد بعض الخوارج الذين يكفرون، لكن على الجملة لا نكفر كل أحد منهم، يعني لما يأتي خارجي وينكر سورة يوسف، فهذا كافر، واضح إخواني؟..

يأتي خارجي ويقتل صحابياً لإسلامه، فهذا كفر.. فلما نقول " الخوارج ليسوا كفاراً "، لا يعني أن كل خارجي ليس كافراً. فهناك من أنتسب إلى الخوارج وهم من الكفار، ولكن كفرقةٍ، لا يسمى أعيانها كفاراً، وإن جاز – كما سيتبين لنا في حكم الطائفة –، أنه يجوز أن يقال " الخوارج كفرة " أو أن نقول: " **عقيدة الخوارج عقيدة الكفر** " لكن هذا لا يستلزم تكفير أعيانهم، وهذا، مجال بحثه مكان آخر..

والخوارج كان عامتهم من الأعراب ولا يوجد صحابي من الخوارج، لا يوجد، لأنه – كما قلنا – الصحابة كانوا متفقين ومجمعين على موضوع الإيمان، فالخوارج ليس واحد منهم من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم. وعامتهم من الأعراب، كانت فيهم غلظة، ولذلك كانوا دائماً شوكة في عنق الأئمة، حتّى جائهم **عمربن عبدالعزيز** رضي الله عنه وعالجهم بالعلم، جمعهم عن طريق المناظرات، قال لهم إذا كنتم أهل حقٍ فنحن أولى منكم بالحق، تعالوا علِّمونا إياه، وإن كنتم على ضلالٍ فتعالوا نبينه لكم، فجاؤوا إليهم وسمح لهم بدخول الأمصار، ليجلسوا عند العلماء ويناقشوهم ويسمعوا منهم، ولذلك رجع كثير منهم..

إخواني! – للذكر – أقول لكم، أن الخواررج أطهر من كثير من أهل البدع الذين جاؤوا بعدهم، والخوارج أطهر بكثير من المعتزلة، والخوارج أطهر بكثير من الشيعة الروافض، لكن لماذا خصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر؟ لأنهم أول بدعةٍ حدثت في الملة، لأن الصحابة كانوا هم الذين تعاملوا معهم، الروافض لم يتعامل معهم الصحابة، فكان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لهم من دلائل نبوته، فليس معنى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج، هم أشد أهل الفرق والضلال، لا، هناك فرق من الضالّين أكثر ضلالةً من الخوارج.. ولورود ذكرهم في الأحاديث، فإن الأنظمة والحكومات،

على مدار التاريخ، استخدمت هذا الإسم - أي الخوارج - من أجل أن يقبِّح صورة كل من يخرج عليهم، فأطلق عليهم " الخوارج " من أجل تنفير الناس عن اللحوق بهم، ولذلك حتّى أُتهم بها كبار أئمة أهل السنة، حتّى **الإمام أحمد** رحمه الله، **والإمام ابن تيمية** رحمه الله و**ابن القيم** رحمه الله أُتُّهِمُوا بأنهم خوارج، ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله في نونيته، إقرؤوا **النونية في المجلد الأول** (فصل في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج)..

فإنتبهوا لهذه المسألة ولاتخافوا تهمة الخوارج!..

فرقة المعتزلة:

الفرقة الثانية التي نحن بسدد الكشف عنها والتعريف بعقائدها، فرقة المعتزلة.

" المعتزلة " هذا اسمٌ كثر الحديث عنه في كتب أهل السنة والجماعة، وكذلك حدث صراع مرير بين أهل السنة والجماعة وبينهم، وهذه الفرقة نشأت تاريخياً للذكر - نحن كما إتفقنا وكما قلنا - أننا لا نطيل في أى فرقة كثيراً، ولكنها نمر عليها، حتّى إذا مرت معنا خلال الدروس القادمة، نعلم منه الصورة الواضحة أو شبه الواضحة منها. " المعتزلة "، ذكر في سبب تسميتها بهذا الإسم، أسباب كثيرة لكن أشهرها - أى المذكور في كتب العلماء - أنه كان هناك رجلٌ يسمى **" واصل بن عطاء "**، هذا واصل بن عطاء الغزال، كان من جلساء الحسن البصرى - من أئمة التابعين الصغار -، فاختلفوا يوماً في مسألة المؤمن، إذا فسق، إذا أصاب معصية كبيرةً، ما حاله؟

أهل السنة والجماعة يقولون هو مسلمٌ ولكن لا يجوز أن يطلق عليه لفظ المؤمن بل يقال له: مسلم أو فاسق مِلِّي، والخوارج كفَّروه، قالوا: إذا أصاب كبيرةً فهو كافر..

واصل بن عطاء قال: " لا مسلم، ولا كافر، ولا مؤمن "! - ما هو؟ - قال: **" هو فاسق "**. هذه، منزلة ما بين إسلام الرجل وما بين كفره، مرتبة الفسق، - قال، وقالت المعتزلة -، هذه المرتبة في الدنيا نعامله معاملة المسلمين، لكن لا يجوز لنا أن نطلق عليه لفظ الإسلام ولا يجوز لنا أن نطلق عليه لفظ

الإيمان، هو فاسق، في الدنيا نعامله معاملة المسلمين، أما في الآخرة مئآله إلى النار، خالداً فيها**!!** **إذن هم** في الدنيا، يفرِّقون في الإسم، ويوحِّدون في العمل مع المسلمين، في الدنيا يفارقون بإطلاق لفظ الفسق على " الفاسق المِلِّي ". - **الفاسق الملي، أي الفاسق المنتسب إلى الإسلام** -.

واصل بن عطاء قال: نسميه الفاسق، فهو - والمعتزلة - وافقوا أهل السنة، في التسمية، ويلتقون مع الخوارج في مصير الشخص الذي إرتكب الكبيرة، ويقولون هو في النار خالداً فيها**!**

إخواني**!** المعتزلة كثر، وطرائقهم ومناهجهم كثيرة، وكل رجلٍ واحد فيهم له مذهب وله طريقة، ولكن تجمعهم " **الأصول الخمسة** ".

ما هي الأصول الخمسة لدى المعتزلة؟ الأصول الخمسة عند المعتزلة - ولا يسمى رجلٌ معتزلياً حتّى تجتمع لديه هذه الأصول -: **أولاً**: التوحيد. [١٣٨] **ثانياً**: منزلة بين المنزلين.

ثالثاً: العدل. **رابعاً**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **خامساً**: إنفاذ الوعد والوعيد.

هذه المبادئ وهذه الأصول، شرحها **قاضي عبدالجبار المعتزلي**، شرحها في كتابه " شرح الأصول الخمسة " وصل إلينا كثيرٌ منه ولكن كثيرٌ منه كذلك مفقود، لم يطبع بعد..، **المعتزلة يقسمون إلى قسمين في الكتب**، - وهذان القسمان ليسا على درجة عالية من الإختلاف، - قسمٌ يسمى " **المعتزلة البغداديون** " وقسم يسمى " **المعتزلة البصريون** "، ما الفرق بينهما؟

المعتزلة قبل الدولة العباسية كانوا بصريين، يعني كانوا يميلون إلى أهل البيت ويرجحون " علي " رضي الله عنه، على بقية الصحابة، يعني فيهم هذه النزعة من التشيع.

لما بنيت بغداد - بناها العباسيون - فصاروا يميلون على عدم تفضيل " علي " **فهذا هو الفارق** ما بين المعتزلة البغداديون والمعتزلة البصريون. إذن هو فارق زمني - كما ترون - و ليس فارقاً مكانياً، فارق

[١٣٨] كما سترون معى الأن، أن هذه الأسماء، سنية شرعية، لكن على أي معان؟ على معانى خاصة لديهم، معانى مُبْتَدَعة وبدعية**!**.

زماني مأبين بناء البغداد وعدم بناءها.. فهو فارق زماني.. نشرح هذه الأصول، وسنتكلم بشيء من التفصيل بعد ذلك عن نفسية المعتزلة – كما تكلمنا عن نفسية الخوارج وحالهم –..

التوحيد عند المعتزلة:

الآن " التوحيد ": ماذا يعني التوحيد عند المعتزلة؟

ماذا يعني عندنا أهل السنة؟ هو إفراد المعبود، يعني أنك لا تعبد إلا الله، فهو إفراد إرادة الإنسان لمعبود. توحيد أرادتك، توحيد قصدك لله تعالي، وتوحيد ماذا؟ طاعتك، هذا هوالتوحيد عندنا " أهل السنة والجماعة " كما سنفصله إن شاء الله..

ماهو التوحيد عند الصوفية؟ أُسُّ التوحيد عند الصوفية **الفقر**.. يقولون التوحيد هو إفراد الغني ونظرتك إلى نفسك كفقير إلى هذا الغني، هذا عند الصوفية على الأغلب، وإن كانت الصوفية عندهم التوحيد – على الصحيح – هو **توحيد الفاعل والمفعول**، الذي سماه العلماء **" وحدة الوجود "**، الذي لا يفرق بين الفاعل والمفعول وبين العبد والرب..

ماهو التوحيد عند المعتزلة؟ هو **" إفراد القديم "!** ماذا يعني هذا؟ عندهم مشكلة وعقدة، المعتزلة. أن القديم واحد وهذا هو التوحيد، فإذا تعدَّد القُدَماء، هذا هو الشرك**!**..

لفظ القديم، – كما تعلمون – لا توجد في القرآن والسنة، إنما الذي في الكتاب والسنة هو **" الأول والآخر "**، الأول الذي لا بداية له، والآخر الذي لا نهاية له.

فالتوحيد عندهم، إفراد القديم عن كل شريك له.. ماهو الذي أدّى بهم إلى هذا؟

ماهو أساس التوحيد عندهم؟

كما سنفصل – إذا قدّر الله لنا – في دروسنا للأسماء والصفات..، **عند المعتزلة: الإسم غير المسمي، والصفة غير الموصوف**، هذا عند المعتزلة، ونحن نعلم أن في الأصل، " الصفة " قائمة في الموصوف،

فلا يتصور صفة بلا موصوف، فهي قأئمة به، لا هي غيره، ولا هي نفسه، هي قأئمة به، لأن الصفة أمر عرضي لا يوجد إلا في شيء له ذات مستقل. **المعتزلة تقول:** الصفة غير الموصوف، بمعنى - إذا أردنا أن نشرحه - نعلم أن الله تعالى من أسماءه: (الرحيم والغفور والعظيم و..) ومن صفاته (الرحمة والمغفرة والعظمة و..)، صفات الله عزوجل - عند المعتزلة - لايجوز أن تكون هي الله، بل هي غير الله، شيءٌ غير الله عزوجل، عندهم **" الصفة غير الموصوف "**، إذن - يقولون - لو قلنا " أن الله له صفات، وهذه الصفات قديمةٌ، لأدَّى هذا إلى تعدُّد القُدماء، وهذا شرك "! فهمتم؟ لأن عندهم الصفة غير الموصوف..

قالوا: هذا هو الشرك، - تعدُّد القدماء -..

و هذا هو الذي أدى بهم إلى نفي الصفات عن الله عز وجل. قالوا: " الله عز وجل لا صفة له "، هذا هو أساس مذهبم. فالتوحيد عندهم هو " إفراد القديم " أي، أن لا يكون إلا واحد فلا ينبغي أن يكون إلا ذات قديم، وهذه الصفات ليست لله، لأنه كذلك لا يجوز أن تلتحق هذه الصفات بالله، لأنها غير قديمة، - أي حادثة -، ولا يجوز على الله الحوادث..

فهذه الصفات ماذا تعني عندهم؟ تعني أن هذه الصفات مملوكة - مخلوقة - لله، مثل (بيت الله)، (دابة الله)، (ناقة الله).. هل الله هو البيت، أو البيت هو الله؟ لا، هذه النسبة - أي نسبة البيت إلى الله - **نسبة الملك والتشريف.** - إذن هؤلاء يقولون -، سمعُ الله، ورحمةُ الله، وكلامُ الله و..، عندنا هكذا، هو نسبة مُلك وتشريفٍ، - أي - أنتسبت السمع إلى الله، لا صفةً له، ولكن ملكاً وتشريفاً له. فلذلك - عندهم - الصفات لا تجوز على الله، لا يجوز عندهم أن يقال " الله السميع " أو " بصير "، - بمعنى أن يكون له سبحانه صفة السمع والبصر، لكن إذا قالوا - مثل هذه الأقوال - فإنما يعنون به أن السمع والبصر مملوك لله ومخلوق له..

فهمتم ما معنى التوحيد عن المعتزلة؟ **هو إفراد القديم عن غيره، أي تجرد الذات عن الصفات**..

من أجل أن لا تلتبس الحقائق في أذهانكم، لا بد أن نبين – مختصراً – ما هي عقيدتنا في هذا الأمر: نحن أهل السنة، عقيدتنا في هذا الأمر، (النسبة إلى الله عزوجل)، نحن نسمع: (سمع الله) و (بصر الله).. و هكذا نسمع: (بيت الله) و (ناقة الله)، (عبد الله) وهكذا.. ما هو الفارق بين هذه وهذه؟ نحن عندنا كلها منسوبة إلى الله، كلها مضاف ومضاف إليه. منصوبة إلى الله. فكيف نفرق بين ما هو صفة، وبين ما هو مملوك ونُسِبَ إلى االله نسبة مُلك؟ ولماذا خُصَّ بهذا؟

إعلم أن ما أضافة الله تعالى إلى نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العين القأئمة بنفسها، وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق كقوله تعالي: (**و سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه**) [139]، وقوله تعالي: (**إن أرضي واسعة**). [140]

وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه، كقوله تعالي) **وطهِّر بيتي للطائفين**) [141]، وكقوله تعالى (**ناقة الله وسقياها**) [142]، وهذا القسم مخلوق..

الثاني: أن يكون شيئاً مضافاً إلى عين مخلوقه يقوم بها، مثاله قوله تعالي: (**و روح منه**). [143]

فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفاً؛ فهي روح من الأرواح التي خلقها الله، وليست جزءً أو روحاً من الله؛ إذ أن هذه الروح حلت في عيسى عليه السلام، وهو عين منفصلة عن الله، وهذا القسم مخلوق أيضاً..

[139] الجاثية١٣.

[140] العنكبوت: ٥٦.

[141] الحج: ٢٦.

[142] الشمس: ١٣.

[143] النساء (١٧١).

الثالث: أن يكون وصفاً غير مضاف إلى عين مخلوقه، مثال ذلك قوله تعالى: (**إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**)، [١٤٤] فالكلام أضيف إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فإذا أضاف الله لنفسه صفة، فهذه الصفة غير مخلوقة، وبهذا يتبين أن هذه الاقسام الثلاثة: قسمان منها مخلوقان، وقسم غير مخلوق. فالأعيان القائمة بنفسها، والمتصل بهذه الأعيان، مخلوقة، والوصف الذي لم يذكر له عين يقوم بها، غير مخلوق؛ لأنه يكون من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقه..

إذن، إذا كان المضاف يستقل بوجوده عن المضاف إليه، فحينئذٍ النسبة إليه، نسبة ملك، وإذا كان المضاف لا يستقل بوجوده عن المضاف إليه، فالنسبة نسبة صفة، واضح؟

فهنا، السمع، صفةٌ لله، والبصر صفة لله، واليد صفة لله، والقدرة صفة لله عزوجل، لأنها لا تستقل بنفسه عن الله عزوجل. لكن إذا كان المضاف يستقل بوجوده ممكن تصوره، مثلاً، يمكن تصور بيت وحده، بيت خالد، خالد في مكان والبيت في مكان آخر، يستقل بوجوده عن خالد، فإذا هذا نسبة ملك..

إذن هكذا نتفرق بين نسبة الصفة ونسبة الملك والخلق.. والتفريق واضح.

والمعتزلة لا يفرقون بينهما، **الكل عندهم نسبة ملك،** - عندهم - السمع مملوك وليس صفة لله، والبصر مملوك وليس صفة لله، وهكذا..

والصوفية عندهم، كلها، نسبة صفة، يعني الكل عندهم، هو الله، أي " **وحدة الوجود** "، فعندهم، بيت الله، هو الله، وهو صفة من صفات الله وجزءٌ من الله، وهكذا الدابة والبيت والناقة و.. لأن عندهم لا فرق بين البيت المخلوق وبين الله الخالق.. فالكل واحد - العياذ بالله -..

نرجع إلى معنى التوحيد عند المعتزلة..

---

[١٤٤] الاعراف: ١٤٤.

فالتوحيد عندهم هو " **إفراد القديم** " الذي يستلزم عندهم تعطيل الذات عن الصفات، هذه القضية من أين جاءتهم؟.. بعض أهل السنة يقول – ويقول بعض كتب الملل والنحل – أن سبب ورود هذه الشبهة عليهم، هي شبهة النصاري..

نحن نقول – كما في كتابنا – " أن عيسى هو روح الله وكلمته ". " عيسى كلمة الله ".. نحن لابدّ الآن لو قلنا " كلمة الله ".. كلام الله ما هي؟ هي صفة الله.. لكن ها هنا، (عيسى كلمة الله)، هل يجوز أن نقول " عيسى صفة الله، لأن الكلمة هي صفة من صفات الله "؟ القرآن كلام الله، صفة من صفات الله..

فجاء النصارى وقالوا " أنتم تقولون " عيسى كلمة الله " وكلمة الله صفة من صفاته، إذن عيسى هو صفةٌ من صفات الله، إذن هو إله، إذن نحن على الحق فيما نقول بإلهية عيسي.. "!

قال كتب الملل – المعتزلة – لم يفهموا ولم يدركوا كيف يردوا على هذه الشبهة، فاضطروا أن يعاكسوهم في القضية، وقالوا " كلمة الله المخلوقة "، لأن عيسى كلمة الله، وكلمة الله مخلوقة، إذن عيسى مخلوق، إذن كلمة الله مخلوق، إذن القرآن مخلوق..! فهمتم هذه القضية كيف جاءت؟ ما هو الرد عليهم؟

الرد عليهم – مختصراً – أن، عيسى عليه السلام، ليس هو ذات الكلمة..، كلام الله تعالى إما أن يكون تشريعاً، فيه الأخبار والأوامر كالقرآن، وكلمته كذلك أوامره التكوينية..

أما أوامره التشريعية، كقوله لك: صلِّي، زكي، حج، " **يا أيها الذين آمنوا توبوا..** " هذه الكلمة، التشريعية، وأما أوامره التكوينية، كأن يقول لشيء كن، فيكون، أي الله تعالى يخلق الخلق بكلمته التكوينية، هل الخلق هو ذات الكلمة؟ بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قال لعيسي: " يا عيسى كن " كما قال لآدم " كن "؛ هل هو – أي عيسى – لفظ كن. أو هو مقتضى الكلمة التي قالها الله عزوجل؟ هو مقتضى الكلمة، وليس هو ذات الكلمة، فهمتم؟ إذن أطلق الله تعالى على عيسى عليه السلام كلمة؛ لأنه خلق بالكلمة عليه السلام، والآية ليس على ظاهره؛ إذ عيسى عليه السلام ليس كلمة؛ لأنه يأكل

ويشرب وتجرى عليه جميع الأحوال البشرية، قال الله تعالي: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾. [145]

وعيسى عليه السلام ليس كلمة الله؛ إذ إن كلام الله وصف قائم به، لا بائن منه، أما عيسي، فهو ذات بائنة عن الله سبحانه –، يذهب ويجيء، ويأكل الطعام ويشرب..

هذا هو الرد على هؤلاء الجهلاء.. و هذا هو التوحيد عند المعتزلة..

" العدل " عند المعتزلة:

الآن نأتي إلى الأصل الثاني عندهم، وهو " **العدل** ".

العدل معناه، هنا عندهم، **مذهب القَدَر**، العدل عندهم مذهب القدر.

نحن – أهل السنة – مراتب القدر عندنا ما هي؟ هي أربع مراتب، [146] **المرتبة الأولى** للقدر هي " **العلم** "، علم الله الأزلي السابق لما سيكون، عَلِمه سبحانه وتعالى فكتبه، إذن **المرتبة الثانية**: " **الكتابة** ". علمه، فكتبه، فأراده وخلقه.. إذن: **ثالثاً**: الإرادة. **ورابعاً**: **الخلق**. أيُّ عملٍ في الدنيا يمر في هذه الأربع مراحل بالنسبة إلى الله عزوجل. بالنسبة لله عزوجل، أول شيءٍ العلم. ثانياً: الكتابة.. وعلمه أزلي، لا أول له **حيث كان ذاته كانت صفاته**، والقول في الذات كالقول في الصفات، والقول في الصفات كالقول في الذات. فلما كان ذاته أزلية، فعلمه أيضاً أزلي، سبحانه وتعالي.

---

[145] آل عمران: ٥٩.

[146] للمزيد من التفصيل في هذا الموضوع راجع كتاب " **معارج القبول** " للشيخ حافظ الحكمى رحمه الله.

وكذلك، علمه سبحانه وتعالى مطلق، علمه غير محدود[١٤٧] ومطلق وأزلي. عَلِمَه ثم كتبه، كتب في اللوح المحفوظ، (**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**)، [الحج: ٧٠]، فكتب، ثم إذا جاء وقت حدوث الفعل التي علمه الله، أراده ثم خلقه، والخلق لا يقع إلا بإرادة. والإرادة هنا هي إرادة الخلق.. هكذا – مختصراً – نفهم أنه، **لا يحدث شيءٌ قدريٌ إلا بهذه المراتب..**

أوائل القدرية، هم الذين نفوا هذه المراتب الأربعة، بالنسبة إلى حدَث الحيوان، صاحب الإرادة الذي هو الإنسان وغيره من أصحاب الأرادات كالحيوان وغيرها الذي فيه الحياة، فكما جاء في الحديث، " جاؤوا إلى **ابن عمر** رضي الله عنهما وقالوا: جئناك من عند قومٍ يقولون أن الله لا يعلم شيئاً قبل وقوعه. والأمر أنفٌ.. " [١٤٨]، فنفوا علم الله بحدوث شيءٍ من أصحاب الأرادات، فنفوا الكتابة

---

[١٤٧] يقول الشيخ المؤلف حفظه الله: إخواني! أضرب لكم مثالاً، يضربه أصحاب العلم الفيزياء، أن " **ما لا نهاية** "، لا قانون فيه. الأن نتصور مستطيلاً، هذا المستطيل، في القانون الفيزياء العلمي، لا يكون شيءٌ مستطيلاً حتّى يكون طوله أكبر من عرضه، لو أن هذا المستطيل – يقول الفيزيائيون – تصاغر، ثم صغرناه، ثم صغرناه..إلى درجة يمكن تصورها، هو مستطيل، يعني طوله أكبر من عرضه، – قالوا – لكن إذا صغرنا هذا المستطيل إلى ما لا نهاية، يتلاشي هذا القانون – لأنه لا يتصور " ما لا نهاية " أكبر من " ما لا نهاية "، حتّى نقول طوله أكبر من عرضه، – **إذا، يتلاشي هذا القانون –في " ما لا نهاية "** – ولا يوجد حينئذ مستطيل. وكذلك إذا كَبُرَ إلى ما لا نهاية له، لو أن هذا المستطيل كبَّرناه، كبَّرناه إلى ما لا نهاية، يتلاشي هذا القانون..**فالقانون الفيزيائي، الذي نتعامل به، يتعامل مع المحدود**، وليس مع ما لا نهاية له..، والله عزوجل – دائماً – ما لا نهاية، لأنه مطلق، قدرته ما لا نهاية، فلذلك فكيف نتعامل معه بهذا القانون الفيزيائي، هو الذي خلقه فهل يخلق أحد شيئاً من أجل أن يجبره – أي يجبر الخلقُ الخالقَ –؟ فهل يخلق الله قانوناً، ليكون هذا القانون حاكماً على الله؟ حاشاه، وهو سبحانه خلقه، ولم يَخْلُق كخلقك، ممكن أنک تخلق روبوتاً، ويخرج عن أرادتک، – كما يصَوَّر في بعض الأفلام، صنعوا آلة، ثم خرجت عن قدرتهم..لكن الله عزوجل إذا أخرج قانوناً، لا يخرج عن قدرته، حاشا وكلا، قدرته فوق ما نتصور، فوق ما لا نهاية، فحديثنا الأن حديث عن **ما لا نهاية**، حديث عن الله عزوجل،..

[١٤٨] الحديث رواه الإمام مسلم في أول حديث من كتابه في كتاب الإيمان من صحيحه عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة، **معبد الجهني**، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو

قطعاً لأنه علمه، ونفوا أرادته ونفوا خلقه..، فلذلك عندهم أن أيّ إنسان، أو أيّ حيوان يعمل عملاً، فإن الله لايعلم هذا العمل، لم يشأه ولم يخلقه ولم يكتبه،. هؤلاء القدرية الأوائل، أصحاب مذهب القدري الأوائل، هؤلاء، أهل السنة كفَّروهم، لأنهم نفوا العلم عن الله، والعلم لا يمكن تصور الذات بغيره، وإلّا أن تَصَوَّر إلهاً جاهلاً [149]..

بعد ذلك جاء المعتزلة فأثبتوا العلم ولكنهم نفوا الكتابة، قالوا علمه ولكن لم يكتُبه! لأنّ الكتابة عندهم سائقةٌ، تسوقك للفعل، ونفوا الإرادة، ونفوا الخلق. فقالوا – كما تعلمون –: " **أن الإنسان وأن الحيوان يخلق أفعاله** ".

و هذا، هو الذي سمى في مذهب أهل السنة والجماعة، بمذهب القدر..

وهذا هو العدل عند المعتزلة، لماذا سموه عدلاً؟ لأنهم لم يتصوروا الإرادة، ولا الكتابة ولا الخلق إلا على معنى **السَّوق، لا على معنى السَّبق.**

فقالوا إذا علم الله أن شخصاً من الناس، سيزني، فكتبه عليه، ثم أراد أن يُحْدُث هذا الأمر من الإنسان ثم خلقه فيه، فهذا يتم على أن الله هو الفاعل، ليس الإنسان، فهل من عدل الله بعد ذلك أن يعاقبه؟ هل من عدل الله بعد ذلك أن يعاقب هذا الإنسان الفاعل لهذا الفعل؟ هل من عدله، ليس من عدله؟..

لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد،..فقلت: أبا عبدالحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرئون القران ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف، قال – أي ابن عمر –: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم برآءُ مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتّى يؤمن بالقدر، قال: حدثنى أبي عمر بن الخطاب: قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ.. " الحديث.

[149] قال ابن رجب الجنبلى في جامع العلوم والحكم ص٣٣: " و أما من أنكر العلم القديم – من القدرية – فنص **الشافعي وأحمد** على تكفيره وكذلك غيرهم من أئمة الإسلام ".

فهمتم القضية عندهم؟ إذا مِن العدل – في تصورهم – أن تنفي كتابة الله لهذا الفعل وأن تنفي إرادة الله لهذا الفعل وأن تنفي خلق الله لهذا الفعل، فهذا هو العدل، حتّى يستحق الإنسان أن يعاقب على فعله، فلذلك قالوا الإنسان يخلق أفعاله..

سمُّوا القدرية، وهم ينفون القدَر، الغريب هم جاؤوا، مثل **الزمخشري،** قال: هؤلاء الجماعة، **الحشوية** – ويعني بالحشوية أهل السنة والجماعة – قال: الحشوية يسموننا القدرية، ونحن ننفي قدر الله، فكيف يسموننا القدرية؟ "..

يعني، واحد يسمى الخوارج، لأنه خرج، واحد يسمى معتزلى لأنه اعتزل، واحد نفي القدر، فكيف نسميه القدري؟!..

أهل السنة قالوا: هؤلاء نفوا القدر عن الله، ولكن أثبتوه لأنفسهم – أي قالوا: الإنسان هو خالق أفعاله – ولهذا، سموا قدرية، لأنهم نسبوه لأنفسهم..

السؤال: كيف نرد عليهم؟

المعتزلة لم يتصوروا لله إلا إرادة واحدة، وهي الإرادة الشرعية، وأما الإرادة الكونية وهي القدر، فلم يقولوا بها.. [١٥٠]

[١٥٠] **سبب الضلال عند القدرية والجبرية في باب القدر**: إعلم أن القدرية والجبرية كانوا أخوين يمشيان في طريق واحد، وعندهم قاعدة قد أصَّلوها واعتمدوها، وهي **أن كل شيء يشاءه الله فهو يحبه،** فالمشيئة عندهم مرادفة للمحبة، إلى هنا وهم متفقون، لكن لما نظروا إلى الأشياء الموجودة في الكون وجدوا فيها الكفر والشرك والبدعة والزنا وشرب الخمور وعقوق الوالدين والسرقة ونحو ذلك من الآثام،. **فقالت الجبرية**: بما أن هذه الأشياء قد شاءها الله وأوجدها فهو يحبها ونحن مجبورون على فعلها، فترى الواحد منهم يقارف الذنب ويرى أنه يفعل عين ما يحبه الله تعالى؛ لأن الله شاءه وكل شيء يشاءه فهو يحبه.. **أما القدرية**: فإنهم لما نظروا إلى نتيجة هذه القاعدة وقفوا متحيرين وتعاظموا أن يقولوا أن الله يحب الكفر والزنا واللواط والخمر ونحو ذلك؛ لأن وجودها في الكون دليل المشيئة لها والمشيئة عندهم مرادفة للمحبة، **فقالوا**: لا حلَّ عندنا إلا أن نقول أن العبد هو الذي يخلق هذه الأفعال وأن الله تعالى لم يشأها منه ولا أرادها أن تقع في الكون، لكن العبد هو الذي أوجدها بنفسه استقلالاً – أي هو خالق أفعاله – وهم بذلك قد وقعوا في شر مما

فروا منه، فأنت ترى أن سبب ضلال هاتين الفريقتين هو أنهم جعلوا مشيئة الله وأرادته شيئاً واحداً لا ينقسم وأنها مرادفة للمحبة ولهذا لزم عليهم هذه اللوازم الباطلة..

فالجبرية والقدرية اتفقوا في الأصل والقاعدة، واختلفوا لما ظهرت نتائجها، فالجبرية رضيت لها، وأما القدرية فرفضت هذه النتيجة لكن القدرية لم يتجرءوا على تغيير هذه القاعدة واستطاعوا تحريف كلام الله وكلام رسوله ليتوافق مع أهوائهم ومذاهبهم، فنعوذ بالله من أسباب الضلال، ونسأله جل وعلا أن يهدينا رشدنا.

أما أهل السنة والجماعة: عندهم أن إرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين: **الأول**: الإرادة الكونية القدرية. هي مرادفة للمشيئة وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات والمعاصى كلها داخلة تحت هذه الإرادة، قال تعالى: (**و إذا أراد الله بقومٍ سوءا فلا مرد له**) الرعد١١، وقال تعالى: (**ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون**) هود٣٤. وقال تعالى: (**فمن يرد الله أن يهده يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء**) الأنعام١٢٥و..**الثاني**: **الإرادة الشرعية** الأمرية **الدينية**، وهي مرادفة للمحبة، وتتضمن ما يحبه الله ويرضاه. قال تعالى: (**يريد الله بكم أليسر ولا يريد بكم العسر**) البقرة١٨٥، وقال تعالى: (**والله يريد أن يتوب عليكم**) النساء ٢٧و..

..فهذا من ناحية التقسيم والتدليل، وأما من ناحية التفريق بين الأرادتين فاعلم أن أهل العلم قد فرقوا بينهما بثلاثة فروق:

الفرق الأول: أن الإرادة الكونية لا يستلزم المحبة، وأما الإرادة الشرعية فإنها تستلزم المحبة، أي أنها ليس كل شيء يخلقه الله كوناً يلزم أن يكون محبوباً له، وهذا فيه رد لقاعدة الجبرية والقدرية، وهي قولهم: كل شيء يشاؤه فهو يحبه، وهذا الكلام ليس له مطلق الصحة، وأما الإرادة الشرعية فإن كل شيءٍ أمر الله به شرعاً فإنه يحبه ويرضاه، **فالكونية لا تستلزم المحبة، والشرعية تستلزم المحبة.**

الفرق الثاني: الإرادة الكونية لابدّ أن تقع، أي أن كل شيء أراده الله كوناً فإنه لابدّ أن يقع لا يدفعه شيء أبداً فالإرادة الكونية لازمة الوقوع، وأما الإرادة الشرعية فإنها قد تقع وقد لا تقع، أي قديريد الله أشياء شرعاً لكنها لا تقع كوناً، فالله يريد شرعاً من الناس الإسلام والهداية، لكن هذا لم يقع لأن أكثر الناس في كفرٍ وضلال.

الفرق الثالث: أن الإرادة الكونية مرادة لغيرها لا لذاتها، وأما الإرادة الشرعية فإنها مرادة لذاتها، فالكفر الواقع مراد لغيره لا لذاته، والمعاصى الواقعة مرادة لغيرها لا لذاتها، وأما الإيمان فإنه مراد لذاته وكذلك الصلاة والزكاة وسائر الطاعات، فإنها مرادة لذاتها.

وقد تجتمع الأرادتان: فكل شيءٍ وقع في الكون وهو مما يحبه الله ويرضاه، فإنه مما اجتمع فيه الأرادتان، مثل إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهكذا في إيمان من قد آمن من الثقلين، فهو كوني لأنه وقع – فعلاً – في الكون، وشرعي لأن الله يحبه ويرضاه.

و تنفرد الإرادة الكونية في الأشياء التي وقعت في الكون وهي ما لا يحبه الله ويرضاه، ككفر أبي جهل، وأبي لهب، بل وكفر من كفر من الثقلين ويدخل في ذلك سائر الذنوب والمعاصى التي وقعت في الكون، فإنها من قبيل الإرادة الكونية فقط، لأنها مما لا يحبه الله ويرضاه.

وتنفرد الإرادة الشرعية في الأشياء التي يحبها الله ويرضاها لكنها لم تقع في الكون، فهي شرعية فقط، لكن ليست بكونية لأنها ما وقعت، والإرادة الكونية لازمة الوقوع، – ومثال ما انفرد فيه الإرادة الشرعية فقط – كإيمان أبي جهل وسجود إبليس لآدم ونحو ذلك، فكل ذلك مما يحبه الله فهو إرادة شرعية لكنه لم يقع فأبوجهل لم يؤمن و..

اعلم أن الجبرية –وهم الجهمية نفاة الصفات، لكن في باب القدر نطلق عليهم الجبرية – هؤلاء يقولون إن كل شيء لا يقع إلا بقضاء الله وقدره، – وهذا قول صحيح لا غبار عليه – ولكن ياليتهم وقفوا عند هذا، بل غلوا في إثبات القدر حتّى قالوا: وليس للعبد قدرة ولا إختيار على فعله، بل هو كالريشة في مهب الريح، وكالميت بين يدى غاسله ولا يملك مطلق القدرة ولا مطلق الإختيار..، فأنت ترى أن قولهم في باب القدر فيه حق وباطل، فالحق هو إثباتهم للقدر السابق، والباطل سلبهم العبد قدرته وإختياره.

واعلم أن القدرية – في هذا الباب – قولهم: أن العبد له مشيئة وقدرة وإختيار على فعله، فليس هو مجبور عليه، بل يفعل فعله بقدرته وإختياره، – وهذا القدر من قولهم حق لا غبار عليه – ولكن ياليتهم وقفوا عند ذلك، بل زادوا عليه قولهم " والعبد هو الذي يخلق فعله ولا رابطة بين مشيئته ومشيئة الله جل وعلاه "، فجعلوه هو الذي يختار ويشاء فعله، الإختيار المطلق والمشيئة المطلقة، فعندهم قد يشاء العبد ويفعله، ما لا يشاؤه الله جل وعلا، فليس هناك **مطلق الرابطة** بين مشيئة الله عزوجل ومشيئة العبد، وقد انقسموا فريقين: ١ – **القدرية الغلاة**: وهم الذين ينكرون سبق العلم والكتابة، ويقولون إن الأمر أنف، لا يعلمه الله تعالى إلا بعد وقوعه من العبد، وهي الفرقة التي كفّرها من عاصرها من الصحابة كابن عمر وغيره، وكفّرها أيضاً أئمة السلف..

٢ – **القدرية المتأخرون**: وهؤلاء هم أكثر القدرية في هذه الأزمنة، ويقولون: قدعلم الله ما سيفعله العبد لكن العبد هو الذي يوجد فعله استقلالاً، فلا ينسب الفعل إلى الله خلقاً ولا إيجاداً، هذه هي خلاصة أقوال الفرق في مسألة القدر.

..فجاء أهل السنة والجماعة، الذين عندهم الحق في هذه المسألة – وكل المسائل – ذلك الحق الذي، أخذ الجبرية والقدرية قسطاً منه فخلطوه بالباطل،.. **فقال أهل السنة والجماعة**: كل شيء بقضاء الله وقدره، فالله تعالى قدر المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ – كما ورد هذا في الصحيح عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم –وشاءه بمشيئته النافذة وقدرته الشاملة وخلق كل شيء فقدره تقديراً، وجعل للعباد قدرة على أفعالهم ومشيئةً، وهو الخالق لقدرتهم وأرادتهم ومشيئتهم، فلا يشاؤون إلا ما يشاء الله، وأن العباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم وأن العبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلِّي والمزكِّي والصائم. وبالجملة فأفعال العباد تنسب إلى الله تعالى خلقاً وإيجاداً، وتنسب إلى العبد فعلاً وكسباً. – وليس هذا، الكسب الذي، عند الأشاعرة الذي يأتي ذكره في الصفحات التالية –. فأهل السنة، بهذا القول حققوا مذهب الوسطية كعادتهم وأخذوا بالأدلة كلها ولم يدعوا منها شيئاً ولم يخالفوا بهذا القول نصاً صحيحاً صريحاً. بل جاء قولهم موافقاً مع الحق (الكتاب والسنة).

سوال: هل العبد مسير أم مخير؟ الجواب لهذا السؤال، يختلف باختلاف الاقوال في باب القدر، **فالجبرية** الذين يسلبون العبد قدرته وإختياره، يقولون: إن العبد مسير – مجبور – مطلقاً، لا حيلة له في فعله ولا ينسب فعله إليه إلا مجازاً. وهذا القول خطأ؛ لأنه بني أصلاً على الخطأ، **وما بني على الضلال فهو ضلال**..وأما **القدرية** الذين يثبتون للعبد القدرة الكاملة والمشيئة المستقلة فإنهم يقولون: العبد مخير مطلقاً، وهذا القول خطأ أيضاً؛ لأنه مبني على خطأ، **وأما أهل السنة والجماعة،** فلأنهم يقولون بإثبات القدر السابق وبإثبات قدرة العبد ومشيئته فقد قالوا هنا: إن العبد مسير ومخير، لكن بإعتبارين، فهو مسير باعتبار ما كتب وقدر له وسبق به العلم في الأزل، ومخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته وإختياره، أي أننا إذا نظرنا إلى ما سبق وقدر وفرغ من كتابته قلنا: هو مسير، وإذا نظرنا إلى دخول الفعل تحت قدرته وإختياره، قلنا: هو مخير، فاجتمع فيه التسيير والتخيير – باعتبارين –.

ونضرب لكم مثلاً: لو أن إنساناً سلك طريقاً من الطرق ثم جاءه مساران إما يمين وإما شمال فهو مخير باعتبار أنه إن أراد أن يذهب يميناً فله ذلك، وإن أراد أن يذهب شمالاً فله ذلك، فهذا الفعل داخل تحت إختياره، فهو بهذا الإعتبار مخير، لكن أعلم أنه لن يذهب إلا إلى الجهة التي قدرها الله له وسبق بها علمه وكتابته فهو بهذا الإعتبار مسير..

لو أن إنساناً خير بين سيارتين لشراء واحدة منهما، فهو مخير إن شاء اشترى هذه السيارة وإن شاء اشترى الأخري، فهذا الفعل أي شراء أحدى السيارتين فعل داخل تحت قدرته وإختياره، فهو بهذا الاعتبار مخير، ولكن اعلم أنه لن يشتري إلا السيارة التي كتبت له وقدرت له، وسبق بها علم الله تعالى وشاءها له، وهو بهذا الإعتبار مسير.

..وقس على ذلك سائر الأمور. فأهل السنة بهذا الطريق، قدسلكوا مسلك الوسطية، كعادتهم في كل الأمور. كما **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: " فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرقة الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.. وفي باب أسماء الإيمان والدين

.. هم تصوّروا أن إثبات الخلق يقتضي الجبر، وتصوروا إرادة الله بالفعل وخلق الله الإرادة التي يتم بها الفعل في الإنسان، تصوروا هذا، بأن يكون الإنسان مجبوراً، إذن المعتزلة – أو القدرية – كانوا بهذه المذاهب، يردون على مذهب الجبرية، ولكن هم أنفسهم ضلوا وحادوا عن الطريق المستقيم.. وأهل السنة – كما تقدم – ليس هؤلاء ولا هؤلاء، والرد عليهم طويل، ولي موقفٌ طويلٌ معكم في قضية توحيد القدر – إن قدر الله – فنؤجل هذا الموضوع، ل موضعه إن شاء الله..

– **للذكر** –: كنت أتمنَّى أن نكون نحن معتزلة ولا نكون على ما نحن عليه – مع الإعتذار –، يعني كنت أتمنى أن نكون معتزلةً ولا نكون جبرية ولا مرجئة ولا صوفية، نحن – المسلمون – الآن جبرية مرجئة صوفيةٌ!، لو خُيرتم، بين أن تكونوا قدرية وبين أن تكونوا جبرياً، الأفضل أن تكونوا قدرياً، – ستكتشفون! –، ولو خُيرتم بين أن تكونوا معتزلة أو تكونوا أشاعرة، فالأفضل لكم أن تكونوا معتزلة، سنتبين هذا، لكن هُزم المعتزلة، وانهزمنا بعد ذلك، أي انهزم مذهب أهل السنة أمام الجبر والإرجاء، هزمنا المعتزلة لأسباب سأذكرها، وهزمونا أهل الإرجاء والجبر لأسباب..

هذا مدار بحث طويل، أتمنى أن أتفرغ لكتابته..

و أهل السنة، ظلموا المعتزلة، لما أحسنوا إلى الأشاعرة، والحقيقة، كان سوء المعتزلة أقل من سوء الأشاعرة، مع أن كلتيهما بدعيتين ويجب أن نحاربهم ونَرُدَّ عليهم ونبين ضلالهم..

أذكر لكم لطيفةً، كيف أهل السنة مرات، أفحموا المعتزلة عن طريق أمورٍ بسيطة جداً. وقف[151] أعرابي على حلقة فيها **عمروبن عبيد** – أحد أئمة المعتزلة – فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها علي، – وكان عمروبن عبيد زاهداً وعليه أمارة الصلاح وكان عابداً، وكان لا يترك قيام

بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج ". **[العقيدة الواسطية ص١٥]**.

[151] ذكر هذه القصة، ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٧. ط. وزارة الشؤون الإسلامية، والاوقاف والدعوة والارشاد بالسعودية. تحقيق: أحمد شاكر.

الليل[152] – فقال عمروبن عبيد: " اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته، "[153] فسُرِقَتْ، فارددها عليه! فقال الأعرأبي: لا حاجة لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخاف – كما أراد أن لا يسرق فسرقت – أن يريد ردها فلا ترد!!..

إذن هذا هو العدل عند المعتزلة، **العدل عندهم هو عدم إثبات كتابة الله ولا أرادته ولا خلق الله عزوجل**، وانما الإنسان هو الذي يريد. أرادته مستقلة، مافيه إرادة لله عزوجل، والإنسان هو الذي يخلق أفعاله و..

منزلة بين المنزلتين:

[152] يقول الشيخ المؤلف حفظه الله: " أغلب أئمة المعتزلة كانوا زهاداً، وكانوا محاربين أشداء بالكلمة، كانوا أصحاب الكلمة، وكانوا لا يحابون في كلمة الحق. بخلاف أصحاب التنوير الأن مثل " **محمد عمارة** " وكذلك " **راشد الغنوشي** " و أمثال هؤلاء، الذين، لما يقرءون مذهب المعتزلة، يرون فيه كما ترون، **تحرير الإنسان**، بدل أن تنسب الإرادة لله، تنسبها لل إنسان، هؤلاء الذين لم يعرفوا مذهب أهل السنة والجماعة على الحقيقة، ورأوا مذهب الجبرية والمرجئة، في الكتب التي يقال عنها، هذه الكتب تحتوى آراء أهل السنة والجماعة، وهي في الحقيقة على مذهب الأشاعرة وليست على مذهب أهل السنة والجماعة، إذن قرأوا كتب أهل السنة المزعومة ورأوا أن الإنسان لا قيمة له فيها، حتّى لم يثبت له إرادة، وإذا أثبتوا له إرادة – كما عند الأشاعرة – لا يثبت لها الفاعلية – كما عند الأشاعرة فيما يسمى عندهم **كسباً**، فلما رأوا هذا، قالوا فالأفضل المعتزلة..

فهؤلاء، أصحاب التنوير المعاصرين لم يعرفوا أهل السنة والجماعة على الحقيقة، ويميلون إلى مذهب الإعتزال، لأن فيها تعظيم لل إنسان، وفيها تحرير لل إنسان ولذلك نرى هؤلاء، يقولون هذه الكلمات الضالة التي يقولونها، هم أشباه المعتزلة، ولكن مع هذا لا نرى فيهم ما كان عليه أئمة المعتزلة الأوائل من الصدع بالحق والزهد والعبادة وغيرها من الصفات الحسنة التي كانت فيهم... المقصد أن هؤلاء المدَّعين للتنوير والعقلأنية لم يفهموا المعتزلة على الحقيقة –كما لم يفهموا ولم يعرفوا أهل السنة والجماعة.

[153] مذهب عمرو بن عبيد والمعتزلة: " من حيث أن سرقة الناقة معصية، إذن – على مذهبه – أنها لم تقع بإرادة الله، بل وقعت بإرادة السارق فقط، أي غلب إرادة السارق على إرادة الله – العياذ بالله – ".

الآن نأتي إلى الأصل الثالث عند المعتزلة وهو: " منزلة بين المنزلتين ".. ماذا تعني هذه الكلمة؟ هذه شرحناها في المقدمة. – عندهم – إذا مسلم زنىٰ، فما هو؟ فاسق. هل هو مسلم؟ لا. هل هو كافر؟ لا. منزلة بين المنزلتين..

كما ترون، أن المعتزلة لم يهتدوا إلى مذهب أهل السنة في هذه المسألة، ولم يرتضوا مذهب الخوارج، فحأولوا أن يجعلوا لهم وسطاً في هذه المسألة..

إنفاذ الوعد والوعيد:

نأتي إلى **الأصل الرابع** عندهم وهو " **إنفاذ الوعد والوعيد** ". تبعاً لمنزلة بين المنزلتين..

عندنا – أهل السنة والجماعة، إذا زنىٰ مسلم معتصم بإيمانه ولم ينتقض إيمانه بكفر، هل هو معرَّض لرحمة الله؟ ممكن أن تكون له من الطاعات ما تكفِّر عنه هذه المعصية؟ ممكن أن يقع في بعض المصائب والشدائد، فتذهب عنه إثم هذا الذنب؟ ممكن؟ نعم.. ممكن أن تستغرقة رحمة الله، في النهاية، لأنه مسلم، أما الكافر فلا، بل له عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة وليس هو معرَّض لرحمة الله لخروجه من النار، لكن الكفار على مراتب في جهنم – كما تعلمون.. و أقل الكافرين عذاباً – كما جاء في الحديث – هو حال أبي طالب، عم النبي صلى الله عليه وسلم، " **أنه في ضحضاحٍ من نارٍ** " [154]. فالنار فيها مراتب..

إذن العاصي عندنا، معرَّض لرحمة الله، ويمكن أن لا يقع الوعيد عليه، لكن لأسباب، – ليس أمراً غير مفهوماً –، يعني **لَمَّا** قال الله تعالى – على سبيل المثال: " **إن الذين يأكلون أموال إليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** " [155] هذا وعيد، ويمكن أن " أكل لأموال إليتامى " يغفَر له، أن يتوب، ممكن كذا وكذا و..

---

[154] متفق عليه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هو في ضحضاحٍ من نارٍ ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ". (بخارى بخارى ٣٥٩٤، مسلم٣٠٨)..

[155] النساء (١٠).

إذن، إنفاذ الوعيد عندنا – إنفاذ، ها! –، قديقع وقد لا يقع، لأسباب. هل الوعيد عندنا حقٌ، يعني هذا الكلام الذي قاله الله " أنه من عمل كذا فله كذا "، هذا الكلام، هل يقوله للتهديد فقط، ولا معنى له؟ كما تقول الجبرية؟؟ الجبرية يقولون، أن هذا الوعيد ليس له معني، إلا معنى التهديد على المؤمن! فقط معنى التهديد فقط، يعني في النتيجة كأنهم يكذِّبون الله عزوجل..، هذا نتيجة الأمر عند الجبرية، ومنهم الأشاعرة..

إذن الوعيد عندنا حقٌ، – لا للتهديد فقط –، فيمكن أن يقع، أو لايقع لأسباب..

إذن الوعيد قد لا يقع عندنا، لكن الوعد يقع. إذا قال الله " من فعل كذا من الطاعات، فله كذا "، هذا يقع، إلا أن يكفر هو، فإذا كفر أحبط عمله،..

فإذن عندنا، **الوعيد حق**، ولكن قد لا ينفذ لأسباب، ذكرها الشارع..

المعتزلة قالوا: لا، الله يقول فلان يدخل النار، وأنتم تقولون لا يدخل النار، هذه القضية ليست معقولة لدينا، بل الذي قال الله عنه أنه يدخل النار، أنه يدخل النار أبد الآباد..

هذا الذي يتوافق عندهم مع (منزلة بين المنزلتين) في الآخرة، أن صاحب المعصية، سيدخل النار – عندهم – بسبب المعصية التي لم يتب عنها قبل الممات توبةً صحيحاً، فعندهم يدخل النار ولا يخرج منها ابداً.. فعندهم يجب إنفاذ الوعد والوعيد..

لَمَّا جادل **" عمروبن عبيد "**، **" أبا عمروبن العلاء "** رحمه الله، فقال له: يا أبا عمرو! هل الله يخلف وعده؟ فقال: لن يخلف الله وعده.. فقال عمرو: يا أبا عمرو! لا يخلف الله وعده وقد قال تعالى **(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه)** [١٥٦] فقال **أبوعمرو**: «ويحك يا عمرو، من العُجمة أتيت، – هذا سبب فسادك –، إن العرب لا تعد إخلاف الوعيد ذماً، بل جوداً وكرماً، أما سمعت قول الشاعر:

[١٥٦] أراد عمروبن عبيد، بهذا الكلام، أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المسلمين خالدون مخلدون في النار، كما يفهم من ظاهر الوعيد في الآية!..

" ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى ولا يختشي من صولة المتهدد

و إنى إن أوعدته أو وعدته لَمُخْلِف إيعادي ومُنجِز موعدي " [157]

فهذا - أي إخلاف الوعيد، - مما يمْدَح به العرب.. والقرآن نزل بلغة العرب، وعمروبن عبيد لم يفهم قضية الوعيد في لغة العرب..

إذن هذا هو معنى " إنفاذ الوعد والوعيد " عند المعتزلة..

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الآن نأتي إلى الأصل الخامس عند المعتزلة وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر): هذا الأصل يعني عندهم - خلاصتاً - الخروج على الحكام العدل، هذا معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم. حاكم عادل، إذا عصى نخرج عليه..

وهم في هذه القضية - للأسف - نظرياً أكثر منهم عملياً، لأنهم - أي المعتزلة - كمذهب، لم يقوموا بأي حركة عسكرية، إلا حركات صغيرة لم تكن لها قيمة في التاريخ الإسلامي، لكن من تبنى مذهب المعتزلة، في هذه المسألة من الحركات - أو الفرق - الأخري، كان كثير الخروج، مثل: **" الزيدية من الشيعة "**، وهم على مذهب المعتزلة في العقائد، ولذلك في هذه المسألة كثير الخروج، وعند الزيدية، الإمام، لا يسمَّى إماماً عندهم، حتّى يحمل السيف ويخرج على الحاكم الظالم..

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة، المقصود به، توجهه إلى الحاكم بالقوة والسلاح، إذا خالف مذهبهم أو أتى بأي معصية من المعاصي..

هذا هو خلاصة مذهب المعتزلة..

---

[157] روى هذه القصة، الإمام البيهقي رحمة الله بسنده، في كتابه (البعث والنشور) رقم٤٢. - ورواه الإمام اللالكائي في (شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة) رقم١٦٥١، وذكره السفارينى رحمه الله في (لوامع الأنوار البهية ج١/ ص٣٧٠ - ٣٧١..

نفسية المعتزلة:

نفسية المعتزلة، كما ترون، كالخوارج، قريبة من الخوارج..، **الإبتعاد عن المعاصي**، لأن المعاصي عندهم في النهاية كفرٌ، و**الإبتعاد عن السلاطين**..

قديقول قائل: لماذا " **ابن أبي الدؤاد** "، وكان إماماً من أئمة المعتزلة، لماذا كان هو قاضياً للسلطان، مع أنهم يبتعدون عن السلاطين ويبغضونهم؟ الجواب، لأن **ابن أبي الدؤاد** وكذلك **الجاحظ**..، - الجاحظ كان في نفسه دنية [158] ولم يكن بنفسية الأئمة المعتزلة، الذين ذكرنا عنهم من إعتزالهم وزهدهم وورعهم -، فابن أبي الدؤاد والجاحظ، عند المعتزلة محتقرين. في كتب طبقات المعتزلة، يشتمونهم ويسبونهم ويحقرونهم، ولا يعتبرونهم قد أخذوا المذهب على صحته، كما نحن نتكلم في مذهبنا عن فلان وعلان و..، فهؤلاء المعتزلة، أهل السنة هجموا عليهم ففلُّوا جموعهم، وكانت الضربة القاضية عليهم في فتنة **الإمام أحمد** عليه رحمة الله، عندما فتنوا الناس على القول بخلق القرآن، والحديث عنها يطول..

الآن منهج المعتزلة موجود على واقع الأرض في بعض الجماعات وبعض الأفكار وبعض التصورات، وهو الذي يسمى بمنهج " **المستنيرة** " ومنهج " **المتنور** "، " **إحياء الفكر الإسلامى** "، له أزلامه وله رجاله. مِن هؤلاء من يميل إليهم بالكلية، ومنهم من يميل إلى بعض أفكارهم ويستفيد منهم ويظن أن فيهم بعض الخير وبعض الهدي، والصواب خلاف ذلك. فالمعتزلة كلهم على بعضهم ضلالٌ في ضلال، والصواب هو منهج الحق، لكن هؤلاء المعاصرين في هذا الزمان عندما يخير الواحد منهم صاحب فكر وعقل، ويرى واقع أهل السنة والجماعة - بهذا الإسم الموجود الآن -،.. واقع أهل السنة والجماعة الآن للأسف، ليس هو الحق، في منهج أهل السنة والجماعة على الصحيح، كما سنتبين..

[158] قال الإمام الذهبى رحمه الله في ترجمة الجاحظ الأديب المعتزلي، في (سير اعلام النبلاء١١/ ٢٥٦): " العلأمة المتبحر ذوالفنون... كان أحد الأذكياء.. و**كان ماجناً قليل الدين، له نوادر** ". ا ه.

الآن الذي حمل منهج أو لواء أهل السنة والجماعة، أناس إما جبريين وإما إرجائيين، وإما متصوفة. والآن كتب أهل السنة والجماعة، مثلاً كتاب أهل السنة والجماعة الآن المعتمد، لدى كثير من طوائف أهل العلم، وكثير من الجامعات والأماكن الآن، هو كتاب " **شرح جوهرة التوحيد** " عند الأشاعرة. وعند الماتريدية العجم، كتاب " **عقائد النسفي** "، وهذه عندنا، بالنسبة لدينا، لا تمثِّل أهل السنة والجماعة، هذه مناهج بدعية كما سنرى عندما نشرح قليلاً، عقائد الأشاعرة..، عندما يأتي المعاصر فينظر في القديم ويرى – مثلاً – منهج المعتزلة، يرى هم يحترمون العقل ولا يغيبونه، يحترمون إرادة الإنسان ولا يغيبونها، يراهم قوَّإلين للحق أمام الحكام، أمام من يرونه من الحكام المبتدعة،.. فيحترم هذه الصفة، ثم يرون في المقابل أناساً جبريين، أناساً إرجائيين صوفيين، يغيبون العقل، ولا يحترمون الإنسان ولا أرادته،.. فيقولون – أي هؤلاء المعاصرون – فيقولون: الأولى أن نميل إلى فكر المعتزلة..

وعلى هذا فإن فكر الإعتزال، بدأ يخرج ببعض الصور، وبعض المعالم، وإن كان هؤلاء لا يقولون نحن معتزلة، ولكن يحترمونهم..

أول من حأول إحياء فكر المعتزلة، هو " **أحمد أمين** "، على الرغم أن هذا الرجل لا يحترم الإسلام على الحقيقة، له ابن الآن خنزير من الزنادقة، اسمه " **حسين أحمد امين** " يحمل اللواء ضد كل ما هو إسلامى باسم الإسلام، له كتب منها " دليل المسلم الحزين " و غيره، هذا – حسين أحمد امين – موجود الآن في مصر وهو يكتب في الصحافة ضد الإسلاميين وحاقد عليهم بدرجة عإلية، يتكلم على طريقة " **فرج فودة** ".. أما " **أحمد أمين** "، له عقدة فكرٍ، فيه إنبهار شديد بالحضارة الغربية، تلك الفترة – أي في عصر أحمد امين – كان فيه إنبهار شديد بالحضارة الغربية..

القصد، أن " أحمد أمين " أحياه وحأول أن يجعل فكر المعتزلة الفكر النير، ثم بعد ذلك إتَّبعه أناس كثير يحملون فكره..، الآن المعاصرون، كثيرٌ منهم ممن يرى للعقل دوراً في التشريع والتحريم، بالتحسين والتقبيح، يعتمد على فكر المعتزلة، ضربّنا الأمثلة في الدروس الماضية، ممن يحترمهم ويراهم شيئاً كبيراً..، الغريب أن أغلب من يحترم فكر المعتزلة في هذا العصر، قد فُرِّخ من أليسار، قد خرج من أليسار، من الشيوعيين والإشتراكين وغيرهم، أي من أليسار، ومن هؤلاء مثلاً: " **محمد عمارة** "، كان

رجلاً يسارياً، الآن صار إسلامياً، وأي إسلام؟ إسلام المعتزلة. وصار من الإسلاميين المشهورين، – قد يقول قائل: هذا ليس إسلامياً –، بالرغم أن الجماعات الإسلامية تتخفي تحت عباءته –..

كذلك نجد من المعتزلة المعاصرين جماعات كبار، ولكن لا يستطيعون أن يصرِّحوا، لأنهم يريدون أن يحتووا الساحة، ولا يريدون أن يصرِّحوا لأنهم يحترمون فكر الإعتزال، من هؤلاء، مثلاً، " **حسن الترابي** "، الحقيقة، هذا الرجل، عنده إحترام وتقدير للمعتزلة أكثر من احترامه لمنهج أهل السنة والجماعة الصحيح، يحترم فكر الإعتزال بشدةٍ..

كذلك " **راشد الغنوشي** " يصرِّح بأن فكر المعتزلة هو أفضل فكر وأنضج فكرٍ أنتجته المدرسة الإسلامية، يصرح به في كلامه، و**لمّا ناقش** في كتابه الذي ألفه هو " **القَدَر عند ابن تيمية** "، اعتبر أن ابن تيمية هو العقلاني والرجل المتنوِّر، لأنه وافق فكر المعتزلة في نظرته للقدر. له كتاب صغيرٌ، قُدِّم في الماجيستر في الكلية الشريعة الإسلامية، كان أحدى أبحاثه في تقديم هذا، واعتبر أن فكر ابن تيمية متنوِّر لأنه قريب من فكر المعتزلة في موضوع القضاء والقدر. والرجل – أي الغنوشي – قد جهل!.. ابن تيمية أين والمعتزلة أين؟! وأين ابن تيمية وفكره، وأين الفكر الإرجائى الذي يسمونه (السنة والجماعة) كذباً؟! بل هم الأشاعرة، وبينهما الفرق الشاسع الكبير كما تعلمون..

القصد! أن المعتزلة المعاصرين، لهم وجود، الآن نستطيع أن نقول أن كثيراً من المشايخ، في إعتماده على النقل وردِّه النصوص إذا خالف العقل، يقترب أو يبتعد كثيراً أو قليلاً من فكر المعتزلة..، النص في الأصل، علينا أن نسلم له ولانرى قيمة للعقل..، المعتزلة يرون التحسين والتقبيح العقلي، – و هذا سنشرحه إن شاء الله في مكان آخر عندما نتوسع فيه.. – الأشاعرة يرون أن التحسين والتقبيح، شرعي فقط، وكلاهما ضال!، من يقول أن التحسين والتقبيح لا يثبت إلا بالشرع، فهو ضال، كما أن الذي يقول أن التحسين والتقبيح عقلي فقط، ويترتب عليه الإثم والأجر عن طريق العقل، فكذلك هذا ضالٌ منحرفٌ..

المعتزلة، قلنا أنهم سقطت قيمتهم الإجتماعية وسقطت قيمتهم الدعوية بعد فتنة خلق القرآن، كان " **المأمون** " كما تعلمون، جاء ودعا إلى إحياء فكرة (خلق القرآن، وأن القول بأن الله يتكلم، هذا شرك

وهذه وثنية، يجب أن يؤدَّب كل من يقول أن القرآن كلام الله، لأن هذا يناقض قضية التوحيد – عند المعتزلة –).. من قال أن الله متكلم، فقد أثبت صفة الكلام لله عزوجل، وإثبات قديم غير الله، هو شرك وكفر، إذن هذا ينبغي أن يؤدب، أي: من يقول بأن الله سبحانه وتعالى قدتكلم..

المأمون بلا شك كان متأثراً تأثراً كبيراً بالفلاسفة وبكتب التي أُلِّفت، أو التي تُرْجِمت من اليونانية إلينا، لأنه أول مفسدة دخل..

للذكر إخواني! بعض الناس من الكتَّاب في هذا الزمان، يعتبر بان أوج **حضارة أمتنا**، عندما تلقَّت أفكار الأخرين، يعني ناسٌ الآن يمدحون تاريخ أمتنا – هذا لابدّ أن تسمعوه وأن تستوعبوه إستيعاباً جيداً، وإلَّا ضِعنا –.. الآن يأتي كثير من الكتَّاب في هذا الزمان ويمدحون لنا حضارتنا الإسلامية، يكتبون عن حضارتنا الإسلامية المشرقة، لكن عن أي حضارةٍ يتكلمون؟ هذا الذي نريده..

فيأتى واحد – مثلاً – يقول عن مثلاً: إستيعاب أمتنا لحضارة أخري، بمعنى أن هذه الأمة الإسلامية قد ترجمت أفكار اليونان واستفادت منها، ولذلك كان في أمتنا الفلاسفة الكبار مثل " **الفارأبي** " و " ابن **سينا** " ثم " **الرازى** "! ويتكلم عن الحضارة العقلية المتمثلة بهؤلاء الرجال الفلاسفة الذين كانوا يسمون " **بالفلاسفة المشائيين** " على رأسهم " ابن سينا " و " الفارأبي " و " الخوارزمى " وهؤلاء و " الرازى " و " ابن خطيب الرى " وغيرهم، فيعتبر أن هذا حضارة، ثم إذا أراد أن يتكلم عن الوجه المشرق لأمتنا في قضية الفنون الإسلامية، يتكلم أن أمتنا كانت متقدمة كثيراً في البناء المعمارى الإسلامي!، ويعتبر أن هذا هو إفراد حضارة أمة الإسلام، ويأتي آخر ويريد أن يتكلم عن حضارة أمتنا في إستيعاب المنطق اليوناني!، أنهم جماعة منطقيين، فيضرب بأمثال المتكلمين والفلاسفة والمعتزلة وغيرهم..

والحقيقة، أن هذا الذي يمدحونه في أمتنا هو أسباب سقوط حضارة أمتنا..

هذا الذي يمدَح في أمتنا، أن أمتنا كانت حضارية أخرجتت الفلاسفة وأخرجت المعماريين، ثم يمدحون ويقولون: «وكان كذلك من حضارة أمتنا، " **الغناء العربى** "!، كذلك من حضارة الأمة،..». نعم! كل هذا يمدَح به هذه الأمة ويعتبرون أن هذا يعَدُّ الوجه المشرق لأمة الإسلام..

و الصحيح أن هذه الأسباب التي ذكرناها، والتي يعدونها حضارة، هي أسباب سقوط الأمة، **الأمة سقطت عندما دخلت عليها أفكار اليونان، والأمة سقطت عندما اشتغلت بالمعماري، والأمة سقطت عندما اشتغلت بالغناء والفنون العربية التي تُسمَّى في كل زمان - كذباً - بالفنون الإسلامية، أمتنا سقطت عندما أخذت بهذه الحضارات المزعومة التي هي أسباب سقوط الحضارات..** [١٥٩]

[١٥٩] يقول الشيخ " **أبوالحسن الندوي** " رحمه الله، في كتابه " **إلى الإسلام من جديد** ": " كان العالم قبل ثلاثةعشر قرناً سائراً سيره الطبيعى لا ينكر من أمره شيء، فكانت القرى والمدن عأمرة بالسكان، وكانت العواصم الكبرى زاخرة العمران، شامخة البنيان، وكانت الحرف البشرية ووجوه المعاش في إزدهار وأنتشار. كانت الزراعة وكانت التجارة وكانت الصناعة، فبينما كانت سكة الفلاح في شغل ونشاط كانت القوافل التجارية غادية رائحة بين الشرق والغرب، وكانت الأسواق مشحونة بالمتاجر والبضائع، وكان الصناعون مكبين على أعمالهم. وكانت الحكومات والامارات والدول غنية بأموالها ورجالها، لكل وظيفةٍ رجلٌ كفؤ بل رجال أكفاء، وكان على وجه الأرض كل نوع من البشر، وكل لون من الحياة، وكل مظهر من مظاهر المدنية، لا يرى في الحياة الإنسانية المادية عوز أو فراغ. ولم تكن في المدينة وظيفة شاغرة يترشح لها مترشح جديد، وكانت كأس الحياة مترعة لا تطلب المزيد.
في هذه الحال ظهرت أمة في جزيرة العرب ووجد نوع جديد من البشر، وكأني بالأمم المعاصرة وهي تتسائل: أي داع إلى ظهور أمة جديدة والأمم على وجه الأرض كثيرة منتشرة، وما شغل هذه الأمة الحديثة، وما مهمتها في العالم؟
و كأنى بها تقول: إذا كانت هذه الأمة إنما بعثت للزراعة وعمارة الأرض فقد كان في فلاحى الطائف، وأكارى مدينة يثرب، وزراع وادى الفرات والنيل وربوع الكنج وجمنا، غنى عن أمة زراعية جديدة، فقد أصبحت أراضى هؤلاء الفلاحين وبلادهم جنة تدر لبناً وعسلاً، وإذا كان المسلمون انما بعثوا ليشتغلوا بالزراعة فقط، فلماذا لم يبعثوا في العراق، وفي مصر، والهند وهي بلاد مخصبة زراعية، ولماذا كان مبعثهم في واد غير ذى زرع؟ وإذا كانت هذه الأمة انما بعثت للتجارة، فقد كان في يهود يثرب وفي أنباط الشام وفي أقباط مصر وتجار السند كفاية، فقد أحكموا فن التجارة وأنتشروا في العالم، وإذا كانوا قد بعثوا ليشتغلوا بالتجارة حقاً فلماذا لم يبعثوا على طريق القوافل التجارية، وبقرب من أسواق التجارة الكبري؟

و إذا كانت هذه الأمة إنما بعثت للصناعة وأعمال اليد، فقد كان في قيون البلاد المتمدنة، وأصحاب الصنائع والحرف – وانهم لكثير – غنى وكفاية!

وإذا كانت هذه الأمة انما بعثت لتنضم إلى الحكومات الرومية والايرانية، وتشغل افرادها وظائف هذه الحكومات ومناصبها، فقدكان في أهل الشام وفارس غنى وكفاية في الإرادة، وإنهم يزاحمون الاجانب بالمناكب ويدفعونهم بالراح.

وإذا كانت هذه الأمة بعثت لعيش هنيء، ومطعم شهي، ومشرب مريء، وملبس وضيء، ومسكن بهيء، لا لشيء آخر وانما مناها وهمها ان تلقى لبوساً ومطعماً، لم تكن بدعاً من الأمم، وكانت منافسة لنا في ميدان الحياة، فحق لنا أن نقاتلها ونذودها عن منأهلنا، وقد ضاقت بنا، فكيف تسع أمة جديدة؟ وإذا كانت هذه الأمة إنما تحأول ملكاً، أو تريد أن تؤسس دولة، فيجب ان تصرح بذلک، وتتخذ له طريق الملوک والفاتحين، ولا تتظاهر بالدين.

و إن الطريق إلى كل ذلک – من زراعة، وتجارة، وصناعة، ووظيفة، وحياة بذخ وترف، وملک وشرف – غير الطريق التي سلكتها هذه الأمة الجديدة، فقد سفهت أحلامنا، وعابت آلهتنا، ونعت على عقائدنا وأخلاقنا وأعمالنا، ودعت إلى دين جديد، وسارت في سبيل ذلک في شوک وقتاد، وجاهدت في غير جهاد.

لقدكان الطريق إلى الرفاهية أو الحكومة مسلوكة معبدة، قد سلكتها الأمم من قبل ومشي عليها الملوک، وأصحاب الطموح في عصرهم، فمن حال بينها وبين هذه الطريق؟ وما الذي عدل بها عن جادة الحياة، وهي معلومة واضحة؟!

هذا ما أظنه تناجى به ضمير الإنسان العاقل في فجر الإسلام ولا ألومه ولا أستغرب هذا السؤال، فإن هذا السؤال طبيعى ينبغي أن يهجس في قلب الإنسان، وينطق به اللسان، عند كل ناشئة، فلماذا لا ينشأ هذا السوال عند ظهور أمة بأسرها؟

ماهو الجواب؟ إذا كان الجواب في الإثبات، وإذا كان مبعث هذه الأمة في الحقيقة بشيء مما ذكرناه ولم تكن لهذه الأمة مهمة جديدة في العالم ورسالة خاصة إلى الأمم، كانت هذه الأمة حقاً من فضول الأمم، ومن المتطفلين على مائدة العالم.

ولكن الله لم يبعثها لهذا أو لذاک، والأمة والأشخاص لا يبعثون لشيء، من هذا، وإنما هي من طبائع البشر، لا تحتاج إلى نبوة نبي، ولا بعثة أمة، وجهاد طويل وزلزال عالمي لم يسبق في التاريخ، زلزال في المعتقد والأخلاق والميول والنزعات، وفي نظام الفكر ومنهاج الحياة.

لقد كان مبعثها لغرض سام جداً، لمهمة غريبة طال عهد الإنسانية بها، وتشاغلت أمم الأنبياء عنها حتّى نسيتها، وذلک ما خاطب به الله سبحانه وتعالى هذه الأمة: (**كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله**)! فنبه على أن هذه الأمة ليست نابتة نبتت في الأرض كأشجار برية أو حشائش شيطانية، بل إنها أمة أخرجت للناس، وذلک ما تمتاز به الأمة في التاريخ، فما من أمة إلا وهي وليد أغراضها، ورهين بطنها وشهواتها، تعيش

الله عزوجل برَّأ هذه الأمة أن تكون محتاجة إلى غيرها في كل صغيرٍ وكبيرٍ. ولذلك محمد صلى الله عليه وسلم وهو بشرع الله الذي أوحاه إليه وعلَّمه لهذه الأمة وبشخصيته صلى الله عليه وسلم كما تكلمنا في علم الحديث ما هي أركان بناء الأمة المحمدية، أمة الإسلام: **أولاً**: القرآن. **ثانياً**: السنة. **ثالثاً**: شخصية النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا النبي صلى الله عليه وسلم **لَّما** رأى صحيفة في يد عمربن الخطاب، من صحف اليهود، فماذا قال؟ هل رضي بذلك وقال " جيد، خذ منها واستفد، لعل فيها حكماً، وفيها علوماً وفيها بعض

لأجلها وتموت في سبيلها. أما الأمة الإسلامية فهي أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتؤمن بالله، وتجاهد في سبيل الله.

ظهرت نواة هذه الأمة في مكة – قلب جزيرة العرب – فقام العقلاء من قريش –وهم الأخذون بزمام الحياة في البلاد – ونثروا كنانة فكرهم، وقاسوا الناشئة الجديدة بمقاييسهم التي عرفوها وألفوها، ووزنوها في الميزان الإنسانية الذي طالما وزنوا فيه أصحاب الطموح، فوجدوهم خفاف الوزن، طائشي الكفة..

..وكان بعد ذلک صراع مستمر، ونزاع طويل، ولم يكن نزاعاً في أغراض المادة وشهوات البطن، والإستئثار بموارد الرزق، والتغلب على الأسواق، بل كان نزاعاً بين الإسلام والجاهلية بمعنى الكلمتين، نزاعاً بين حياة العبودية والأنقياد لله تعالى ورسوله، وبين الحياة الحرة المطلقة التي لا تعرف قيداً أو لا تخشي معاداً ولا حساباً..

..بهذه الرسالة انبثوا في العالم، وحملوها إلى الملوک والسوقة والأمم، وفي سبيل ذلک هاجروا وجاهدوا، ولأجل ذلک حاربوا وعاهدوا، ولم يزالوا يعتقدون أنهم مبعوثون من الله إلى الأمم، وحاملوا راية الإسلام في العالم.

أرسل **سعد بن أبي وقاص** قبل القادسية " **ربعي بن عأمر** " إلى " **رستم** " – قائد الجيوش الفارسية وأميرهم – فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرأبي، وأظهروا اليواقيت واللآلي الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلک من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتّى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلک الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه، فقالوا له: " ضع سلاحک " فقال: " ائذنوا له " فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالو له: " ما جاء بكم؟ " فقال: " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم، فمن قبل ذلک قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه أبداً، حتّى نفضى إلى موعود الله " قالوا: " وما موعود الله "؟ قال: " الجنة لمن مات على قتال من أبي، والظفر لمن بقى ".. [**إلى الإسلام من جديد ص٧ – ١٦ . ط. دار القلم. دمشق**].

الفوائد، ما نحتاج إليه "؟ هل رضي صلى الله عليه وسلم منه ذلك؟ لم يرضى صلى الله عليه وسلم منه ذلك وقال: " **أمتهوكون فيها يابن الخطاب، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني، والله لقد جئتكم بها بيضاء نقية "**. [١٦٠]

ما معنى " بيضاء نقية "؟ الواضحة، فإذاجئتَ بشيءٍ آخر، سيكون سواداً، يلطخ هذا البياض ويطمس معالم النور فيه.. لا يعني هذا أن المسلم لا يقرأ أفكار الأخرى ليرد عليها أو يناقشها، أو يتبين ضلالها، فهذا أمر لا ينهي عنه، ولكن **المنهي عنه أن نعتبر أن هناك ولو جزءاً بسيطاً من الحق موجودٌ في غير الإسلام، وليس موجوداً في الإسلام ونحن نحتاج لكسبه من غير الإسلام، أو نعتبر أن الإسلام يحتاج ولو جزءاً صغيراً من الحق في غيره،** لا يوجد أبداً شيءٌ من الحق إلا وهو موجود في الإسلام، وإذا كان في المذاهب الأخرى والديانات الأخرى والفرق الأخرى والعقول الأخرى شيء منه الحق، ففي أمتنا ما هو أولى منه وأنصع وأوضح. لا نحتاج إلى أي شيء من الأمم الأخري، وإذا أخذنا أي شيءٍ لنُشكل به شخصية المسلم المعاصر، أو شخصية المسلم، إذا أخذنا بأي شيءٍ - ولو كان يسيراً - من أي فرقةٍ أو أي مذهب أو أي إفرازٍ عقلى من أي أمة من الأمم، **فإنه يعتبر هذا الأخذ، مَنفذ ضعفٍ في تكوين شخصية المسلم..**

شخصية المسلم، شخصية قرآنية، شخصية المسلم هو شخصية المسلم الصحابي، الذي كان له مصدر تلقي واحد، وإذا شئتم أن تتوسعوا لتروا أن الأمة الإسلامية الأولي، التي شكلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن الوحيدة في الوجود في ذلك الوقت بل كان هنا، حضارات كثيرة، كانت الحضارة الفارسية، والحضارة الرومانية وليدة الفكر اليوناني، كان موجوداً، ومع هذا، النبي صلى الله عليه وسلم أبي أن يأخذ أي مسلمٍ، أي طرفة عين من الأخرين، لأن هذا، يعَدُّ ماذا؟ **أول شيء**، يعد

[١٦٠] رواه **الإمام أحمد** في مسنده عن جابر بن عبدالله برقم (١٥١٩٥). قال الهيثمي (١/ ١٧٤): رواه أحمد وأبويعلى والبزار وفيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. والحديث **حسنه الألباني** في (ارواءالغليل) و (ظلال الجنة) وفي تحقيق (مشكاة المصأبيح). **حسنه من أجل طرقه**، وذكر طرقه في (الاروا‌ء) رقم ١٥٨٩.

شركاً، لأنك دمرت توحيد المصدر " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، ثم هو ضلال، **ثانياً**: من أسباب الهَلَكة. يكون من أسباب الهلكة..

و إذا شئتم التوسع في هذا الموضوع، فعليكم بكتاب " **سيد قطب** " رحمه الله " **معالم في الطريق** "، عندما تكلم في بداية كتابه عن " **جيل قرآني فريد** " وبين لماذا الجيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان جيلاً منفرداً، لا مثيل له، وبين من أسباب ذلك، أنهم كانوا يوحِّدون المصدر، لا يأخذون من أي فكرٍ آخر،.. الآن حتّى المسلم والجماعات - يقولون -: «عليك أن تقرأ كلام الفلاسفة المعاصرين، واقرأ، واقرأ..»، وهو لا يقول إقرأها مِن أجل أن تعرف ضلالاتها، ولكن يعتبرها جزءاً من تشكيل عقلية المسلم في هذا العصر، وإذا سألته عن آية أو حديث، في موضوعٍ من المسائل، لا يعرفها، وإذا سألته عن قول " **دوركايم** " وقول " **كانت** " وقول " **ماركس** " و قول " **انكلس** "، قول هؤلاء الفلاسفة، فتراه ينطلق بطلاقة ويعتبر أن ترديد مثل هذه الأسماء في محاضرته، علأمة من علامات التحضُّر، أما أن يذكر " **قال الله تعالى** " و.. يقول: " إإه**!!** أنت أمام ناسٍ متحضرين**!** وهؤلاء لا يؤمنون بالقرآن، فلماذا تكلم بالقرآن؟ ".، فيعتبر أن في محاضرته ودروسه، ترداد الآيات والأحاديث، هو علأمة..، ليس من علامات الفكر المتحرر!.. عليك أن تذكر ماذا قال الشرق وماذا قال الغرب..، حتّى صار الآن نرى خطيباً أمام المسلمين الموحدين، وهو يقول: " وقال النائب الفلانى في المجلس الكنكرس الأمريكي**!!**.. و النائب الفلانى في المجلس الإنكليزي، قال كذا في مدح الإسلام "!!.. كأن الإسلام يحتاج في مثل هؤلاء، حتّى يشهد له..

.. الحق الكامل موجودٌ في الكتاب والسنة، لسنا بحاجة.. إخواني**!** تيقَّنوا لسنا بحاجة، إسلامنا يستوعب الزمان والمكان، أيّ مسألة من مسائل الحياة، تريدها من مسائل القيم والمفاهيم التي تحتاجها في حياتك، موجودة في الكتاب والسنة ومالم يكن في الكتاب والسنة، فقد عفي الله أن يعلمك إياه، لأنه لا ضرورة لك في حياتك، فيكون من أمثال أمور المنتهي العقول التي تضيع الوقت والجهد في البحث عنها، دون نتيجة..، لو أردنا أي مسألة، الله لم يخبرنا بها..، مثل المسائل التي شغل بها كثير من المفسرين وكثير من البحَّاثة في تاريخنا، مثل مسألة " ما لون الكلب الذي كان مرافقاً لأهل الكهف؟ ".. مسألة لا قيمة لها، تعرفها أو لا.. كذلك هناك مسائل كثيرة على هذا المجرى وهذا المنوال، ما نحتاج إليها..

إذن القرآن والسنة وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم هي **المُشَكل** الوحيد لشخصيتك أنت. فقولهم أن الحضارات الأخري، ممكن أن تَمُدَّ إسلامنا، أو إسلامنا بحاجة إليها،..

هؤلاء ضُلّالٌ، هؤلاء لن تكون خلافتهم إذا أقاموها على منهاج النبوة[١٦١]، بتشكيل شخصية المسلم التي تَشكلت به الدولة..

إذن هؤلاء يمدحون لنا الحضارات، يمدحون لنا حضارة الإسلام بما سقطت به حضارة الإسلام، الأفكار اليونانية، ماذا أفرزت، ماذا قَدَّمت؟، أفكار يونان، أفكار سقراط، أفكار غيره، أرسطو،؟ ماذا تقدم؟ ماذا تقدم لنا؟..

أن يتعلَّمها المرء ليعرف الباطل – ويتجنبة –.. عرفتُ الشرَّ لا بالشرِّ، ولكن بتوقِّيه، ومن لم يعرف الشر من الناس، يقع فيه، كقول حذيفة رضي الله عنه: **" كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أساله عن الشر، مخافة أن يدركني.. "** [١٦٢]. هذا جيد..

أما تتعلمها لتأخذ جانباً ربما لا تجده في الإسلام، لتملأ به شخصيتك وعقلك ومنهاج تفكرك، هذا خطأ..

---

[١٦١] يشير الشيخ إلى الحديث الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إذا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إذا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إذا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إذا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ».

[رواه أحمد (١٨٤٣٠) عن حذيفة بن اليمان، قال الهيثمي (٥/ ١٨٩): " رواه أحمد في ترجمة النعمان بن بشير، والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط و**رجاله ثقات** ". و**صححه الألباني** في (السلسلة الصحيحة) رقم ٥. وقال الأرناؤوط في تحقيق المسند: " **إسناده حسن** "].

[١٦٢] متفق عليه.

حتّى صار الآن، للأسف – و هذا بسبب الإسلام المنحرف الذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا – صار الآن سؤال لدينا، **مَن الأحق بالقيادة للجماعة الإسلامية**؟ الشيخ أم المهندس، أم الدكتور، أم الإداري؟ أليس هذا السؤال مطروح الان؟ من الاحق؟.. الشيخ؟ طبعاً الآن، إجماع الأمة على أن الشيخ، ينبغي أن لا يتوسد القيادة**!!**.. ومعهم الحق!، لأن الشيخ في هذا الزمان، رجل منحرف، لأن الشيخ في هذا الزمان، رجل تشكيله العقلي، تشكيل منحرف، وإلا الأصل، فكتب الفقه، أن تُعَلمك الإدارة وتُعَلمك القيادة، فيها مِن الحِكم و.. أليس كذلك؟.. **لمّا** تقرأ أنت **" صحيح البخارى "** لقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفرقةٍ من الفرق المحاربة، ألا تجد فيها معالم أُسُس الإدارية لفكرتك؟ لكن الشيخ الآن يذهب إلى كتب الفقه المتخلفة، كما سنتكلم كثيرا عن تخلف كتب الفقه المتأخرة الذي أنشات هذه العقول، وصار الشيخ لا يفهم هذه الأمور، ولذلك صار عندنا الآن إنفصال ما بين المفكر الإسلامى والفقيه الإسلامي، في هذا الزمان، إنفصام كبير بين الفقيه الإسلامي، الفقيه، الشيخ، فقط لحيته طويلة[١٦٣]، وإذا سئل، يقول للناس، أقصروا أسئلتكم على مسائل النسك والأحكام الشرعية، فقط، كيف نصلي؟ هل نحرك أصبعنا أم لا نحرك؟ عندما نحج كم نقف في المني؟ هل النبيذ يجوز؟.. هذه المسائل لمن؟ للفقيه، وأما مسائل العلم والبحث والمناقشة ومناظرة الأغيار وقادة الحركات، فهو لمن؟ للمفكر الإسلامي، والمفكر الإسلامي، لا تجده في حياته قد إطّلع على كتاب فقه واحد، والفقيه الإسلامى لم يطلع على عمق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيادة الأمم وحركة الشعوب، وكلاهما منحرف، الفقيه المسلم في هذا الزمان وفي هذا العصر، رجل منحرف، **شاة!!**، لما تسمع منه كأنه " شاة "، الفقيه المسلم المعاصر شاة**!!**.. خَرِّجي معاهد الشرعية، هم طأمة الأمة في هذا العصر..

إخواني**!** مجددي هذا العصر، لا تجد واحداً منهم تخرَّج من مدرسة شرعية رسمية، عامة من أفرز إبداعاً وعقلاً صحيحاً في أمتنا، لم يخرج من المدارس الرسمية الشرعية، الأزهر ماذا يخرج لنا؟ عاهات، رجلٌ، لا دنيا ولا دين، لما يتكلم في الدين غلط، ولما يتكلم في الدنيا، رجلٌ طأمة، **فلا دين ولا دنيا**،..

[١٦٣] الأن في كثير من البلدان، الفقهاء والشيوخ يحلقون لحالهم، وليس لأغلبهم لحية**!!**

خَرِّجي كليات الشريعة في هذا العصر، ماذا يخرج لنا؟ عاهات.. ولله في خلقة بقرٌ،.. وفي المقابل، هؤلاء المفكرِين والأباقرة، كذلك عاهات.. مفكر **كحسن الترأبي، راشد الغنوشي**..

قيادات جماعات المسلمين الآن، **قيادات الإخوان**، من غريب، أنا أستغرب، هي كلها من إفرازات الفكر المنحرف، لأننا صرنا نشعر بأننا بحاجة لغير الإسلام..

يعني الفقيه، أخذ فقهه من الإسلام، لكن الإدارة، بالعلوم والمناهج الأخري، كأن الإسلام لا يوجد فيه قوة لإفراز علوم الإدارة من ذاته ومن داخله، من داخل شخصية المسلم، في بناءها الأسس الصحيحة من كتاب الله وتفرز بعد ذلك عقلية إسلامية تبدع في إخراج الحقائق والعلوم،..

كأنه لا يوجد، لا نستطيع، فيلزم أن نذهب إلى سائر الأمم لنأخذ الحق من أهلها، قيادات، مفكرِين..، أعجب القياداة الإسلامية في هذا العصر، مخرِّجي " معهد الحقوق "، محامين،. رجلٌ خمس سنوات من عمره، وهو جالس أمام أستاذ – دكتر –، وهو يقول له: " وقال المشرِّع كذا "، والمشرع مَن عنده؟ مَن المشرع في القانون؟ أما الفرنسي، وإما الإيراني، وإما سلطة القانون العليا، وإما المذكرة التبصيرية،.. خمس سنوات أو أربع سنوات يقول: " **وقال المُشرِّع** ". " ودورنا حفظ القانون "، و " دورنا.. "، وبعد أربع سنوات، وهو بعد ذلك يدخل في القانون، ويدافع عن القانون، وبعد ذلك نراه قائداً لحركة إسلامية!!.. فإذا يأتون إلى أي مسألة تقع، ماذا يقول لك؟ يقول: " نحن مع القانون.. ".. – وهذا طبيعي، لأنه خمس سنوات في الدراسة، وخمس سنوات أمام الأستاذ وبين المحاكم وخمس سنوات يسمع " احترام القانون، والمشرِّع و.. و بعد ذلك تريد أن يتخلَّى عن هذا كلِّه لأنه صار قائداً لحركة إسلامية؟!..

ولذلك للأسف، أغلب قيادات الحركات الإسلامية الآن، خَرِّجي ماذا؟ معاهد الحقوق وخرّجي القانون. فإذا سئل عن مسألة، يقول: نحن مع القانون، نحن نحترم القانون.. نعم! هو يحترم القانون، وهو مع القانون، بعد خمس سنوات من دراسته وهو لا سيمع إلّا كلمة " المشرع " و " الدستور " و " القانون " و غيره..

مفكرِينا بهذه الدرجة، وفقهاؤنا بهذه الدرجة!..

والحديث الآن، مَن الذي يقود حركة الصحوة؟ مَن الذي يقود حركة إحياء وتجديد الأمة؟ مَن؟ بعضهم يريد أن يحيى الأمة بما فسدت به الأمة، – مع الإعتذار –، الأمة فسدت بأسباب، سنتكلم وسنبينها إن شاء الله، في دروسٍ مستقلة، ما هي أسباب سقوط الحضارة الإسلامية؟ سنتبين أن من أسبابها مثلاً، " الصوفية "، **الصوفية، أكبر مُدمِّرٍ للإسلام،** أكبر مدمرٍ لعقلية الرجل المسلم، ولبناء الحضارة الإسلامية..

ومع هذا، يأتي شيخ ويريد أن يحيى الأمة بماذا؟ بالتصوف..

هذا كتاب " **سعيد حوَّى** " – عليه رحمة الله – " **حركة الإحياء الربانية** ".. ماذا يقصد " بإحياء الربانية "؟، التصوف. قال: " الناس بحاجة إلى تزكية "، وعلى أي منهج؟ على منهج التصوف..

واحد يريد أن يحيى الأمة بماذا؟ بما ضلت به الأمة، وسقطت به الحضارة،**!** ومن أسبابها، **المنطق اليوناني،** نحن سقطنا بسبب متكلمي الأشاعرة، من أسباب سقوطنا حركة الأشاعرة في تاريخنا، وهي حركة المتكلمين، وهي إفرازٌ جزئي من فكر المعتزلة، إفراز جزئي منه، من أين جاء فكر المعتزلة؟ من الحضارات الأخري، المنطقية والفلسفية..

سيريد أن يحيى الأمة على أساس الفقه والمنطق اليوناني، كأن القرآن.. والقرآن منبوذ، والناس الآن مشغولين، مَن يقول " أنا سني، وأنا سلفي، وأنا لا أهتم بكل مؤثرات الدنيا، وأنا أريد أن أحيى الحضارة على أساس حديث النبي صلى الله عليه وسلم "، فهو مشغول بماذا؟ فقط دورة في بحث – أو بعث – التراث، ولكن كم استفادته من هذا التراث؟ صفر**!**.. الآن هناك مطابع تدفع لنا يومياً المئات والآلاف من الكتب التي فيها إحياء التراث الإسلامي، ولكن **لمّا** تجد هذا الذي يحقِّق الكتاب ويريد أن يعلِّمنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويحيى لنا " الجزء الفلانى " والكتاب الفلاني؛ هذا السني، كم استيعابه له؟ لا شيء.

و لذلك الدولة!.. صارت الدول تعرف أن حركة إحياء التراث لن تؤثر كثيراً – لكن إن شاءالله تكون سبباً لدمارهم – –، فهم يطبعونها..

وبعض الناس مشغول، ويقول " نريد أن نحيي الأمة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "، فإذا نظرت إلى أمره وحاله، يريد فقط بهذا الحديث، أن يصبغ الشرعية على الواقع المعاصر..، **دور المشايخ إصباغ الشرعية على الواقع المعاصر**..

ولذلك إخواني! أنا أقول: " أن أمتنا في هذا الزمان منحرفة، فينبغي أن تصلح نفسها على أي أساس؟ على أساس الفكر الصحيح، أن تعود متعمقة إلى كلام الأوائل، ولا يغرها بُنَيات الطريق..

كان **الإمام أحمد** رحمه الله جالساً، فحض على النكاح، أي على الزواج، حض عليه ورغب فيه وكذلك على التعدد، حض على الزواج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقام رجلٌ وقال: " ولكن إبراهيم بن أدهم قال.. "، فقال الإمام أحمد: " وقعنا في بُنَيات الطريق، أنا أخبركم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تُخبرونا ببنيات الطريق، أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه.. ". [١٦٤]

ولذلك، **حركة إحياء الأمة ينبغي أن تنبثق من النص**، ينبغي أن نرجع إلى النص، إلى نضارته، إلى عمق ما يحتوى من معانى عظيمة، تُشَكل نفسيتنا، وتشكل عقليتنا، وأن لا نهتم بالواقع، بحيث يؤثر على أفكارنا – كما هو مصيبة المسلمين الآن –، فنبصر الواقع، لنرى الباطل الذي هو فيه، وكيف يتعامل معنا. ولكن لا نتأثر بأفكار الواقع، بحيث تصبح جزءاً من تفكير عقليتنا، يعني، بمعنى المسلم، يؤمن بأن الإسلام، هو الحق، هو الحق، قامت هيئة الأمم، قامت هيئة اللمم، قامت هيئة الدجل.. ما يهمنا ولا تَقَيد بأفكارها، – و قُل: – لا تهمُّني هذه الأمور.. يبقى الكافر كافراً والمسلم مسلماً،..

جاؤوا ليقولوا لنا: " هناك أحدثَ أديان، وهناك تعاون أديان وهناك..؛ **قل لهم**: " حياكم، مع السلأمة، لكم دينكم ولي دين ".. فلا نهتم بالواقع.. لأن كثيراً من أفكارنا – كلنا الآن – الكثير من أفكارنا، لم تُشَكل من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تشكل من القرآن الكريم، ولم

[١٦٤] انظر " تلبيس إبليس " لابن الجوزى ص٢٦١ط. دار الفكر. (جاء في الصحاح: بنيات الطريق؛ هي الطرق الصغار، تنشعب من الجادة. وهي الترّهات).

تشكل من منهج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكنها مُشَكلة من ماذا؟ من الواقع الذي نعيشه،..

هذا الإنسان،.. يلد واحد منا من بطن أمه، فيركض لوحده إلى المدرسة، وبعد أن ينهي المدرسة،.. لوحده، لا يقول له أحد: " عليك أن تذهب المدرسة "، لوحده يذهب إلى المدرسة، وبعد ذلك يذهب إلى الجامعة، وبعد أن فرغ من الجامعة، فوراً بعد ذلك يذهب إلى الوظيفة – كما يخرج ربيع البقر، من بطن أمها، أين يذهب؟ إلى الثدي، فوراً، من غير أن يلقِّنه أحد – و بعد ذلك يتزوج ويتسافد في الليل.. كما قال اليهود عن غير اليهود، قالوا: " اليهود شعب الله المختار، والأرض مِلك لهم، والبشر بهائم خلقوا لخدمته ".. ماذا تفعل البهيمة؟ تعمل، تَكد في النهار، ثم ترجع إلى بيتها فتأكل وتشرب وتتسافد وتندرب في ضريبتها..

هذا حال المسلمين الآن، حال القطعان الكبيرة من أمة الإسلام، حالها كذلك، تكد، وتعمل في النهار، وتعمل وتتعب، ثم ترجع إلى البيت منهوكة القوي، فتأكل وتشرب وتتسافد وتستظل بهذه الضريبة التي تسمَّى بيتاً، وبعد ذلك لا دخل له.. فهمتم؟! هذا هو الواقع! هذا تشكيل عقليتنا الموجودة،.. ونحتاج إلى رافعات قوية جداً، حتّى نحرك المسلم! يا رجل ثور! يا رجل تحرك! واخرج من شرنقتك!، ولا يتحرك!..

ويأتي دور مشايخ السلطان، ويسقط التكاليف عنك، يعني يقول لك.. الآن " **حسن الترابي** " قام بدولة إسلامية في السودان، ماذا أحيا في شعب السودان، ليقول له " أنت غلط، أقبل على مرحلة جديدة صحيحة " ماذا أحيا؟ لا شيء، ولكن هو يقول لهم " **أنتم مسلمون** "، هكذا " أنتم مسلمون ".. يعني ليس لديكم نقصاً أو إنحرافاً.. ولذلك هم يقَدِّمون إسلاماً بلا تكاليف، وهو الإسلام الإرجائي، إسلام بلا تكاليف.. والناس يقول: " أنتم جيدون ".. كل بخير!، الحمدلله ما ينقصنا شيءٌ وهذا الواقع، لا يوجد أفضل منه!!

هذا هو الواقع الذي نعيشه ونحسه.. و أمتنا فيها، والخطب والدروس وبعد ذلك، لا يتحرك الإنسان، وله مُسَبِّقات، **" الأهل "** من جهة، و **" الواقع "** من جهة، و **" طلب الوظيفة "** من جهة، و **" خوف ضياع المستقبل "** من جهة، وهكذا مسبِّقات كلها باطلة في دين الله عزوجل..

نرجع إلى القضية.. إذن نحن لسنا بحاجة إلى أي شيءٍ آخر ليشكل شخصيتك أيها المسلم.

حتّي، إخواني! صدِّقوني، أن بعض الناس، **لمَّا** نتكلم عن نصرة الإسلام وأن الإسلام بذاته، الإسلام بنفسه فقط، قادر أن يحكم العالم ويدمر أقوى القوى في العالم، حتّى أحسن الناس وأفضل الناس منا، لا يتصور أن الإسلام، يحكم بمثل هذا الواقع، لابدّ من تغيير السنن من أجله!، يعني واحد يسأل – لما تقول لك: " الإسلام قادم، وستُفْتَح روما، وسينتشر الإسلام حيث بلغ الليل والنهار " –، يقول لك: " يكون المعركة القادمة بين الإسلام وغيره، بالسيف أو بالبارود؟! "..

هو لماذا يسأل هذا السؤال؟ لماذا؟ لأنه لا يتصور أن ينتصر الإسلام بهذا الواقع، كأنّ الإسلام ينتصر إذا كان فيه السيف، وفي البارود، فلا!..

ثم هؤلاء الذين يقولون – هذا لابدّ أن ننتبه له –، هؤلاء الذين يقولون، حتّى الذين يقولون، أننا بحاجة إلى حضارة الغرب في بناءها المادي، هؤلاء، لأنهم مقنعون بأن الإسلام في ذاته لا يشكل عقلية عملية تبنى مجتمعاً مسلماً قادراً على إنفاذ التقدم العلمي في شئون الحياة.. لو سألت رجلاً: هل في ذات الإسلام، القوة الذاتية على أن تنشيء إنساناً حضارياً، ويبنى بناء أمة مدنيةٍ بمعنى هذا الذي موجود الآن، من الصناعة وغيرها؟ هل في الإسلام ذلك؟

سيكون الجواب – قطعاً – لا. الإسلام فقط يقدِّم لك أن تعبد ربك، يقدِّم لك شئون الآخرة وتشريعات الحياة، أما أن تنشيء مسلماً يفهم سنن الكون ويتعامل معها ويكتشفها ليستخدمها ويصوِّر شئون الحياة موافقةً للسنة، لا يتصوَّر أنَّ في ذات الإسلام، هذه القدرة، لا يتصور..

وهذا سنتكلم عليه في توحيد القدر، سنتكلم عليه، توحيد الإسلام، توحيد الشرع والقيم، وتوحيد القدر،. توحيد القدر الذي يجعل المسلم مُبدِعاً.. الإسلام بذاته هو الذي يبدِع، هو الذي يصنَعُ

الإنسان المبدع،.. دنيا وأخري.. فلسنا بحاجة إلى غيره، في تشكيل شخصية المسلم.. لا نحتاج إلى غيره..

هذه كلها نقاط ضعفٍ لدينا، نشعرها في هذا الزمان، وتعيشها الحركات وتعيشها الشعوب، ويعيشها الناس،.. كلها تدل على إنهزامية الشخصية الإسلامية، وهي ليست إسلامية لاشية فيها، بل مليئةٌ بالشوائب، مليئةٌ بالدخن، فيها العوار الكثير الذي أدّى بنا إلى ما نحن فيه الآن..

لماذا إنتصرنا على المعتزلة؟

سؤال، سننتهي به أمر المعتزلة، " لماذا أنتصرنا على المعتزلة "؟ وبعد ذلك سنتكلم لماذا هزمنا أمام " **الثالوث النَّتن** " وهو " **الإرجاء، الجبر، التصوف** ".. لماذا هزم فكر المعتزلة؟

هناك أسباب خاصة بالمعتزلة، وهناك أسباب كانت في داخل أمتنا..

نتكلم عن الأسباب التي كانت عندنا التي منعتنا من أن ننهزم أمام المعتزلة.. لأن **الأنهزام يكون بالعاملين: " بالعامل الخارجى والعمل الداخلى "**. و**النصر يتم بأمرين: " بقوَّتك، وبضعف الخصم "**.. إذا كنت أنت قوياً، ولكن غيرك أقوى منك، هل تنتصر؟ لا تنتصر. ولو كان غيرك قوياً، وأنت أقوى منه، هل تنهزم؟ لا.. فإذن، لما هُزم فكر المعتزلة، من الذي هزمه؟ نحن، فماذا كان الذي عندنا، حتّى هزمنا المعتزلة، وماذا كان الذي عندهم من الضعف حتّى هُزموا؟ **أولاً**: ماذا كان عندنا؟ **أولاً**: **نضارة النص النبوي وقوته.** تعرفون أن فكر المعتزلة، فكرٌ في ظهوره في أمتنا، ظهورٌ متقدِّم، يعني ظهر بداية الدولة الأموية وفي ذلك الوقت، ما زالت أمتنا، بقوتها وشبابها، حركة الإسلام ما زالت دافقة وقوية ومقدِّمة إلى الإمام، ولكن ليست متوقفة، **لأن التوقف يعادل ماذا؟ يعادل التراجع**. الوقوف هو التراجع.. [165]

[165] قال تعالى: (لمن شاءمنكم أن يتقدم أو يتأخر). المدثر٣٧.

في ذلك الوقت، لما جاءت فكر المعتزلة، أمتنا كانت حية، والنص النبوى مُشرِق، - لأنه لو جاء الآن، في زماننا.. أنا متأكد من هذا، أن لو لم تكن فكرة خلق القرآن قديمة ومبحوثة، كمسألة خصومة مأبين فِكرِ الهُدَى (وهو أهل السنة والجماعة) ومأبين فكر الضلال (وهم المعتزلة)، لو كان هذا، في زماننا، لتوقف الناس، خلق القرآن!؟.. يعني القرآن مخلوق؟!!.. لكان الناس لم يفهموا منها شيئاً، لكان الناس لا يعرفون منها شيئاً..

لكن، في ذلك الوقت، للوضوح الذي كان للقضية، في طرح البدعة - عند المعتزلة -، ولنضارة النص النبوي لدى الأمة، ومعالم الإشراق في عقولها والفهم الواعي وحركة الإسلام المتدفقة الحيوية علمياً وعسكرياً،.. كان فكر المعتزلة في ذلك الحال ضعيفاً.

ولذلك كان حرب أهل السنة له شديداً، وقاموا عليه أشد قيام ففلُّوا قوَّته.. و وضح الحق وزهق الباطل..

كان **الإمام الشافعي** رحمه الله، يناقش **" حفص الفرد "**، أحد أئمة المعتزلة الذي كان يقول بخلق القرآن وكان رجلاً قدرياً.. ناقشه، والناس حضور، فرأوا غلبة الإمام الشافعي على " حفص الفرد " حتّى قال له الإمام الشافعي: **" لقد كفرت ياحفص! كفرت بالله العظيم! كفرت والله الذي لا إله إلّا هو! "** [١٦٦]

المناقشة كانت فيها حيوية، فأمتنا كانت بعدُ لم يدخل فيها عوامل الإنحراف، عوامل الضعف، ودخول الأفكار الأخرى في أمتنا، كان دخولاً جزئياً متمثلاً بجماعة المعتزلة.. وأما مازال أهل الحديث بوعيهم وعقولهم وإدراكهم وفهمهم وعبقريتهم.. وأمتنا ما زالت تنجب الأباقرة، وتنجب الأفهام القوية، كأمثال **الإمام الشافعي** رحمه الله،.. هل تعرفون ما معنى " الشافعي **"!؟** هذا عقلية سنحدث

[١٦٦] ذكره الإمام اللالكائي في " شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة " رقم (٣٥٦و٣٥٧و٥٢٣). ورواه الإمام الآجري في " الشريعة " ص٧٨.

عنه في مقام آخر، هذه من عقليات التاريخ الإنسانية، التي ينبغي أن يفتخر الإنسان بكونه إنساناً، بأنه موجود في الدنيا إنسان واحد مثل الإمام الشافعي، يكون بمثل هذه العقلية..

إخواني! الإسلام لا يمكن أن يؤتي آثاره، إلّا بعقول قويةٍ ناضرة، تستخدم العقل ولها قُوّة إدراك عميق، عندها القدرة، كما **قال عمر** رضي الله عنه: " **لست بالخَبِّ ولا الخَبُّ يخدعني** ".. [١٦٧] هل تتصور هذه العقلية؟.. أحد من الصحابة يقول: " **والله لو لا الإسلام لكدتُ كيداً، تسامعت به العرب** ".. هذه العقلية ماذا؟! هي الفاهمة الزكية.. الإسلام لا يقوم بالخمول.. **الصوفية** هي التي تبني الخمول، الصوفية هي التي تبني عقلية الركود وعدم التفكير، التي يقول لصاحبها: " إخلع عقلك عند حزاءك واتبعنى "!.. نعم! الشيخ الصوفي يقول: " عليك أن تُسَلِّم لي كما يسَلِّم الميت لغاسله "..

إذن في ذلك الوقت - أي في عصر السلف -، مازال التقليد لا يوجد في أمتنا، التقليد الذي يميت إشراق العقول وإبداعاتها.. للأسف هذه الأمة، بعد ذلك،..

أنظروا إلى الفقه، خذوا منه المنهج أو النموذج من عقلية الأمة كيف إنحدرتت: في ذلك الوقت، النص النبوى في قضية إخراج الأحكام الفقهية، مازال ناصعاً، أيُّ فقيه يريد المسألة، يذهب إلى النص مباشرةً ويتعامل معه، والتقليد كان ضعيفاً، والتعصب المذهبي غير موجود أبداً،.. و أمتنا تتعامل على أساس الإشراق العلمي والتعامل مع النص، والعالم فقط مبلِّغ لدين الله.. يأتي العامي البدوي، الذي لا يفهم شيئاً - كما قال الذهبي: البوَّال على عقبيه - يأتي للشافعي، يسأله عن المسألة، فيقول له: " هي هكذا ". يقول له من أين جئت بها؟ فيقول: " من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ". فيقول: " سمعاً وطاعةً " ويخرج..

ما زالت أمتنا حياً.. بعد ذلك، بدأ العلماء يخرجون الأحكام الفقهية من النص، جاء الدور الثاني - أو الذي بعدهم -، وهو دور **المُخَرِّجين** على كلام العلماء..، النص أنتهي، وضع في ركب البركة، صار

[١٦٧] ذكره الإمام **الماوردي** في (أدب الدنيا والدين) ص١٣. وذكره **إبن القيم** في " الروح " ص٢٤٤ وعلق عليه بقوله: " **فكان عمر رضي الله عنه، أورع من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع** ".

الناس يستخدمون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للبركة، فإذا جاء جيش من الغزاة، ليغزوا بلدتنا، فلنذهب إلى المسجد الجامع ونقرأ **صحيح البخارى** من أجل أن يرفع عنَّا بلاء هذا الهجوم فقط!!.. صار دور ماذا للحديث النبوي؟ للبركة، للتبرك، يأخذ للبركة حتّى الله ينصرنا!، وإذا أردنا الأستسقاء، نقرأ في البخاري، فالله يرزقنا.. وهكذا.. أما التعامل مع النص للحكم الشرعي، لا،.. الآن صار تخريج كلام العلماء، صار كلام العلماء، هو النص والبحث له عن أدلة، إذا لم يوجد له الأدلة.. ثم جاء فريق آخر، وصار يُخرِّج الأحكام الشرعية على أي كلام؟ على كلام العلماء، فألَّفوا كتب مُخرَّجة على كلام العلماء، ثم جاء من يشرح كلام العلماء، كلام العلماء عميق! ويجب أن نشرحه،.. فصارت الشروحات على كلام العلماء،.. وصارت الشروحات ملأت الدنيا، صار الكتاب الواحد الفقهي لشرح مذهب فقهي في ثلاثين مجلداً، أربعين مجلداً، طويل!.. ولابدّ أن نبحث ونختصر هذه المجلدات في مختصر، في متن، فنشأت عقلية " المتون ".. ثم بعد ذلك، صاروا يصيغون الفقه شعراً، وبعد ذلك، فيأتي المجموعة الثانية، ماذا يصنع؟ يشرح الشعر.. ثم يأتي من يشرح الشرح ويعلِّق عليه ويحَشِّي عليه.. " **أصحاب الحواشي** "!! والنص أين دوره؟ فقط القراءة فيه للبركة، ولتخريج كلام العلماء.. أنظروا.. ماهذا؟ إسقاط العقل، كله لا قيمة للعقل فيه، لا أهمية للعقل..

القصد، أنه لما جاءت المعتزلة، كان ما زال النص النبوي حياً في أمتنا، والتعامل معه مشرقاً، وعقلية الأمة عقلية مُبدعة، وكان أئمة كبار وأباقرة، يفهمون ويدركون ويجتهدون..

فكانت أمتنا بعدُ حيةً، فنضارة النص النبوي، داعية، لعدم وجود الغير، ولا يقبل الغير.. والعالم والعبقري، يدرك أقوال الغير ويعلم مصادمتها للكتاب والسنة، فيردها. وأما الإنسان البسيط العامي، فموضوع على أذنيه جدرٌ، لاتقبل إلا من هذا المصدر - النص الشرعي -، فإذا جاءه رجلٌ يقول له، قال: " أرسطو "، قال: كذا، و.. ماذا يصنع هذا العامي؟ يطرده ولايقبل منه شيئاً.. فمازال النص النبوي، بكل هذه الأبعاد حياً في أمتنا، ولذلك هُزِم وطُرِد فكر المعتزلة.. **حتّى الصوفية**، في بادية الأمر، لُفِظَت وطُرِدَت من الأمة، وأعلنت الأمة أن الصوفية " كافرٌ زنديق ".. جاء هذا في كتاب " **اللُّمع** "، للطوسي، " **عبدالله بن علي الطوسي، أبو نصر السراج، المتوفي ٣٧٨هـ** ".. يقول: " ولقد سيقت الصوفية إلى الوالي، فأمر بقتلهم جميعاً، إلا **الجُنيد**، فإنه تَسَتَّر بالفقه ". لأنه كان يفتي على مذهب أبي ثور -..

إذن كانت أمتنا حية، أما بعد ذلك أمتنا لَمَّا انحدرت، يأتيه رجلٌ ويقول: " قال أرسطو.. ". تقول له: " هذا رجلٌ متفتح، هذا رجلٌ حضاري "!!..

القصد كانت أمتنا بعدُ حيةً..

ما هي أسباب الضعف لدى المعتزلة، التي أدت لعدم قبول الأمة لهم؟

.. كما ترون، أن المعتزلة جاؤوا بعبارات، ليس فيها تعاملاً مع العامة، مثل: (الجوهر، العرض، القديم، توحيد الإفراد، العدل و..)، كلمات كما ترون – لما شرحناها –، فيها مشقَّة وعبارات صعبة، والناس لا يفهمونها، بخلاف نص القرآن،.. أي إنسان بسيط يفهم منه مراده، والإنسان الزكي العبقري يفهم منه كذلك مراده، وهو يتعامل.. وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الإنسان العادي يأخذ الأمر ويسلم، والإنسان العالم يأخذ الأمر ويدرك حكمته ويكتشف مغالطة الأخرين، وهكذا فنص النبوي، نص حيٌ، نصٌ عالي في معانيه ومراده وبسيط في أسلوبه..

لكن المعتزلة – كما رأيتم – عباراتهم فَجَّة، وعباراتهم صعبة لدى العوام، فغير مقبولة، لأن أي موضوع من مواضع المعتزلة حتّى يشرحها للعامي، يمكن أن يشرحها ساعتين أو أكثر، وبعد ذلك، يقول العامي: " والله يا شيخ ما فهمت شيئاً، خلِّيني على ما أنا عليه "..

فلذك **جفاف أسلوب المعتزلة** في أفكارهم وأطروحاتهم، فلذلك بقي على هذا الأساس، فكراً – كما يقال في هذه الأيام – **بقي فكراً نخبوياً**، يعني يأخذه قلة من الناس – طبعاً صفوة عقلية، ولكنهم ضُلّال – لكن بالنسبة لعوام الناس، فلا يفهمونه ولا يريدونه، فلذلك قَلَّ أتباعهم ولم يصبح لهم مَدٌّ شعبيٌ..

السبب الآخر: صدور بعض الأفكار والألفاظ التي تثير حقد عوام المسلمين عليهم، عداوةً على علماء المسلمين..

المعتزلة للأسف، صدرت منهم كلمات غير مقبولة للعوام، مثلاً: المعتزلة كانوا يكفرون كثيراً من الصحابة، ويرون أن الصحابة الذين قاتلوا مع المعاوية ضد علي، هؤلاء كفار، بل يرى – بعض المعتزلة – كفر علي، وبعضهم يرى كفر كثير من الصحابة..

فلمَّا يأتي واحد ويكفِّر الصحابة لَدَى العوام،.. فالعوام لا يقبل منه..

هذه، من أفكارهم التي جعلت الناس ينفرون منهم. وكذلك من أسباب التي نفَّرت الناس منهم: " صدور بعض الكلمات التي تدل على جفاف قلوبهم. مثلاً: أن يأتي رجلٌ، ويقال له مثلاً، هو رجل عامى ويعلم أن الشافعي مثلاً عالم في الحديث، والإمام أحمد عالم في الحديث، ويعرف صحيح الحديث وضعيفه.. ويأتي المعتزلي ويذكر فكرة المعتزلة.. فيقوم له هذا العامي ويقول: " ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح ".. فماذا يقول له المعتزلي؟ يقول: " لا نستمع لهذا، هذا كلام الحشوية "!، فيرد الحديث النبوى ولايحترمه، وهذا أدى إلى أن يبتعدوا الناس عنه، ويقولون هذا الرجل لا يحترم حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيبتعدون عنه،..

فلذلك، هذا صدور بعض الأفكار والألفاظ التي لا تُقبل لدى العوام، عداوة على علماء المسلمين. فجعل الناس ينفرون منهم..

هناك أسباب كثيرة، وبلا شك أن **فتنة خلق القرآن،** كانت سبباً للقضاء على المعتزلة، بحيث الناس لما رأوا هذا الرجل الصابر الصادق، **الإمام أحمد** رحمه الله، الذي سُمَّي بـ **" الصديق الثاني "** لأنه منع ردة المسلمين، الردة الثانية، كما منع أبوبكر رضي الله عنه، ردة الأولي. الناس لما رأوا صبره وصدقه، أحبوه، وجعل الله تعالى محبته في قلوب الناس، فجعل الناس ينفرون من المعتزلة..

هذا بعض الأسباب التي جعلت فكر المعتزلة يهزم أمام فكر أهل السنة والجماعة.. وبهذا التوضيح، نُنهي تكوين فكرة عامة عن الإعتزال قديماً وحديثاً وعن صُوَره وعن حالاته.

جزاكم الله خيراً..

فرقة الأشاعرة:

الآن سنتكلم عن الأشاعرة..

" الأشاعرة "، نسبةً **لأبي الحسن الأشعري**، ينتهي نَسَبُه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، المتوفي سنة (٣٢٤هـ) وقيل غير ذلك.. لكن هذا الأشهر وهو الذي عليه بعض أهل التاريخ مثل إبن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١١/ ٢٣١).

بحثنا عن الأشاعرة يتعلق بعدة أمورٍ، إبتداءً سنتكلم أولاً عن شخص الأشعري أبي الحسن.. من هو هذا الشخص؟ وما هو حاله، وما هي المراتب الفكرِية التي مر بها؟

أبوالحسن الأشعري نشأ معتزلياً إلى أن بلغ الأربعين من عمره، لأنه كان في حجر رجلٍ معتزلى كبير شهير، اسمه " **أبو علي الجبائى** " لأن أبا علي الجبائي، كان زوج أمه، فربَّاه على عقيدة الإعتزال. كان أبو على الجبائي، إذا كتب، قوياً في كتابته، لكن في خطابته، لم يكن قوياً، فأبوالحسن الأشعري كان خطيباً، فكان يعمل أبو علي الجبائي أن يسُدَّ أبوالحسن الأشعري لهذا النقص الموجود عند المعتزلة.. نشأ إلى الأربعين. فكان معتزلياً. وعلى فكر المعتزلة، بعد أن بلغ الأربعين، أبوالحسن الأشعري طرأتت عليه أسباب التحول عن الإعتزال، فتحول عن الإعتزال.. ونتكلم على هذا التحول بنقاط: " **النقطة الأولي**: **أسباب التحول**: لماذا تحول أبو الحسن الأشعري من الإعتزال؟ لأسباب كثيرة، مذكورة في كتب التاريخ..

السبب الأول: قال أو ذكر كثير من المورخين وطبقات الشافعية، الذين ترجموا لأبي الحسن، أن سبب توبة أبي الحسن من الإعتزال إلى أن صار - كما زعموا - سنياً، أن رأيٰ رؤيا، أنه في المنام جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال إلى متى يا ابا الحسن، تعادي سنتي؟ إلى متي؟ فيقال أن هذه الرؤيا، أثرت فيه فاعتزل بعد ذلك أربعين يوماً في بيته يتفكر في الأمر، ثم خرج بعد أربعين يوم من إعتكافه في بيته، وخرج إلى المسجد ووقف على المنبر وقال: " من كان يعرفني فهو يعرفني، ومن كان لا يعرفني فأنا أبوالحسن الأشعري، أعلنت الإعتزال عن مذهب المعتزلة والخروج عن مذهب الضلال، والتحقت بمذهب أهل السنة، مذهب الإمام أحمد عليه رحمة الله ".. [١٦٨]

---

[١٦٨] راجع طبقات الشافعية للسبكى ج٢ص٢٤٥، ووفيات الاعيان ٢/ ٤٤٦

فهذا السبب الأول، الذي يذكره بعض المورخين..

وبعضهم يذكر **سبباً آخر**، بعضهم يذكر تحول أبي الحسن الأشعري من المذهب المعتزلة إلى مذهب – كما زعموا – أهل السنة والجماعة، السبب في ذلك، مناظرةٌ حصلت بينه وبين أبي على الجبائي، مناظرةٌ..، ما هي المناظرة؟.. أنتم تعرفون أن المعتزلة يقولون " **بوجوب الأصلح على الله** "، ماذا يعني عندهم وجوب الأصلح؟ التي قررت لديهم – هو – أن الله عزوجل لا يفعل إلّا الحسن –، وعند المعتزلة أن الله عزوجل لا يقدر على فعل القبيح – أو فعل الشر –.. إنتبهوا! نحن أهل السنة نقول: " أن الله قادرٌ على كل شيء "، يعني هو قادرٌ أن يظلم وقادرٌ أن يعدل، لكن هل من أفعاله سبحانه، الظلم؟ هل يظلم ربّنا؟ لا، لا يوجد. فالله تعالى قادرٌ أن يظلم، ولكن سبحانه وتعالى لا يظلم وليس من أفعاله الظلم..

المعتزلة يقولون: لا!، يقولون: " ان الله لا يقدر أن يظلم، وواجب على الله أن يفعل الأصلح ".. ما هو الأصلح في عرفهم؟ هو بالتحسين والتقبيح العقلي، الصلاح – عندهم – هو ما قرر العقل صلاحه والفساد هو ما قرر العقل فساده. فهمتم؟ يعني أن الله يجب عليه أن يفعل الأصلح، ولا يستطيع أن يفعل إلا الأصلح – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً –..

فسبب المناظرة كالتالي: جلس يوم أبوالحسن الأشعري مع أبي على الجبائى – زوج أمّه –، قال له: " كان لرجلٍ ثلاث أولاد، ولدٌ منهم مات صغيراً، وولدٌ منهم كبر، ولما كبر كفر، والولد الثالث، كبر ولما كبر أسلم، أين هم يا جبائي؟ أين يذهبون في الآخرة؟ " فقال الجبائي: " أما الصغير فليس إلى الجنة ولا إلى النار، لأنه لم يفعل الخير، فلا إلى الجنة ولا إلى النار " – لأن الجنة عندهم بالعمل، وليس لها تعلق بالرحمة والفضل، كما تبين لنا –، وقال: " و الكبير المؤمن فإلى الجنة، والكبير الكافر فإلى النار "..

فقال له أبوالحسن: " الولد الصغير سيحتج على الله ويقول: " يا ربّ لمَ لم تكبرني وتعطيني من العمر؟ فلو أني كبرت لآمنت، ولكن أنت يا رب! فوّتَّ علي فرصة دخول الجنة، بحيث أمتَّني صغيراً " فقال **الجبائي**: " لأنه يجب على الله فعل الأصلح، فالله تعالى يقول للصغير: إني علمت أنك ستكفر إذا

كبرت، فالأصلح لك أن لا تكبر، فأمتُّك صغيراً ".. فقال أبوالحسن: " حينئذٍ يحتج الكبير الكافر " لمَ لم تُمِتْني صغيراً كما فعلت بالأول؟ "! فسكت أبوعلي الجبائي.. [169]

.. فقيل، كأن هذه المناظرة كانت من أسباب تحول أبي الحسن الأشعري من مذهب الإعتزال إلى غيره.. نقول إلى غيره موقتاً، حتّى نعرف إلى ماذا تحول أبوالحسن الأشعري؟.. هذا هو السبب الثاني..

والصحيح: لعلّ هذه الأسباب مجتمعة، وقيل لأسباب أخرى كثيرة، لا نخوض فيها، لكن مما أعتقد، أن من أسباب تحوُّل أبي الحسن الأشعري، أنه كان شافعياً، ودرس في مجالس بعض الأئمة الشافعية، - كالإمام الحافظ " **زكريا الساجي** " (٣٠٧هـ) - فلعل عقلية الإمام الشافعي الكبيرة المبدعة، كانت سبباً، من أسباب تحول هذه العقلية وإهتداءها إلى فشل وضلال فكر المعتزلة..

المهم، هذا الرجل، أبوالحسن الأشعري رحمه الله، نشأ معتزلياً وتحول عن فكر الإعتزال، أين تحول؟ الصحيح، أنه لم يتحول مباشرة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، أهل الحق،.. الصحيح، أنه قفز بعد ذلك إلى مرتبة ثانية..

ثانياً: تحول إلى مذهب " **ابن كلّاب** " **عبدالله بن سعيد بن كلّاب** " [170] [المتوفى بعد سنة ٢٤٠هـ].

الرجل - ابن كلاب - كان من أهل الكلام، وهو أول من ابتدع بدعة نفي الصفات الإختيارية عن الله سبحانه وتعالى ما معنى هذه العبارة: " نفي الصفات الإختيارية عن الله "؟ نحن عندنا هناك صفات تسمى عندنا " **صفات الذات** " وعندنا صفات، تسمى " **صفات الفعل** "، ما الفارق بين هذه

---

[169] طبقات الشافعية للسبكى (٢/ ٢٤٥) - وفيات الأعيان٣/ ٣٩٨.

[170] أبو محمد، **عبدالله بن سعيد بن كلاب**، القطان البصري، قال **الذهبي**: (رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وكان يلقب كلاباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته.. وأصحابه هم الكلّابية). وله مصنفات في الرد على الجهمية والمعتزلة وإن وافقهم في بعض أصولهم.. انظر منهاج السنة (١/ ٣١٢) قال شيخ الإسلام: (الكلابية وكذلك الكرامية فيهم قرب إلى أهل السنة والحديث، وإن كان في مقالة كلٍ، من الأقوال ما يخالف أهل السنة والحديث) مجموعة الفتاوى (٦/ /٥٦). **قال الذهبي**: (ولم أقع بوفاة ابن كلاب، وقد كان باقياً قبل الأربعين ومئتين). انظر سير اعلام النبلاء (١١/ ١٧٤ - ١٧٧).

الصفات وهذه الصفات؟ الفارق بينهما أن صفات الفعل متعلقة بالإرادة وصفات الذات لا تعلق لها بالإرادة.

الآن، هل الحياة لها تعلق بإرادة الله، يعني ممكن الله تعالى يكون حياً، وإذا أراد أن لا يكون حياً، لا يكون؟! فهذه صفة ذات، لا تنفك عنه، وليست متقيدة بالإرادة ك " السمع والبصر، وأنه الأول والآخر "، هذه صفات ذاتية، لا تعلق لها بالإرادة، لكن هناك صفات متعلقة بالإرادة، وهي تسمى عند أهل السنة والجماعة (**بصفات الفعل**)، وهي مثل (الكلام)، إذا شاء تكلم، وإذا شاء لم يتكلم، وإذا شاء سبحانه وتعالى " استوى على عرشه "، وإذا شاء لم يستوى على عرشه،.. هذه الصفاتت، هي صفات الفعل التي لها تعلق بالإرادة، التي هي صفات الفعل أو الصفات الإختيارية..

أول من نفاها من؟ ابن كلاب. قيل سمي بهذا الإسم لأنه كان مناظراً شرساً، فإذا ناظر الرجل كلب فيه، كما يكلب الصائد بصيده..، فنفي الصفات الإختيارية، أول من جاء به " **ابن كلاب** ".. وتأثر بها بعض أهل السنة، ممن تأثر بهذا المذهب: (**ابن فورك**، محمدبن الحسن) (٤٠٦هـ). تأثر كذلك مِن ابن فورك، تلميذه، وهو " **البيهقي**، أحمد بن الحسين بن علي، أبوبكر " (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، الإمام العظيم، صاحب كتاب " الأسماء والصفات "، فيه تأثير من مذهب ابن كلاب، في نفي الصفات الإختيارى عن الله عزوجل..

الآن نريد أن نفسر لكم لماذا نفى هذا الرجل - ابن كلاب - و أمثاله بعد ذلك من الأشاعرة، لماذا نفوا الصفات الإختيارية، ما هو دافعهم، كما بينا ما دافع نفي القدر عن الله ونسبته إلى الأشخاص،.. هناك دافعٌ فكرِي، تأويل، ما هو سببه؟

سببه كالتالي:

قالوا ان الإرادة إذا حدثت في ذات الله، فهي حدثت بزمن، فالإرادة حادثة، عندهم الإرادة حادثة، وحدوث الإرادة في ذات الله دل على حلول الحوادث في ذات الله، والحوادث عندهم هي مخلوقات، - المنطق الأرسطي -..

القاعدة كالتالي عندهم: " كل حادثٍ مخلوق "، والإرادة – التي هي متعلقة بصفات الفعل – هنا حين تحدث فهي ماذا؟ حادثةٌ.. في النتيجة: الإرادة مخلوقة. (لأن – عندهم – كل حادث مخلوق). – فيقولون – هل يجوز أن يكون هناك شيءٌ مخلوقٌ في ذات الله، هل يحل شيءٌ في ذات الله من مخلوقاته؟ او هل يحل الله في شيءٍ من مخلوقاته؟ هذا كفر، حلول الحوادث في ذات الله كفرٌ، وحلول الرب (سبحانه) ذاته في مخلوقاته كفر.

فالنتيجة أن الأفعال التي لها تعلق بالإرادة، لا وجود لها، بل هي أزلية،..

وسنشرحها كثيراً عند كلامنا على كلام الله عند الأشاعرة..

فهمتم؟ هذا هو سبب هذه المقالة..

لكن نحن ماذا نرد عليهم؟ سريع جداً! نرد عليهم ونقول: كلمة " حادث "، هذه عند أهل العقل تعني معنيين، **المعنى الأول: " المخلوق "**. لكن هل صحيح كل حادثٍ مخلوق؟ لا، هناك حادث بمعنى الذي له أول. الحادث هنا، الذي له أول..

فالإرادة حين حدثت في ذات الله، ما معنى حدثت؟ أنها لم تكن، وهو متعلق بالذات والكلام في الصفات، كالكلام في الذات،.. أنها غيرمخلوقة، ولكنها من فعل الرب، والرب عندنا، هو الذي يستطيع أن يفعل ويستطيع أن لا يفعل، هو أقدر من (الذي يفعل، ولا يستطيع أن لا يفعل)،.. من هو الممدوح عندنا؟ الإنسان الذي عنده القدرة على الكلام وعنده القدرة على السكوت، او الذي عنده القدرة على الكلام وليس له القدرة على السكوت؟ مَن الممدوح لدينا؟ الأول الذي له القدرة على كلا الفعلين..

فما كان مدحاً في حق المخلوق، فهو مدح أيضاً في حق الخالق، وهو الذي يسمى عند أهل السنة " **بالقياس الأولى** ".. وهو القياس الذي يجوز بين الخالق والمخلوق.، فما كان حقاً وممدوحاً بالنسبة إلينا، فهو كذلك ينبغي أن يكون مدحاً وحقاً في حق الله تعالي.. [١٧١]

فأنت تسمع ووجود السمع في حقك مدح، فمن باب الأولى أن يكون مَن خَلَقَك وهو الممدوح، أن يكون سميعاً.. وهكذا في الإرادة وصفات الفعل..

المهم، أن **أبا الحسن الأشعري**، تحول من مذهب الإعتزال، لكنه لغلبة مذهب ابن كلاب – وكان كثير من أهل السنة وأهل الحديث قد حملوا هذا المذهب وأخذوا به، ظناً منهم انه المذهب الحق،.. فقفز أبوالحسن إلى مذهب ابن كلاب ظاناً أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.. وكان أبوالحسن بصير العقل، فقفز إلى مذهب ابن كلاب، ما قفز إلى الحق، قفز إلى شيءٍ يظنه الحق ولذلك وقع أبوالحسن في مرتبةٍ وسط ما بين الإعتزال وبين مرتبة أهل السنة والجماعة، مرتبة تحمل كلام أهل السنة والجماعة، لكنها لا تحمل معاني أهل السنة والجماعة..، يعني، أبوالحسن مشكلة كبيرة، الأشاعرة ستلاحظون، أنها مشكلة كبيرة.. كلام حق بمعاني باطلة..

ولذلك قلت في كتابي " **رد الأثر المفيد على البيجوريى في شرح جوهرة التوحيد** ": [أن الأشاعرة حاولوا أن يوفِّقوا، فلفَّقوا فلم يوفَّقوا].. لفَّقوا معاني باطلة بكلمات حق، لم يصيبوا الحق، فلم يوفّقوا..

---

[١٧١] قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله – في القياس الأولى –: " مثل أن نعلم أن كل كمال ثبت للمكن أو المحدث، لا نقص فيه بوجه من الوجوه: وهو ما كان كمالاً للموجود غير مستلزم للعدم، فالواجب القديم – اى الله تعالى – أولى به. وكل كمالٍ لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبَّر، فإنما استفادة من خالقه وربه ومدبِّره، فهو أحق به منه. وأن كل نقصٍ وعيبٍ في نفسه — وهو ما تضمن سلب هذا الكمال. إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والمحدثات والممكنات – فإنه يجب نفيه عن الرب تبارک وتعالى بطريق الأولي. وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود، وأما الأمور العدمية، فالممكن، بها أحقّ ونحو ذلک.

ومثل هذه الطرق، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب كما استعمل نحوها الإمام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة أهل الإسلام وبمثل ذلک جاء القرآن في تقرير أصول الدين من مسائل التوحيد والصفات والمعاد ونحو ذلک.. " [مجموع الفتاوى ٣/ ٢٩٧ – ٢٩٨]

والصحيح أن كثيراً من آراء أبي الحسن الأشعري، هي آراء ابن كلاب، لكن كثيراً، بدا يتحول قليلاً قليلاً – إلى مذهب الحق –، حتّى توفي عليه رحمة الله سنة (٣٢٤هـ).

وتقريباً كان في الستين من عمره عندما توفي عليه رحمة الله وعنده بعض الآراء الموافقة لأهل السنة والجماعة،..

هذه شخصية أبي الحسن الأشعري، لكن أبا الحسن الأشعري لم ينتشر مذهبه كثيراً في حياته، نشر مذهبه رجلٌ اسمه " **أبوبكر الباقلاني** " [٣٣٨ – ٤٠٣هـ]، كان رجلاً متكلماً، شديد البحث، وكذلك له سطوة وأهمية عند الشافعية، فنشر مذهب أبي الحسن الأشعري، وهو الذي نصر هذا المذهب.. وبقي المذهب يتراوح بين خصومة المعتزلة له، – لأنه خلاف المعتزلة –، وكذلك خصومة أهل الحديث، أهل السنة والجماعة، خاصموه بشدة وخاصموه كثيراً..

.. الآن نريد أن نعرف ما هو مذهب الأشاعرة، نريد – حتّى نحكم عليه – أن نعرفه.. لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره وعن معرفته..

الآن: **ماهو مذهب الأشاعرة؟**

نمشي مع هؤلاء القوم خطوة خطوة، – إنتبهوا كثيراً، المسألة مهمة، لأنها مجال صراعٍ معاصر –، لنبدأ بالقرآن الكريم.

عقيدة أهل السنة والجماعة، فيما نعتقد، مع عقيدة الأشاعرة.

أولاً: عقيدة الأشاعرة في القرآن الكريم:

نحن – أهل السنة –، ماهو القرآن؟ القرآن عندنا كلام الله.. ماذا يعني كلام الله؟ الكلام في لغة العرب هو " اللفظ والمعنى "، الكلام: لفظ مفيد. إذن عندما نقول هو " الكلام " يساوي " المعنى زائد اللفظ ". **ثانياً**: أن الكلام عندنا، صفة الكلام، القدرة على الكلام صفة أزلية، لكن إذا حدث الكلام، – عندنا – يحدث الكلام متى شاء الرب سبحانه وتعالي.

إذن الكلام عندنا صفة ذاتية أم صفة فعل؟ صفة فعل؟ [172] أي أنه إذا شاء الرب يتكلم، وإذا لم يشأ لم يتكلم، (**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه**) الأعراف ١٤٣.

متى حصل الكلام الإلهي؟ إذا ما جاء موسي. قبل ذلك لم يقل له " يا موسى " و إنما قال له " ياموسى "، حين شاءت – أرادته أن يقول –، أما قبل ذلك لم يقل له " يا موسى ". إذن **ثانياً**: الكلام عندنا صفة فعل. **ثالثاً**: الكلام، الذي نطق..

بدا لنا أن الكلام هو اللفظ، واللفظ هو الحروف، إذن كلام الله عندنا ماذا؟ حروف، والقرآن حروف، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (**من قرا حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**). [173]

و كتاب الله هو كلام الله، إذن كلام الله ماذا؟ حروف..

لما نقول: " الكلام، صفة فعل "، هل يعني أن كلام الله أزلي؟ يعني القرآن أزلي؟ ليس أزلي. العلم هو الأزلي، ولكن هو متعلقة بالإرادة والإرادة عندنا حادثة – حادثة ليست بمعنى مخلوقة ولكن بمعنى أن لها أولاً –..

إذن هذا مجمل ما عندنا بالنسبة إلى حقانية النظر إلى القرآن عند أهل السنة والجماعة..

ماهو القرآن عند المعتزلة؟

القرآن عند المعتزلة حروف، مخلوق. والقرآن عندهم معنى ولفظ، مخلوق. وليس هو صفة لله، ولكن هو مخلوق لله عزوجل.

---

[172] وقد تكون الصفة، ذاتية فعلية بإعتبارين، كالكلام، فإنه بإعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته متى شاء بما شاء. [القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسني. للشيخ ابن عثيمين ص٢٥] ونستطيع أن نقول: " **صفة الكلام لله تعالى، قديم النوع وحادث الآحاد** ".

[173] أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وقال: **حسن صحيح غريب.. وصححه الألباني** في صحيح الجامع رقم (٦٤٦٩)

الآن ماهو المسألة عند الأشاعرة؟

الأشاعرة يقولون: " القرآن (كلام الله) عندهم: **أولاً**: هو " المعنى " فقط.

كلام الله عند الأشاعرة ليس هو اللفظ ولكن هو المعني. - عندهم - حروف القرآن الذي نقرأه ليس هو كلام الله، ولكن المعني، هو من الله. والحرف ممَّن؟ إختلف الأشاعرة..، عندهم خلاف في هذا الموضوع، هناك ثلاثة أقوال عند الأشاعرة كما ذكره **البيجوري**:

القول الأول: أن الحروف قول جبريل.

القول الثاني: قول محمد صلى الله عليه وسلم.

القول الثالث: قول مخلوق.

إذن كما ترون، كلام الله عند الأشاعرة، هو المعني، هو المعنى النفسي. القرآن، أو كلام الله، هو المعنى النفسي القديم القائم بالذات.

ويقول **اللقاني** (إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني) (١٠٤١ه) في كتابه **(جوهرة التوحيد)**: " وكل نصٍ للحدوث دلّا.. إحمل عن اللفظ الذي قد دلّا ".

هذا هو الكلام عندهم.

ثم ثالثاً: **القرآن معنى واحدة**. عند الأشاعرة.

سترون هذه المجموعة الغريبة جداً من التناقضات. طبعاً الأشاعرة، لا تقولون كيف؟.. يعني ترون أن مذهب المعتزلة، معقول وممكن تصوره.. لكن سترون أن في جميع مذهب الأشاعرة، لا يوجد شيءٌ، يمكن تصوره. ولذلك..

إذن هو القرآن عند الأشاعرة، أول شيء: هو المعني.. و أما اللفظ، إما أن يكون عن الجبريل أو عن محمد صلى الله عليه وسلم، أو مخلوق. ثم إستقر عند الأشاعرة المتأخرين على أن اللفظ الذي بين أيدينا

ماذا؟ مخلوق. يعني أنت تقول: (الحمدلله)، هذه الكلمة " الحمدلله " هل هذه، كلام الله؟ - بالنسبة للأشاعرة؟ - لا، هذه لفظة مخلوقة، وأما معناها، هو كلام الله. ما دليلكم على أن الكلام - في لغة العرب - ممكن أن يطلق على المعنى دون اللفظ؟ لأن العرب تقول " الكلام، هو اللفظ المفيد، الذي يحمل معنى ". قالوا: دليلنا قول الشاعر - احتجوا ببيت شعرٍ وهو -: " إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً ". [١٧٤]

قالوا: انظروا هذا الشاعر، يقول الكلام هو الذي في القلب، إذن الكلام هو المعني، لكن اللفظ لا يطلق عليه الكلام وإنما دليلٌ على الكلام. إذن القرآن الذي بين أيدينا هل هو كلام الله؟ أو الدَّال على كلام الله، أو عبارة على كلام الله؟ - قالوا - هو الدليل، وليس هو كلام الله! ولكنه مخلوق ودالٌّ على كلام الله. وقالوا هذا كلام شاعرٍ، يدل على مانقول..

ثم قالوا واحتجوا بكلام **عمربن الخطاب** رضي الله عنه لما جاء السقيفة، فقال: (زوَّرت في نفسي كلاماً) [١٧٥] - أي قدَّرته -، فسمَّى ما تُحَدِّث النفس به نفسها، كلاماً.

فقال الأشاعرة: إذن جاز لنا أن نسمِّي الكلام هو الحديث النفسي، المعنى الموجود في داخل اللفظ..

الرد عليهم سريعاً: الرد على هؤلاء: الكلام، كلمة الكلام إذا أطلقت لا يمكن أن تحمل إلا على " اللفظ المفيد "، لكنها إذا قُيدت، تَحملُ معاني كثيرة.

أول شيءٍ الذي احتجوا به، هو " بيت شعرٍ "، لرجلٍ اسمه (**الأخطل**). قال العلماء: أيترَك الله عزوجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم لرجلٍ نصراني؟ [١٧٦] ثم نظروا في ديوان الأخطل، فلم يجدوه، هذا لا يوجد في ديوان الأخطل المطبوع.

---

[١٧٤] هذا البيت منسوب لأخطل (١٩ - ٩٠هـ). وهو من الشعراء النصرانيين المشهورين.

[١٧٥] رواه البخاري (٦٨٣٠)..

[١٧٦] قال الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته: " ودليلهم في ذلك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

ياقوم قد غلط النصارى قبل في معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

ثم روي بألفاظٍ أخرى قالوا:

" إن الخواطر في الفؤاد.. " ولم يذكروا الكلام، وهكذا..

على كل حال، هذا بيت شعرٍ لا يفيد. والأخطل عند كثيرٍ من أهل العلم وأهل اللغة، رجلٌ مولَّدٌ.. – اى لايحتج بشعره، وليس من العرب الذين يحتج بشعرهم.. وهكذا، على كل حالٍ، فهذا لا يناقض ما إستقر عليه كلام العرب، الذين لا يرون الكلام إلا بمعنى اللفظ المفيد.

ثم كلام **عمر** رضي الله عنه، فقيد الكلام فيه بالنفس، فلو أنه قال " لقد زوّرت كلاماً "، ماذا سيفهم منه؟ نفهمه أنه تكلَّمه كلاماً ذا لفظٍ مفيد، فإذا جاءت كلمة الكلام مطلقة، إنما تحمل معنى اللفظ ذات المعني، لكنها إذا قيدت فتحمل المعنى المراد. قديقال: تكلَّم الرجل بكلامٍ لا يفهَم منه شيءٌ، أي، هو أعطانا ألفاظاً، لكن غير مفيده، وليست لها معاني.. لكن كلمة الكلام، إذا أُطلِقت ولم تُقَيد، دلَّت على اللفظ المفيد. [١٧٧]

ثانياً: قالوا هذا هو معني، وأين هو؟ في النفس، إذن هو لم يخرج منه.. أي: كلام الله لم يخرج منه في نفسه،.. كيف خرج منه؟ – قالوا – مخلوقاً بصيغة الكلام الموجود لدينا..

ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم إذ قيل كلمة خالق الرحمن

ولأجل ذا جعلوه ناسوتاً و لاهوتاً قديماً بعد متحدان ".

[١٧٧] ومما يرَدُّ به قولهم بالكلام النفسي، قول النبي صلى الله عليه وسلم " **إن الله تجاوز عن أمتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعمل به** " [رواه البخارى ٦٦٦٤ومسلم ١٢٧]. فالحديث، ظاهر في أن حديث النفس ليس كلاماً. وإذا كان كلام الله نفسياً، فما الذي سمعه موسى عليه السلام؟ وقدقال تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) النساء ١٦٤.. ثم أي مزيةٍ لموسى عليه السلام في اصطفاء الله له بكلامه على من سمع الوحي بواسطة الملك أو بواسطة الرسول البشري، أو كان إلهاماً؟! قال تعالى: (و إن أحد من المشركين استجارک فأجره حتّى يسمع كلام الله) التوبة (٦).

[انظر شرح العقيدة الواسطية لخليل هراس ص١٥٤، و " قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر " لصديق حسن خان ص ٧١].

إذن في هذه النقطة، يلتقون مع المعتزلة.. في النهاية أنهم جازوا أن يقال أن القرآن مخلوق! لأننا نتحدث عن القرآن الذي بين أيدينا، لا نتكلم عن الورق، ولا عن المداد، نتكلم عن ماذا؟ لما تقول " الحمدلله رب العالمين ". هذا كلام من؟ هذا بصوتي أنا، لكن هو كلام من؟ كلام الله تعالي، كما هنا تقول " إن الكلام لفي الفؤاد.. " كلام أخطل ولكن بصوتى أنا.. فإذن (الحمدلله رب العالمين) كلام الله سبحانه وتعالي..

فإذن **الأشاعرة هنا صرَّحوا في بعض كتبهم أن القرآن مخلوق!**، ولذلك قال **البيجوري** في شرح جوهرة التوحيد: " ولا يقال أن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم، لأن التلميذ يستطيع أن يفرِّق بين قولنا مخلوق وغير مخلوق "..

إذن فعند الأشاعرة، القرآن ذات اللفظ مخلوق، والقرآن بمعني، غير مخلوق.. هذا هو الأمر عند الأشاعرة..

إذن الأشاعرة هل في هذه المسألة على قيدة أهل السنة والجماعة؟ لا، ليسوا في شيءٍ من عقيدة أهل السنة والجماعة..

إذن ثانياً: **لمّا** هو معنى نفسي، قالوا: قديم..

تكلمنا أن الأشاعرة ينفون الإرادة الحادثة عن الله، لأنهم يقولون لو حدثت الإرادة في ذات الله، فالإرادة مخلوقة – لأن عندهم، كل حادث مخلوق – فلا يجوز أن تحل الحوادث في ذات الله، إذن الصفات الإختيارية ممنوعة على الله عزوجل. لأنها – عندهم – تعني حلول الحوادث (أي المخلوقات) في ذات الله..

إذن ماذا سيقولون عن الكلام؟ هل يقولون عنه صفة إختيارية، أم صفةٌ قديمةٌ حيث كانت الذات؟ إذن كلام الله عندهم ليس هو من صفات الفل، ولكن هو عندهم " قديم " وأزلي. – فعندهم – ما زال الرب سبحانه وتعالى يقول – منذ أن كان – ولا يستطيع أن يتوقف، يقول: " يا موسي! يا موسي!.. " لا يستطيع أن يتوقف. – العياذبالله –..

كلام نفسي قديم قائم بالذات، [178] أي هذا المعنى – مثلاً " ياموسى " – قائم في ذات الله ولايتوقف لتوقف الإرادة، لأنه الإرادة إذا توقفت، حدثت الحوادث في ذات الله..

هذا، عندهم.. قائم بالذات: أي في ذات الله عزوجل، لأن الصفات عندهم، قائم بالذات – **وهذا حقٌ** –..

الآن: **ثالثاً**: عندنا، مادام القرآن هو المعنى واللفظ، واللفظ حروف، فإذن القرآن عندنا – أهل السنة والجماعة – حروف.. فلمّا كان القرآن عند الأشاعرة هو المعني، هل جاز أن يكون كلام الله بمعنى " المعنى النفسي "، أن يكون حروفاً؟ لكن – عندهم – هذه الحروف التي نحن نقرأها، مخلوقة، **إذن القرآن – عندهم – مخلوق**..

وعندنا أهل السنة والجماعة، كلام الله، تكلَّم بصوت، ودليله الحديث الذي رواه الإمام **البخارى** في " خلق أفعال العباد ": **" أن الله تعالى يحشر العباد، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ، أنا المَلِك، أنا الدَّيان "**. [179] إذن إن الله تعالى يتكلم بصوتٍ لايشبه أصواتنا، (ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير) الشوري١١.

فلما كان القرآن عند الأشاعرة هو المعنى فقط، فكلام الله عندهم، لم يكن بصوت..

جاؤوا هنا إلى نقطة أخرى وهي (أن القرآن معنى واحدة)!.. قد يأتي إليهم من يحتج، يقول: " يا جماعة! أنتم تمنعون الحوادث المتجددة في ذات الله عزوجل. الآن، أنتم منعتم عن الله أن يقول: الحمدلله رب العالمين. لكن هل تمنعون أن يكون هذا المعنى قد جرى على نفس الله؟ " قالوا: لا. – لأنهم يقولون

[178] جاء في كتاب " تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد " من كتب الأشاعرة ص٧١و٨٢: " واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته – ثم قال – ليست بحرف ولا صوت..)!. وهذا مذهب باطلٌ كما قال الشيخ جزاه الله خيراً.

[179] أورده البخارى تعليقاً عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً في صحيحه (باب قول الله تعالى: ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له..). وأخرجه أحمد في المسند (رقم١٦٠٨٥) والحاكم في المستدرک (٣٦٣٨) وقال صحيح الأسناد.. **وصححه الألباني** في " صحيح الترغيب والترهيب " رقم (٣٦٠٨).

" معنى هذا اللفظ في نفس الله، ولم يتكلمه ".. طيب!، **لمّا** الله عزوجل – على زعمكم – جرى في نفسه كلمة " الحمد "، معنى " الحمد "، فكلمة " الحمد " جرت قبل جريان كلمة " لله "، هل هذا صحيح؟..

إذن حدثت إرادة الله بأنه قال – كما تزعمون في نفسه – قال " الحمد " ثم حدثت إرادة جديدة، بأن قال " لله "، وكذلك لما قال: " ال " حدثت إرادة الله بالهَمِّ بكلمة (ال)، بـ (الف) قبل (اللام) و (اللام) قبل (الحاء) و (الحاء) قبل (الميم) والكلمة قبل الكلمة، ثم حدثت إرادة الله بأن جرت " الحمدلله رب العالمين " قبل " الرحمن الرحيم ".. إذن هنا إرادات متتابعة، والإرادة الأولى غير الإرادة الثانية،.. إذن أنتم في النهاية **لمّا** أجريتم، هذا القرآن على المعنى بهذا المعني، إذن حللتم الحوادث في ذات الله – على المعنى الذي تقولونه –، إذن حدثت الحوادث – على تفسيرهم وزعمهم – في ذات الله..

فقالت الأشاعرة – فراراً من هذا الإحتجاج عليهم، كالمستجير من الرمضاء بالنار – قالوا: القرآن كله معنى واحد**!**..

الآن واحد يسألني كيف كله معنى واحد؟**!** أقول له: لا ندري، ولا يمكن تصوره..

فالأشاعرة، لمنع الإرادة الحادثة في حق الله تعالي، عندهم، قالوا: القرآن معنى واحد**!**..

يعني إذا تكلم الله تعالى بالسريانية، كان إنجيلاً، وإذا تكلم بالعبرانية كان توراتاً، وإذا تكلم بالعربية كان قرآناً، وكله معنى واحد**!!**.. شيءٌ لا يمكن تصوره**!!**..

الآن، **جَرَّهما** هذا، لأقوال شنيعة تقرأونها في كتبهم وليس هذا مجال البحث، **يقولون بعدم تفاضل الآيات**، والقرآن عندنامتفاضل.. **" قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن "** [١٨٠]. إذن " قل هو الله أحد " أفضل من سورة " الفلق "..

[١٨٠] **حديث صحيح** أخرجه مسلم (٨١٢) وأحمد (٩٥٣١) وغيرهما.. لمزيد الإطلاع في هذا الموضوع راجع رسالة (جواب أهل العلم والإيمان في أن " قل هوالله أحد " تعدل ثلث القرآن) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال تعالى (**ماننسخ من آيةٍ أو ننسها نأتي بخيرٍمنها أو مثلها أَلَم تعلم أن الله على كل شيء قدير**). [181]
إذن ممكن أن يكون آية خير من أخري..

وهؤلاء يقولون: " القرآن لا يتفاضل "..

فهمتم كيف يجرُّهم هذه المسائل لأقوالٍ شنيعة.. لا نريد أن نصل ماذا جرَّت عليهم، لكن يكفي أن نقف عند هذه الصورة..، فالقرآن عند الأشاعرة، هذا الذي رأيناه..

الآن نأتي إلى قول (**اللقاني**): " وكل نص للحدوث دلّا إحمل على اللفظ الذي قد دلّا "، ما معنى هذا الكلام؟

جاء بعضهم وقالوا، القرآن فيه عبارات تدل على حدوث الألفاظ. تدل على أنها حدثت بعد أن لم تكن، أي: أن الله تكلمها ولم يكن تكلمها سابقاً. مثل قوله تعالي: (ولما جاء موسى لميقاتنا.. قال إنك لم تراني..) [182] الآية، لما قال: " ياموسى "، هذا حدث في وقتٍ، ففيه دلالة على الحدوث.

هنا، قال **اللقاني**: " وكل نص في القرآن دال على حدوث القرآن، فاحمله على اللفظ الحادث المخلوق ". أي أنه ليس محمولاً على القرآن. بمعني: القرآن الذي كلام الله هو المعني، ولكن اللفظ والحروف، مخلوقة، فتلك عبارات محمول على اللفظ والحروف..

أُعيدها: نحن أهل السنة عندنا القرآن، حادث، بمعنى أن له أولاً، يعني أن الله تعالى تكلم به ولم يكن قدتكلم به،، فلمّا شاء ربُّك تكلم، **يتكلم الرب سبحانه إذا شاء بما شاء كيف شاء.** لا ندري الكيف، ولكن نعلم أن الرب سبحانه يتكلم..

---

[181] البقرة (١٠٦).

[182] الاعراف (١٤٣).

الآن لما ننظروا في القرآن، يحتج السني على البدعي الأشعري، بأن في القرآن، آيات دالة على أن القرآن يحدث بإرادة الله متى شاء. فأجاب الأشاعرة، بأن " هذا اللفظ الدال على الحدوث، لا تَقُلْ على أنه دالٌّ على الحدوث في كلام الله، ولكن دال على حدوث اللفظ المخلوق "..

إذن فعندهم كل نص في القرآن، دال على الحدوث، فهو دال على حدوث اللفظ المخلوق. لا على حدوث كلام الله الذي هو المعنى النفسي القديم القائم بالذات "..

فالأشاعرة، في مسألة " كلام الله "، هم أقرب إلى المعتزلة، لأنهم في النهاية يقولون " أن القرآن مخلوق "، لأنهم يقولون بخلق الألفاظ والحروف..، وصدق من قال: (**الأشاعرة لا السنة نصروا، ولا الشرك كسروا**). ما نصروا الحق، وما هزموا الباطل، جاؤوا بعقيدة جديدة وبدعة جديدة..

الآن نأتي إلي: " السنة " عند الأشاعرة:

مختصراً، إخواني! الأشاعرة يقسمون السنة كما يقسمها أهل الحديث، إلي١ - الآحاد٢ - المتواتر.

أما الآحاد: فإنه - عندهم - لا يصلح إلا للعمل. وأما المتواتر فيصلح للعلم والعمل. ولذلك يقولون: " إن الحديث الآحاد، حديث ظنِّي، لا يؤخذ به في العقيدة "، ولذلك أخرجوا..

كم من الحديث المتواتر موجود عندنا؟ قليل جداً، إذن كم من العقيدة التي تثبت بهذه الأحاديث؟.. ثم هذا التفريق بين ماهو علم وما هو عمل، وما هو عقيدتى وما هو عملي، من أين جاؤوا بهذا التفريق؟! - بل - قل: " كل من عندالله "..

خلاصة: السنة عندهم لا تصلح أن تكون دليلاً للعقائد والدين. لأن السنة عندهم مرمية جانباً لا قيمة لها. إذن من أجل أن يملأوا هذا الفراغ الذي تخليه السنة، ذهبوا إلى العقول، وأي حديث لا يعجبهم ولا تعجبه عقولهم، يقولون عنه، " هذا حديثٌ آحاد فلا يثبت به الأمر "..

نأتي إلى المسائل الأخري.

ثالثاً: التوحيد:

ماهو التوحيد عند الأشاعرة، وماهو التوحيد عند أهل السنة؟

التوحيد عند أهل السنة، توحيد أفعالنا لله، توحيد العبادة، توحيد الألوهية، أي توحيد أرادتك لله.. هذا – مختصراً – هو التوحيد عند أهل السنة والجماعة.

ما هو التوحيد عند الأشاعرة؟ هو **أولاً**: توحيد الذات فلا تتعدد ولاتنقسم.

ثانياً: توحيدالصفات..

ثالثاً: توحيد الأفعال – أي توحيد أفعال الله –.

هذا هو التوحيد عندهم، في المقابل مَن المشرك عندهم؟ الذي عدَّد أو جزَّءَ الذات، والذي عدَّد أو جزَّء الصفات، والذي عدَّد أو جزَّء الأفعال، فقط..

إذن التوحيد عندهم قضايا قلبية معرفية، واما أفعال العباد، فليست من التوحيد، يعني بمعنى " الساجد للقبر " هل هو المشرك الضد للتوحيد عندهم، حسب هذا التعريف؟ لا.

وعلى هذا فإن عامة الكتب التي تتكلم عن التوحيد – للأسف – تتكلم عن هذا التوحيد وهو الذي يسمى عند أهل السنة والجماعة **بالتوحيد " العلمي الخبري** " او توحيد " **المعرفة والإثبات** "، وإن شئت فقل " **توحيد الربوبية** ". وهذا توحيدٌ كان عليه مشركوا قريش..

أما التوحيد عندنا على الحقيقة، هو **التوحيد العملي الإرادي**، توحيد **القصد والطلب** – أي توحيد الذي أساس دعوة الأنبياء –، والأشاعرة لا يقولون بهذا، بل عندهم التوحيد، هو فقط توحيد الربوبية، توحيدالله بذاته وأفعاله وصفاته.

هذه المبحث سنتوسع فيه قادماً، لكن نمر على الأشاعرة مرور الكرام..

رابعاً (القَدَر): علمنا ماهو القدر عند أهل السنة والجماعة، هو المراتب الأربعة: أهل السنة يثبتون العلم، ثم الكتابة، والإرادة والخلق..

فعل الحيوان، هل له فيه إرادة؟ يعني الفعل إذا صدر ممن فيه الحياة، مني ومنك، فإنه يقع في علم الله؟ هل كتبه الله؟ هل أراده الله؟ هل خلقه الله؟ نعم.

الآن هذا الإنسان، هل يمكن إذا فعل شيئاً، لا يعلمه؟ لا. الأصل أنه يعلمه، بمعنى أنه إذا صلَّى يعلم أنه يصلي.. الآن الإرادة، هل يقع شيء بإرادتنا؟ هل يقع شيء منك بلا إرادة؟ نعم ممكن، ولكن الأصل أن لا يقع الشيء إلا بإرادة منك..

الله تعالى أثبت لك المشيئة ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ [١٨٣] كما جمع الله عزوجل الإرادتين – إرادة الإنسان، وإرادة الله تعالى في هذه الآية.. إذن الله عزوجل، أثبت للإنسان إرادة، وأثبت كذلك إذن الله عزوجل. الآن إرادة الله سبحانه وتعالي، الإرادة هنا إرادة آذنة، أي، أَذِنَت لك بأن تفعله، وإرادتك مخلوقة من قِبَل الله، وهذا الفعل مخلوق، والقوة فيك، مخلوقة..

الآن **القدرية** – المعتزلة – ماذا قالوا؟ قالوا: ليس لله إرادة بهذا الشيء، أبداً، إنما إرادة الإنسان، فأثبتوا القدر لأنفسهم..

الجبرية ماذا قالوا؟ قالوا: فقط إرادة الله ولا إرادة للإنسان. إنما هو كريشة في مهب الريح، فقط، يتحرك بلا إرادة، لا إرادة للإنسان، عند هؤلاء الجبرية..

الآن ماذا قال الأشاعرة؟ قالوا بمسألة سماها عندهم أبوالحسن الأشعري " **بالكسب** "، وهي ماذا تعني؟ إثبات الإرادة للإنسان، ولكن إرادة غير مؤثرة،.. حاول الأشاعرة كثيراً أن يصوروا لنا ما معنى هذا الكلام عندهم، فخرج إمام " **الرازي** " ابن خطيب الري، بهذه النكتة، بمثال قال: " مثال الكسب، مثال رجلٍ كبيرٍ حمل طفلاً صغيراً وصعد به الجبل، فلما وصل إلى الجبل، مَن الذي صعد؟ الرجل الكبير، لكن هل في نفس الوقت الطفل الصغير على كتفه، قد صعد كذلك؟ نعم صعد، لكن هل هو الذي صعد؟ ليس هو الذي صعد " – فقالوا – في هذه القضية – أي الكسب – الفاعل

---

[١٨٣] التكوير (٢٩).

الحقيقي هو الله والإنسان هذا، هو عنده إرادة ولكن غير مؤثرة.. قال – و أخرج قيح قلبه فقال في النهاية –: **الإنسان مجبور في صورة مختار**..

إذن الكسب عند الأشاعرة ماهو؟ هو الجبر.. إذن في النهاية إنهم اعترفوا أنهم جبرية، ولا قيمة لإرادة الإنسان عندهم..

.. نتكلم – إستطراداً – عن الإيمان عند الأشاعرة سريعاً، ثم نرجع إلى النقطة التي نحن بصددها – وهي الكسب –..

الإيمان عند الأشاعرة:

الأشاعرة في الإيمان يختلفون، فبعضهم قالوا: الإيمان هو المعرفة، مجرد المعرفة.. وبعضهم قالوا: ليس هو المعرفة ولكنه التصديق، ماهو التصديق؟ إقرار القلب الجازم، المعرفة الحقة الجازمة القلبية..

إذن الإيمان عندهم كما ترون لا دخل للعمل فيه، ولكن دَخْلُه أين؟ القلب. مسألة قلبية معرفية..

إذن **الإيمان عندهم التصديق فقط**، لكن قضية التصديق، قضية قلبية. ولا يمكن أن نعرفها إلا بالدليل عليها وهو قول اللسان، للحكم على الرجل بالإيمان في الدنيا.. لكن لو كان رجل مقراً في قلبه من غير الإقرار باللسان، هل مؤمن عندالله على الحقيقة؟ هذا عند الأشاعرة يعترفون به مؤمناً.. إذن عندهم، شرط " القول "، ليس لأنه ركن من أركان الإيمان ولكن لأنه لا يمكن معرفة إيمان المرء في الدنيا، إلا به..

إذن الإيمان عند الأشاعرة تصديق بالقلب وإقرار باللسان – على الصورة التي ذكرنا –.. وليس العمل عند الأشاعرة، من الإيمان.. **إذن هم في الإيمان مرجئة**..

العمل عندنا – أهل السنة – ما منشأه؟ الإرادة، العمل عندنا لا يكون إلا بالإرادة..

تكلمنا موجزاً، لكن أنا أريد أن أَصَلَ إلى نقطةٍ، مستعجلين عليها، في باب " الكسب " وباب " أثر الكسب على حياتنا "..

العمل عندنا، لا يكون إلّا بإرادة، والإرادة هذا.. لا يمكن للمرء أن يكون مرجئياً، إلّا بأن يلغي العمل.. **الإرجاء هو تأجيل العمل، هو إخراج العمل عن الإيمان**.. فالأشاعرة في الإيمان مرجئة، لأنهم يلغون العمل، ولأنهم في نفس الوقت، في قضية الجبر ماذا؟ في قضية الكسب؟ يلغون الإرادة. لأنهم يقولون أن الإرادة غير موثرة. عندهم، الإرادة – للإنسان – موجودة، ولكن غير موثرة. أي الإرادة – عندهم – دليل على وجود العمل، ولكن هي ليست التي بها يحدث العمل..

إذن، لا يمكن للرجل أن يكون مرجئياً، إلا أن يكون ماذا؟ أن يكون جبرياً. لأن الإرادة في حركة الإنسان لا قيمة لها – عندهم – لأنها غير مؤثرة في وجود العمل – عندهم –..

هؤلاء القوم، كما ترون، ضالّين في الشرعيات، بمعنى لما أسقطوا الإرادة في مجال الإيمان، وهو الشرعيات، ماذا ترتب عليه؟ سقوط العمل الشرعي من الناس وعدم الإهتمام به.. زاني، سارق، كافر،.. العمل كله ليس من الإيمان.. لكن بعد ذلك يكفِّرون بالعمل!. كيف هذا؟ ولماذا يكفّرون بالعمل ويقولون – مثلاً – " من سبَّ الله يكفر "؟ الحق أنهم لا يكفِّرونه بهذا القول، ولكن يكفِّرونه بعدم التصديق، أي أنهم يقولون هذا القول، أو هذا العمل، دليل على عدم وجود التصديق.. هذا للذكر فقط، وليس هنا مجال بحثها.. لكن هل ممكن أن يكون هذا الذي سبَّ الله عز وجل، غير كافر عندهم؟ ممكن!..

فإذن **لمّا** أسقطوا الإرادة في الشرعيات، ماذا ترتب عليه؟ عدم القيمة للشرعيات..، مسلم سارق!، مسلم زاني!، مسلم يسب الدين!!، مسلم يحكم بغير ما أنزل الله!!، مسلم مرتد!!،.. كل هذا، لا قيمة لها. لأن الإرادة سقطت، وهذا العمل، ليس له دخل في قضية أركان الإيمان..

لكن، هنا النقطة، هنا التي أريدها، – والشرح عليها يطول في كلامنا على الإيمان –. لكن هنا، ما قيمة إسقاط الإرادة في القَدَر؟ الآن، ماذا تَرتَّب عليه؟ لماذا فسد المسلمون بترك الشريعة؟ لوجود الإرجاء – كما رأينا مختصراً –..

الآن، **لماذا فسد أهل الملّة قَدَراً، كوناً، خلقاً؟ لماذا؟** للسبب التالي:

أولاً: - إنتبهوا لهذه القضايا -، الجماعة، فسدوا في الشرع، فراحوا (..) [١٨٤]، أنظروا إلى المختبرات الكيمياوية عند الأشاعرة!..

قالوا: المادة مكوَّنة من جوهر وعرضٍ..

أين إبداع المرء في الشرع؟ هو تطبيق الأمر الشرعي. وأين إبداع الإنسان في قضية التكوين؟ في علاجه للمادة وإدراكه لسنن الله فيها، حتّى يترقى فيها، فيستخدمها ويطورها، لتوافق السنة، مستخدمة للسنة، فيصبح الإنسان، مترقياً مادياً..

فلابدّ أن يفهم ما هي المادة؟ التي يتعامل معها..

الآن عند الأشاعرة، أسقطوا الإرادة، وكل شيءٍ يتم بقدر الله ولايلزم الإنسان أن يتحرك، ولا ضرورة لإرادتك، لكن لابدّ من تفسيره كذلك من جهة المادة، لابدّ أن يفسّر كذلك من جهة المادة..

قالوا: المادة مُكوَّنة من جوهرٍ وعرضٍ ما هو الجوهر، وما هو العرض؟ العرض كما هو واضح من معناه، هو الشيء المتحول الذي لا يثبت. كما سمِّي المال عرضاً، لأنه لا يثبت، يذهب ويأتي وهكذا..

فالعرض هو مثلاً: اللون، الطول، الرائحة،.. هذه إعراض، هذه لا قيمة لها هذه، لا تشكل المادة،.. القيمة لماذا؟ للجوهر..

- إنتبهوا! - الجوهر عندهم، هو أصغر شيءٍ في المادة، ولا يوجد ماهو أصغر منه وهو الذي يعبر عنه " بالذرة "، ولذلك هذا المذهب، يسمَّى **مذهب الذَّرَّة**. الآن يسميه المعاصرون بالمذهب الذرة. ولكن قديماً: الجوهر..

قالوا: المادة مكونة من الجوهر والعرض.. من أين جاؤوا بهذا الكلام؟ من **أرسطو**، من الفلاسفة المشائين..

إذن **أولاً**: الجوهر أصغر شيءٍ في المادة ولا يوجد ماهو أصغر منه..

---

[١٨٤] الإنقطاع في الشريط.

ثانياً: أن الجوهر، هو واحد في كل شيءٍ.

المادة مجموعة من الجواهر، كيف العلاقة بين هذه الجواهر؟ علاقة التفاعل أو التجاور؟

ثالثاً: قالوا: العلاقة بين الجواهر، علاقة التجاور وليست التفاعل..

هذا، مذهب الجوهر والعرض، دخل في عقيدة أمتنا، ودخل في فقه أمتنا، وفي الأصول ودخل في كل شيء، وأنا إن شاءالله إذا فرغنى الله في الأيام القابلة، سأتكلم عن أثر نظرية الجوهر والعرض، في الإسلام..

حتّى إخواني! التعريفات التي انشغل بها الفقهاء في كتب الفقه، متأثرة من نظرية الجوهر والعرض..

الآن، نحن نعرف أنه قديكون أنا وإياك، متفقين على " ماهو القرآن " بحيث لوجاءك واحد، وقال لك بيت شعر للمتنبي، ممكن أن تقول هو من القرآن؟ لا، لايمكن. إذن فنحن متفقين على القرآن.. لكن لو أنت ذهبت وأنا ذهبت لنُعَرِّف ما هو القرآن، قد نختلف؟ نعم! قد نختلف..

قال لهم أرسطو: " لا يمكن أن يعرَفَ شيءٌ على الحقيقة، إلا بالحدِّ، وهو التعريف ". والتعريف، هو ذكر إعراض الجوهر..

فلذلك نرى مشايخنا، منشغلين في كتب الفقه - كأنّ النبي صلى الله عليه وسلم جلس أمام الصحابة وقال: نُعرِّف لكم الزكاة - الزكاة: هي مالٌ مخصوصٌ، تؤخذ من مالٍ مخصوص، من شخصٍ مخصوص، تصرف في مكانٍ مخصوص.. المخصوص، المخصوص!..

- مع الاحترام - قديسمع بعض الناس هذا الكلام، فيظن أننا نحتقر كتب الفقه، نحن نحتقر الدخيل على كتب الفقه، وإلا فقهنا إسلامي. لكن أن تُصبِح حتّى تُصاغ بأنه لا يعرَف لدينا الشيء حتّى نُعَرِّفه بالحدّ والتعريف.. وعندما قال أرسطو، لا يعرف الشيء إلا بالتعريف، كذب، بل ممكن معرفة الشيء، أكثر بالمثال من تعريفه بالحد..

لو واحد سألك ما القلم؟ ستقول: القلم هو شيءٍ مستطيل، أو شيءٌ يؤخذ من قصب، ثم يوضع في داخله مادة..، هل ممكن تصوره، كما في تصوره إذا قلت له: هذا هو القلم، هذا الشيء الذي تراه هو القلم.. هل معرفة القلم، بالتعريف بالحد أكثر، أو بتعريفه بالمثال؟ بتعريفه بالمثال..

وهذا التعريف بالمثال عند المنطقيين، هو دليلٌ إنشائي، يصلح للعوام أمثالنا!، وأما التعريف بالحد، هو تعريف الحكماء والأباقرة!!

القصد، فقط أريد أن أبيّن لكم كيف دخل في عقيدتنا..

قالوا: المادَّة مكوَّنة من الجوهر والعرض. الجوهر هذا هو أصغر شيءٍ في المادة، هل ممكن هذا أن ينشطر؟ - طبعاً عندهم - لا. ولا يمكن أن ينقسم، لأنه أصغر شيء ولا يمكن تصور شيء أصغر منه..

لكن هذا، المصيبة الطامة.. قالوا: **ثانياً**: الجوهر، هو واحد في كل شيء.. كيف يعني**!؟** هذه مادة مكونة من جوهر وعرض، وهذه مادة مكونة من جوهر وعرض، وهذه مادة.. والنار مكونة من جواهر، والماء مكونة من جواهر، والشجر مكونة من جواهر.. طيب!.. والمصيبة الطامة بعد ذلك**!** قالوا: والجواهر في كلِّ شيءٍ واحدة!.. جواهر التراب مثل جواهر الماء، مثل جواهر النار. مثل.. يعني ذرات الماء مثل ذرات الدم، مثل ذرات التراب و..، في النتيجة، كل شيء في الحقيقة واحد، ولكن مختلف في إعراضه التي لاقيمة لها..

الآن سيؤدّي البحث بنا إلى مسألة التحسين والتقبيح..

إذن لِمَ أحل الله الماء وحرم الخمر، وهما - كما تزعمون - في الحقيقة واحد؟ لماذا؟ - قالوا - لا لحقيقته، لا خلاف بين حقيقة الماء والخمر والبول و..، كلها على الحقيقة واحد، وإنما جاءت التحليل والتحريم بالشرع، الشرع قال لنا، هذا حلالٌ، فصار بذلك، حسناً، وقال لنا هذا حرام، فصار هذا قبيحاً، لأن الحقائق واحدة، فالجواهر في حقيقتها واحدة..

.. جاؤوا لمسألة أخطر من ذلك،.. قال لهم الناس، - البسطاء، أمثالنا! - قالوا لهم: يا جماعة! لكن النار تحرق، والماء يروي، والطعام يشبع، فلو أكل الرجل طعاماً، لما ارتوي، ولو نام على التراب،

لاستراح، ولو نام على النار، لاحترق، ولو نام على الماء لغرق.. وهي في الحقيقة - كما تزعمون - واحدة،.. فكيف يكون هذا الإختلاف في الصفات وفي الآثار..؟ كيف؟!

قالوا: هذه الأفعال التي تتم بهذه المواد، لاتتم بها، ولكن تتم عندها!. إذا وجدت النار، وجد الحرق. لكن ليس بالنار يحصل الإحتراق! لأنه في الحقيقة، واحدة! وليس بالماء يحصل الرِّي! لكن إذا وجد الماء تحصل إرادة الله بأن هذا الشيء الذي يشبه النار، يحصل به الإرواء إذا كان ماءً!! فهمتم؟!

الله عزوجل يقول: **(وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي)** الأنبياء (٣٠). إذن الماء فيه الحياة. الماء ذاته فيه الحياة؟.. الأشاعرة قالوا: من قال أن الشيء بذاته فيه القدرة على العمل والتأثير، فهو مذهب من مذاهب الطبائعيين، وهو كافر!.. [١٨٥]

لكن نقول لهم: أن الشيء في ذاته القدرة على الفعل والتأثير، ولانقول أن بذاته، أو بنفسه أوجدها، ولكن الله أوجده، بل لا يمكن أن يحدث شيء، أو يحدث أثر هذه القدرة على غيره وفي الحياة، في كل حالةٍ إلا بإرادة الله، لأنه قديتخلف الأثر - أو المسبَّب -، مع وجود الشيء، أو مع وجود السبب، وهذا سنتكلم عنه في موضوع القضاء والقدر..

---

[١٨٥] كما ترون، أن الأشاعرة قائلون بأن طبائع الأشياء، لا أثر لها البتة، وأنه لا توجد في الأشياء قوى وطاقات كامنة، بمعنى أن النار ليس فيها قوة إحراق، وأن ما يشاهده الإنسان من إحتراق، إنما هو عادة وإلف، وليس ناتجاً عن قوة في النار، وهلمّ جرا..هذه هي عقيدة التي تسمى عند الأشاعرة **بعقيدة " العادة "**..وفي البحث عن أسباب تشكيل هذه العقيدة عند الأشاعرة، **قال العلماء**: ربما جاء رد فعل لقول الطبائعيين، القائلين بأن الطبيعة هي الخالقة.. "، فحاول الأشاعرة سحب البساط منهم والقول بمنع فعل الطبيعة وهنا سقط في أيديهم، وجاءت أقوالهم بعيدة عن منطق القرآن الذي يثبت الأثر والعمل بدون استقلالية، فالخالق هو الله باستقلال، دون أشياء الطبيعة، التي تفعل، ولكن بإذن من الله تعالى. والقرآن الكريم. مملوء بإثبات الأسباب، وإثبات آثار وأفعال الأشياء - بإذن من الله تعالى - كما في قوله تعالى: (.. فسقناه إلى بلدٍ ميتٍ، فأنزلنا به الماء، فأخرجنا به من كل الثمرات) الأعراف٥٧.. وقال سبحانه (فأحيا به الأرض بعد موتها) البقرة ١٦٤.. والنحل٦٥والجاثية٥و.. راجعوا كتاب **" عقيدة العادة عند الأشاعرة "** للدكتور: جابر السميري. فإنه كتاب مفيد جداً في هذا الموضوع.

إذن في النهاية كل شيءٍ واحد.. طيب!.. إذن – عندهم –، الجواهر، في النهاية، العلاقة بينها، جوهر جنب جوهر جنب جوهر..، كوَّنت المادة. العلاقة بين الجواهر، ليست علاقة تفاعل، ولكن علاقة جوار،.. إذن – كما نرى –، الفيل ذرات – أو جواهر –، والنملة ذرات، لأي شيء ولماذا، الفيل أكبر؟ قالوا: لأن الذرات في الفيل أكثر من الذرات في النملة!،.. فلماذا النملة حرام، ولكن البقر حلال والذرات واحدة؟! قالوا: لما جاء في الشرع.. الدليل، الشرع.. وإلّا لا فرق في الحقيقة، بين الخنزير وبين البقر!..

كما ترون **هذا مذهبٌ ضالٌ**، فالذَّرَّة، نعم!، أصغر شيء، ولكن هل ممكن أن تنشطر؟ نعم شطروها، وصنعوا منها القنابل والوقود الذرية..

هل الجوهر في كل شيء واحد؟ هل الذرة في كل شيء واحد؟ لا، الآن هل ذرات " الحديد "، هي مثل ذرات " الفسفات "، مثل ذرات " الذهب "؟! نعوذبالله!

هل العلاقة بينها، علاقة التجاور أم التفاعل؟ التفاعل.. في داخل المدارات.. وهذا الموضوع، واضح ومكشوف في علم " الكيمياء " (chemistry)..

إلى أيِّ نتيجة أدّى هذا الضلال؟

أدّى هذا الضلال إلى تعطيل البحث العلمي في التحقيقات العلمية، في أمتنا.. فالكل واحد عندهم، الماء والبترول والنار والحديد، كلها واحدة.. إذن فلماذا، نسعى ونبحث عن حقيقتها وتركيباتها وذراتها وكشف سنن الله في المواد.. – فإذا كان حقيقة الكل، واحدة – ولَمّا صارت عندنا كل الأشياء واحدة، فلا نبحثوا فيها، والباحث فيها، جاهل وعابث!، لماذا؟ لأنه سيصل في النتيجة إلى أن الكل واحد،..

هكذا، وبهذه الصورة، وصل أمتنا إلى هذا التخلف العلمي والدنيايى الذي نراه ونعيشه.. صارت أمتنا لا دنيا لها في شيء..

إذن فبعد أن نظروا إلى الحياة، وموادها، بأنّها واحدة، والبحث فيها، لا يؤدى إلّا إلى نتيجة معروفة لديهم سبقاً، ثم ثانياً: **لَمَّا عطَّلوا** دور الإرادة في العمل – كما ذكرنا عنهم، أنهم في الحقيقة، جبرية –،..

إذن، فالواضِع الرِّجْل على الرِّجْل، الذي لا يعمل ولا يكد، سيصل في النتيجة، إلى ما وصل إليه الذي يعمل ويكد!!..

و من هذا التصور، جاءت الأمثلة العامية: " لو جريت جَرو الوحوش.. "..

إذن بهذا الطريق، صرنا ضالّين في الحياة الدنيا، - لا دين لنا، ولا دنيا -.. ثم جاءت الصوفية..

لابدّ أن أدخل في هذا الموضوع، لابدّ أن تكتمل الصورة العقلية لدينا، كيف صرنا ضالّين. ووصلنا إلى ما وصلنا إليه في هذا الحال الذي نعيشه..

الآن: حقائق الأشياء، حقيقة الجوهر، حقيقة العرض.. الحقائق، هذه،.. أن كل شيء واحد.. هذا كلام نظري، لكن إدراك الحقائق، مَن الذي يكشف لك إياها؟ مَن الذي يكشف لك حقائق الأشياء؟ **الكشف! الكشف!**.. [١٨٦] الصوفي، يجلس في خلوته، هذا الرجل، صاحب أكسير الحقائق!، والذي يعلم العلوم اللدنية! وإذا كان الناس قد وصلوا إلى القمر، فالصوفي - كما يقول مشايخ هذا الزمان -،

---

[١٨٦] **الكشف**: هو الإطلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً أو شهوداً. [التعريفات، للجرجانى ص١٨٤]. ويقول المؤلف - **الشيخ أبوقتادة الفلسطيني**، حفظه الله - في كتابه (ملاحظات على البيجورى في شرح جوهرة التوحيد) ص٦٦ - ٦٥: " أقول: إن الكشف هو عبارة عن أمور في نفس الشخص يظن أنها موجدة في الأعيان فيجزم بوقوعها وأنها حقيقة قائمة، ولا يستطيع نفيها عنده أحد مهما تجمعت لديه الأدلة الأخرى على ضلال إعتقاده، لوحدة الوجود وحصول بعض المشاهدات لديه كإدعائه أنه يرى الله وأن الله يكلمه وأنه يجلس مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويتلقى منه العلم ويصلِّي الفرائض ورائه وهي في الحقيقة تصورات ذهنية داخلية وخيالات نفسية شيطانية ليس لها واقع صحيح، وليست من هدي الكتاب والسنة، ولا هي سبيل المؤمنين. **أي نستطيع أن نقول أن الكشف هو خيال جنوني داخلي، يدعي الصوفي أنه به يحصل له علم إليقين في مسائل الإعتقاد وفي كثير من المسائل الشرعية وغيرها، وهذا شرع من الدين ما لم يأذن به الله ولا رسوله**. فنسأل الله العفو ووالعافية. و**قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى**: " و عامة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم، قالوا من جنس قول النصارى " هذا أمر فوق العقل " و يقول بعضهم، ماكان يقول **التلمساني** لشيخ أهل الوحدة، يقول: يثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل **"**. [**الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح٩٢٠٢**]. فإذا لم تكن من صحيح النقل ولا من صريح العقل؛ فمن أين جاءت؟ لا شك أنها من الشيطان والهوى ". إنتهىٰ من " الملاحظات ".

فالصوفي، وصل إلى ربّ القمر! نعم! يستطيع الصوفي أن يكشف كل شيءٍ عن طريق الكشف!،.. إجلس في خلوتك ومارس الرياضة الإشراقية الصوفية، بعد ذلك، تُصبح مُطَّلِعاً على حقائق الأشياء!.. إذن أنت إذا ذهبت إلى المختبرات، لتبحث وتعمل وتكتشف الأمور، والأدواء، وسنن الحياة، فأنت مجنون!..

لأن الذي يعرف حقائق الأشياء، والذي يكتشف الأمور، ويصنع الأدواء وكلّ شيء، هو الصوفي والفكر الصوفي!!..

فرأيتم كيف الصوفية، ملأت العجز الأرادي لدى الإنسان، بحل الأمور عن طريق جلسة، أو جلستين صوفية، ويسكر ويحشِّش، وبعد ذلك يطلع على حقائق الأمور، فيصبح العالم الرباني واللَّدني، لديه علم الأولين والآخرين!، الجامع لحقائق العلوم والمعارف!، العارف! سلطان العارفين! وهكذا..، من الذي يملأها؟ الصوفي!..

في النهاية، أمتنا..، يعني إذا كان يجوز لنا أن نمدح الإستعمار، فيجوز لنا، لأن الإستعمار - نعم! عادى الإسلام، وكان سبب إرتداد الأمة عن الإسلام -، ولكن **في الحقيقة، الأمة، ما ارتدت عن الإسلام! بل إرتدت عن الصوفية**.. اسمعوا من أجدادكم، ماهو حال أمتنا قبل أن ياتي الإستعمار؟ حال معطِّلة، الجهل، الغباء،.. وهكذا..، أغلبهم جليس حضرته، ليكتشف الحقائق والمعارف، ليصبح يلتحق بالرب سبحانه وتعالي، أو يصبح هو الرب! [١٨٧] ليكتشف كل شيء..

.. إذن، الأشاعرة، لا في القرآن معنا، ولا في السنة معنا، ولا في توحيد الشرع معنا - لأنهم يعطِّلون العمل -، فهم في توحيد الشرع مرجئه، ولا في توحيد القدر معنا، لأنهم جبرية.. فهمتم إخواني؟ ففي أي شيء هم معنا؟! بأي شيء نجتمع معهم؟! هم " مرجئة، جبرية.. " مصائب، يقولون بخلق القرآن و..

[١٨٧] هذه إشارة إلى العقائد الباطلة الموجودة عند الصوفية، مثل عقيدة " **وحدة الوجود** " وعقيدة " **الحلول** " وغيرها، من العقائد الباطلة الضالة الموجودة لديهم.

وبعد كل هذا، يأتي واحد ويقول: الأشاعرة من " أهل السنة والجماعة "!!..

التحسين والتقبيح:

نرجع إلى صورةٍ أخرى من صور عقائد الأشاعرة، - تكلمنا عنها قليلاً، ولكن لابدّ من التفصيل فيها -، وهي " التحسين والتقبيح ".

" التحسين والتقبيح "، عند المعتزلة، بالعقل.. هذا الكلام، مقبول منهم، يعني ممكن إدراك الشيء بالعقل، لكن الطامة الكبرى عندهم، [العقل هو الذي يحسن ويقبح، بمعني، بعد أن اكتشفت الحُسن والقُبح، فالحَسَن، يقول عنه " حلال " والقبيح، يقول عنه " حرام "]، إذن عندهم، الرجل آثمٌ بالعقل. إذن التحسين والتقبيح، عندهم عقليان، وكذلك الأجر والوزر ماذا؟ كذلك عقليان. - عندهم، ها! -. ولذلك يفسرون قوله سبحانه وتعالي: (وماكنا معذبين حتّى نبعث رسولاً) [١٨٨]، ماهو الرسول عندهم؟ العقل..

حتّى - عندهم - الله سبحانه وتعالي، لا يستطيع أن يفعل، إلا ما حسنه وقبحه العقل كما ذكرنا لكم، يعني الله سبحانه وتعالى - لا بستطيع أن يفعل الغلط، وما الغلط - هذا - عندهم؟ ومَن الذي يعَرِّفنا الغلط؟ هو العقل! فهمتم؟ هذه المعتزلة وعقيدتها في التحسين والتقبيح، واضحة لديكم..

الأشاعرة، كما رأيتم، التحسين والتقبيح، عندهم بالشرع، فالشيء، لا يعرف حسنه، ولا يعرف قبحه - عندهم -، إلا بالشرع، وكذلك بعد ذلك، لا يأثم الرجل ولا يؤجر، إلا بعد ورود الشرع..

ماذا ترتب على هذا الكلام؟ بلا شك أن المعتزلة ضلالهم واضح، لأنهم يأثمون الناس قبل بعثة الأنبياء.. نعم! أن الإنسان يكتشف بعقله - مثلاً - أن البول قبيح، ويكتشف أن الماء، حسن، ويكتشف..، العقل، يكتشف ذلك. لكن أن يأتي ويعاقب الإنسان، قبل ورود الشرع، هذا لم يرد به النص، وهو خلاف الدين..

---

[١٨٨] الأسراء (١٥).

الأشاعرة أين مصيبتهم؟ تبين لنا في كلامهم في قضية الجوهر والعرض، أن الشيء لا يحمل حسناً ولا قبحاً، إلا بعد ورود الشرع، فإذا أحل الشارع شيئاً صار حسناً، وإذا حرم الشارع شيئاً صار قبيحاً. أما قبله، فالكل عندهم جواهر واحد..

يترتب على هذا المعتقد.. إذن جاز لله أن يأمر بالمنكر الذي نهيٰ عنه قبل ذلك فيكون معروفاً، إذن جاز لله أن يقول للناس اظلموا بعضكم بعضاً، وبعد هذا يكون الظلم حسناً!!.. لأن الظلم لا يعرف حسنه ولا قبحه إلا بعد ورود الشارع، وإن الظلم والعدل في حقيقتها واحد، لأنه لا فرق.. ولا يعرف الظلم من العدل إلا بعد ورود الشرع، وبعد ذلك يكون الظلم قبيحاً والعدل حسناً..

إذن أجازوا على الله أن يأمر بالظلم، فإذا أمر به صار حسناً، وجوزوا.. - هذا كلامهم ها!، هم.. هذه الزامات، ألزمهم الناس بها، فأقرُّوها، قالوا: نعم يجوز لله، فإذا أمر الله بالزنا، صار حسناً وإذا أمر الله بالظلم صار حسناً، وإذا أمر الله بعقوق الوالدين صار حسناً،..

يجعلون حقيقة التوحيد والشرك واحدة ولكن التوحيد أمر الشرع به فصار حسناً، والشرك نهي الشرع عنه فصار قبيحاً.. فصار الخلاف بين التوحيد والشرك، فقط لورود الشرع!

رأيتم المصيبة والطامة؟ رأيتم إلى أين تُؤدي هذه؟..

والآن سترون في واقع أمتنا، كما رأيتم واقع أمتنا في الكسب والجوهر والعرض، ترون واقع أمتنا عند مشايخ هذا الزمان،..

.. **نأتي إلى مذهب أهل السنة والجماعة في (التحسين والتقبيح):**

عندنا: القبح والحسن، خلقيان، أي الحسن والقبح موجودان في أساس الأشياء وفي ذات الشيء.. مثلاً البول، في أصله - قبل ورود الشرع - قبيح؟ نعم، بل انظروا إلى قوله عزوجل: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ الأعراف ١٥٧.

العرب هل تعرف ما هي الخبائث والطيبات؟ نعم. فلذلك **ماكان تستقبحه العرب فهو قبيح في الشرع، وماكان تستحسنه العرب فهو حسن،** فلذلك لو واحد جاءك الآن وقال لك ماهو دليل عدم جواز أكل **" الصراصير "**؟ قل له: العرب تراه خبيثاً، هذا دليل، وهو دليل صحيح، لأن الله خاطبهم فقال: (اليوم أُحِلَّ لكم الطيبات..) المائدة (٥).

فما كان عندهم طيباً، فيحل لهم، وماكان خبيثاً، فهو محرم، إلا ما اختلف لديهم، فجاء الشرع بتحريمه وقال: هذا خبيث، وأنتم لم تكتشفوا خبثه، أو عرفتم خبثه ولكن دفعتكم الهوى إلى أن تخالفوا هذا الأمر للشهوة، فأخذتم به..

إذن، الحُسن والقُبح، في أصل وذات الشيء..

طيب**!** هل ممكن للعقل أن يكتشفها؟ نعم ممكن. إذن العقل، ممكن أن يكتشف الحسن والقبح، ويستقل بمعرفته فيرى هذا حسناً وهذا قبيحاً..

ثانياً: الأجر والوزر – عند أهل السنة والجماعة – شرعيان، وليستا عقليين، لأن الله مع علمه بأن الناس يعرفون قبح الشيء وحسنه، – ولكن في شرعه – ان الناس لايأثمون إلّا بعد ورود الشرع (وما كنا معذبين حتّى نبعث رسولا) الأسراء ١٥.

لكن هنا – للذكر –، **لمّا** راح إنسان وشرب الدم، – الدم حرام شرعاً، وهو كذلك قبيح خَلقاً، فجاء الشارع لتعريفنا بقبحه، الشارع جاء ليقول لنا هذا قبيح، ورتب على هذا الأمر أجراً ووزراً، بالطاعة والمعصية، فهو قبيح بمعنى مضر –، الآن، فلو شرب الرجل الدم، هل أثره القدري لا يقع إلا بعد ورود الشرع، أم بورود الشرع وبغير ورود الشرع؟ بوروده وبغير وروده، يعني، بمعنى الناس ما كانوا تغيب عقولهم بالسكر إلا بعد أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم بأن الخمر حرام؟ هل هذا صحيح؟ لا، الناس كانوا يسكرون قبل الشرع وبعد الشرع.. فَفَرِّقوا بين الأمرين. فالأمر القدري، واقع قبل الشرع وبعده.. **السنة التكوينية لا تحابي حتّى النبي صلى الله عليه وسلم (ولن تجد لسنة الله تبديلاً)** الأحزاب (٣٣).. لكن الشرع قد يتغير.. أنت الآن حرامٌ عليك الخمر، لكن إذا صرتَ مضطراً، مثل ما

ذكره بعض الفقهاء - كما ذكره **العز بن عبدالسلام** في " قواعد الأحكام " [189] -، ممكن للرجل إذا غَصَّته اللقمة، فكاد أن يموت، ففي هذه الحالة يجوز له أن يذهِب غصتها بالخمر، فصارت جائزاً لهذا الضرب،.. لكن هل تصلح الخمر دواءً لداءٍ؟ لا[190]. ماجعل الله تعالى حاجة لنا في معصية، وهو دليل لنا أن الوسائل كذلك يجب أن تكون شرعية، واحد يذهب ويدخل برلمان، هذا معصية، ويقول فعلت هذا للحاجة.. هذا باطل، فإن الله ما جعل لنا حاجة إلى معصية..

القصد، أن الأجر والوزر، ماذا عندنا؟ شرعيان..

ثالثاً: النقطة الثالثة: **قد يأمر الله تعالى بأمر يكون حسن المآل وغير معقول العلَّة..**

لمّا رجلٌ يقول، هل ذبح الرجل إبنه، قبيح أم لا؟ قل نعوذ بالله، هو قبيح.. هل هو قبيح بالشرع أم بالعقل؟ بالعقل.. فقد يقول قائل: فلماذا أمر الله سبحانه أن يذبح إبراهيم ابنه اسماعيل، فنقول: هذا، أمره بأمرٍ حسن المآل غير معقول العلة، إمتحاناً وابتلاءً.. مآله حسن.. [191] الأصل في المسلم - **هذا نقطة يجب أن نفهمه** -، الأصل، إذا جاء أمر الله إلى المسلم، ماذا يصنع به؟ يطَبِّقه،.. إن أدركنا العلة وإن لم ندرك، ولا يقول المسلم أين العلة..، وحاله حال الصديق رضي الله عنه حين قال: (**إن قالها فقد صدق**) [192]، خلاص،.. فكان علة تصديقه له " أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم "..

---

[189] انظر قواعد الأحكام، [فصل في بيان تخفيفات الشرع].

[190] ***عَنْ طَارِقِ بْنِ سُوَيْدٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بِأَرْضِنَا أَعْنَابًا نَعْصِرُهَا أَفَنَشْرَبُ مِنْهَا قَالَ لَا ، فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ لَا ، ثُمَّ رَاجَعْتُهُ فَقَالَ لَا ، فَقُلْتُ إِنَّا نَسْتَشْفِي بِهَا لِلْمَرِيضِ قَالَ: " إِنَّهُ لَيْسَ بِشِفَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ " . (رواه أحمد ٢٢٥٥٥ و ابن ماجة ٣٤٩١ . حديث صحيح. صححه الألباني والأرناؤوط) . وقال ابن مسعود رضي الله عنه فِي السَّكَرِ: " إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم» . (ذكره البخاري معلقاً في صحيحه في بَاب شَرَابِ الْحَلْوَاءِ وَالْعَسَلِ) .***

[191] راجع مجموع الفتاوي٨/ ٤٣١ - ٤٣٦.

[192] عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: " ***لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق،***

الآن نأتي إلى أثر عقيدة الأشاعرة على عقولنا، لما صار التحسين والتقبيح شرعياً عند المسلمين، صار الحديث عن العقل جريمة!،..

للذكر إخواني!، أوامر الله ما هي؟ الأمر الشرعي ما هو؟ كما رأيتم، الأمر هو معاملة مع الخلق والتعامل مع الخلق، **الأمر والنهي هو التعامل مع الخلق**،.. إذن لما إنسان يصدُق، هو نَفَّذَ أمر الله بالتعامل مع مخلوق، لأنه يؤدِّي إليٰ حَسَن، هو بذاته حسن ويؤدي إلى حسن.. إذن **الشرع هو تعامل مع القَدَر**. فما كان حسن الخلق، جاء الشرع بالأمر به والحض عليه، وماكان قدراً قبيحاً، جاء الشرع بالإبتعاد عنه.. فهل ترون مخالفة بين ما هو عقلي وما هو شرعي؟ بمعني، هل هناك مخالفة بين ما هو عقلي وما هو شرعي؟ لا. ومن هنا، قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله – وهذا قول حق – قال: " إذا ثبت شيءٌ بالعقل فهو دليلٌ شرعي والعكس بعكس، فإذا ثبت شيءٌ بالشرع فهو دليلٌ عقلي ". [١٩٣]

إذن إخواني! الإسلام يحترم العقل ويقدر العقل ويدعو إلى إستعمال العقل، وينوِّر العقل، وكل ما نهيٰ عنه الشرع هو خلاف العقل وهو يحرِّف العقل.

.. قلنا التحسين والتقبيح عقليان، ما معنى إذن للعقل هنا؟ العقل هو الحق.. عندنا نحن هو الحق، وهو ماذا يساوي؟ يساوي الخلق. يعني إذا كان رجلٌ عقلانياً على الحقيقة، فماذا يتَّبع؟ يعني – مثلاً – رجلٌ إذا أراد أن يكتب، إستعمل القلم، يعني استعمل الخلق (الذي هنا القلم) فيما خُلِق له.. لكن لو هذا الرجل ذهب واستخدم الحجارة للكتابة، فهو استخدم الخلق في غير ما خُلِق له، إذن هو باطل. إذن إنه غير عاقل، وهو المجنون.. ما هو المجنون؟ هو الذي يضع الأمور في غير موضعها الصحيح

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم، إني لأصدقه في ما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبا بكر الصديق رضي الله عنه " .] أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٠٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه: وقال الذهبي: **صحيح**. **وصححه الألباني** في " السلسلة الصحيحة " رقم ٣٠٦].

[١٩٣] انظر مجموع الفتاوى ج١٢/ ص٨١. فهناك قول لشيخ الإسلام، يدل بمفهومه، على هذا الذي يقوله المؤلف. والله اعلم.

ويسميها بغير أسماءها. هذا يسمى عندنا " غير عاقل " وهو باطل، وهو لم يستخدم طريق الخلق الصحيح للوصول إلى النتائج..

يعني أنت تريد أن تشبع، الشبع مخلوق، ماذا خُلِق له من الوسائل؟ الطعام، هل أكل الطعام، أمر شرعي؟ نعم هو أمر شرعي.. لكن هو أصلاً ما هو؟ أمر عقلي.. الناس يكتشفونه ويعرفونه. فجاء الشارع به، ونهاك عما يضرك وأمرك بما ينفعك،.. الآن، فالمعادلة تكون هكذا: إذا أراد المرء أن يشبع، لابدّ أن يأكل،. إذن الشبع هو المطلوب، وهو الخلق، مطلوب بطريق حق، وهو الأكل، إذن عليه أن يأكل الطعام، فإذا أكل الطعام، كان عاقلاً، كان محقاً قد استخدم أمراً خلقياً..، وبعد ذلك ماذا يأكل وماذا لا يأكل، هذه قضية شرعية، وكذلك ذات الأكل، أمر شرعي، بحيث لو إمتنع المرء عن الأكل حتّى يمرض أو يموت، فهو آثم.

فذات الأكل، لأنه مخلوق وأمر خلقي صحيح وحق، فالشارع قد أمر به، ولأن القصد من أكل الطعام، هو تحصيل المنفعة، فما هو فيه منفعة – من الطعام –، فقد جاء الشارع بالأمر به والحض عليه، وماكان فيه مضرة فنهى عنه وحرمه..

هناك نقطة لابُدَّ منها: إذا خاطب رجلٌ الناس بالعقل ليدُلَّهم على الوسائل الصحيحة، هل هو مصيب؟ نعم.. لكن لا يحصل بها العبودية. – وهذه نقطة لابدّ منها٠لا يحصل العبودية إلا بإرجاع الأمر إلى الله تعالي، وإلّا أنت إنسان لا تتقيد بالشرع، ترى هذا ينفعك فتأكله وهذا يضرك فتبتعد عنه، وليس لأمر الآمر. فالأصل، خطابنا للناس، خطاب عبودية، لكن كله موافق للحق، وإلا لما سمي حقاً، ولكانت باطلاً، والله تعالى لا يأمر بالباطل، كما قال تعالي: ﴿**إن ربي على صراط مستقيم**﴾ [هود ٥٦]. يعني الله تعالى لا يأمر إلا بالحق الذي خلق الخلق عليه، والذي هو مستقر في علمه بأنه حق سبحانه وتعالي، فنحن، حين نخاطب الناس، نخاطبهم بما؟ بالشرع. لكن من زعم أن الشرع لا يوافق الحق، أي لا يوافق العقل الصريح، هذا ماهو؟ **سفيه.** هو سفيه، ونحن بعد ذلك، مضطرون أن نثبت لهذا الإنسان، أن الشرع والعقل هما أمرٌ واحدٌ..

.. ماذا أنتجت هذه المسائل في عقليتنا؟..

الأشاعرة، نفوا العلة، لأن عندهم الأشياء كلها على معنى واحد، إذن **العلة عند الأشاعرة لا قيمة لها**، فنفوا التعليل في أفعال الله وأحكامه.. لماذا؟ لأنها كلها في الحقيقة واحد، شيءٌ واحد**!** فلا علة**!**.. غريب جداً**!** يقولون بالقياس وينفون العلة**!** كيف هذا؟**!** لا تسألني عنه.. قلنا هذه الأمور لا تُعقَل، قلنا الأشاعرة عندهم الأمور غير معقولة، يعني غريب جداً، ينفون التعليل ويثبتونه في القياس،..

القياس أين معناها؟ العلة، وإدراكها عقلاً، وهم ينفون العلة ومع ذلك يثبتون القياس، كيف؟ لا ندري.

كل ما ترونه من المشايخ، في أعمالهم وسلوكهم، غير المنضبط بالواقع، والنتائج تقع عليهم بخلاف الأمر. يعني بمعني.. أضربُ لكم مثالاً ليدركوا ماهو نتيجة هذا العمل: يخوض المسلمون معركة، فينهزمون فيها..

النصر ما هو؟ هو أخذ الوسائل الحق، رجلٌ أخذ الوسائل الحق الكافية للنصر، فهل يحصل النصر؟ لابدّ أن يحصل النصر. هل يختلف؟ أبداً.

والهزيمة ماهي؟ تَعَطُّل وسائل الحق..

الآن، **لمّا** يقع المسلمون في الهزيمة، الأصل يجب عليهم أن يراجعوا حساباتهم، ما هي من الوسائل الحق التي ذهبت منا؟ وما هي وسائل الباطل التي أخذنا بها. أليس هذا هو الطريق الصحيح؟..

لكن صارت الهزيمة عند بعض المسلمين في هذا الزمان، صارت مقصداً من مقاصد الشريعة**!** إقرأوا الكتب التي يتكلم عن الإبتلاء،..

قام المسلمون بحركة وعملٍ.. مثلاً: الإخوان المسلمون في مصر، أخذهم جمال عبدالناصر، ذبحهم وعذبهم و.. ولكن النتيجة، فخرجوا يقولون: " أصلاً بلاؤنا هذا، هو مقصد من مقاصد الشريعة "**!**..

هل حقيقةً الإبتلاء، مقصدٌ من مقاصد الشريعة؟ لا. هل الإبتلاء هو مرحلةٌ من مراحل تكوينك للوصول للنصر، أو هو مقصد من مقاصد الشريعة قدر الله فيك؟ لا، هو ليس مقصداً من مقاصد الشريعة..

إذن الإبتلاء، الذي هو الهزيمة، هو عدم أخذ الحق، فينبغي أن يكون بماذا؟ أن نراجع المنهج الذي سلكنا فيه، الذي أدى بنا إلى الهزيمة.. كما في هزيمة أُحد..

لمّا وقعت هزيمة أحد، ماذا قال الله تعالى لهم، وخاطبهم بماذا؟ قال: (**هو من عند أنفسكم**) و..، كشف لهم أسباب هزيمتهم، والمؤمنون – أي الصحابة – ما قالوا: " يا رب! نحن مسلمون، لماذا تكشفنا، وتقول (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)؟!، هذه المرحلة، ليست مرحلةً تُوَبِّخُنا فيها! بل، إمدحنا، من أجل أن يعلم الناس، أننا طيبون.. وهذه مرحلة يجب أن تُخفى فيها العيوب ".. ما قالوا هذا..

و هل الله تعالي، تعامل معهم بهذا المنهج؟ أم المنهج أهمُّ من قضية عواطفهم؟ **لو أن الله ينصر الناس على الغلط**، توجد المشكلة، والله يكون ظالماً – العياذ بالله – فحين لا تتوافر العوامل الحقيقية للنصر.. يصبح أيّ نصرٍ مرحلي، عملية تضليل واستمرار للسير الخطأ، وتمادياً في طريق الوصول إلى الهزيمة الحقيقية..

فإذن **لمّا** تقع علينا الهزيمة، علينا أن نعالج وندرك، ما هي أسباب هزيمتنا، لنعالجها و**لتكون الهزيمة بداية للنصر**..، القضية منطقية وصحيحة وشرعية..

لكن ماذا صارت الهزيمة عند المسلمين؟ عند المسلمين، صارت على شقين:

ناسٌ يغَيرون المنهج مِن مرَّة!، المنهج كلُّه يتغير.. – **الأصل، النصر يأتي بالقتال والحرب والمعركة** – لكن هؤلاء قالوا: لا، نُغَير الوسيلة، هناك طرق أخري، ممكن أن يحَصِّل بها النصر، فراحوا بعضهم إلى البرلمانات..

هل هي وسيلة تؤدِّي إلى النصر والتمكين؟ هل هي عقلية؟ لا. يعني أنت تناقشنى شرعاً، ولست مقتنعاً، وتقول: الآن، العصر، عصر العقول..

لكن أقول: هل هي عقلية – حقيقتاً –، بهذا الطريق، الذي غَيرنا وسيلة الحق والطريق الحق، وسلكنا هذا الطريق الباطل؟..

وبعضهم ذهب إلى طريقة " **رَمي الورود** "!، ناسٌ على مذهب " **ابن آدم الأول** "!، هناك كتاب اسمه " **مذهب ابن آدم الأول** " [١٩٤].. على أساس أن طريقة هزيمة الخصم أن تستسلم له! يضربك مرة، قل إضرب ثاني مرة، يضربك مرة أخري، قل اضرب ثالث مرة، رابع مرة.. عاشر مرة.. وبعد ذلك وبعد أن رأى منك الصفح الجميل، وبعد أن يدرك أنك لن ترُدَّ عليه، ستثور في نفسه عقدة الندم ويلقي السلاح ويولي منهزماً، أو يسلم، وحينئذٍ سيقع النصر الموعود!!..

هذه طريقة رمي الورود على الخصوم. ولذلك يمدح طريقة " **غاندي** "، والغاندي هو الرجل الأبقري الذي استطاع أن يدَمِّر القوة عن طريق الإستسلام وعدم رفع الأيدى على الخصم!، الخصم (انكلترا)..

هؤلاء، لا يقرأون التاريخ، الأصل أن الغاندي، أقامته انكلترا في الهند من أجل أن يبطل جهاد المسلمين. كما ذكره " **أنور الجندي** " – إن كان ميتاً يرحمه الله وإن كان حياً نسأل الله أن يحفظه – كما بين في كتابه قال: " أن حركة الغاندي أصلاً ذقيمت لإماتة الجهاد الإسلامي، أقاموا الغاندي ورفعوه وضخَّموه من أجل ضرب الجهاد الإسلامي "..

[١٩٤] راجع " **الجهاد والاجتهاد** " للمؤلف. (الأسر والحبس والإبتلاء)..

فطريقة الغاندي طريقة رمي الورود. فهؤلاء الجماعة يمدحون الغاندي ويحتجون بمذهب ابن آدم الأول (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (المائدة ٢٨). [١٩٥]

.. طريقة " **أبوبكر الجزائري** " في تغيير الطواغيت!.. أفلام!.. أفلام!..

لهذا الشيخ طريقة جديدة تستحق أن تدخل تحت باب الإكتشافات الحديثة**!** يقول عن **طريقته البديعة**: " إن أفضل طريق لإصلاح حكامنا وعلى الخصوص آل سعود، هو أن نجمع أعداداً غفيرة من المطالبين بضرورة الإصلاح، ثم نَشُدُّ رحالنا متوجِّهين إلى قصر ولي الأمر. فنحطّ رحالنا ونتيخ ركائبنا أمام بيته – عفواً قصره – ثم نبدأ بالنّشيج والبكاء، فإذا خرج علينا ولي الأمر بطلعته البهيّة، ووجهه الوضّاء المشرق، وسألنا عن سبب بكائنا قلنا له: والله لن نبارح عتبة قصرك حتّى تزيل المنكرات وتحكم بشريعة القرآن..، بلا شك أن ولي الأمر قلبه رؤوف رحيم، بل هو رجل لا يرضى لشعبه الوفيّ أن يبكي (قال الشيخ **الجزائري** باللفظ: هوَّ قلب الحاكم حجر؟)، النتيجة أن الحاكم العادل سيرضخ لمطالبنا ويستجيب لبكائنا، وحينها سيحكم آل سعود بالقرآن "..

بالله عليكم**!**، هل خلق الله هذا الفعل، ليؤدي لهذه النتيجة؟**!** بالله عليكم، هل في التاريخ مضت هذه السنة قط؟.. فهذه، هي النتائج والثمار، لهذه العقائد والأفكار الضالة، في أمتنا.. وغيرها وغيرها، كثير من ضلالات الأمة التي إذا خوصمت، ظنت أنها فاهمة، وتقول إن الله ينصرنا.. مثلاً: الله عزوجل، رتَّب النصر على الإيمان، (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) الروم ٤٧. الإيمان هو التقوي، والإيمان، أخذ الوسائل الشرعية التي أمر الله تعالى بها في الأعمال كلها. إذن أن الله ينصر المتقين.. إذن التقوي، شرط لوقوع النصر.

---

[١٩٥] للمزيد من التفصيل في هذا الموضوع، راجع كتاب (الجهاد والاجتهاد). للمؤلف حفظه الله وجزاه الله خيراً عن أهل السنة والإيمان، خير الجزاء.. آمين!

الآن – المسلم اليوم – يقول ويزعم أنه متقي.. لو قلت له، يا رجل! الله لم ينصرك لعدم وجود القوة والقدرة لديك على النصر، لأن النصر فعلٌ، لابدّ له مِن إرادةٍ منك وقدرة – منك – على تحقيقه. فنقول له: أن الله لا ينصرك إلّا بقوة – منك –.

فيقول: لا، الله اشترط للنصر، " التقوى "..

طبعاً، أين يرجع لفهم التقوي؟ عند الأشاعرة، لأنهم يفسرون الإيمان، بأنه التصديق، فالتقوى هي قضية قلبية – عندهم – وليست العمل.

لمّا جئنا إلى أهل السنة، قلنا لهم، ما هي تعريف التقوى عندكم يا أهل السنة؟ قالوا: التقوى عندنا كالتالي: – دعكم من كلام الخطباء: التقوى خوف من الجليل.. نأتي إلى التقوى بالمفهوم العلمى – **التقوي: " هي الأخذ بالأسباب المُوجِبة لوقوع الفعل "**..

التقوى شرط لوقوع الشبع، ما هو بديل التقوى هنا؟ الطعام.. هل أكل الطعام من التقوي؟ نعم. أمر ربانيٌ.. ما هي التقوى التي شرط لوقوع الرِّي؟ ما هي التقوى البديل عنها؟ الماء.

إذن التقوى هي: الأسباب **المُوجِبة** لوقوع الفعل – النصر، الشبع و.. –.

إذن، إذا لم يكن عندك أسباب الموجبة لوقوع الفعل، فأنت ما عندك التقوي، – هذا المفهوم، ثقيلٌ، لكن إفهموه، فإنه مهم جداً –.. واحد ليس عنده طعام، هل هو متقي؟ لا.

قديقول قائل: واحد، فقير، ليس متقياً – فقط لأنه فقير –؟! نقول: الرجل، حتّى يكون تقياً لوقوع الشبع، لابدّ أن يكون مالكاً للطعام.. فإذا عُدِمَت الأسباب الموجبة لوقوع الفعل، فهذا دلالة على تخلف التقوي، لا كلها، بل جزءٌ منها، لأن التقوي، متعددة. رأينا أنّ كلَّ شيءٍ له التقوى الخاص به، ممكن إنسان يريد أن يوقع الرِّي، لكن عنده الطعام، فهل يقع الرِّي؟ لا. لكن يقع ماذا؟ الشبع. فإذن عنده جزءٌ من التقوي.

إذن عندما يتخلف الفعل، دالٌّ على تخلف ماذا؟ وجود التقوي.

إذن عدم وجود القدرة لوقوع الفعل – أي الفعل المطلوب –، هو دلالة على تخلُّف التقوى المطلوبة لذلك الفعل.

فلما يقال، التقوى شرطٌ لوقوع النصر، هل إذا لم يكن عنده الأسباب المُوجِبة لوقوع النصر – ومنه القوة –، هل يقَع النصر؟ لا، لا يقع النصر.

من أين جاء ضلال هذا، حضرة الأستاذ الشيخ؟ جاؤوا من تفسير التقوى على غير معناها الشرعي. فظن أنه بمجرد وجود التصديق بالأمر، هو كافية لوقوع النصر..

فلمّا نقول لهم – مثلاً – لابدّ من الطريق هذا، لابدّ من أخذ الأسباب، لابدّ من كذا؛ يقول: " لا، لم يذكر الله الأسباب، ولم يذكر شيئاً، وفقط إشترط وجود الإيمان ".. والإيمان ماهو عندهم؟ هو التصديق، وليس هو الأخذ بالأسباب الموجِبة لوقوع الفعل..

لنضرب مثالاً في غير الماديات، من الفعل كذلك، هو حصول الأجر، حصول الأجر – مثلاً – في الصلاة. فلابدّ من الأسباب الموجبة لوقوع الصلاة، لابدّ من الأسباب الموجبة للزكاة.. وآخِر شيء " الجنة ".. الجنة لاتكون إلا لمن استجمع التقوى كلها، بإستغراقها، [196] – كما سنفصل في موضوع الإيمان –، لكن إقتضاء الكلام علينا هنا، لأن له ضرورة في مسألة الخطاب العقلي وتخلفه لدى المسلمين، تخلّف الخطاب العقلي لدى المسلمين..

ولذلك قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله – في كلام معناه –: " أن كثيراً من المتكلمين والمتأخرين، عندما يذكر لهم العقل، يفِرُّ منه ولا يحترمه. – وهذا الكلام في " **منهاج السنة** " –. قال: صار ذكر كلمة العقل عند المسلمين تعني ماذا؟ تعني. الضلال، لتأثرهم بالخوف من فكر المعتزلة، فكل شيءٍ – عندهم – شرعي، فقط لأنه جاء في الشرع، وهم لا يدرون حقائق الأمور "..

[196] أي، دخول الجنة بلا عذاب وبلا وعيد بالعذاب، لايكون إلا لمن استكمل الإيمان (أصل الإيمان+الإيمان الواجب)، وستأتي تفاصيل هذا الموضوع، في مبحث الإيمان. ان شاءالله تعالى.

هذا موضوع، يكفي إلى هنا، والأمر له توسُّعٌ شديدٌ في موضوع الإيمان، في الحديث عليه إن شاءالله..

هنا، نتوقف عند نقطة مهمة، قبل أن أطيل موضوع الأشاعرة. وهو أن بعض الناس يظن أن، هذا الكلام، والحديث والكلام في هذا الموضوع. قد فات وذهب زمنه، واندثر أثره ولا قيمة للعودة إليه، **فما هو قيمة الحديث عن هذا الموضوع؟** قيمة الحديث عن هذا الموضوع، هو أن هذه الموضوعات التي نذكرها، هذه، صراعات داخلية تشكلت في تاريخنا وأفرزت عقليةً معينةً، نعيش بها في هذا العصر ونتحرك من خلالها، عقلية صبغت أذهان آباءنا وأجدادنا وعلماءنا وكذلك صبغت أذهاننا وأذهان علماءنا في هذا الزمان، فنحن بحاجة أن نكتشفها، أن نعرفها، حتّى نعرف من أين يؤتى الخلل، لماذا نحن **" كلٌّ على مولاه "** لماذا؟ ما هو السبب، أننا في هذه الدرجة من الخذلأن، وقطعاً أن هذا الخذلان الذي نعيشه، بسبب جهلنا. ماهي صور الجهل لدينا؟ من أين اوتينا؟.. فبحاجة أن نعرفها، وإلا بعد ذلك نصبح نخاصموا الألوان والأطياف من غير تحديد لأساس المشكلة وأساس المشاكل. فإذا لم تحدد المسألة ولم نعرف أسسها ومشاكلها، وإلا بعد ذلك نحن في حيرة في أمرنا..

ويكفي أن نصل إلى أن نعرف أن عامة مشايخ هذا الزمان الذين تخرّجوا من المدارس الرسمية والشرعية المعاصرة، وكذلك التي لها زمن مائتين وثلاث مائة سنة، عندهم، مثل هذه العقائد التي نتكلم عنها، بمثل هذا الإنحراف الخطير الذي نعيشه ونلمسه، فما هو السبب أن نقول، أو أن يطرأ على أذهاننا، خطورة: " ما قيمة هذا الحديث "..؟ " ما اهمية هذا الكلام "؟ **هذا غريب أن يطرأ على عقول بعض الناس " ماقيمة هذا الحديث "**..

له من الأهمية، خطيرة التي نراها، ونحن قد اكتشفنا أن صورةً من صور تعطيل إرادة البشر في عملها، وأثرها في الحياة، أتت بنا إلى الخمول والكسل وإلى تعطيل إرادتنا، بحيث نُقبِل على الحياة، فنستفيد منها، فنصبح أسياداً للدنيا..

و كذلك تعطيل الإرادة من جهة الشرع، عَطَّلت لدينا، صار المسلم.. الآن، لماذا الناس، حتّى العوام.. بعض الناس يقول أن العوام ليس عندهم مثل هذه العقائد، نقول: " لا، عندهم هذه العقائد "، أبي، وجدي وأبوك وجدك، يقولون بمثل هذه العقائد، ولا يرون أي عمل من الأعمال التي يقومون

بها، مناقضاً للإسلام. لا يرون أن العمل له قيمة في حياتهم. يرون أن قضية القدر، قضية مُسَير بها، – مثل أمثلة التي ذكرناها في الدروس الماضية –.. الخمول الذي أصبنا، الكسل، ترك الطاعات، الإقبال على المعاصي، الدخول في طوائف الكفر، ونحن لا نراها شركاً، ولانراها معصيةً، كما تبين لنا،.. ويقول بعض الناس ما قيمة الحديث عن هذا!؟

التحسين والتقبيح العقلي، حديث العقل، هل له قيمة عند مشايخ هذا الزمان؟ إذا خاطبته بالعقل، قفز إلى الشرع مُؤوِّلاً إياه ومُفسِّراً له على طريقة الخمول التي تَبَينت لنا من تفسير كلمة التقوى والعبادة، – كما ضربنا بعض الأمثلة السابقة –..

و إذا خاطبناه بتفسير السلف، قفز إلى العقل، ظاناً أن العقل على خلاف النقل..

هذا واقعٌ نعيشه.. **فكيف تريد أن تهتدي بهدي الشرع الحنيف وأنت لم تعرف مواطن الخلل ومواطن الضعف ومواطن العجز ومواطن الجهل التي تعيشه أمتنا؟!**.. فهذا لابدّ أن نفهمه، أَنَا لا أَبْني في الدورات الشرعية، لا أبني المعلومات، أنا لا يهُمُّني أن تُصبح أنت مُسَجِّلاً تحمل كمِّيةً من المعلومات، هذا لا يهمني أنا، ولا أسعى إليه ولم أسعى إليه يوماً قط بأن تصبح أنت مجرد مسجلاً تحوي مجموعة من المعلومات، أنا أريد أن أحرر، فقط أريد أن أصنع عقليةً عمليةً صحيحةً، تهتدي بالألفاظ الشرعية على فهم السلف الصالح. أريد أن أصنع قاعدة، حتّى لو كنت أنت بعد ذلك مقلداً في مسائلك، لكن يكون لك عقلاً تهتدي به، وأقل شيء أن يكون لك عقلاً.. نحن أمتنا، غاب فيها العقل، غاب الشرع والعقل، فنحن فقدنا الشرع والعقل، أمتنا لا عقل لها، والغرب ربَّما له بعض العقل، لكن أمتنا – صار – لا عقل لها، والدليل على هذا، الذي تعيشه، لماذا وصلنا إلى هذه الدرجة من الإنحطاط؟ هذه الدرجة من الخزي والعار؟ مستنقع رذيلة نعيش فيه؟،.. ونرى التبريرات،.. **ما هو دور المشايخ في هذا الزمان؟** تبرير الواقع المعاصر، إصباغ الشرعية على الواقع،..

فهذا إخواني**!** لابدّ أن نتنبه له، وأن نُدرك حالاته. الآن قلت أريد أن أبني عقلية علمية، نريد أن نبني أُسُساً.. التي أَرْفَعُ شعارها دائماً، شعار **" المسلم الصحابي "**..

كيف فهموا الصحابة هذه الأمور؟ لماذا هذا الصحابي الصغير، خلال سنوات بسيطة، " خمس وعشرين سنة "، فتح الآفاق؟.. بعض الناس عندما يرى السنة الإلهية في حركة الصحابة، يظن أنه، لا

دور للصحابة فيها،.. نحن عندما نقرأ تاريخنا الإسلامي، لا نرى إلا يد الله، ولن نرى إرادة البشر. ونظن – بتفسير جبري – أن القضية – فقط – قضية إلهية، ولا دخل للبشر فيها.. ولذلك عندما تتكلم عند الناس – حتّى العلماء –، عن بعض المسائل، يقول لك: " هؤلاء، الصحابة "!..

عندما تريد أن تقول: " الإسلام لابدّ أن يعيد إلى قوته، لابدّ أن نجابه العالم، لابدّ أن نحيى الإسلام، لابدّ أن نحيى حضارة الإسلام الغالبة المتمكنة القادرة على هضم وسحق أي حضارة مقابلة لها "،.. لا يتصور أن للإسلام قوة إحياءٍ جديدة لهذه الأمة.. لا نتصور.. ولذلك عامة الفتاوى وعامة حركات الجماعات الإسلامية، ليست حركاتاً من أجل إحياء الأمة، إحياءً لتكون الأمة الوحيدة..

إخواني! الصحابة كانوا الحضارة الأولي، ليست ثانية ولا ثلاثة ولا رابعة ولا..، لا يوجد أحد في الدنيا إلا حضارة الإسلام، قُضِيَ على حضارة الروم وعلى حضارة الفرس، ولم يبقى إلا الإسلام، فهل الإسلام عاجز أن يحيى الأمة من جديد؟!..

الحديث الآن – عند المسلمين –، حديث الإستضعاف وحديث القبول بما هو موجود، والرضى به وعدم المطالبة بأكثر منه، وإذا طُلِب، فإنما هي مطالبة بحفظ ما عندنا فقط، نحفظوا علينا ديننا..، لم هذا؟ لأننا لا نرى في الإسلام القوة والفاعلية لإحياء أمة جديدة، لا نرى ذلك، لماذا؟ لأن أفكارنا وعقولنا، مطموسة، وعلومنا، إنما هي علوم الصوفية وعلوم الجبر والإرجاء، كما يتبين لنا،..

فأنا، لا أحشي في رأس الأخ والسامع، معلومات، ليصبح بعد ذلك عنده القدرة المنطقية، ليناقش..، أنا ما أريد هذا، ولكن أريد أن يتحرر عقله وعلمه من الدخن، ويدرك الحق على ما هو عليه، وبعد ذلك، أريد، تحرير إرادته من كل سوالب هذه الإرادة المنطقية لإحياء الإسلام.. ولذلك، أنا أقول، أنا لا أحب – منذ مدة طويل –، لا أحب أن أدرس ولا أحب أن أعطى المحاضرات للناس عامة، لأني أشعر أنها، كلام لاجدوى لها، كالنفخ في قِربةٍ مَثقوبةٍ..، وإذا لم تكن أنت عاملاً في داخل جماعة، أو عاملاً للإسلام، أو ليس عندك الهَمّ بأن تعمل للإسلام القادم، فلا تحضر الدروس،.. يعني، إذهب إلى الكتب واستمع للأشرطة ولا تضع وقتك..، **نحن نريد أن ننطلق عملاً مسلوكاً لإحياء الإسلام، على هدي السلف الصالح، من خلال جماعات مسلمةٍ مقاتلةٍ مجاهدةٍ،** تهتدي بالحق، حاملة للحق، مقاتلة في سبيله. والإنسان الذي لا يبحث ولا يسعى لهذه المرتبة، ولا يسعى إليها، ولا يعمل من أجلها ولا

يحدِّث نفسه بها، ولا يستخدم هذه الآلية العلمية التي ندرِّسها، ولا يستخدم هذه العلوم الكاشفة للحقائق التي هي في عصرنا،.. و إلا بعد ذلك، لا قيمة للحديث عنه، مثل مجرد كتاب، أنا أسمع كتاباً، وبعد ذلك **أُأَلِّفه** وأضعه في المكتب، وانتهى الموضوع.. ولذلك، صدق من قال، – حين قيل له: فلان حفظ القرآن –، قال: **زاد مصحفٌ جديد!**، مصحف مطبوعة، ماذا سيؤثر؟. إذا لم يكن هناك إرادة لحركة هذا القرآن في واقع الحياة، ما قيمة هذا الإنسان؟ فإذا لا يوجد عندك هذا الهَمّ لتستفتح الجماعة الحق، والتي تبتعد عن دخن أهل البدع، فلا فائدة فيها تتعلم وتسمع..

الآن جماعات، تعتبرون الأشاعرة من أهل السنة. ومذهب الإرجاء، عندهم، هو المذهب الحاكم، وهو المذهب الذي، يقتدون به في الحكم على المعين وحركة الحياة، وكذلك هم جبرية في تسييرهم..، بعد ذلك، جماعات موجودة على أرض الواقع، جماعات ترفع شعار " **أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم على أرضكم** "، شعار ضلالي، شعار ضلالي يحمله بعض المشايخ ممن انتسب إلى السلف وهدي السلف وأهل الحديث، ومع ذلك يقول: " صدق من قال، أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم في أرضكم "!..، هذه الكلمة، ستكتشفون، أنها جامعة لمذهبي الضلال، مذهب الإرجاء ومذهب الجبر..

أنا، الآن، أعطيك منهجاً كاشفاً للحق والباطل، حتّى لا تقول يوماً من الأيام،. " قد ضللنا، أين نذهب؟ كيف نكتشف الحق؟ "..، لأننا – قدجربّنا كثيراً –، حين نذهب ندرِّس الناس، وقد وقع في مجالس كثيرة –، بعد أن تدرِّس الناس، وتقول لهم: " عليكم أن تلتزموا الحق وتقوموا به.. "، فيقولون لك، الكل يعرض علينا آرائه وأقواله ويقول أنها الحق، فأين الحق، وكيف نكتشف الحق؟!

لا يوجد عند المسلمين، منهج لكشف الحق، لا يوجد عندهم، لا يعرفونه. عندهم القدرة على أن يكتشفوا الدينار المزيف من الدينار الصحيح، عندهم القدرة على أن يميزوا بين البندورة (=الطماطم) الصحيحة من البندورة الخربة، عندهم القدرة على أن يعرفوا التجارة الرابحة والتجارة الخاسرة من أمور الدنيا..، ولكن في أمر الدين، لا يعرفون ماهو الحق، وكل من له لحيةٌ ويصعد المنبر، عنده شيءٌ وحياه الله، وكلامه حق!..، **والناس يتضاربون وليس عندهم منهج للحكم على الناس..**

فهذه الدروس، إخواني!، كاشفةٌ لكم حتّى تصبح عندكم القدرة العقلية، لأن تكشفوا الصحيح من الغلط، والغث من السمين..، ولا يهُمُّك الناس! نعم!، ربما سَتُرَدِّد بعض هذا الكلام، بعد أن اقتنعت

به وعرفت دليله، سَترِدِّده أمام بعض الناس، فيَظُنُّ أنَّك رجلٌ قد خرجتَ من أهل الكهف، رجلٌ غريبٌ جداً! - يقولون لك - " من أين جئت؟ ماذا تصنع؟ أين عقلك أنت؟.. كن مثل الناس، كلْ، واشرب و..، واشتغل واعمل، وتزوج وانكح وتسافد وكد وبعد ذلك تموت وأنت في الجنة! وفي النهاية أنت مسلم وأين تكون؟ في الجنة،.. ما المشقة؟ "..، فقضية الإسلام، وإحياء الأمة وقتل الطواغيت ومحاربة أهل البدع.. وفلان زنديق.. و فلان ضال.. معاداة الناس كلهم.. وبعد ذلك، ماذا تريد؟ الجنة..، تريد الجنة؟ فلماذا هذه المشقات وهذه السلوكيات؟! فالجنة يأخذها العامي، هذا العامي، أو العالم، هذا يأخذ الجنة، ولا يحتاج إلى هذا المشقات وهذا الطريق التي أنت تسلكه!!..

الآن، ما المطلوب عند الناس لدخول الجنة؟ أن يكون ماذا؟ فقط أن يكون مسلماً، - بإقراره - بـ " لا إله إلا الله محمد رسول الله " فقط. فأنتم مسلمون، وفي الجنة، والمشايخ، يؤكدون مثل هذه المعاني في دروسهم وفي محاضراتهم، وكلّ يوم وكلّ آن، يؤكدون أنه يكفي أن تقول (لا اله الا الله)، وبعد ذلك، اصنع ما شئت وكن كما شئت، وفي النهاية، لك الجنة!!..

فلماذا تتعب نفسك بمثل هذه المشقة والتعب والبلاء على نفسك وعلى أهلك وعلى واقعك وتُشَرِّد وتَجوع وتَعرى وتفارق أهلك، حتّى تدخل الجنة؟! دخول الجنة سهل وميسورٌ، ولا يريد هذه الأمور!!..

القرآن عندما يقرَأ - في هذا الزمان -، تكاليفه لمن؟ للصحابة.. و النار للكفار، والجنة لحضراتنا، فقط، هكذا. القرآن مُقَسَّم هكذا عندنا، عندما نقرأه، الجنة لمن؟ لنا، لحضراتنا، والتكاليف الشرعية والأوامر والبلاء لمن؟ للصحابة، والنار للكفار، خلاص..

و هذا واقعٌ، أمتنا تعيشه مثل الدواب، غثاء. كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " **غثاء كغثاء السيل** "..

وبعض الناس يدخل في بعض الجماعات، ويعتبر وجوده في الجماعة كافٍ لأنه يعمل للإسلام ومحسوب على أهل الإسلام، مجرّد ما سجّل اسمه، خلاص!، هو من العاملين للإسلام، ولكن واقع حياة هذا الرجل وعمله وسلوكه، لا فرق بينه وبين " **جرج بطرس يوحنا** ". لا نقول ليس هناك فرق بينه وبين العامي من المسلمين، لا، ليس هناك فرق بينه وبين الكفار!، لا في مظهره ولا في سلوكه ولا في

بيته ولا في حياته، ولا مع أبنائه ولا في معاملته ولا في كلامه، ولا في تجارته ولا في دخوله في أحزاب الطواغيت، ولا.. ولا..، أبداً لا شيء.

.. فلنتَّقِ الله عزوجل، قضية خطيرة، والله لولا وجود الدافع بأن هذه القضايا خطيرة أريد أن أُعلِّمها الناس، وشيءٌ تَعِبتُ من أجله حتى حصلته.. وإلا جلست في بيتي وأنا لستُ من **المُحِبِّين** لأن أُعرَف أو أُشتَهر، لأني جرّبتُ هذا، فما وجدتُ فيه إلا التّعب والنصب والمشاكل. ويسعدني كثيراً جداً أن أجلس في بيتي فلا أَعرِف ولا أُعرَف..

فبارك الله فيكم، اسعوا لهذا وجِدُّوا فيه وأخلصوا الطلب فيه واقصدوا بذلك، العمل، وأن تتميز مناهجكم وسلوككم وتتميز عملكم بالإسلام والإقبال عليه. والزمن قصير والدّهر قصير، وسنموت، فإما أن نلتحق بالأوائل، وإما أن نلتحق بالخواتم..

التأويل عند الأشاعرة:

الآن نأتي إلى قضية " التأويل " عند الأشاعرة..

ولا نشرح التأويل، لأن الحديث عن التأويل في حقيقته، التأويل في لغة القرآن، والتأويل عند العرب والتأويل عند المتأخرين، هذا سنفصل القول فيه، في الحكم على المعين، لأن من صوارف الحكم على المعين، هو التأويل. من صوارف الحكم على المعين بالكفر، هو قوله " سببه التأويل ".. وهو " **ظن غير الدليل دليلاً** "..

لكن هنا التأويل عند الأشاعرة له معنى أخري..

القضية عندهم في " **القانون الكلي** " الذي ذكره **الرازي**، وعلق عليه شيخ الإسلام..، أصلاً شيخ الإسلام **ابن تيمية**، ما ألف كتابه " **درء تعارض العقل والنقل** ".. إلا من أجل القانون الكلي المزعوم، وهو كالتالي: " إذا تعارض العقل مع النقل، ماذا نصنع؟ ماذا صنعت المعتزلة؟ المعتزلة جماعة واضحين، ليس عندهم غموض، واضحين مع أنفسهم، عندهم إذا تعارض العقل مع النقل، يبطلون النقل، يقولون النقل باطل، بأسباب، بطرق معينة، إما أن يقولوا " حديث آحاد "، هذا لا يؤخذ منها

العقيدة، وإما أن يقولوا، هذا الحديث مكذوب، لأن الصحابي، أو الراوي، جاهل!، وإما يتهمون المحدثين بأنهم، هؤلاء حشوية، أو ما شابه ذلك..، المهم، عند المعتزلة، أساس القضية، الحق مع العقل فيما زعموا، فيقدمون العقل[197] على النقل..

لكن الأشاعرة جماعة كما ثبت لدينا أنهم يواجهون المسائل مواجهةً صريحةً، بل يحاولون أن يوَفقوا، فلفقوا فلا يوفقوا..

قالوا: إذا تعارض العقل[198] مع النقل – قال الرازي – إذا قلنا بالنقل – هكذا يقول الرازى في هذا القانون الكلي الذي زعمه –، فلو قلنا أن المقدَّم هو النقل، فعندنا عارضٌ. ماهو؟

---

[197] العقل عند المعتزلة، هو المنطق الأرسطي الذي ورثوه عن اليونان. وليس العقل الذي سبق شرحه، – – عند أهل السنة –، وهو الفطرة، أو " أصل الخلق "، أو " أصل الشيء " أو " الحقيقة " التي خلقها الله على ما هي عليه، أو الوجود كما خلقها الله على ما هي عليه، أو الوجود كما خلقها الله، أو الحق كما خلقه الله، أو علَّمنا إياه الرب سبحانه وتعالى. لكن العقل عند المعتزلة، هو المنطق الأرسطي، البديهيات التي زعموها، والقوانين التي أحدثوها، فإذا تعارض هذه، مع النقل، قدموها على النقل..

هذا التعارض المزعوم (بين العقل والنقل) إنما هو في الواقع، مسلك الفلاسفة في الأصل. الذين لا يثبتون النبوات، ولا يرون أن إرسال الرسل وما جاؤوا به حقائق ثابتة، فمصدرهم في الإستدلال على إثبات الأمور هو العقل، ما أثبته العقل فهو الثابت، وما نفاه هو المنفي.

فلما اعتمد المتكلمون من المعتزلة ومن نحى نحوهم كالأشاعرة والماتريدية هذا الأصل، وقرروا أن العقل هو الميزان الصحيح، وأن أحكامه يقينيه. أقحموا العقل في مجالات ليست من مجال بحثه، فخرج العقل بأحكام باطلة وفاسدة، وهي بزعمهم أنها يقينية. ثم أرادوا أن يجمعوا بين هذه الأحكام ونصوص الوحي، فتولد لديهم تعارض بين الأحكام العقلية التي توصلوا إليها وبين نصوص الوحي، فأرادوا أن يتخلصوا من هذا التعارض، فوضعوا قانوناً، يسمى بقانون التأويل، الذي حاصله أنه يجب تقديم العقل على النقل، وتأويل النقل حتّى يتفق مع العقل أو تفويضه.

و أصل شبهتهم في تقديمهم للعقل على النقل وجعله مصدر التلقي، وهو إعتقادهم أن السمع ((=النقل)، لا يعرف ولا يثبت إلا من طريق العقل...

[198] كما سبق أن العقل، عندهم، هو " المنطق الأرسطي ".

العارض هو: في أنه لم يثبت صحة النقل إلّا العقل.. فإذا تعارض العقل مع النقل فقلنا أن المقدَّم هو النقل ونبذنا العقل، فإن النقل لم يثبُت صِحَّته إلا بالعقل.

إذن العقل هو الأصل، لأن - عندهم - هو الذي يثبت صحة النص، والنقل فرعٌ، إذن إمتنع - عندهم - تقديم النقل على العقل.. - يقول -: " لكن لو قلنا بالعقل ونبذنا النقل، فإن هذا، إتهام للشريعة. يعني إذا قلنا النقل لا قيمة له، وأخذنا بالعقل، فهذا إتهام بالشريعة أنها تعارض العقل، فلابدّ أن نضع طريقة معينة لنجمع بينهما، لابُدّ أن نجمع بين الأصل والفرع الذي خرج من الأصل، لا يمكن أن يكون مغايراً له، إلا أن يكون موافقاً له. - فقال - إذن نريد ونبحث عن المعنى اللغوي في داخل النقل ليوافق العقل. البحث عن المعنى الآخر - أو المعنى الخفي - في داخل اللفظ، ليكون موافقاً للعقل. **هذا الذي سماه " التأويل "**..

فقال لابدّ أن نؤوِّل اللفظ العربي الوارد في النقل..

لابدّ أن نشرح لكم هذه المسألة مختصراً: تصوروا " اللفظ العربى "، كرةً، أيُّ لفظٍ من الألفاظ، تصوَّروه كرةً، مثل لفظ (الإنسان)، تصوروا أن كلمة (الإنسان)، دال على معني، ففيها معنى غالب، قديكون هذا المعنى الغالب تسعين بالمائة (٩٠٪)، وفيه معاني أخري، قديكون هذا (٧٪) وهذا (٣٪)..

فكلمة (الإنسان). إذا أُطلقت، فإنها لا تُطلق إلا على الإنسان المعروف المخلوق الذي خلقه الله، أنا وأنت و...، لكن كلمة (الإنسان)، ربما تطلق على بعض المعاني الأخري، غير هذا المعنى المشهور، إلى معاني أخرى محتملة في داخل اللفظ..

إذن اللفظ الواحد، يحتوي على عدة معاني، فيه معنى ظاهر كبير، وفيه معنى أخرى صغيرة، فالأصل - في فهم معنى اللفظ - حمل اللفظ، إذا أُطلق على المعنى الظاهر، هذا يسمَّى عند العلماء **" الظاهر "**، والمعاني الأخري، لاتكون ظاهرة، بل تكون خفيَّة..

هؤلاء – أهل التأويل – يقولون: الأصل: أن اللفظ يحمل على المعنى الظاهر، لكن لوجود دليل آخر مُحتَمَل، لوجود قرينة، فإننا علينا أن نحمل اللفظ، على المعاني الأخرى المحتملة في داخل اللفظ، لتوافق ما قرره العقل.. هذا هو التأويل عندهم..

نضرب أمثلة: مثلاً: قضية الكلام، التي تكلمنا عنها في الدروس السابقة، **قال الأشاعرة**: " لو قلنا أن الله يتكلم بحرفٍ، فهذا يشبه كلام المخلوق، لأن المخلوق يتكلم بحرفٍ، ولو قلنا: الله يتكلم بصوت، فإن الصوت هو كلام المخلوق، فلا ينبغي أن يشابه كلام الخالق كلام المخلوق، إذن ينبغي أن نصرف معنى الكلام، من الحرف واللفظ والصوت، إلى معنى الكلام بالمعنى النفسي القديم. والكلام في لغة العرب، قديطلق على المعنى النفسي، كما قال عمر رضي الله عنه: " زورت في نفسي كلاماً "، وكما قال الشاعر: " إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً ".. [١٩٩]

خاتمة مبحث " تحديد فرقة أهل السنة والجماعة " و " الكلام عن الفرق "

.. قد إنتهينا من تحديد ملامح ومنهج أهل السنة والجماعة وتكلَّمنا عنه بتفصيل. وأظن أننا قد إستوعبنا لوازم ومعاني ومقتضيات هذه العبارة (ماأنا عليه اليوم وأصحابي)، الذي أُشتُقَّ منها شعار " أهل السنة والجماعة "، ما نحتاج إليه في عصرنا هذا. لأن عصرنا هذا مليءٌ بالفتن وقد ترون في الدروس إتجاهاً واضحاً في الرد على – المنحرفين من – المسلمين، ولم ننشغل بالرد على الكافرين، لم

---

[١٩٩] بطلان هذا التأويل واضح، كما سبق في مبحث " كلام الله عند الأشاعرة ".. وهذه القواعد المنطقية والفلسفية التي جعلوها قواعد ثابتة وجعلوها هي (العقل) عندهم، قواعد ما أنزل الله بها من سلطان، وآية واحدة في كتاب الله كافية في رد جميع هذه الأهواء والإنحرافات، وهي قوله تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى ١١.

الشيخ المولف – حفظه الله – في كلامه على الأشاعرة في هذا الموضع، يتكلم عن موضوع " الأسماء والصفات " عند الأشاعرة وذكر انحرافاتهم في هذا الموضوع ويبين مختصراً معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات..نظراً بأن هذا الموضوع – أعني – (الأسماء والصفات)، قد أُلِّفَ فيه كتبٌ جامعةٌ ومفيدة – كعقيدة الواسطية و..– وهذه الكتب منتشرة وموجودة عند عامة الإخوة، فلهذا، حذفنا هذا المبحث ولم نقم بكتابته، إختصاراً لموضوع الأشاعرة وعدم التطويل فيه أكثر مما نحتاج إليه في هذا الكتاب الذي، أصل موضوعه " مسمى الإيمان " عند أهل السنة والجماعة. نسأل الله تعالى أن يوفقنا في هذا العمل وفي كل الأعمال الصالحة، وأن يبارك في هذا الكتاب ويجعله نافعاً. آمين!

ننشغل بالرد على المستشرقين، لم ننشغل بالرد على أعداء الملة والدين. السبب في ذلك، أن هؤلاء، بالنسبة إلينا، قضيتهم واضحة. ولكن إن أعظم الفتن بالنسبة إلينا نحن، من يطرح الافكار الغلط والمذاهب التي تُسمَّى عند الناس بالمذاهب والفِرَق والنظريات الإسلامية. وعصرنا الذي نعيش فيه قد إمتلأ ممن يرفع شعار الإسلام، ونرى الكثير ممن يقفز قفزات، - تستغرب أنت منها -، يكون في لحظةٍ مُنَظِّراً للشيوعية، مُنَظِّراً للقومية، فإذا صار للإسلام مَدٌّ ما، أو قبولٌ ما - في المجتمع -، قفز إلى الإسلام وهو يحمل الدَّخن الكثير..، أو كثيرٌ من الناس الذين يحملون الإسلام، قد تأثّروا كثيراً بأفكار الغير..

أُريد أن أُنَبِّه، - قد يرى القارئ، أو المستمع، - و يقول - هذا المتكلم (أو الكاتب)، ترك كل أعداء الدين وانشغل بالمسلمين وبالحديث عنهم؟! -..

أريد أن أُنَبِّه، أنّ بالنسبة لنا، نحن الذين نزعم أننا نريد أن نحيى دين الله عزوجل، نرى أن قضية الفساد بالنسبة إلى المسلمين، جاءت من المشايخ وجاءت من قادة الحركات، وجاءت من دخن الحركات الإسلامية. فكنا في تحديدنا لشعار أهل السنة والجماعة، نبحث عن هذا الشعار وضروراته بالنسبة لما نحتاج إليه في هذا العصر، ما نحتاج إليه، فأخذنا منه هذه المعالم التي، إن شاءالله إذا عاودتم الكرة بعد الكرة، والمرة بعد المرة، إستماع الأشرطة - أو قراءة الكتاب -، أنها تعيد إليكم الصياغة العقلية من خلال الدليل.

فكما رأيتم، هذه العبارة (ماأنا عليه اليوم وأصحابي).. كانت كافية شاملة، في طرحها للحق، في طرحها لما يحتاجه المسلم المعاصر الذي يريد أن يقتدي بالمسلم الصحابي الذي رضى الله تعالى عنهم.

فانتهينا بفضل الله عزوجل.. و عودوا كما قلت - مرة بعد مرة - لإستماع الأشرطة، حتّى إن شاءالله، تجدوا فيها المنهج الذي أردناه..

و تابعنا بعد ذلك الكلام من الفرق، وقلنا ما هو سبب كلامنا عن الفرق، لأننا نحن وراث لكثير من إنحرافات الفرق الإسلامية التي دخلت في التاريخ الإسلامي وفي المجتمعات الإسلامي. نحن نحمل كثيراً من الوراثات أو من الوراثة الباطلة لهذه الفِرَق وضلالها..

ونحن تكلَّمنا عن الأثر..، ولم يكن هدفنا، أن نعرف من هم المعتزلة، الذين يقولون بالمبادئ أو الأصول الخمسة و..، ولكن هدفنا معرفة أثر هذه المبادئ على نفسية الإنسان وعلى حركة الإنسان وفي عبادته لله وفي حركته للحياة. وكذلك في كلامنا عن الأشاعرة – كما رأيتم كل وضعٍ من أوضاع الأشاعرة –، تكلمنا عن الأثر، وهذا هو المهم لديَّ أنا..

قديقول قائل، الأشاعرة يقولون كذا، هذا قضية فكرِية، وخصومة عقدية، لكن ليس لها أثر على حركة الإنسان..

نحن بينا كم هو خطر تلك الأفكار على الإنسان، **لأن الإنسان أسيرٌ لأفكاره وإرادته،** كما بينا في أول الدروس، أن الإرادة منطلقة من ماذا؟ تنطلق من القوة الدافعة ومن العلم. القوة الدافعة، وهي " الرغبة " لتحصيل الشيء المحبوب، وضعه الله في قلب الإنسان، كتحصيل الزوجة، كتحصيل المال، كتحصيل الملك وتحصيل الخلد و..، هذه هي القوة الدافعة لدى الإنسان.. ثم " العلم "..

ولذلك إذا كان العلم مُشَوَّهاً لدى الإنسان، كانت إرادة الإنسان مشوهة، وكانت النتيجة، أن الإنسان " كلٌّ على مولاه، أينما يوجِّهه لا يأتي بخير ". [200]

أهمية موضوع الإيمان في حياة المسلم:

أنا، الذي أعتقده، أن حركة الإنسان متقيدة بما يسمى بـ " الإيمان "..

الرجل، إذا قال " أنا شيوعي "، هذا الذي يعتقده، فحركة حياته على وفق ما يعتقده، وتستطيع أن تجمل الشيوعية في الجملة – بالنسبة لهذا الإنسان –، هي تُعتبر، الدينام المحرك لهذا الإنسان، [201] لأي نقطةٍ، أو أي قاعدة، يرتكز عليها هذا الإنسان، فتتحرك إنفعالاتُه وسلوكياته على وفق ما يعتقده، وتستطيع أن تحدد حركة حياته من خلال هذه الجملة التي يقولها: " أنا شيوعي "..

---

[200] قال تعالى: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). النحل٧٦.

[201] قال تعالى: (..قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين) البقرة٩٣..

إذا قال الرجل: " أنا نصراني "، إذا قال: " أنا يهودي "، فتتحدد فِكرتُه في نقطة ما يرجع إليها..

وبالنسبة إلى الإسلام – هكذا –، في نقطةٍ واحدةٍ، تغيير هذا الإنسان، إذا تشوهت، تشوه الإنسان المسلم بعد ذلك، وإذا توضحت هذه النقطة، صار الإنسان، سليماً معافى لا يعبد إلا إلهً واحداً، وينطلق وهو بعيد عن المظاهر التشوهات النفسية والسلوكية في حياته..

هذه النقطة، هي التي صنعت المسلم الصحابي، بوضوحها وجلاءها وصحتها، وموافقتها للحق.. وهذه النقطة، بفسادها، هي التي صنعت المسلم المشوه، في العصور الفائتة وفي عصورنا هذه..، **هذه النقطة هي موضوع فهم الإيمان..**

قلنا أول نقطةٍ بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي أنه قال لهم: " قولوا لا إله إلا الله، محمد رسول الله " فلما قالوا هذه الكلمة، صار الإنسان – منهم –، إنساناً آخراً، وكل ما أتى بعدها من تشريع ومن دين ومن عطاءٍ للصحابي في حركة الحياة لخدمة دين الله وفي عبوديته لله، هو منطلق من هذه الكلمة العظيمة.

ونحن من هذه الكلمة العظيمة، بسبب المفاهيم المشوة، نصنع مثل هذا الضلال الذي نعيش، بسبب ضلال فهمنا لهذه الكلمة، نحن كذلك.. وبسبب وضوح الحق في هذه الكلمة، لدى الصحابي، كان إنساناً سليماً معافي، حركته وحركة الحياة فيه، حركة موافقة للحق، وبعد ذلك صنعت النتائج الدنيوية والنتائج الأخروية..

إذن هذه الكلمة، وهي كلمة الإيمان، المنطلقة من " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، كلمة التوحيد، هي التي، تصنع الإنسان بوضوحها، وهي التي تُدَمِّر الإنسان، إذا أصابها الغبش والضلال، لدى الإنسان..

هذه القضية، يجب أن نفهمها، وبعض الناس يظن أن الإيمان واضحٌ في قلوبنا وأذهاننا، لأنه يظن أن الإيمان، هو ما تعلق بمسائل الغيب..

أنا أرى وأقرأ، لبعض الذين ينتسبون إلى الفكر الإسلامي، يقولون: " القضية، ليست قضية الإيمان، فيما يظهر من اعوجاج وتشوه وضلال وانحراف في حياة المسلمين، – يقولون – ليس مبعثه وليس سببه هو قضية الإيمان، إنما هي قضية فهم حركة الحياة، التي يسمونها عندهم بالأفكار بعد ذلك، ". – لأنهم – يظنون أن الإيمان هو ما تعلق بقضايا تصديق أخبار الغيب فقط، الإنسان مؤمن ومسلم، لأنه يؤمن بوجود الحساب..، فيظن أن هذا، هو الإيمان، وهذا قد استويٰ في عقل الإنسان، إذن فإيمانه صحيح فأين التشوه بعد ذلك؟ – يقولون – تشوهه في أفكاره، في فهمه لحركة الحياة..

هذا، ضلال وانحراف في فهمه للإيمان أولاً، ثانياً: السؤال: ما الذي أُعطيه هذا الصحابي، من الفهم لحركة الحياة، حتّى يكون إنساناً سلبياً؟ لم يعط شيءٌ، أُعطَى فقط هذه الكلمة. فأول نقطةٍ بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي التي تشعب بعد ذلك منها العطاء الإلهي بالتشريعات والهداية والإكرام، هو أنه " قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ". ثم بعد ذلك، إطار الجماعة.

أول قضية بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم " التوحيد "، والقضية الثانية " الإطار العملي لتحديد هذه الفكرة، وهي " الجماعة ". وكلاهما قد شُوِّه في الفكر الإسلامي، قد شوه كما رأينا، فمفاهيم، " لا إله إلا الله ". أصابه الإنحراف في عقولنا[٢٠٢] وكذلك " الجماعة " إنفرط عِقدها العملي، وانفرط قبل ذلك، قبل انفراط عقدها العملي الحياتي في واقع المسلمين، انفرط مفهومها في أذهاننا. فصار المسلم كما ترون (كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لايأتي بخير). لا يأتي بخير أبداً..، يعمل لإقامة الحكومة الإسلامية، فلا يأتي بخير، يجيء بالكفار – في النهاية –، كما جاهد آباؤنا الصليبيين والمستعمرين، جاهدوهم، فطردوا المستعمرين وأتوا بالقومية والكفار المحليين، لعدم وضوح الإيمان؛ الجماعات الإسلامية الآن، يقاتل اليهود – في فلسطين – ولا يغضب من وجود **منظمة التحرير الفلسطينية!**..، فالقضية قضية " أينما يوجهه لا يأتي بخير "، لا يدري ماذا يصنع، حركته غير منضبطة بهذه القضية العظيمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).. فلذلك مهمتنا أن نعيد هذه الألفاظ إلى

---

[٢٠٢] راجع كتاب " مفاهيم ينبغي ان تصحح ". للشيخ محمد قطب حفظه الله تعالى.

نصاعتها، أن نرجع إلى كلام الأوائل وبعد ذلك، نرى مقدار التشوه الذي حصل في بلادنا وفي مكاننا وفي حياتنا وفي أفرادنا وجماعاتنا.

من أجل هذا، هذه القضية مهمة، وإذا لم تُفهَم، خلاص!، ما فيه قيمة ولا نفع، اذهب فاقرأ الفقه، واقرأ..، ستكون مشوهاً، اذهب واقرأ علم الحديث..، لماذا الفقه؟ ما هو قيمة الفقه؟ ليخدم قضية التوحيد. إما هو فرع منها، وإما مادًّا لها بالقوة، فقط.. الفقه ماهو؟ عبودية لله، وهي دائرة متصلةٌ كما ترون، يخرج منه التوحيد الصافي، ويرجع بالعبادة الصحيحة، بالقوة إلى التوحيد..، الحديث..، لماذا الحديث؟ لماذا علوم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ليقيم التوحيد في قلوب الناس،.. أي مسألة..، لماذا الجهاد؟ لإقامة التوحيد،.. **القضية: التوحيد**. القرآن كتاب التوحيد..، فإذا هذه القضية، كانت مشوهة، خلاص! إذهب، كما يصنع كثير من بلاد المسلمين ومساجدهم - لانحتقر هذه، لكن نبين الصور، كيف الأمور صارت سرطانية في أبداننا -،..، ما هو التشوه؟ هو التضخم أكثر من اللازم والظهور أقل من الحقيقة..، فالمسلم الآن، في المساجد، لمّا يريد أن يعبد الله ويصنع خيراً، ماذا يصنع؟ يذهب ويقول، إقرأوا التجويد..، فتجد حلقات التجويد دائماً، لمّا كسلوا، يتركون حلقات التجويد، ولما نشطوا، ماذا يصنعون؟ حلقات التجويد. وهكذا..، إسمع، واقرأ القرآن، إعمل ما شئت، ولكنك لن تستفيد حتّى تفهم هذه القضية التي سنتكلم عليها، سنتكلم عنها بوضوح، وهي التي تفيدنا في الأحكام على الناس، وهي التي تفيدنا في تربية أنفسنا، ومقدار عمق حركاتنا، إنطلاقاً من هذه القضية الكبري..

مسمى الإيمان، عند أهل السنة والجماعة:

نشرح بإذن الله وتوفيقه وهدايته وإرشاده، " مسمى الإيمان "، عند أهل السنة والجماعة:

تعلمون إخواني أن **سورة " الفاتحة "** هي لُبُّ القرآن و **" السبع المثاني "** [٢٠٣]، وسمّاها النبي صلى الله عليه وسلم **" القرآن العظيم "** [٢٠٤] ولذلك قال العلماء: " أن الفاتحة هي تحوي القرآن كلَّه»، وهذا حق.

[٢٠٣] قال تعالى: ﴿*وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ*﴾ (الحجر ٨٧).

الراجع إليها يرى أن ما خرج في القرآن من تشريعات وأحكام وعطاءات كله تجد أصله ولُبّه في داخل الفاتحة، فقال علماؤنا عليهم رحمة الله **" أن التوحيد مداره على آيةٍ، هي لُبّ الفاتحة، وهي قوله سبحانه وتعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) "**، دين الله عزوجل، كله مربوط بلُبِّ الفاتحة، (إياك نعبد وإياك نستعين) [٢٠٥]..

كما ترون، العبادة هي القصد، أنت تفعل فعلاً تقصد به أحداً..

ما معنى العبد؟ العبد لغتاً: الطائع، الخاضع، الممتثل للأمر.. إذن هو يعمل أمراً، يمتثل فيه..، فهو يعمل لسيده..، وإما أن يمتثل أمر سيده في حركته وسلوكه، لمجرد الأمر، كأن يقول له " قُم، كلْ، و.. "، وقد لايكون عمل العبد في هذه الحالة خدمةً لسيده، ولا يخدمه بهذا النوع من العمل - بل هذا العمل يكون لخدمة نفسه -، ولكن يمتثل أمر سيده في سلوكه وحركته، إذن فهو طائع له..، **إذن العبادة هي حركة إنسانيةٌ، فعلٌ إنساني يقصد به غيره**[٢٠٦].. ف (إياك نعبد)، هي قصد الإنسان لطاعة الله

---

[٢٠٤] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في " الفاتحة ": **هي أم القرآن وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم** ". [رواه أحمد في المسند (٩٧٨٧). قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين].

[٢٠٥] قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: " وقد جاء مأثوراً عن **الحسن البصري**، أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأربعة، وجمع علم الأربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصَّل، وجمع علم المفصل في أم القرآن، وجمع علم أم القرآن في هاتين الكلمتين الجامعتين: (إياک نعبد وإياک نستعين). وإن علم الكتب المنزلة من السماء اجتمع في هاتين الكلمتين الجامعتين ".

[مجموع الفتاوي١٤/ ص٧و منهاج السنة ٥/ ٢٠٦]. وقال **الإمام ابن القيم** رحمه الله: " وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين وعليهما مدار العبودية والتوحيد، حتّى قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جمع معانيها في التوراة والأنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل، وجمع معاني المفصل في الفاتحة ومعاني الفاتحة في (إياک نعبد وإياک نستعين) ". [مدارج السالكين١/ ٧٤]

[٢٠٦] نعلم أن الإنسان عبدٌ بمعنى الكلمة، ولا يستطيع أن يخرج من العبودية، وهذا خلقته وجبلته التي خلقه الله تعالى عليها،... يعني أن الإنسان –من حيث أنه ضعيف ومحتاج و..، وهذه الأمور لا تنفک عنه أبداً –، إذن هو لرفع حاجاته وجلب المنافع لنفسه ودفع المضار عن نفسه، مضطر ومحتاج لغيره بأن يتوفر له حاجياته ويعينه وينصره في دفع المضار عنه وجلب المنافع له..، فعلى هذا الأساس، لابدّ للإنسان أن يخضع لغيره وأن يطلب من غيره، - لأنه فقير وضعيف

سبحانه وتعالى. إذن لما يقول العبد (إياك نعبد)، فهو يقصد أفعاله وأعماله لواحد، وهو الله عزوجل.. إذن (إياك نعبد)، **هو توحيد القصد لله عزوجل..**

العبد كذلك له حاجات، ويطلب حاجاته من غيره، أو من سيده..، الإستعانة في رفع الحاجات..، أنا محتاج لك، أريدك أن تعطيني..، إذن، هو ماذا يفعل هنا؟ يطلب منه..، ويستعين به في رفع حاجاته..، فإياك نستعين، أي: لا أستعين إلا بك، ولا أطلب إلا منك..، إذن ف **(إياك نستعين)، هو توحيد الطلب**..، وأعمال العبد هي (القصد والطلب)..

إذن لما يقول العبد (إياك نعبد وإياك نستعين)، هذا يعني أنه يقصد بأعماله وأفعاله، واحداً، وهو الله، ويطلب حاجاته من واحد فقط، وهو الله، **وهذا هو التوحيد**، أي: أن لا تقصد بكل أفعالك وأعمالك إلا واحداً – وهو الله –، وأن لا تطلب جميع حاجاتك إلا من واحد – وهو الله –.. وهذا، خلاصة دين الله.

هذا التوحيد، كما ترون، هو فعل الإنسان، هو يوحِّد فعلَه.. وفعل الإنسان، إما أن يفعل وإما أن يطلب، يعني أنت حركاتك كلها، إما أن تطلب وإما أن تفعل – لنفسك أو لغيرك –، إما أن تأكل، إما أن تشرب،.. إذن أنت تفعل أفعالاً، أو تطلب من غيرك..، إذن – إنتبهوا لهذه القضية –، **إذن القصد والطلب، هو حركة الإنسان بغَضِّ النظر عن المطلوب بهذه الحركة**، ماتكلمنا عن المطلوب بها..

–، إذن فخضوع الإنسان لغيره وطلبه منه حاجاته – كائناً من كان هذا الغير –، أمرٌ كوني حتمي قدري ولا يستطيع الإنسان أن يخرج منه أبداً، وهذا هو العبودية التي لا يخرج الإنسان منها أبداً..، إذن فالإنسان عبدٌ كوناً وقدَراً – شاء أم أبى –، ثم بعد ذلك يكون عبداً لمن؟ ويجعل (قصده وطلبه) لمن؟ فهذا هو موضوع رسالة جميع الأنبياء عليهم السلام، وهو أن يكون الإنسان عبداً خالصاً لله الواحد الأحد الفرد الصمد الخالق، لا عبداً للمخلوق – من الإنس والجن وغيرهما من المخلوقات –، لأنّ: (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) و (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)..

هذا هو التوحيد الذي بعث به الأنبياء..، إذن هو حركة الإنسان، إرادة الإنسان لواحد، إما أرادته بأن يقصد أفعاله أن لا تكون إلا لهأان ينوي له، أو يمتثل أمره، لِمَا هو طَلَب منه، أو يستعين به على حاجاته وعلى أموره، فهو لواحد..، إذن هو فعل الإنسان.

هذا هو التوحيد الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآن نريد أن نرى من هو هذا المقصود وهذا المطلوب..

الإنسان، أو المخلوق أو الشيء بإطلاقه، له ذات وله صفات وله أفعال، كما أنت، لك ذاتٌ وفيك أفعال وفيك صفاتٌ..، هذه بالنسبة إلى الله عزوجل، ذاته واحد - لا كفو له - وصفاته واحدة، وأفعاله واحدة، لم يشاركه فيها غيره، فإذا خلق، فهو واحد الذي خلق، لم يخلق في هذا الوجود خالقان..، وكذلك صفاته..، الله تعالي، من صفاته أنه رحيم.، " الرحيم "، بإطلاقها، لا يشاركه بهذا الإطلاق وهذا العموم أحد..

تحدثنا عن إرادة الإنسان، في أن يقصد وأن يطلب، وأن يكون قصده وطلبه لواحد..

الآن نتحدث عن المقصود وعن المطلوب، نريد أن نعرف ماهو المقصود والمطلوب، ومن هذا المقصود والمطلوب الذي يجب على الإنسان أن يوحده بقصده وطلبه؟..

هذا المقصود وهذا المطلوب، **يجب أن يكون واحداً في صفاته وواحداً في أفعاله**، أي: لا يكون له كفوٌ ولا نظير، ويجب أن يكون أعظم وأكبر من كل شيء ويجب أن يكون الغني المطلق الذي له كل شيء وبيده كل شيء، الذي له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله..، وهو الله سبحانه وتعالي. (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

إذن نحن أثبتنا له – سبحانه – الوحدانية، أثبتنا له، أنه هو الواحد في ذاته وفي أفعاله وصفاته.. وهذا القسم الآخر من التوحيد، هو الذي يسمَّى توحيد (**المعرفة والاثبات**)[٢٠٧].

إذن التوحيد الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو أن يصبح هذا الإنسان في كل حركاته – التي هي القصد والطلب –، أن يصبح في كل حركاته، (**سَلَمَاً لرجلٍ**)[٢٠٨]، سلماً لهذا الإله الواحد، لا يقصد في أفعاله إلا الله، ولا يطلب حاجاته إلا منه..

[٢٠٧] يكون توحيد المعرفة والإثبات قبل توحيد القصد والطلب، أي، الإنسان بعد أن عرف وعلم أن الله تعالى هو الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وله الكمال المطلق وبيده الأمر كله و..، بعد هذا، يقر بإختياره وبإرادته أنه " لايقصد بأفعاله وأعماله إلا الله ولا يطلب إلا من الله سبحانه وتعالى "، أي يتعهد بالتزام بتوحيد (القصد والطلب)، وهذا التوحيد، هو الذي طلبه الأنبياء والرسل من الناس، بعد أن ذكَّروهم بتوحيد الله سبحانه وتعالى في ذاته وأفعاله وصفاته..، وكل هذه الأمور، نجدها في سورة الفاتحة، في أكمل صورة وأتم وأوجز بيان، حيث أن السورة في إبتدائها تبدأ بإثبات الوحدانية والكمال المطلق لله تعالى في ذاته وأفعاله وصفاته، حيث يقول عز من قائل:) **الحمد لله** رب العامين الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين). فإثبات الحمد، لله تعالى، يدل بإجماله على إثبات جميع صفات الكمال لله سبحانه ونفي جميع النقائص عنه جل جلاله. فإن الحمد – كما هو معروف – يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له. و(**ال**) في (الحمد)، تدل على **الإستغراق**، أي: " جميع المحامد وأكملها " لله..، وأما ذكر الربوبية والرحمة والملك والإلهية، فعلى هذه الأربع مدار جميع الأسماء والصفات..، فالمتدبر في هذه الآيات الثلاث، يصل إلى **كمال المعرفة لكمال وحدانية الله** جل حلاله في ذاته وأفعاله وصفاته، فيثبته له..، والعاقل، بعد هذا النظر والتدبر والمعرفة، لا يستطيع إلا أن يقول: " يا رب، إذن، أنا عبدٌ لك، وأعاهدك أن لا أقصد بأعمالي إلا إياك وأن لا أطلب إلا منك، فأشهد أن لا إله إلا الله "..

وهذا هو الذي جاء بعد هذه الآيات الثلاث، حيث أن الله تعالى يعلِّمنا، – بعد فهمنا لهذه الآيات الثلاث – أن نوحِّده بالعبادة ونقول له سبحانه: (إياك نعبد وإياك نستعين)..، فهذه الآية – حقاً – هي خلاصة رسالة الأنبياء التي هي (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)..

[٢٠٨] قال تعالى: (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون، ورجلاً سلماً لرجلٍ، هل يستويان مثلاً، **الحمد لله** بل أكثرهم لا يعلمون) الزمر٢٩.

قد يقول قائل: هل المباحات، هي قصد لله؟ كالنوم وأنواع الأكل والأشربة و..؟ نقول: نعم، لولا الإذن – من الله – بها، لما ساغت. فإذا أنت، تعتقد بأن هذا مباح، فتعاملت معها بحسب التحسينات لديك، إنها مُحَسِّنة أو غير مُحَسِّنة، إنما هو لإذن الشارع،. إذن أنت امتثلت إذْن الشارع في هذه الأفعال، إذن – بهذا الإعتبار –، هي عبادة، إذن هي قصد طاعة الرب بأنها مباحة، لأنه طلب منك أن تعتقد إباحتها، وأن تمارس بعد ذلك، سلوكك على حكم إباحتها.

إذن جميع أعمالك إما " واجب " أو " محرم " أو " مكروه " أو " مستحب " أو " مباح ". ففي جميع أعمالك يجب أن لا تقصد إلا الرب سبحانه وتعالي، لا تتحرك ولا تفعل ولا تقوم إلا لواحد، في كل حركاتك وفي كل سكناتك وفي كل نفسٍ وفي كل شيء..

الآن نريد أن نري، إرادات الإنسان، نريد أن نفسر الآن إرادات الإنسان، **ماهي أفعال الإنسان**؟..

تفكروا ماذا يفعل الإنسان من جهة علاقته مع الآخرين – أي أفعال الإنسان بالنظر إلى الذي تعامل معه –. الإنسان له، علاقة مع الله. صحيح؟.. وله علاقة مع الآخرين..

قلنا، يجب أن يكون جميع أفعال الإنسان لواحد وجميع طلباته من واحد، نريد أن نرى هذا الإنسان، ما هي علاقاته في الوجود؟ ما هي علاقاتك أنت في الوجود؟

أول شيء، علاقتك مع هذا الواحد الأحد، وهو الله سبحانه وتعالي. بأن طلب منك – مثلاً – أن تسجد له، وطلب منك أن تدعوه، وطلب منك أن تخبت له قلبك، أن تكون متوكلاً عليه وحده، وأن تخلص له في هذا، أن تخلص له الإخبات والتوكل، وأن تصوم له...، الصوم معاملة مع من؟ مع الله.. الحج، معاملة مع الله..، هذه الأعمال التي هي علاقة مع الله، تحديدها الشرعي، اسمه " **النُّسُك** ". [٢٠٩]

[٢٠٩] قال **ابن الأثير** رحمه الله: (النُّسُك: الطاعة والعبادة. وكلُّ ما تُقُرِّبَ به إلى اللهَّ تعالى). النهاية في غريب الحديث والآثار. وقال صاحب (عون المعبود على سنن أبي داود). – قال في ابتداء كتاب المناسک –: " **النُّسُک: بضمتين، العبادة، وكل حق لله عزوجل** ".

إذن أولاً: العلاقة بينك وبين الله، فيما لا يدخل فيه إلا علاقة مباشرة بينك وبين الله. إذن هذا النسك، لابدّ أن يكون لمن؟ لواحد. إذن يكون هذا (**توحيد النسك**).

كذلك توجد علاقات أخري؟ ماهي العلاقات الأخري؟ مطلوب منك أن تحب فلان، ليس لأنه إسمه فلان، ولكن لصفةٍ فيه، هي العلة، المدار عليها..، مطلوب منك أن تحب المؤمن، أن تحب المسلم، أن تبغض الكافر، أن تبغض البدعي، أن تحب العابد، وأن تعادي الكفرة وتضربهم وتصنع بهم، وأن تحسن بالمسلمين..، إذن هي علاقة " **حب ومعاداة** " مطلوبة منك، وهي عبادة لله، فيها القصد والطلب. فيها القصد، أن تقصد الله بهذا الفعل، لأنه طلب منك وأمرك بعلاقات الحب بين الناس والبغض بين الناس، إحسان إلى ناس، عداء لأناسٍ، ولاء لجماعة، بغض لجماعة،..، هذه الأعمال التي هي علاقاتك بينك وبين من يحبه الرب، وبينك وبين من يبغضه الرب، بالحب والولاء، والبغض والعداء والبراء، هذه الأعمال، تحديدها الشرعي، اسمه " **الولاء والبراء** ". إذن هذا، هو **التوحيد الثاني**، وهو **توحيد الولاء والبراء، أو توحيد (الولاية)**.

الإنسان هل هذا فقط؟! ألا يشتري؟ ألا يبيع؟ ألا يتزوج؟ ألا يرزق الولد؟ ألا يكون له الأخ والأب والأم؟ ألا يسافر؟..، إذن هناك أقضية، طريقة لسفرك، طريقة لإقامتك طريقة لتعاملك مع أبيك وأمك، طريقة لبيعك وشراءك،.. هناك **أقضية وأحكام** لكل ما تجري عليها الحياة، لكل أمر – كما ترون –، كيف تلبس، كيف تتزين، كيف تتطيب، على أي هيئةٍ تنام، كيف يصافح الأخ أخاه، كيف تقضي حاجتك، كيف تعامل زوجتك، كيف تعاشر زوجتك..، أقضية في كل شئون الحياة، وهذا كله فيه قصد لله، أن تقصد بهذا الفعل إمتثال أمر الله سبحانه وتعالي، فهذه أقضية وتشريعات، مِمَّن تأخذها؟ يجب أن تأخذها من واحد، ولا تقصد بها إلا واحداً..، إذن **ثالثاً**: " **القضاء والتشريع** ".

إذن قصد الإنسان وطلبه – أي حركاته وأفعاله وأعماله_، بتفسيرها وتوضيحها، إنما هي علاقة مع الله، وعلاقة مع البشر، وتشريعات وأقضية في أحكام البشر كلهم وفي حالاتهم، في عطائهم، في منعهم..

إذن توحيد القصد والطلب، يقسم إلي: ١ – توحيد النسك. ٢ – توحيد الولاء والبراء. ٣ – توحيد القضاء والتشريع.

وهذه الأقسام، مستغرقة لجميع حركة الإنسان ومستغرقة لجميع حياة الإنسان، لا شيء من حركاته خارج من هذه الأقسام..، أنت الآن جالس تكتب، وجالس أمامي تتعلَّم. هل هذا العمل، داخل في أفعال القصد والطلب؟ نعم، داخل في واحدة من هذه الثلاث (النسك، الولاء والبراء، القضاء والتشريع)..، الآن - مثلاً - تريد أن تخرج، أشعلت الكهرباء، جلستَ، تنفَّستَ، أكلتَ، شربتَ الماء، قمتَ توضَّأت، ركبت السيارة..، أنت متحرك بأنك عبدٌ لله، فإذا قال لك " لا تركب السيارة "، فلا تركب، إذا قال لك: كل هذا الطعام، فتأكله، وإذا قال: لا تأكله، فلا تأكله..، إذن حركاتك تكون لواحد، لا تمثل إلا أمره، ولا تقصد إلا إياه..

هذا كله يكون طاعة لمن؟ طاعة لله. **والطاعة هي العبادة**. إذن، هذا التوحيد - أي القصد والطلب - ، سموه العلماء بـ " **توحيد العبادة** ".، وكما ترون، لم نقل - في تقسيمنا لتوحيد القصد والطلب - (توحيد العبادة، توحيد الولاء والبراء، توحيد القضاء والتشريع)، لأن " الولاء والبراء " عبادة، كما أن " النسك " عبادة، و " القضاء والتشريع " عبادة..، فأخطأ من قال - من المشايخ - أن النسك - فقط - توحيد العبادة، هذا خطأ، بل كل أفعالك عبادة، لأنها إمتثال لأمر، وقصدت بها إمتثال الأمر، وأن تكون لله عزوجل،. أنت عبدٌ - وليس شيءٌ من حركاتك خارجاً من العبودية -، حتّى الهوى في قلبك، لا تسمح بوجوده، حتّى يأذن به الله..

إذن هذا **توحيد العبادة**، والذي نعبده بهذه العبادة، يسمى **" المعبود "**، **والمعبود**، بمعنى **" الإله "** كما نقول " لا إله إلا الله ". إذن الإسم الآخر لهذا التوحيد، هو **" توحيد الألوهية "** أو توحيد الإلهية..، وهذا التوحيد كما ترون، أفعال الإنسان، وليس أفعال الرب، هو أفعال إرادة الإنسان.

هذا الذي ذكرناه، هو توحيد العبادة والألوهية. وأما توحيد (الإثبات والمعرفة)، بهذا التوحيد تثبت لله ما أثبته لنفسه من صفات وأسماء وأفعال، ولا تجعل له شريكاً في هذه الأمور، أي: **إفراد الله تعالى بأفعاله وصفاته وأسمائه.** وهذا التوحيد يسمى بتوحيد " **الربوبية** "، وتوحيد الأسماء والصفات، وإن كان جزءاً من توحيد الربوبية، لكنها أفردت لأهميتها ولخصومة الكبيرة فيها، فسميت بتوحيد (**الأسماء والصفات**)..

ما يهمنا نحن في قضية الإيمان، هو **توحيد الألوهية**، وقضية توحيد الربوبية والأسماء والصفات، الخصومة فيها، أغلب ماتكون، مَعرفية، ثم إثباتية، ولكن ما يتحدد به الخطورة الكبيرة، وهي قضية إرادتك أنت..

إذن **توحيد العبادة**، هو توحيد أفعال المخلوق لهذا الإله، أفعاله لا تنصرف ولا تمتثل إلا لواحد.. و**توحيد الربوبية**: هو توحيد أفعال الخالق، إفراد الله بأفعاله. إذن لو قال واحد: " لا إله إلا الله، معناها، لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله "، هل هو أعطانا المفهوم الصحيح لتوحيد الألوهية؟ لا. لأن معنى توحيد الإلهية: توحيد أفعالك أنت لله.. فشرك المشركين عامة – على مدار التاريخ – كان غالبه في التوحيد الألوهية، وأول شرك وقع في التاريخ – فيما نعلم – هي شرك إبليس. هل قال إبليس عن الله في توحيد الربوبية شيئاً؟ هل قال له: أنت لست خالقاً، أو هناك خالق آخر معك هل قال هذا؟ ما قال هذا، لكن شركه كان في أن إرادته توجهت أن لا يمتثل أمرالله، ففعل فعلاً لم يأمر به الله وهو خلاف أمر الله، إذن لما نشأت إرادته، لم تكن ممتثلة أمر واحد ولا مقصودٌ بها الواحد، ولكنها ممتثلة أمر هواه، وتقصد هوى نفسه، فكفر وأشرك.

إذن الشرك، هو فعل الإنسان، وليس في أصله – وإن كان هذا من الشرك –، ليس فقط أن ينسب لله سبحانه شريكاً في فعله، ولكن الشرك هو أن يقصد الإنسان في أفعاله أو يمتثل أمر غير هذا الواحد، [٢١٠] هذا هو الشرك، لأنه ضد التوحيد..

الآن، لنتابع القضية، وإن كانت بعدُ لم تكتمل الصورة كاملةً..

لننظر الآن إلى الإنسان..، نحن قلنا، حركة الإنسان، وأفعال المخلوق، يجب أن يكون لواحد، الآن، ما هي أدوات هذه الأفعال؟ ما هي أدوات الإنسان لرعاية التوحيد؟ ما هي الأدوات التي يفعل ويعمل بها الإنسان؟ – أي الأدوات التي في وجود الإنسان ومن ماهيته ووجوده –؟

---

[٢١٠] كأن يأخذ الأحكام والتشريعات من غير شريعة الله، أو يوالي ويعادي على غير أساس (الحب في الله والبغض في الله).

أنت ماذا فيك؟ أنت - كإنسان -، فيك قلبٌ، وفيك لسان، وفيك جوارح..

ماذا يصنع القلب؟ يقول ويعمل (يفعل). هل القلب يقول أو يتكلم؟ نعم، يقول ويفعل..، من أقواله ماذا؟ من أقوال القلب، حديث النفس الذي يجرى والمعاني التي يتكلم بها القلب، وتمر على خاطر الإنسان..، ومن أفعاله ماذا؟ من أفعال القلب أن يحب، يكره، يتوكل، يقصد..، له أفعال وأقوال..، فالقلب يقول ويفعل، يتكلم ويفعل..

واللسان، ماذا يفعل؟ يتكلم، له الكلام..

والجوارح ماذا؟ لهاأفعال..

.. ولا ينبغي للقلب أن يقول ويفعل إلا ما هو مأمور به، وأن يتنكب عما هو منهي عنه من القول والفعل..، واللسان، لا ينبغي أن يقول إلا ماهو مأمور به، وعليه أن يتنكب ويبتعد عما هو منهي عنه، **وكل شيءٍ فيه أحكام، فيه قضاءٌ وتشريع..**

وكذلك الجوارح، لا تفعل إلا ماهو مأذون أو مأمور به شرعاً..

إذن، هذه الأوامر، أو هذه الأفعال والأقوال، التي يقولها ويفعلها الإنسان، هي أوامر الرب عليه، فإذا إمتثلها فهو مطيعٌ لله، وإذا عصاها، فهو عاصٍ لله عزوجل، ولا يوجد قولٌ ولا فعلٌ - سواءٌ للقلب أو اللسان أو الجوارح -، إلا ولله تعالى فيه أمر، لأن الله أرادك له، فلمّا أرادك له، هل يمكن أن يترك فيه شيءٌ معين، ويقول هذا ما أعطيتك فيه حكم؟ ممكن؟ يعني أن يقول لك، أنت لا تتحرك طرفة عينٍ إلا بإذني، ثم يترك لك ثلاث أرباع الحياة، من غير تشريع ولا توضيح؟ هل هذا فعل حكيم؟ حاشا وكلا..

إذن الله عزوجل، لما قال لك - من اللحظة التي تعقل، إلى يوم موتك - يجب أن تكون عبداً لي ولا تتحرك إلا بإذني،.. إذن عليه أن يملأ جميع حياتك وحركاتك بالأحكام، بأن يبين لك ماذا تصنع في كل شيء من أمور الحياة..

فالإنسان عندما يقول قلبه قولاً، ويفعل فعلاً، أو يقول لسانه أو تفعل جوارحه – على وفق ما جاء في الشريعة –، فهو – في هذا الحال –، ممتثل لأمرالله سبحانه وتعالي..

إذن، نظرنا إلى حركات الإنسان، بإعتبار أصلها..، نظرنا الفعل – فرأينا – أنه إما قصدٌ وإما طلبٌ، ونظرنا إليها بإعتبار تحديدها في علاقاته مع الآخرين، وهنا نظرنا إلى أدواتها،..، وهي – كما ترون –، واحدة كلها..

القصد والطلب، إما القصد يكون بالقلب واللسان والجوارح، والطلب – أيضاً – يكون هكذا، والنسك تكون بالقلب واللسان والجوارح، والولاء والبراء و..، هكذا هي واحدة، لكن إلى كل واحدة باعتبارها، على حدة..

إذن، هنا نظرنا إلى أدوات حركة الإنسان، أدوات أفعال المخلوق..

فهذه الأوامر التي يطبقها الإنسان، بالقول والعمل، (أو يطبقها في القول والعمل)، هذه، هي **الإيمان.** [٢١١] فلذلك **السلف قالوا: الإيمان قولٌ وعملٌ**..

---

[٢١١] الإيمان، يقصَدُ به أمران: ١ – بإعتباره أوامرر من الله تعالى٢ – بإعتباره، أقوال وأفعال من العبد. فلما نقول الإيمان قول وعمل، فهذا، بالإعتبار الأول، يعني أنه، أوامر من الله تعالى إلى الإنسان، ليطبقها ويمتثلها بأقواله وأفعاله. وبالإعتبار الثاني، يعني أن الإيمان المطلوب من الإنسان، ليس فقط تصديق بالقلب، أو اقرار باللسان، بل هو أن يكون جميع حركات الإنسان – التي هي القول والعمل – –، أن يكون جميع أقواله وأعماله –بقلبه ولسانه وجوارحه – على وفق ما أمره الله تعالى به..

فائدة: إن من السؤالات التي طرحها أهل البدع على أهل السنة والجماعة – في هذه المسألة –، قولهم: " هل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ "، وأشفى جواب في ذلك وأوفاه ما نقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن ذلك فأجاب بقوله: **" أما ما كان مسموع – أي أوامر الرب عزوجل –، فهو غير مخلوق، وأما ما كان من عمل الجوارح – أي من فعل الإنسان – فهو مخلوق ".** [" طبقات الحنابلة " لابن أبي يعلى (١/ ٩٤) و " لوامع الأنوار البهية " للسفاريني (١/ ٤٤٦)] وانظروا [مجموع الفتاوي٧/ ٦٦٤].

من هنا قال السلف: الإيمان قول وعمل. قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح[٢١٢].. وقالوا: التوحيد، هو توحيد القصد والطلب، وقالوا التوحيد، هو توحيد الألوهية، الذي هو توحيدالنسك، الذي هو توحيد الولاء والبراء، الذي هو توحيد القضاء والتشريع..

كيف جاءت عبارات العلماء في كل اسم؟ قد لا يكون العلماء، أنشاوا مثل هذه الكلمات بهذه الطريقة التي قلناها لكم، لأن العلماء، في أغلب نظرهم إلى الأمر، ينظرون إلى النص – هذا النص أين نضعه؟.. –، فنظروا إلى التوحيد أو الأوامر الإلهية بإعتبار ماذا؟ بإعتبار وجود النص..، ولكن نحن وجدناها وسقناها، بإعتبار حركة الإنسان..

يعني كيف جاء العلماء بإسم (القصد والطلب)؟ من أين أخرجوه؟ من النص، ولم ينظروا في المسألة، بنظرهم إلى أفعال الإنسان، بأنها في كل حياته، شاملةٌ فقط للقصد والطلب. وبعد ذلك يقولوا فينبغى للإنسان أن يوحد القصد والطلب.. ولكن نظروا في النصوص، فوجدوا أن بعض النصوص في أوامر الله، تفيد قصداً، وبعض النصوص تفيد طلباً، طلب من الله، وبعض النصوص تفيد نسكاً، وبعض النصوص..، فإذن، العلماء لما نظروا إلى التوحيد، نظروا إليه وسَقُّوه من النص..

و أما كلامي لكم، هو اشتقاق التوحيد من حركة المخلوق، من أجل أن أبين لكم، مطابقة الشرع الذي استخرج منه العلماء هذه الأمور، بحركة الإنسان..، لنعلم بعد ذلك، إذا رأينا في كلام العلماء – مثلاً – (التوحيد يقسم إلى قسمين: القصد والطلب، والمعرفة والاثبات)، لنعلم من أين جاؤوا بهذا الكلام، وما ارتباط " القصد والطلب " بتوحيد الألوهية، وهل بينهما فرق؟ ثم إذا رأينا في كلام العلماء أنهم يقولون (الإيمان قول وعمل)، أن نعلم ماهو إرتباط هذا بالتوحيد..

فكما رأينا هذه الأمور، كلها على معنى واحد، وهي مشتقة من قوله (لا إله إلا الله)..، أي – لا يجوز لك أن تفعل أمراً، إلا بأمره، ولا تقصد فعلاً إلا له..

---

[٢١٢] وهذا، **بإجماع السلف**، نقل إجماع السلف على هذا، كل من الإمام الشافعي رحمه الله (نقله عنه اللالكائي في شرح إعتقاد أهل السنة٥/ ٨٨٦، وابن تيمية في الفتاوي٧/ ٣٠٧)، والإمام البغوى في (شرح السنة١/ ٣٨ – ٣٩)، والإمام ابن عبدالبر في (التمهيد٩/ ٢٣٨) و..

الآن نأتي إلى نقطة مهمة، وهي الإرتباط مابين كل قسمٍ وآخر - من توحيد القصد والطلب، وتوحيد المعرفة والاثبات -..

رأينا من كلام بعض أئمتنا، - والغالب في كلام **أئمة الدعوة النجدية** -، رأينا عندهم كلاماً، وهو صحيح، لكن لابدّ أن ننبه على بعض الخطأ في الفهم له..

الآن، هل هناك إرتباط ما بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؟ هل ممكن أن نتصور إنساناً، عنده، توحيد الربوبية، توحيداً صحيحاً تاماً كاملاً، ومع ذلك يكون مشركاً في الألوهية؟ وهل ممكن تصور العكس؟ الإنسان عنده توحيد الألوهية، توحيداً صحيحاً، تاماً، كاملاً، وهو ناقص في توحيد الربوبية؟..

أئمتنا - عليهم رحمة الله -، قرروا أن توحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية، بمعنى لا يمكن الإنسان أن يخضع لواحد حتّى يكون، هو يعتقد أن هذا الواحد يستحق الخضوع، ولا يمكن أن يمتثل أمر واحد - لأن الإنسان طبعه متمرد، ولا يقبل الخضوع -، فلا يمكن أن يخضع إلا لمن يستشعر عظمته، ولا يمكن أن يمتثل أمر أحدٍ حتّى يستشعر قوَّته عليه، وحقانية إرسال الأمر..، فصفات الله العظيمة، معروفة لدينا في قلب الرجل، إذا رأيناه يمتثل أمر هذا الإله، علمنا،.. لو رأينا رجلاً يمتثل أمر الله في كل أمر، هذا الشيء، يدلنا على ماذا؟ يدلنا على أن هذا الرجل، في توحيد الربوبية سليم، مستقيم، فهو لا يرى خالقاً ولا يعتقد خالقاً، إلا واحداً، لأن الذي له حق الأمر، هو الخالق، والذي له حقُّ الأمر والنهي، هو الرزاق، والذي يطلَبُ منه، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض،..

رجلٌ صارفٌ عن كلّ الوجود ويقول.. فقط " يا رب " لا يسأل أحداً غيره، لأنه يعتقد أن عنده القدرة وعنده الخزائن وهو الذي يعطي ويمنع،..

إذن، فنحن نعلم، أن الرجل إذا كان موحداً لله في الوهيته، ويعبد الله ويوحد الله في عبادته..، إذا رأينا هذا، علمنا أن عظمة الرب في قلبه عظيمة..، إذن، توحيد الالوهية، يستلزم توحيد الربوبية، هو متضمن، ويتضمنه، لأنه لا يمكن للعبد أن يعبد معبوداً حتّى يعتقد حقانية عبادته.. فهذه متفق عليها في كتب السلف، وفهمنا عبارتهم في هذه النقطة..

الآن النقطة الثانية، قالوا: " و أما وجود توحيد الربوبية لا يستلزم توحيد الالوهية ". هذه العبارة، على هذا الإطلاق، الدافع لها، أننا نرى أناساً، أنهم يثبتون لله أنه الخالق، ويثبتون أنه الرازق، و.. ولكن في عطاءهم ومنعهم وحركتهم، لا تراهم متقيدين بأمر هذا الإله، وإذا قصدوا أفعالهم، قصدوا غير هذا الإله، وإذا طلبوا، طلبوا من غير هذا الرازق،..

لكن على الحقيقة، **لمّا نراجع** كتاب الله عزوجل، على ماذا إحتج الرب عزوجل في توحيد الألوهية، عندما قال للناس (لا تعبدوا إلا الله)، و (ولا تمتثلوا إلا أمري)، بماذا إحتج عليهم؟ بالربوبية. فقال: أنا الذي خلق، فكيف تعبدون غيري؟ أنا الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فكيف تسألون غيري؟ أنا الذي أجزيكم إن عملتم، وأعاقبكم إن عصيتم، فكيف تطيعون غيري وتعصوني؟..

إذن، الرب سبحانه وتعالي، جعل دليل توحيد الالوهية، ماهو؟ ربوبيته فإذا سلم – على الحقيقة – توحيد الربوبية، توحيداً صحيحاً سليماً، فإنه يكون بعد ذلك. عظمة إمتثال أمر الله، قيمة وصواب وحقيقة توحيد الالوهية..

إذن إذا سلم توحيد الربوبية، على صوابه، وأنت عرفته على حقيقته، هل يتبَعه بعد ذلك – يتبعه، لا، " يستلزم " –، هل يتبعه بعد ذلك – على الصحيح –، توحيد الالوهية؟ نعم يتبعه توحيد الألوهية..

السؤال: لماذا كلامي هذا؟ كلامي لما أثْمَرت هذه العبارة التي قالها أسلافنا – وهي الحق – بمعاني باطلة عند الدعاة، في توحيد الألوهية..، لما أثمرت هذه العبارة..، كيف؟ رأينا الذين يتكلمون عن توحيد الإلهية، أن لا نعبد إلا الله، لا نسجد للصنم، لا نسجد لكذا، ولا نمتثل إلا أمر الله، ولا نتقيد إلا بشرعه..، رأينا في هذا الزمان،.. ما أدري، لكني أعتقد أن السبب، هو عدم أمرٍ..، رأينا أن شعورهم وأن عبادتهم وإقبالهم على العبادة، وكثرة إمتثالهم لأمرالله، وإخباتهم وخضوعهم لله عزوجل، أقل مما ينبغي، أقل مما ينبغي، يعني للأسف.،. وإن كان **القصد في السنة خير من الإكثار في البدعة**، هذا حقٌ، يعني لو تعبَّد الرجل عبادةً باطلة آلاف السنين، فلا قيمة لها، مقابل أن يقتصد الرجل بأعماله وهو مطابق للسنة الصحيحة،.. لكنه كان ينبغي – كما عند المسلم الصحابي الأول –، كان ينبغي أن يكون

المرء موحِّداً لله في ألوهيته، ومع ذلك، نرى عنده، التعبُّد، ونرى عنده نضرة وعي، ونضرة فلاح وصلاح في قضيته لإخباته لله وطاعته له..

يعني، بمعنى الناس يسألون، لماذا نرى أن هؤلاء الذين يتكلمون كثيراً عن صلاح العبادات وكذا..، لكن لا نرى عندهم كثرة العبادة، ولانرى عندهم كثرة الإخبات؟ لماذا نرى عند الصوفية، كثرة الصلاة والصوم والزكاة والحج والأعمال وقيام الليل وقراءة القرآن، والإخبات والأخلاق، ولانرى عند الآخرين؟..

أنا أظن أن هذا، هو السبب، أنهم بطل عندهم النظر إلى آيات الله الدالة على عظمته، وصاروا..، ما معنى (والسماء ذات البروج)؟ ما معناها؟ يعني أنظر إلى عظمة الله من خلال معرفتك لبروج السماء، والسماء وبروجها،.. فالدافع لعظمة الله، يأتي بالنظر إلى آيات الله، لمّا تنظر إلى آيات الله، تعرف عظمة الله، تسوقك إلى طاعة الله، إلى توحيده..

فهذه النظرة إلى آيات الله – للأسف – تعطَّلت، أو قليلة عند هؤلاء، وإنما كثرة نظرهم إلى الآيات الشرعية الداعي إلى توحيد الله في إلهيته، فهم سليمون في قضية التوحيد وإن يصيبهم الضعف، كما يصيب بعض البشر، أو يصيبه البشر، لكنهم لقلة نظرهم إلى آيات الله الكونية الدالة على توحيد الربوبية، والتفكر بها، والإهتمام بها، فإن الأمر قد أصابه بعض الشوائب.. هذه النقطة، إنتبهنا لها؟..

فلذلك إخواني! إن توحيد الله عزوجل في ربوبيته، إن كان حقاً وصواباً في قلب المرء، فإنه بعد ذلك يعلم يقيناً، أنه لا يستحق الإلهية إلا من إستحق الربوبية. فإنه لا يستحق إلهيةً، أي العبادة، إلا من كان رباً على الحقيقة. أما الأرباب الباطلة، فلا قيمة لهم..

رأينا إخواني! توحيد الله في النسك، ورأينا توحيد الله عزوجل في الولاء والبراء، ورأينا توحيد الله عزوجل في القضاء والتشريع..، الآن، ضده ماذا؟ الشرك. إما واحد، وإما اثنين، أو ثلاث..، فأشرك معه..

الآن، هذا، التوحيد..، وهنا، الشرك. فتوحيد النسك والولاء والبراء والقضاء والتشريع، والربوبية والأسماء والصفات، يقابله إما شرك النسك وإما شرك الولاء والبراء، وإما شرك في القضاء والتشريع، شرك في الربوبية، شرك في الأسماء والصفات، وكلها أعمال للإنسان، إما اللسان وإما الجوارح وإما القلب..

الآن النسك، بأي جوارحٍ يقوم بها الإنسان؟ بكل شيء. هناك نسك متعلق بالقلب، وهناك نسك متعلق باللسان والجوارح. **نسك القلب**، مثل: التوكل، الخوف، الرجاء، محبة الله ورسوله. **نسك اللسان** مثل قول لا إله إلا الله، الدعاء، التسبيح، وهكذا.. **ونسك الجوارح**، كالصلاة، الحج، كالعطاء، الصدقة و..

الآن، الولاء والبراء بما يقوم؟ بكل شيء، يقوم بالقلب بمحبة المؤمنين وبغض الكافرين،.. وباللسان. (**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**) [٢١٣]، وكذلك بالجوارح، بقتال المشركين وهكذا..، كذلك القضاء والتشريع، بالقلب واللسان والجوارح. أحكام القلب، مثل: الرضىٰ، والإنقياد لله عزوجل..، وهكذا اللسان والجوارح..، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، في قلبه وكذلك على لسانه، ولكن ليس هناك في الجوارح، لأنها ليست أعمالاً للجوارح..

في مقابل ذلك، هناك شرك النسك، وهو بما يتم؟ بالأدوات الثلاث، شرك يتم بالقلب، وشرك يتم باللسان، وشرك يتم بالجوارح. وهي المناقضة لها في كل مسألة من المسائل،..

كما قلنا، من توحيد النسك المتعلق بالقلب، محبة الله، كذلك من شرك النسك المتعلق بالقلب، عدم محبة الله. الخوف من الله من توحيد النسك، عدم الخوف من الله من شرك النسك، وهكذا..

من توحيد النسك على اللسان، تسبيح الله، ومن شرك النسك المتعلق باللسان، سب الله – العياذ بالله –، أن يقول – مثلاً – (إن الله فقير ونحن أغنياء) [٢١٤]و هكذا..

---

[٢١٣] **حديث صحيح**. رواه أحمد (٣/ ١٢٤)، وأبو داود (٢٥٠٤) والنسائي (٣٠٤٥).

[٢١٤] هذا من أقوال اليهود عليهم لعائن الله. آل عمران (١٨١).

وفي كل مسألة من المسائل التي، هي متعلقة بهذا التوحيد، يقابلها كذلك، الشرك المناقض له، بالقلب واللسان والجوارح..

إذن رأينا التوحيد الذي هو طاعة الله، إمتثال أمر الله، عبودية الله، طاعته، حتّى إخواني! لما أنت تثبت لله أسماء وصفات، أنت – بهذا –، أطعت الله، هي طاعة في الحقيقة، لما أنت أثبتَّ له حقانية الخلق، وأنه هو الخالق الوحيد وأنه الرازق الوحيد، أنت ماذا فعلت؟ إمتثلت أمره، فهي قضية الإمتثال.

فالنهاية الأدوات التي يمتثل بها المرء أمر الله، ثلاثة..، في النهاية، **الإيمان: أولاً: قول القلب وعمله، ثانياً: قول اللسان. ثالثاً: عمل الجوارح..**

كما رأينا، ضد التوحيد ماهو؟ الشرك..، وماهو ضد الإيمان؟ الكفر..، فالكفر: قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح..

إذن فعمل الإنسان، أيُّ عملٍ يقوم بها الإنسان، إما إيمان، وإما كفرٌ، أيُّ عمل، حتّى نومك، حتّى قيامك، حتّى مشيك في الشوارع، حتّى حركة بصرك وعينك، حتّى أن تسمع ولا تسمع..، إما إيمان وإما كفرٌ..، فإذا كانت عبودية لله، طاعة لله، المقصود بها رضى الله..، فهو إيمان. وإذا كانت ضد إمتثال أمر الله، ولم يقصد بها وجه الله، فهي ماذا؟ كفرٌ.

فالإنسان لا يمكن إلا أن يكون في حالة من الحالات، إما مؤمناً وإما كافراً، بأدواته الثلاث. إذن المرء يؤمن بقلبه ويؤمن بلسانه ويؤمن بجوارحه، وهكذا، يكفر بلسانه ويكفر بجوارحه ويكفر بقلبه..

للذكر، تجدون في بعض كتب السلف، الإيمان قولٌ وعملٌ.. لكن بعد مدة صاروا يقولون هكذا: الإيمان قول وعمل ونية والسنة..

هم لو قالوا: **الإيمان هو الإنسان**، لكان صحيحاً، لأنه بحركته، بقوله، بعمله، بكل شيء، قلبه، لسانه، جوارحه،.. فلو قالوا: الإيمان هو الإنسان (حين يمتثل أمر الله، بكل وجوده)، لكان صحيحاً..

لكن هذه العبارة (الإيمان، قول وعمل) لماذا نشات؟ لأنه جاء ناس وقالوا: إمتثال أمر الله فقط في القلب، هو الإيمان. وهناك ناس قالوا: لا، إمتثال أمر الله بالقلب واللسان، هو الإيمان، وبعضهم قال: لا، الإيمان هو إمتثال أمر الله باللسان فقط، وهكذا..،

فجاء أهل السنة وأتى بهذه التحديدات والتفصيلات، للرد على الأقوال المحدثة، فقالوا: " الإيمان قول وعمل "..، ففهم بعض من لا علم له، أنها لا تشمل القلب - لأنهم لا يفهمون من " القول والعمل "، إلا قول اللسان وعمل الجوارح -، فقال العلماء، طيب!، فزادوا على التعريف وقالوا: " قول وعمل ونية " والنية، عمل للقلب، فوضعوا " النية "..، بعد ذلك قال بعض الناس: " أيُّ قول وعمل ونية "؟! قال العلماء: لا، لابدّ أن يكون ممتثلاً فيه أمر الله، الذي بلغه رسول الله. إذن لابدّ من قيد " السنة ". طيب! قالوا: والسنة.

إذن، الإيمان، قول وعمل ونية والسنة..، إذن، إذا صليت، فأنت - بهذا العمل، امتثلت أمر الله، أي أنت - قد آمنت، وإذا تركت الصلاة، فأنت قد كفرت،.. إذا صَدَقت فأنت قد آمنت، وإذا كذبت فأنت قد كفرت،.. [٢١٥] إذا غضت بصرك عن ما حرم الله، فأنت قد آمنت، وإذا نظرت إلى ما حرم الله، فأنت قد كفرت،.. وإذا سمعت الغناء، فأنت قد كفرت، وإذا سمعت القرآن فأنت قد آمنت،.. إذا مشيت إلى طاعة لله، فأنت قد آمنت، وإذا مشيت إلى المعصية فأنت قد كفرت،.. **فكلُّ طاعة لله إيمان، وكل معصيةٍ لله كفرٌ.**

[٢١٥] يقصد الشيخ بهذه العبارات، بيان أن الطاعات من الإيمان، وأن جميع المعاصي من شعب الكفر، وأعمال الإنسان إما أن تكون طاعة لله، فتكون إيماناً، وإما أن تكون معصية لله، فتكون من جنس الكفر،.. ولا يفهم من كلام الشيخ هذا، عقيدة الخوارج، فهو بريء منها. وسيأتي تفصيل وتبيين هذا الموضوع في الصفحات التالية.

إذن، نصل إلى **قاعدة** وهي: كل فعلٍ أو قول أو نيةٍ، فعلها المرء إمتثالاً لأمر الله، قاصداً رضاء الله، فهو إيمان[٢١٦] وكذلك العكس، كل فعلٍ أو قولٍ أو نيةٍ فعلها المرء على خلاف أمر الله، لا يقصد بها رضاء الله، فهو كفرٌ "..

هذه القاعدة يجب أن نفهمها، وإذا لم نفهم هذه القاعدة، بعد ذلك، المصيبة كبيرة علينا، وسندخل في أهل البدع ونصبح جزءاً منهم..

إذن، فكل أمر، طبَّقت فيه أمر الله وامتثلت فيه أمر الله وقصدت فيه رضاء الله، فهو توحيد وهو إيمان.. وكل أمر لم تمتثل فيه أمر الله عزوجل، أو لم تقصد به رضاء الله، فهو كفرٌ وهو شرك، هكذا، وصلنا إلى هذه القاعدة..

القضية التي أريد أن أنبه عليها، هي: أننا قلنا هناك توحيد لله تعالى بأفعالنا، وقلنا هي أوامر لله عزوجل..، **هذه الأوامر، هي مقتضى أسماء الله وصفاته**..، سبحان الله العظيم**!** هذا إلهٌ عظيمٌ يحبنا، الله عزوجل يريد بنا الخير..، الله يحب عباده..، فسبحانه وتعالى عرَّفنا بأسمائه وصفاته من خلال أوامره، لنتعامل مع الله من خلال أوامره..، فكل عملٍ من أعمالنا التي هي أوامر لله، التي هي إيمان، هي مقتضى صفة من صفات الله عزوجل..

ثم كذلك كل خلقٍ لله، وكذلك كل ما ترى من مخلوقات الله، هو مقتضى صفات الله وأسمائه..، ماذا يريد الله منا؟ كيف تكون علاقتك مع الله؟..

ورحم الله " **ابن القيم** "، فقد أحسن تفصيلها وبيانها، خاصتاً في كتابيه " **بدائع الفوائد** " و " **مدارج السالكين** " وبقية كتبه..

نضرب لكم أمثلة.. الآن، هناك أمرٌ لله، – لنقل مثلاً، – الإستغفار، هذا، أمرٌ من أوامر الله " أن تستغفروا الله عزوجل "، هذا الأمر، وهذا الفعل، تعاملٌ مع أيِّ إسم من أسماء الله؟ **الغفور**، فلو لا

[٢١٦] نقول: " هو إيمان "، ولا نقول – كما يقول المبتدعة – هو " ثمرة الإيمان "، أو هو " دال على الإيمان في القلب "، بل هو بذاته إيمان..

وجود الإسم والصفة، ما وُجِدَ الأمر، فالأمر هذا، تعريف لنا من خلال ممارستك وأعمالك بالتعامل مع هذه الصفة من صفات الله. فالله شرع لنا الإستغفار، لأنه غفور، فهي مقتضى صفةٍ من صفات الله عزوجل..

الجهاد، القتال، مقتضى صفة واسم (المنتقم).. أيُ أمرٍ من أوامر الله، الصلاة، الصيام..

إخواني! أنا أحب هذا الإسم، وأرى أن كل أوامر الله، ترجع إلى هذا الإسم، وهو اسم " **المتكبر** ". هذا الإسم، مع أن بقية الأسماء والصفات، فيها المظاهر كذلك، لكن أنظروا إلى اسم " **المتكبر** "، يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالي، في حديث قدسي: " **قال الله عزوجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار** ". [٢١٧]و الإزار، ما يستر به الأسفل، والرداء، لما يستر في الأعلي، ويكون الذي يستر في الأعلي، دائماً أعظم شأناً وأفضل حالاً، لأنه يكون **المُمَثِّل** لهذا الذي تلتقي به. فماذا هو الأمر الذي رداء الله؟ ماهو؟ الكبرياء. فمظهر الرب عزوجل، يظهر بتكبره..، الله عزوجل متكبر، يريد منك أن تعبده وتخاف منه..، الله عزوجل متكبر، يريد منك أن تمتثل أمره..

أصلاً لا يظهر أمر عبوديتك، أن تكون عبداً، إلا بمظهر التكبر لله. ولكن تكبره سبحانه وتعالى حقيقيٌ لا تنفُّخاً مثل تَنَفُّخ المتكبرين، حاشا له سبحانه. المتكبر، ينبغي أن يكون تكبره حقيقياً، وينبغي أن يكون غنياً، غناءً ذاتياً، وليس مكتسباً، والمتكبر ينبغي أن يكون قوياً، وقوته ذاتية، والمتكبر ينبغي أن يكون عزيزاً، والمتكبر ينبغي أن يكون قدوساً..

فهذا الإسم، - إخواني! - ما أعظمه، لو تفكرنا فيه!..

إذن، أوامر الله عزوجل، من أجل أن تعرفنا بأسمائه وصفاته، ثم هي مظهرٌ من مظاهر أسمائه وصفاته في تشريعه. فبهذا، **لمّا** أنت تسجد، أنت تتعامل مع أسماء حقيقية وصفات حقيقية لله، تتعامل

---

[٢١٧] أخرجه أحمد (٩٣٤٨) وأبو داود (٤٠٩٠) وابن ماجة (٤١٧٤) وابن حبان (٥٦٧١). وهو **حديث صحيح**، صححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) رقم (٥٤١). وصححه الأرناؤوط في تحقيق المسند.

معه بها..، فإذا عصى المرء ربه دلَّ على ماذا؟ دلَّ على أن هذه الأسماء والصفات، لم تترسخ في قلب المرء، ولم يستشعرها كما هي..، يعني لمّا إنسان يزني، ففي هذا الحال، نسي أن الله يراه، ونسي أن الله يسمع، ونسي مخافة الله، ونسي غيرة الله – لأن الله يغار – [٢١٨] فنسي هذه الأسماء والصفات. إذن هو جهل ربه..، فكلَّما عرف الإنسان ربه، وكلما تَعَرَّف بصفة من صفات الله، ينبغي أن يتعامل مع هذه الصفة، – كيف؟ – بطاعة الأمر..، فلذلك من هنا، **أستطيع أن أقول**: «أن كثيراً من الصحابة، كان يكتشف بعض الأوامر، قبل نزولها، لأنه يعرف ربه»..، فالقضية، أن الصحابي يعرف الله، فيقول أن الله، صفاته كذا، ومن مستلزمات صفات الله أن يكون التشريع – في هذا الأمر – كذا..

ولذلك، وافق **عمر** رضي الله عنه، ربه في كثير من القضايا. [٢١٩] لأنه يعرف ربه. مثلاً عندما قال: نساء المسلمين ينبغي أن يمسكن في بيوتهن، ما يخرجن، وينبغي أن ينزل الحجاب..، ما هو الدافع له في الحقيقة؟ معرفته لربه..، أنظروا إلى شفافية القلوب في التعامل مع الله، الأدران راحت، والقلب فطري، **والفطرة هي أصل الخلقة،** وهو أصل قضية التعامل من غير غبش، فالقضية معروفة لديه، فيكتشف الأمر..، أنظروا إلى هذه الحالة.. الذي (**لو كان بعدي نبي لكان عمربن الخطاب**) [٢٢٠]. ومحدَّث ومُلهَم – رضي الله عنه – ويقول: " يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى "، فينزل الآية وتوافقه..، هذه قدرةٌ عجيبة**!**..، الحقيقة، يعني الصحابة عظماء **لمّا** عبدوا الله، لكن كذلك عظماء بقلوبهم، وعظماء

---

[٢١٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إن الله عزوجل يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه** ". متفق عليه.

[٢١٩] ثبت في الصحيحين، أن عمربن الخطاب رضي الله عنه قال: " وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام اباهيم مصلًّي؟ فأنزل الله: (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًّي) البقرة ١٢٥. وقلت: يارسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتهن؟ فأنزل الله آية الحجاب. وقلت لازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تمالأن عليه في الغيرة: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) التحرريم٥.. فنزلت كذلك ". وفي رواية لمسلم، ذكر **أسارى بدر**، وهي قضية رابعة.

[٢٢٠] أخرجه أحمد (١٧٤٤١) والترمذي (٣٦٨٦). حسنه الأرناؤوط في تحقيق المسند والألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٧).

بعقولهم،. أن هذا الصحابي استطاع.، ما تسطيع أنت، ما تستطيع أن تضعه في الفيزياء أو الكيمياء..، أنه نظر، فَقَلْبُه عَلِمَ أنَّ مقام ابراهيم مقامٌ عظيم، والمقام العظيم ينبغي أن تكون فيه عبادة لله..، لماذا شُرِعت العبادات في أماكن مخصوصة، أو أوقات مخصوصة؟ لأن هذه الأماكن والأوقات عظيمة.. المسجد الأقصى عظيم والمسجد الحرام عظيم، المسجد النبوي عظيم، ولهذا، شرعت فيهم العبادات، الرمضان عظيم عند الله، فشرع فيه الصيام..

أنظروا كيف استشعر عمر بعظمة هذا المكان – مقام ابراهيم – فعلم أنه ينبغي أن يكون عظمة هذا المكان القدرية، توافق أمراً تشريعياً..، هذا القلب عجيب عندما ينوِّر بنور الله.. ولذلك كثير من الصحابة أفتوا بفتاوى وأمور، من قبيل الإجتهاد والرأي، ثم كان هذه الأقوال وهذه الفتاوى موافقة – قبل أن يسمعوا كلام الله –، موافقة حقاً لِمَا عليه حكم الله.. [٢٢١]

من هنا، وهذا الموضوع، يدلنا على شيءٍ آخر، وهو أن العالم، ليس فقط ما يحتاج إليه من منطق أرسطي ليكتشف أن النص يفيد كذا، واللفظ بالمعنى يفيد كذا،.. لابدّ من حالة أخرى تكون موافقة له، وهو مقدار علاقته مع الله ومعرفته بالله، والمعرفة بتطبيق الأوامر وترك المعاصي. فكلما كان المرء قريباً من الله، حبيباً إلى الله، كلما هو فهم عن الله، وهو يفهم عن الله أنه سبحانه ما يريد، وماذا حكمه. لأنه يعرف ربه. الآن، لو أنا عرفتك تمام المعرفة – ولله تعالى المثل الأعلى –، لو عرفتك من خلال عيشتي معك، عشرين سنة، ثلاثين سنة، وأنا أنام وأنتقل معك وكذا..، لو جاءني رجلٌ وقال لي، فلان الذي

---

[٢٢١] عن ابن عباس رضي الله عنهما: "*أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:؟ «الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ فَقَالَ هِلَالٌ: « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ»! فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ [وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ]* (النور٦ – ٩).. " الحديث. [بخارى ٢٧٦١ – ٤٧٤٧ – ٥٣٠٧] و[أبوداوود ٢٢٥٤].

ومن الأمثلة الأخرى لهذا الموضوع، حادثة أسرى بني قريظة، لما نزلت بنو قريظة على حكم **سعد بن معاذ** رضي الله عنه، حكم سعد بن معاذ فيهم، بأن يقتل رجالهم وأن يسبى ذراريهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لقد حكمت فيهم بحكم الله**). [انظر صحيح البخاري. باب إذا نزل العدو على حكم رجل].

عاشرته هذه المدة، - ولله المثل الأعلى -، ماهو مزاجه في القضية الفلاني؟ أستطيع أن أقول أو، لا أستطيع؟! حتّى لو هذه القضية لم تُطْرح، لكنه يعرِف شخصية هذا الرجل ومزاجه كيف يتعامل مع هذه القضية، مثلاً رجلٌ يحبُّ الطعام الفلاني، يحب الألوان الفلاني، يحب السفر..، فعرفته..

فكلما زاد الإنسان، معرفته بالله، كلما كان أقرب إلى معرفة الحق..

فالقضية، أن أوامر الله التي هي أفعالنا، ينبغي أن تكون أين إرتباطها؟ بالأسماء والصفات..

ومن هنا، قضية الأسماء والصفات، أثرها النفسية على العبد. فإذا جهل المرء الأسماء والصفات، أو أوَّلها وحملها على غير حقيقتها، ماهو مظهر عبوديته لله؟ مظهرٌ جامد..، نفسية المرء الذي يتعامل مع صفات الله، في كل أمرٍ يتعامل مع صفةٍ من صفات الله، هذا إنسانٌ حيٌّ، يتعامل مع الله..

إذن رأينا هنا، أن التشريع، مَظهَرٌ من مظاهر صفات الله عزوجل وأسماءه.

لنتكلم الآن عن التكوين. هل التكوين، مظهر من مظاهر أسماء الله وصفاته، كالتشريع؟..

ما يوجد خلقٌ لله عزوجل، إلا وهو مظهرٌ من مظاهر صفات الله سبحانه وتعالي، ولولا هذه الصفات، ماظهرت هذه المظاهر الكونية، وهذا الخلق الكوني.

أمثلة: مثلاً: هذا التعدد الموجود.، شكلي و. شكلك..، هذا التعدد، هل هو مظهرٌ من مظاهر أسماء الله؟ نعم مظهر من مظاهر قدرته، القادر، هو الذي ينوِّع، ومن مظاهر حكمته سبحانه وتعالي، هذا قضية الأب، والأبن، وهذا التسلسل الخلقي في هذا.. أليس هو مظهرٌ من مظاهر أسماء الله عزوجل وحكمته وقدرته وعزته؟ قد يقول قائل، ماهو الحاجة أن تخرج منا الفضلات؟! هذا مظهر متقذرٌ، ينبغي أن لايكون هكذا، هذا ليس من الحكمة؟! - لأنه لا يرى الحكمة إلا ما وافق عقل إبليس! -. فهل ضعفك أنت، وقذارتك أنت، وجهلك أنت، فيها مظهر من مظاهر أسماء الله؟ نعم. لولا هذا ما عرفت أن الله، العظيم القدوس السلام..

فبمقدار معرفتك لعجزك، تعرف قوة ربك، وبمقدار معرفتك لقذارتك، تعرف قدوسية الله، قدوس هو بأن تنزه من الدَّنس والنقائص..، وبمقدار ذلَّتك، تعرف عِزَّ الله..

هذا الجبال، كلها مظاهر لأسماء الله وصفاته..

من أجل هذا، التشريع، مظهرٌ من مظاهر أسماء الله، والتكوين مظهر من مظاهر أسماء الله عزوجل.. **ومن هنا، موافقة التشريع للتكوين. وهذا المفهوم، اسمه (الحق)،** هذا هو معنى (الحق). ماهو الحق؟ موافقة الشيء على ماهو عليه..

فلما قال الله، أنا أعطيتكم التشريع الحق الموافق لماذا؟ لخلقه. الذي هو مصدره من؟ مصدره الحق. الذي (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**). [222] فيصبح المسلم بهذا مهتدياً، وبهذا عاقلاً..، ونريد أن ننبه أنَّ من لم يعرف هذه القضية، ولم يصْبِح في عبادته لله قريباً إلى الله، ولكن ترى كلما كان – كان عند السلف هذه القضية واضحة –، كلما كان الرجل عبداً لله، وقريباً إلى الله، كلما كان أعلم من غيره. الآن، لماذا كان **أبوبكر** أعلم من **عمر**؟ هل أبوبكر أعلم بالله من عمر بن الخطاب؟ نعم.. هو اعلم بالله من عمربن الخطاب، ولذلك كانت المشاكل والخلافات التي تقع بين أبي بكر وعمر، من كان أقرب فيها إلى الحق؟ أبوبكر. أنظروا إلى قضية الردة، وعمر رضي الله عنه، كان يفهم هذه القضية، وهي أن أبي بكر رضي الله عنه، أقرب إلى الله منه وأكثر معرفة بحكم الله ومراد الله في هذه المسألة منه، ولذلك جعل عمر إطمئان قلب أبي بكر حجة شرعية..، – هذا نحن لا نقوله في أصول الفقه –، أصول الفقه، لا تذكر لنا: " ومن أدلة الحكم الشرعي، اطمئان قلب أبي بكر.. "، لكن حقيقة الآن، سأذكر لكم، مذكور في كتب أصول الفقه، ماهو؟ من أين جئتُ بهذا الكلام؟..، ماذا قال عمر؟ قال: **" فما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر رضي الله عنه بالقتال، فعرفت أنه الحق "**. [223]

---

[222] فصلت (٤٢)

[223] انظر صحيح البخارى " باب أخذ العناق في الصدقة " رقم (١٤٥٦) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان باب " الأمر بقتال الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله و.. ". رقم (٢٩).

.. فهل إطمئان القلب النير، دليل شرعي؟ ذكر العلماء في كتب أصول الفقه هذا الموضوع. [224]

قال العلماء: " إن إطمئان القلب، لا يعمَل به إلّا بعد تضارب الأدلة في نفس الفقيه، ولا يستطيع أن يراه نصَّاً، لأنه، الأصل النص، إطمأنَّ قلبك أو لا، الأصل النص، - و إن لم تطمئن قلبك بالنص - فعليك أن تتهم نفسك، مقابل وضوح النص، لأن القلب قد يخطأ، فالأصل وضوح النص، فإذا تضاربت الأدلة ولم تهتدي، جائزٌ لديك أن تعمل بإطمئنان قلبك، لكن لا تلزم به الآخر، يعني **لمّا** تضاربت الأدلة ولن تستطيع أن تخرج منها بحكم شرعي، حينئذٍ تخرج بأنَّ هذا الوجه أو هذا الحكم، أقرب إلى مراد الله، وأقرب إلى تشريع الله ومقاصده، وأقرب إلى ما يحبه الله ويريده عزوجل، فتعمل به - في خاصة نفسك - ولكن لا تلزم به الآخرين، لأن هذا، لا يلزم به أحد على أحد. - **لأنه من المعلوم أن علمك بالشيء ملزم لك وحدك، وملزم لغيرك بالبينة الشرعية التي تقام بها الأحكام** - "..

هذه النقطة، أحببت أن أنبه عليها، والكلام فيها كثيرٌ عند علماءنا، كلاماً رائعاً، خاصتاً **ابن القيم** رحمه الله، لَيتكم تقرأون كتبه..، ووجدت أحد إخواننا قد إستفاد منها في تأليف كتاب، هناك أخٌ اسمه **" رفاعى سرور "** [225]، له كتاب اسمه " قَدَر الدعوة "، هذا الأخ له أربعة كتب، قرأت منهم الثلاثة، من

---

[224] يذكر علماء الأصول، هذا الموضوع في كتبهم - غالباً - عند الكلام على " دلالة الإلهام "، ولتفصيل هذا الموضوع، تستطيع أن تراجع، الكتب المرجع في أصول الفقه، كالبحر المحيط للزركشي و " ارشاد الفحول " للشوكانى وغيره.

[225] الشيخ العلامة المجاهد **" رفاعي سرور "**، من علماء مصر، توفي أخيراً عن عمرٍ ناهز ٦٥ عاماً، وذلك يوم الأربعاء ٣٠ ربيع الأول١٤٣٣ه.. الموافق٢٢ فبراير٢٠١٢م. رحمه الله رحمة واسعة.

يقول عنه الدكتور **" هاني السباعي "** حفظه الله وأحسن عاقبته، في مقالٍ له بعنوان **" أخيراً مات صاحب الأخدود "**: " لقد كان شيخنا العلامة رفاعى سرور من العلماء القلائل الصداعين بالحق الثابتين على المنهج، فلم يدخل في دين الطاغوت ولم يتراجع قيد أنملة عن الحق..، الشيخ العلامة **" رفاعى سرور "** من الرعيل الأول للحركات السلفية ذات التوجه الجهادي، ويعد من العلماء القلائل الذين صدعوا بالحق في وجه الطغاة، وتحملوا تبعة قولة الحق بالسجن والتعذيب والتضييق في الرزق، وفرضت عليه إقامة شبه جبرية لسنوات طويلة وهو صابر محتسب مع زهد وقناعة وحسن عبادة، ولا نزكي على الله أحداً... لقد ترك شيخنا رحمه الله للمكتبة الإسلامية نفائس فكرِية وعقدية كانت ولا تزال زاداً للشبيبة وللأجيال القادمة بإذن الله، ومن أهمها:

أروع الكتب، أنبِّه عليها، وأنبه إخواني وأدعوهم لقرائتها، الكتاب الأول: " **قدر الدعوة** "، - ناقلاً فقط كلام ابن القيم، تستطيعون أن تراجعوها ستجدون تفسيراً كاملاً لهذه القضية -، وله كتاب آخر إسمه " **حكمة الدعوة** "، وهو كذلك كتاب رائعٌ جداً، وكتاب آخر إسمه " **أصحاب الأخدود** "، وهو كذلك كتاب رائع جداً، وله كتاب آخر - لم أطلع عليه بعد - و هو كتاب إسمه " **عندما ترعيٰ الذئاب الغنم** "..

نحن نتابع قضية الإيمان لدينا.. الآن، جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم، إنتهينا من هذه النقطة..

هل هناك فرق بين الشرك والكفر؟

قبل أن أُتابع معكم، هل هناك فرقٌ بين الشرك والكفر؟ - لأنهما مصطلحات شرعية -.

علماؤنا يذكرون فَرْقاً، [٢٢٦] ولكن على الحقيقة، لا يوجد فرق لماذا؟ ماهو السبب؟..

الناس يقولون: الكفر - كما ترون - عدم طاعة الله. والشرك، أن تشرك هذه الطاعة مع الله، أو تضع شريكاً له في هذه الطاعة،..

١ - كتاب (عندما ترعى الذئاب الغنم) ٢ - كتاب أصحاب الاخدود٣ - كتاب قدر الدعوة٤ - كتاب علامات الساعة (وهذا الكتاب لا يوجد له نظير في العصور القديمة ولا حديثة) ٥ - كتاب حكمة الدعوة٦ - كتاب (المسيح عليه السلام، دراسة سلفية) ٧ - مقالاته القيمة: الحاكمية والحرب الصليبية - ملامح المنهج السلفي في المواجهة مع التنصير –الحد بين الرأي والحرب - الحرب على الشريعة - " طلب الاعتذار " بدعة نصرانية وضلالة سياسية - الشواهد النفسية على شرك القبور - إبليس والصليب وغيرها من مقالات رائعة ماتعة... اللهم إنا نشهد أنه كان من العلماء العاملين المبتلين الصابرين الثابتين.. ". انتهي.

[٢٢٦] قال الإمام **ابن حزم** رحمه الله: " واختلف الناس في الكفر والشرك، فقالت طائفة هي إسمان واقعان على معنيين وإن كل شرك كفر وليس كل كفر شركاً.. وهو قول أبي حنيفة وغيره.. وقال الآخرون، الكفر والشرك سواء، وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك، فهو كافر، وهو قول الشافعي وغيره ". [الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٢٤]، ورجح ابن حزم القول الأخير أي: (كل كافر فهو مشرك، وكل مشرك فهو كافر). [الفصل ٣/ ١٣٣].

الآن هل تتصور معصية كفر من غير شرك؟ أو هل تتصورون شركاً من غير كفر؟ كيف تتصور هذا؟ لو إنسان زنىٰ، هل أشرك؟ نحن نقول " إنسان زني، قد كفر " – على المفهوم الذي ذكرناه، أن كل معصيةٍ كفر –. هذا الإنسان قد كفر، الآن هل أشرك؟ نعم.. كيف أشرك؟ إتبع أمر آخر في الزني، وهو هواه، أو إمراةٍ ما، أو واحد دفع له مالٌ، أو..، إذن هو لَمّا أطاع الله، آمن، ولَمّا عصى الله، كفَرَ بأمرٍ من أوامر الله، باتباع أمر آخر قد يكون هواه وقد يكون غيره.

إذن لا يقع الكفر إلا مع الشرك، ولا يقع الشرك إلّا مع الكفر، لابدّ أبداً..، لأنه لا يمكن أن يخلو العمل من غير الآمر، إمَّا إمتثلتَ أمر الله، وإمّا امتثلتَ أمر غيره، فإذا إمتثلت أمر الله فأنت آمنت به، وإذا لم تمتثل أمره فقد كفَرتَ حَقَّه وعَمِلتَ بأمرِ غيره، فأنت أشركت..

مراتب الإيمان:

الآن، النقطة الثانية: هل أوامر الله واحدة أم أوامر متعددة؟ الصلاة أمرٌ، الزكاة أمرٌ، الحج أمر، التوكل أمر، النظر إلى القرآن أمر، عدم النظر إلى المحرمات أمر وهكذا، فأوامر الله متعددة، وان كل أمرٍ من أوامر الله، هو إيمان، وكل معصيةٍ هي كفرٌ وشرك..

إذن، أوامر الله عزوجل كثيرةٌ، بمعنى أنه لا يوجد أمرٌ واحدٌ لأوامر الله، قال: إن تفعله، فهو الإيمان – فقط –، ومقابله، هذا الأمر، إن فعلته، هذا هو الكفر – فقط –، ولكن أوامر الله تعالى كثيرةٌ. إذن الإيمان متعدد، لأن كلَّ أمرٍ من أوامر الله، هو الإيمان، وكل فعلٍ من أفعالك ينبغي أن يكون من الإيمان،.. حركة الحياة كلها، زماناً ومكاناً،..

إذن الإيمان متعدد، كم شعبة؟ شعب الإيمان، أصلاً، هي كلُّ أمرٍ من أوامر الله، كلُّ أمرٍ من أوامر الله، هو إيمان. وهو جميع حركات الإنسان، كما جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: **(الإيمان**

بضعٌ وسبعون شعبة) [٢٢٧]، فكل أمر من أوامر الله عزوجل هو من الإيمان، أي كل طاعة إيمان. إذن فهمنا مقابلة، وهو الكفر..، فالكفر أيضاً متعدد، وكل معصية من المعاصي، هو من شعب الكفر.

ثالثاً: مادام أن الإيمان متعدد بعدد أوامر الله، والكفر متعدد بعدد المعاصي..

الآن، هل أوامر الله سبحانه وتعالى في تشريعه وأحكامه، كلها على مرتبة واحدة؟ يعني هل جميع الأوامر كلها فرائض؟ أو جميع الأوامر كلها اأكان؟ أو جميع الأوامر كلها مستحبات؟ أم أنها مراتب متعددة؟ أنها على مراتب متعددة، هناك في دين الله من الأوامر ما هو أركان، وهناك ما هو واجب، وهناك ما هو مستحب..

الآن نتكلم عن **" ماهو الركن؟ "** وماهو **الواجب؟** وما هو **المستحب؟**..

كل فعلٍ في الدنيا، كل شيءٍ في الدنيا، له أركان وله واجبات وله مستحبات..

إخواني**!** لا يوجد شيءٌ في الدنيا إلا وهو متعدد، لا يوجد شيءٌ في الدنيا لا يكون له شعب وأجزاء، لا يوجد شيءٌ واحد، حتّى الأمور المعنوية، متعددة كذلك. مثلاً الحُبُّ، هل الحُبُّ مرتبةٌ واحدة، أو متعدد؟ متعدد.. الآن أنت تحب والدك وتحب أمّك، قدتكون محبتك لأمّك أكثر من محبتك لوالدك، وكلاهما تسمى محبة، ولكن تتفاوت، إذن هي متعددة..

---

[٢٢٧] حديث (متفق عليه). رواه البخاري في كتاب الإيمان رقم (٩). ومسلم في كتاب الإيمان من صحيحه رقم (٥٠).

يقول الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله في (كتاب الإيمان من فتح الباري شرح صحيح البخاري) ص٢٥ - ٢٤: " فان قيل: فأهل الحديث والسنة عندهم ان كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح او القلوب او من الاقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، هذا قول الجمهور الاعظم منهم، وحينئذٍ فهذا لا ينحصر في بضع وسبعين، بل يزيد على ذلک زيادة كثيرة، بل هي غير منحصرة. قيل: يمكن ان يجاب عن هذا بأجوبة—فذكر أربعة أجوبة منها -: ان تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعين نوعاً، وان كان افراد كل نوع تتعدد كثيراً، وربما كان بعضها لا ينحصر. وهذا اشبه.. وان كان الوقوف على ذلک يعسر أ ويعتذر.. " اه.

الآن ماهو الركن؟ **"** الركن ما كان داخلاً في ماهية الشيء ولا يصح الشيء إلا به **"**.[228] والتفريق بينه وبين الشرط، أن الشرط، ماكان خارجاً من ماهية الشيء ولا يصح الشيء إلا به..

الآن، أضرب لكم الأمثلة، أضرب المثل الشرعي وأتابعه بالكوني والخلقي، حتّى تروا أن القضية واحدةٌ، وهي موافقة الشرع للكون. وهذا يدل على أنه الحق..

الآن أنت إنسان.. و الإنسان مخلوق، ماهو الشيء الذي في داخل الإنسان ولا يقوم الإنسان إلا به؟ ماهو؟ القلب، الروح، الدم..، هذا داخل في ماهية الإنسان ولايصح وجود الإنسان، ولا حياة للإنسان، إلا به.. هذا مثال للركن في المثال الكوني، وأما الركن، في المثال الشرعي فنأتي إلى الحج مثلاً، ما هي أركان الحج؟ الوقوف بعرفة، السعي بين الصفاء والمروة و..

فهذه من أركان الحج التي داخلة في ماهيته ولا يصح الحج إلا بها..

ثانياً: **الواجب**.. **ماهو الواجب؟** نتكلم عن الواجب بالمفهوم الشرعي والقدري..

الواجب: هو ماكان داخلاً في ماهية الشيء، وإذا **نقض**، **ينتقص** الشيء. – ونلاحظ أن هذا قد انتقص الشيء نقصاً في ماهيته، لكن لا يذهب الشيء بنقضه.

الآن المثل الكوني للواجب: الإنسان، ماهو الواجب فيه؟ عينه، يده، رجله، و..، هذه أشياء في ماهية الإنسان، ولكن لا يلزم من عدمها، ذهاب حياة الإنسان، ينتقص الإنسان ولكن يبقى إسم الإنسان قائماً فيه. ويكون بهذا، إنساناً ناقصاً..، وأما المثال الشرعي للواجب، مثلاً: المبيت بمزدلفة، رمي الجمار و..

ثالثاً: **المستحب**: هو ما كان داخلاً في حقيقة الشيء، وذهابه لا يؤثر في إسم الشيء ولا في حقيقته. يعني هو أمر تكميلي وتحسيني.

الآن، الإنسان، مثال مستحباته: واحد أصلح شعر رأسه، قصّره و..

---

[228] راجع " التعريفات " للجرجاني، وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ٢٠٠).

والمستحبات في الحج، كذلك، معروف وواضح..

إذن كل شيء في الدنيا له أركانه وواجباته ومستحباته، قدراً وشرعاً، كما رأينا، الصلاة، الزكاة، الحج، الإنسان، البيت، الهواء، كل شيءٍ..، [229] أي هذا المتعدد، ليس على مرتبة واحدة..

إذن الإيمان وشعب الإيمان – ككل شيء –، ليست على مرتبةٍ واحدة.. شعب الإيمان فمنها الركن، ومنها الواجب، ومنها المستحب..، إذا ذهب الركن، ذهب الإيمان، وإذا ذهب الواجب، ينقص الإيمان، فهو إيمان ناقصٌ، والمستحب مرتبة تفاضل الذين إكتملوا الإيمان الواجب، وأصل الإيمان، كالأنبياء عليهم السلام فتفاضلهم بمستحبات الإيمان..

وينقص الإيمان، حتّى يصبح ضوءه مثل " أُنْمُلة "، ويكبر إلى حيث يشاء الله، وبمقدار وجود الإيمان، يكون النور يوم القيامة.. لكن هذا إذا كان أصل الإيمان والركن موجوداً، وإلا لا ينتفع الواجب شيئاً، مع عدم وجود الأصل..، واحدٌ صلَّى وعمل بواجبات الصلاة وترك الأركان، فهل صلاته صحيحة؟ لا. فالأصل الركن، **فإذا وجد ركن الشيء، وجد الشيء**، وبعد ذلك يتم النقص بدرجته.. [230]

---

[229] انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٤٧٢).

[230] ضابط ما يدخل في أصل الإيمان والإيمان الواجب والإيمان المستحب، من الأعمال والأقوال، كالتالي:

***أصل الإيمان**: " كل عملٍ أو قولٍ، يكْفُر تاركه ففعله من أصل الإيمان، ك (الصلاة، إقرار اللسان بالتوحيد، التصديق و..) وكل عمل أو قولٍ يكفر فاعله، فتركه من أصل الإيمان.. مثل (الشرك، القتال في سبيل الطاغوت و..).

***الإيمان الواجب**: " كل قولٍ أو عملٍ ورد في تركه وعيد ولم يكْفُر تاركه، ففعله من الإيمان الواجب، ك (الصوم، بر الوالدين، صلة الرحم و..)، وكل قولٍ أو عملٍ ورد في فعله وعيدٌ ولم يكفر فاعله، فتركه من الإيمان الواجب، مثل ترك [الربا، السرقة، الزنى و..].

***الإيمان المستحب**: كل قولٍ أو عمل ورد على فعله وعدٌ بالثواب، ولم يأثم تاركه، ففعله من الإيمان المستحب (كفعل جميع المستحبات). وكل قول وعمل، ورد على تركه وعدٌ بالثواب ولم يأثم فاعله، فتركه من الإيمان المستحب (كترك جميع المكروهات). والله اعلم.

المرء قد يجمع لديه إيمان وكفر:

وصلنا إلى النقطة الرابعة التي سنتكلم عنها إن شاء الله. عند أهل السنة والجماعة، أنّ المرء - بعد أن يستقر أصل الإيمان لديه -، ممكن بعد ذلك أن يجمع في قلبه وفي نفسه وفي عمله، إيمان وكفر. وليس المقصود من الكفر هنا، الكفر الأكبر، بل المقصود، الكفر الأصغر. وصورته أن يجمع الرجل طاعة ومعصيةً، بحيث إذا أطاع الله في عملٍ من الأعمال، فقد حصل لديه الإيمان، وإذا عصى الله في مسألة، أو قصر في واجبٍ من واجبات الإيمان، إجتمع لديه الكفر. - أي الكفر الأصغر -.. [٢٣١]

هل كل معصية من الكبائر تسمَّى كفراً؟

نحن قلنا أيُّ واجب من واجبات الإيمان، هو إيمان، وتركه كفر، لكن هناك نقطةٌ ضروريةٌ، هل كل معصيةٍ من الكبائر تسمّى في الشريعة كفراً؟ بمعني، الآن قلنا، كلّ واجبٍ من واجبات الإيمان - أو كل طاعة - هو إيمانٌ. في النهاية، هذا يؤدي إلى أن كل معصيةٍ، - علينا أن نسميها كفراً؟ **الجواب**: لا. لماذا؟ لأننا يجب علينا أن نتقيد في المصطلحات الشرعية، بما ورد في الشريعة..، نحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:) **سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفر**). [٢٣٢] فنحن نعتقد أن سباب المسلم، كبيرة من الكبائر، ومعصية من المعاصي، ومع ذلك لم يسميها النبي صلى الله عليه وسلم كفراً. وإنما سماها فسقاً.. وجعل قتال المؤمن، كفراً.. ربما في القاعدة الأولي، أن كل معصيةٍ من الكبائر هي كفر، - نستطيع أن نقول هذا - و لكن لماذا وُضِعَ هذا، مقابل هذا؟ لنرى التفريق، حتّى يبيَن النبي صلى الله عليه وسلم، التفريق مابين سباب المسلم وبين قتاله، فإن قتال المسلم مقابل سباب المسلم، كفرٌ مقابل فسق، وإن كان

---

[٢٣١] ننبه على أن قول النبي صلى الله عليه وسلم (**لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب أمريء**) [مسند أحمد٨٥٧٧: حديث حسن]، المراد بالكفر هنا، هو الكفر الأكبر ". لا الكفر الأصغر.. كما أشار إليه الشيخ في كلامه.. والله اعلم..

[٢٣٢] متفق عليه (بخاري٤٨ - مسلم٦٤).

هذا – أي سباب المسلم – في الحقيقة كفراً، أي كفر أصغر..، إذن لابدّ في تسمية المعاصي، من التقيد بالنصوص الشرعية، [٢٣٣] وإن كان في الأصل والقاعدة، صحيح أن نُسَمِّيَ جميع المعاصي كفراً..

ما هو الفارق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر؟

كيف نعرف في الحديث، الكفر الأكبر من الكفر الأصغر؟ كيف نقول هذا كفرٌ أكبر وهذا كفرٌ أصغر؟

كيف المعرفة؟

أولاً: بالنص.. أو بما يسمَّى **بدلالة النص**..، ما هو دلالة النص؟ إسمعوا إلى قول ابن مسعود رضي الله عنه، عندما يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: **" الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك** – يقول ابن مسعود – **وما منا إلّا..، ولكن الله يذهبه بالتوكل "**. [٢٣٤]

قول ابن مسعود: " وما منا إلا.. ".. أي وما منا إلا ويقع في قلبه شيءٌ من التطير..، فهذا يدل على أنه شرك أصغر..

ثانياً: بما يسمى بدلالة العبارة. **دلالة العبارة** مثل: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **" قتال المسلم كفرٌ "**. فنحن علمنا من قوله سبحانه وتعالي: (و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) [٢٣٥]، فسمى الطائفتين، مؤمنتين، وهما متقاتلتان.. فبدلالة العبارة الأخرى يتبين لنا، أن هذا كفرٌ أصغر..

---

[٢٣٣] مما يدل على هذا القول، قوله تعالى: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان، وكره الكفر والفسوق والعصيان) الحجرات٧. حيث نرى في هذه الآية، أن الله تعالى ذكر الإيمان وقابله بأسماء " الكفر والفسوق والعصيان ". أي لم يسمِّ جميع المعاصي كفراً، كما سمَّى جميع الطاعات إيماناً. والله اعلم.

[٢٣٤] مسند أحمد (٣٦٨٧) وسنن أبي داود (٣٤١١) وسنن ابن ماجه (٣٥٢٨). صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢٩).

ثالثاً: إذا جاء الكفر معرَّفاً بـ " ال "، فهو كفر أكبر. ومن هنا فإنّ دليل العلماء على أن " ترك الصلاة " كفر أكبر، قوله صلى الله عليه وسلم: " بين الرجل وبين **الكفر** ترك الصلاة ". [٢٣٦]

رابعاً: لا يوجد كفرٌ أصغر في القرآن، وإنما يعرف الكفر الأصغر في السنة.. ونعرف الكفر الأصغر في السنة بماذا؟ بالقرآن – أو النصوص الأخرى من السنة –، من خلال رجوعنا إلى سائر النصوص في الكتاب والسنة نستطيع أن نعرف هل هذا الكفر الوارد في السنة، كفر أصغر أو أكبر. مثل المثال الذي ضربناه لكم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)..

إذن بهذه الطرق، نستطيع أن نفرِّق بين الكفر الأكبر وبين الكفر الأصغر..

هل ما علمناه أنه كفر أصغر، ممكن أن يحمل على الكفر الأكبر؟

أي: إمكانية حمل الأحاديث التي قال عنها العلماء، بأنها كفر أصغر، ممكن حملها على الكفر الأكبر؟ مثل " الحلف بغير الله ". " من حلف بغير الله فقد أشرك ". الآن، ممكن حمل الشرك أو الكفر في هذا الحديث على الكفر الأكبر؟ نعم. من حلف بغير الله، مُعَظِّماً هذا الغير، بمقدار تعظيمه لله تعالى، أو أكثر..، وللأسف يقع في هذا كثير من المنتسبين للإسلام. حيث تقول له: " والله "، فلا يهتم ولا يرى شيئاً، لكن يقول " وقبر سيدنا بدوي " أو..، فيعتقد أن هذا الحلف مما ينبغي أن يصَدَّق فيه الحالف، أما إذا حلف بالله..، الحقيقة، هذا كفرٌ أكبر مخرج من الملة، لأنه يرى للمحلوف به تعظيماً أكبر من تعظيمه لله، لأن المقصود بالمحلوف به، التعظيم، وتوثيق اليمين، فإذا حلف الرجل بعظيم – عند من حلف له – وَثَّقه، فإذا حلف الرجل بالله، ولم يوَثَّق هذا اليمين بمقدار حلفه بغير الله، فقد رأى غير الله، أفضل وأعظم منه – العياذ بالله –. وهذا كفر أكبر..

إذن ممكن حمل هذه الأحاديث على معنى الكفر الأكبر..

---

[٢٣٥] الحجرات (٩).

[٢٣٦] رواه أبو داود (٤٠٥٨) والترمذي (٢٥٤٣) وقال حديث حسن صحيح.

مثالٌ آخر: النفاق، قوله صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق، ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان) [٢٣٧].، فهل هذا النفاق، ممكن حمله على النفاق المخرج من الملة؟ نعم. كيف؟ أن يكذب في كل ما يحدِّث به، يعني كلما حدَّث كذب، لمّا يفتح فمه ليتحدث، كذب، فسيفتح فمه ليقول " أشهد أن لا إله إلا الله.. " وهو كاذب، فهذا كفرٌ مخرجٌ من الملة..

كفر المآل:

بهذا نصل إلى نقطةٍ مميزةٍ عند أهل السنة والجماعة، وهو ما يسمى عند أهل السنة، بكفر المئآل. وصورته كالتالي: رأينا في المثال السابق، أن المرء إذا حدث وكذب كذبة واحدة، فهو بهذا، كفر كفراً أصغر، ثم إذا حدث فكذب كذبة ثانية، كفر كفراً أصغر مرة أخري، فهذا كفرٌ يزيد عنده الكفر، حتّى إذا إستغرق جميع حديثه، صار كافراً كفراً أكبر فهذا الكفر الأصغر، هو طريقةٌ تُبْعِدُه من الإيمان وتُقَرِّبه من الكفر، حتّى تصل به إلى الكفر الأكبر – في النهاية –..

إذن عندنا هنا، حدَّين، حَدُّ الإيمان الكامل وحدُّ الكفر. الرجل قد يعمل كفراً واحداً – أي من الكفر الأصغر –، هذه المرتبة، هو الإيمان الناقص – أي ناقص الواجب لا ناقص المستحب –، فرجلٌ كفر كفراً أصغر، كفر كفراً أصغر، كفر كفراً أصغر حتّى يصل إلى الكفر الأكبر في النهاية. كما قال العلماء – " **المعاصي بريد الكفر** ". قد يصل إلى حالة، بحيث أن هذه المعاصي تجتمع لديه، فقد يكون الرجل مسلماً في حياته، ولكن عند الموت يكفر، وهذا الذي يسمى بكفر المئآل. بمعني: هو مسلم الآن، لكن آل أمره إلى الكفر حين موته، لأنه إجتمعت لديه معصية وراء معصية.. ومن هنا، فان المعصية الواحدة عند الصحابي تعتبر بريد الكفر، أو تعتبر خطوةً نحو الكفر.. ولكن المسلم المعاصر، لا يرى المعصية شيئاً، لأنه لا يراها كفراً..

وكفر المئآل، إما يقع في الدنيا قبل الموت، وإما يقع عند الموت – نسأل الله العافية –. وهذا الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الشيطان يأتي إليه، فيعرض عليه الكفر. ولا يصل إلى

[٢٣٧] متفق عليه.

مقصده ولا يرضى عنك أن تزني وأنت تموت وأنت الزاني، فتكون معرَّضاً إلى رحمة الله، ولا يرضى منك فقط أن تسرق..، بل يريد منك، الوصول معه إلى جهنم، فهو يمَهِّد لك في الدنيا، لا يقول لك – من الإبتداء – أُكفر، لكن يمهِّد لك المعاصي، معصية وراء معصية، وأنت مغرور بأنك مسلم، ولكن تعصي وتعصي، حتّى في النهاية تصبح إلى حدّ الكفر، نسأل الله العفو والعافية..

*قلنا أن التوحيد الألوهية، [نسك، وولاء وبراء، وقضاء وتشريع]. فإنّ كلّ واحدةٍ من هذه، تحتوى على أعمالٍ، هي من أركان الإيمان، وتركها كفرٌ أكبر، وتحتوي على أعمال هي من واجبات الإيمان وتركها كفر أصغر، وتحتوي على أعمالٍ هي من الإيمان المستحب..

لا يقول أحد، أن النسك تركه يؤدي إلى الكفر الأكبر، ولا يقول أحد أن الولاء والبراء، تركه هو الكفر الأكبر، وبقية الأمور هي كفرٌ أصغر، ولا يقول أحد أن القضاء والتشريع، تركه كفرٌ أكبر، وغيره كفر أصغر..، لا، بل إن كل واحدةٍ من هذه " النسك، الولاء والبراء، القضاء والتشريع "، فيها من الأحكام، ماهو تركه كفرٌ أكبر، وكذلك فيها من الأحكام ما هو تركه كفرٌ أصغر..

يعني، لا نقول: النسك هو الركن، والولاء والبراء هو الواجب. لا!، في النسك، ما هو أركان وما هو واجبات، وفي الولاء والبراء، ما هو أركان وما هو واجبات وفي القضاء والتشريع ما هو أركان وفيه ما هو الواجب..، لكن رجلٌ ترك جميع أعمال النسك، ما حكمه؟ الكفر. ورجلٌ ترك جميع أحكام الولاء والبراء، حكمه الكفر لأكبر، وكذلك رجلٌ ترك جميع أحكام القضاء والتشريع، فإنه كافرٌ الكفر الأكبر..

إذن جميع هذه الأمور، لها مراتب الثلاث، (الأركان، الواجبات، المستحبات).. [٢٣٨]

[٢٣٨] سلكنا طريق الإختصار في نقل كلام الشيخ – حفظه الله وأحسن عاقبته –، واختصرنا كثيراً من كلامه ولم ننقل كثيراً مما تكلم عنه من مسائل الإيمان، كمسألة (**الإستثناء في الإيمان**) والفرق بين (الإسلام والإيمان). وشرط الإستحلال في الكفر ومتى يشترط للكفر الإستحلال ومتى لا يشترط و..، ورأينا أن هذه الأمور –بحمدالله – مذكورة في كتب علماء أهل السنة والجماعة من المعاصرين وغيرهم والإطلاع عليها سهلٌ لمن يريد الإطلاع والبحث عنها..، وكذلك نسلك

الكفر درجات كما أن الإيمان درجات:

كما أن الإيمان درجاتٌ، كذلك الكفر درجاتٌ.. أو دركاتٌ، هناك من الكافرين، هم في الدرك الأسفل من النار، وهناك من هو في درك أعلى منه..، هناك الردة المجردة أو البسيطة، وهناك الردة المغلظة..، فانتبهوا لهذه النقطة..

ما هو أصل الدين عند أهل السنة والجماعة؟

نحن انتهينا من قضية الإيمان ماهو، ويزيد وينقص، وكيف نشأت هذه القواعد عند أهل السنة والجماعة. بالنسبة إلى موضوع الإيمان، بقيت قضية يسيرة جداً، حتّى بعد ذلك ندخل في فِرَق أهل البدع بالنسبة لمسمَّى الإيمان وما يترتب عليه من أحكام في قضية مناقِض الإيمان وهو الكفر، **لمّا** إختلفوا معهم في الإيمان، إذن اختلفوا معهم في الكفر. في " ماهو الكفر "؟.. **فعندنا نحن قضيةٌ مهمةٌ جداً.. و هي " ماذا تعني لا إله إلا الله "**؟

و هذه هي التي لا يقبل إسلام الرجل إلا بها، هذه تفيد أصل الدين، لا إله إلا الله، تفيد أصل الدين. **" لا إله إلا الله محمد رسول الله " تفيد أصل الدين،** وهذا الأصل الذي يقوم عليه كل شيء، **بعد ذلك،** هذا الأصل له أركان، وله واجبات وله مستحبات..

يعني بمعنى عندنا نحن أصل الدين، فهذا الذي دعى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وبعد هذا، إذا قام هذا الأصل في القلب، حينئذٍ الرجل يعد مسلماً، وبدون أصل الدين ولو قامت فيه بعد ذلك أركان الإيمان، فإنه لا يعتبر مؤمناً ولا مسلماً.

فما هو اصل الدين عند أهل السنة والجماعة؟

طريق الإختصار، فيما بقي من الكتاب وننقل المهم من الموضوعات التي يتكلم عنها الشيخ والتي قَلَّما يوجد الكلام عنها في أقوال سائر العلماء وكتبهم.. والله اعلم.

" لا إله إلا الله "، عند أهل السنة والجماعة، تفيد " الإقرار والتصديق "..

عندنا الالوهية تفيد ماذا؟ الالوهية لله وحده..، الآن، الالوهية هذه، هل هي صفة ذات لله تعالى – كما يقول المتكلمون –، التوحيد عند المتكلمين هو توحيد الذات والافعال والصفات. إذن عندهم الالوهية صفة ذات، لكن عندنا نحن قلنا ما هي؟ قلنا أنه يستحق الالوهية، إذن هي في القصد والطلب..، ألوهية الله عزوجل، تظهر بإرادتك وأفعالك، إذن هي توحيد الله بأفعالنا. إذن هي ليست صفة ذات، ولكنها **صفة إستحقاق**. يعني يستحقها الرب. بخلاف الربوبية، فإنها صفة ذات. الله، الخالق والرازق و..، فإنها صفة ذات وليست صفة إستحقاق.

الآن، أصل الدين إخواني! هو الإقرار والتصديق. – هنا القضية وهنا مدار الكلام –، وهذا يعني، يقول العبد: " أنني يا رب!، أنا صدَّقت ما تخبرني به، وما تأمرني به، بأنك أنت الذي تستحق، – وليس التصديق والإقرار فقط بأنك أنت الذي خلقت، وأنت الذي رزقت –، ليس هذا فقط، ولكن أنا – إضافة على الإقرار والتصديق بهذا – أقرُّ وأعترف وأصدِّق بأمرك أنك أنت الذي تستحق الألوهية، وبهذا قبلت أن أكون عبداً لك "..، **هذا هو أصل الدين. أنّ العبد صدَّق أنّ الله يستحق الألوهية، وأَقرَّ وبعد ذلك ماذا؟ تابَعَ..**

لو أن رجلاً قال: " يا رب! أنا أصدّق أنك أنت الرب، وعلى هذا الأساس، أصدق أنك أنت الإله الحق، أي الذي يستحق العبادة، وأقر بهذا، ولكني لست على إستعداد أن أتابع أمرك "..، فما حكم هذا الرجل؟ الكفر..

إذن تصديق العبد بأن الله يستحق الإلهية، أي يستحق العبادة، وإقراره على هذا أنه يقر ويعترف أنه ينبغي له أن يكون عبداً لله، ولكن لم يقْصُد في قلبه ولم يوَصِّل نفسه على أن يتابع مستحقات هذه العبادة وهذه الألوهية، فما هو حكمه؟ حكمه أنه كافر، ليس بمسلم وليس مؤمناً..

والأدلة على ذلك كثيرةٌ منها، ما **جاء في الحديث:** " أَنَّ يَهُودِيَّيْنِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ نَسْأَلُهُ فَقَالَ لَا تَقُلْ نَبِيٌّ فَإِنَّهُ إِنْ سَمِعَهَا تَقُولُ نَبِيٌّ كَانَتْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ، فَأَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَاهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ]. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَسْحَرُوا وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى سُلْطَانٍ فَيَقْتُلَهُ وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً وَلَا تَفِرُّوا مِنْ الزَّحْفِ وَعَلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ خَاصَّةً لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ". فَقَبَّلَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَا: " نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ". قَالَ: " فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تُسْلِمَا " قَالَا: " إِنَّ دَاوُدَ دَعَا اللهَ أَنْ لَا يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ أَسْلَمْنَا أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ ".[٢٣٩]

نري، أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يحكم لهم بالإسلام بقولهم " نشهد أنك نبي ". لماذا؟

لقرينة الحال أنهم لم يقصدوا بهذا الإقرار، أن يتابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وأن يدخلوا في الإسلام.. فقال لهم: " فما يمنعكما من إتباعي ".

إذن ماذا جعل القيد لأن يكونوا مسلمين مؤمنين موحدين؟ الإتباع. ولكنهما قالوا: " إن داود.. " الخ، فجعلوا شرطاً لم يقل به الله، فكانوا كفاراً.

وكذلك ما روي عن **كرز بن علقمة** قال: " قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران، ستون راكباً، منهم أربعة وعشرون من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر منهم إليهم يئول أمرهم، العاقب أمين القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره، واسمه: عبد المسيح، والسيد عالمهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة، أخو بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مراميهم. وكان أبو حارثة قد شرف فيهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه وقبلوه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من اجتهاده في دينهم، فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة، يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال كرز: تعس الأبعد، يريد رسول الله صلى الله عليه

[٢٣٩] رواه الترمذي في سننه عن صفوان بن عسال. برقم (٣٠٦٩) وقال **حديث حسن صحيح**. ورواه النسائي في سننه (٤٠١٠). قال الإمام النووي في " رياض الصالحين " (١/ ٢٨٨): رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحة " اهـ.

وسلم قال حارثة: بل أنت تعست، فقال: ولم يا أخ؟ فقال والله إنه لَلنبي الذي كنا ننتظر، قال له كرز: وما يمنعك وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا، وأمرونا، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، ولو قد فعلت نزعوا منا كل ما ترى، وأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة، يعني: أسلم بعد ذلك **"**.. [٢٤٠]

نرى أن " أبو حارثة " نطق بلسانه وشهد وعرف بقلبه، وأقر وصدَّق أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يدخل بهذا في الإسلام.. [٢٤١]

إذن إخواني**! أصل الدين ماهو؟** أصله أن يعرف المرء ربه، أول شيء: المعرفة..، أن يعرف ربه، وليست كافيةً، وليس هو الإيمان، ولابدّ أن يعرف الله، وماذا؟ يعرف ربوبيته ويعرف استحقاقه، ويقر بهذا الاستحقاق ويقصد أن يتابع أوامر هذا الإله الحق بعد ذلك إذا أتى المرء بهذا.، بهذا يدخل في الدين، وعلى هذا الأساس، **فأصل الدين هو " عقد الإلتزام "** [٢٤٢] **بينه وبين الله**، - بأن يقول - يارب**!** لا

---

[٢٤٠] رواه الطبراني في المعجم الاوسط (٤٠٥٣). والبيهقي في دلائل النبوة (٢١٢٤).. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: " رواه الطبراني في الاوسط وفيه بريدة بن سفيان وهو ضعيف ".

[٢٤١] يقول ابن القيم رحمه الله - تعليقاً على قصة وفد نصارى نجران -: " وفيها: أنَّ إقرارَ الكاهن الكِتابى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه نبى لا يُدخله فى الإسلام ما لم يلتزِمْ طاعتَه ومتابعته، فإذا تمسَّك بدينه بعد هذا الإقرار لا يكونُ رِدَّة منه — أي من الإسلام، لأنه لم يدخل في الإسلام أصلاً -، ونظيرُ هذا قول قول الحَبْرينِ له، وقد سألاه ثلاث مسائل، فلما أجابهما، قالا: نشهد أنك نبى، قال: " فما يمنعُكما مِن إتباعي "؟ قالا: نخاف أن تقتُلَنا اليهودُ، ولم يُلزمهما بذلك الإسلام، ونظيرُ ذلِكَ شهادةُ عمه أبى طالب له بأنه صادق، وأنَّ دينَه مِن خير أديان البرية ديناً، ولم تُدخِلْه هذه الشهادةُ فى الإسلام. ومَن تأمَّل ما فى السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة فى الإسلام، علم أنَّ الإسلامَ أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفةُ والإقرار، والانقيادُ، والتزامُ طاعته ودينه ظاهراً وباطناً. ". ا ه [زاد المعاد في هدي خير العباد٣/ ٦٣٨ - ٦٣٩.. ط. مؤسسة الرسالة].

[٢٤٢] كثيرٌ من العلماء يسمى هذا العقد، " عقد الإسلام " أو " عقدالإيمان ". انظروا: [شعب الإيمان للبيهقى (٤/ ٧٥) - (الفصل في الملل لابن حزم٣/ ١٣٨) - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي. ص١١٦ - جلاء الافهام لابن القيم ص٣٦٩ - الدرر السنية١١/ ٢٥٣ - الحجة في بيان المحجة للامام أبوالقاسم اسماعيل بن محمد الاصفهاني٢/ ٥٥٢ و..].

يستحق العبادة إلا أنت..، لماذا لا يستحق العبادة إلا أنت؟ لأنك الرب، فالرب صفةٌ ذاتيةٌ له، من أجل هذه الصفة الذاتية فهو يستحق الالوهية..

فعقد الإلتزام يكون هكذا، وهو معنى " لا إله إلا الله "..، يقول فيها العبد: علمت يا رب وتَيقَّنتُ أنه لا يستحق العبادة إلا أنت، وترتَّبَ عليه، فإني أكون عبداً لك في كل ما تأمر به وتنهيٰ عنه، على طريق محمد صلى الله عليه وسلم..، هذا هو عقد الإلتزام، هذا أصل الدين، من لم يأتي به فليس بمسلم.

إذن فأصل الدين " لا اله الا الله محمد رسول الله " وهو عقد الإلتزام..

الآن نحن قلنا من أركان هذا الدين " الصلاة "، مثلاً، من أركانه النسكية، الصلاة، بحيث لو تركها المرء كفر. لماذا إذا تركها المرء كفر؟ هل لأن الصلاة هي أصل الدين؟ أم لأنها من مقتضيات عقد الإلتزام التي هي أصل الدين؟ هي من المقتضيات؛ بحيث هل المرء يسلم بالصلاة أم يسلم بعقد الإلتزام؟ يسلم بعقد الإلتزام، لكن قد تكون الصلاة دليلاً على وجود عقد الإلتزام، لكن لا يسلم المرء بالصلاة، ولا يسلم المرء بالحج، إنما يسلم بماذا؟ بعقد الإلتزام.. فهمتم هذه القضية؟ هذه مهمة في قضية إسلام الرجل..

الآن قد تبين لنا ماهو أصل الدين وتبين لنا ما هي أركان الدين، والدين هو الإيمان وهو الإسلام – إذا افترقا، كل لفظٍ على حدة [٢٤٣] –، وتبين لنا أن أصل الدين وهو عقد الإلتزام، هو معرفة هذا الحق، وبعد ذلك أن يتابع، أي: أن يعرفه، وأن يقر به وأن يتابع عليه وأن يعمل به وأن لا يأتي بالنواقض.

ماهو الكفر؟

الآن في مقابل ذلك ماهو الكفر؟ قبل توضيح هذا، إنتبهوا إلى هذه المسألة، وهي، في قضية المعرفة، هل اشترطنا لإسلام الرجل أن يعرف أفراد حقوق الرب؟.. من حقوق الرب أن تصلِّي له، فهل يشترط

---

[٢٤٣] واضح ومعروف أن إسم " الإيمان " و " الإسلام ". (إذا إجتمعا إفترقا وإذا إفترقا إجتمعا)..راجع (**جامع العلوم والحكم** لابن رجب الحنبلي. شرح الحديث الثاني).

لإسلام الرجل أن يعرف أفراد هذه الحقوق، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، عندما ينشيء عقد الإلتزام بينه وبين الله، هل يشترط؟ **لا يشترط**. لكن لا يسلم الرجل إلا بمعرفته عقد الإلتزام.

الصحابة رضي الله عنهم، أسلموا وحكم الله بإسلامهم، وكانوا مسلمين بعقد الإلتزام قبل الصلاة وقبل أركان الإيمان كلها، فقط بماذا؟ بعقد الإلتزام.

إذن الكفر الذي ستتكلم عنه الآن كفر في ماذا؟ ستتكلم عن الكفر الذي هو متعلق بنواقض أصل الدين – الذي هو عقد الإلتزام –، وبعد ذلك الكفر الذي متعلق بأركان الإيمان.

فما هو الكفر المتعلق بأصل الدين، الذي يقابل الإقرار والتصديق والمتابعة؟

أولاً: كفر الجهل.

نحن قلنا يشترط أن يعرف ربه، وليس فقط أن يعرف الله، ليس فقط معرفة الربوبية، ولكن معرفة حق الله بأنه مألوه، أي معبود، – المعبود الحق –..

و " المألوه " اسم مفعول، وليس فاعل. ولذلك قلنا الإلهية صفة استحقاق..، هذه قضية خطيرة جداً، أنبِّه عليها وأُرَدِّدها، أن **الإلهية ليست صفة الذات ولكنها صفة استحقاق**، وهي حق لله، هي حركة الإنسان، قلنا هي توحيد الله بأفعالنا، **الإيمان هو أفعالنا على طريقة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم**. وأفعالنا قلنا " قول وعمل ونية "، فالإيمان " قول وعمل ونية والسنة "..

إذن يقابل أصل الدين من الكفر، أول شيءٍ، أن يجهله، رجلٌ جهل أصل الدين، وهو " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، رجلٌ لم يعرف أن الله – وحده – يستحق العبادة، ولم يعرف أن محمداً رسول الله، ما حكم هذا الرجل؟ هو كافر. – ولا نتكلم عن هل هذا الرجل معذور في جهله أو غير معذور، لا نتكلم عن هذا، لكنه عندنا يسمى ماذا؟ يسمى كافراً. [٢٤٤]

---

[٢٤٤] راجع " **طريق الهجرتين** " لابن القيم رحمه الله، عند كلامه عن طبقات المكلفين، الطبقة السابعة عشرة: طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم.

الكفر النوع الثاني: في أصل الدين، بعد المعرفة كان التصديق والإقرار. رجلٌ عرف ربه وعرف أن الله يستحق العبادة ولكنه كذَّب خبر النبي صلى الله عليه وسلم، أو كذَّب خبر الله بأنه يستحق العبادة، مع معرفته لها، - قد يكون عارفاً -، فهذا ماذا يسمي؟ **كفر التكذيب**.

*إذن، **أولاً**: يقابل المعرفة، وهو كفر الجهل. **ثانياً**: يقابل التصديق، وهو كفر التكذيب.

ثالثاً: لو ان رجلاً قال: " يا رب! عرفت أنك تستحق العبادة، وأصدِّق ما أخبرتني به، وما جاء به رسولك، ولكني لن أتابع ما يخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوامرك ". ما حكم هذا الرجل؟ هو كافر. هذا الكفر ما اسمه؟ **كفر الإعراض**. أعرض، هو عرف وصدق وأقر بلسانه، ولكن رفض المتابعة والإلتزام. هذا، حاله كحال اليهود في ما مرّ معنا من أحوالهم، أنهم عرفوا وأقرُّوا ولكن رفضوا الإلتزام والمتابعة، وأعرضوا عن إتباع النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يدخلوا في الإسلام وبقوا على كفرهم. إذن هذا كفر الإعراض.. هذا، كفر الإعراض الكلي، واحد أعرض عن دين محمد صلى الله عليه وسلم كله، لم يتابع النبي صلى الله عليه وسلم في شيءٍ من الأمور.. لكن لو أن رجلاً أتى بمُكفِّرٍ واحدٍ من نواقض أركان الدين،.. ماهو بعض أركان الدين؟ أركانه قلنا وتكلمنا عنها، وهي إقرار حقِّ الله سبحانه وتعالى في كلِّ ما أمر من الأمور.

الآن، ما الذي جعل الرب يستحق العبادة؟ لماذا استحق الالوهية؟ لأنه ربٌّ حقيقي، فاستحق أن لا يؤله ولا يعبَد إلا هو. هذا الرب سبحانه، لابدّ أن يعَظَّم، **والتَّأليه أساسه التعظيم**. فهناك نواقض تنقض هذا التعظيم الذي يعود على عدم إقرار الربوبية. مثل الإستهزاء، واحد استهزأ بالله – العياذ بالله – هل عظَّم الرب كما ينبغي وكما يستحق؟ لا. فالإستهزاء هو نقض التعظيم، وهو كفرٌ..

إخواني! هذه التقسيمات كلها للتفصيل كما ترون، فإن الإستهزاء – في الحقيقة – هو إعراض. هو إعراض جزئيٌ، لأن الله أمرك أن تُعَظِّمه وتُعزِّره، فالرجل إستهزأ، فلم يعَظِّمه..

إذن إخواني! كما ترون، **أن الكفر عند أهل السنة والجماعة – في الحيقة – كفران، كفر الجهل وكفر الإعراض**. والتكذيب، إعراضٌ، لأن الله أمرك أن تصدِّق، فلم تصدِّق، وقد كذَّبت، فأنت أعرضت

عن أمره..، إذن نستطيع أن نُرجع جميع أنواع الكفر التي ذكرها العلماء في كتبهم ببعض الحوادث التي استدلوا بها على الكفر، بماذا؟ بالإعراض. **إذن عندنا الكفر قسمان: كفر الإعراض وكفر الجهل**؛ الجهل بأصل الدين، وليس الجهل بفروع وأفراد مايستحق الرب من العبادة وما أمربه..

هل يشترط للكفر، شرط " الإعتقاد "؟

تكلّمنا من قبل، عن قضية مهمة، أُكرِّرها، تكلمنا وقلنا: لو أن رجلاً أتى بعملٍ من أعمال الكفر الأكبر، هل يشترط شرطٌ آخر ليسمَّى هذا كفراً أكبر؟ هل يشترط مثلاً الإعتقاد؟ لا.

نضرب مثالاً، كثيرٌ جداً موجود في الناس. عندنا، من الكفر النسك، من الكفر أو الشرك الذي يقابل توحيد النسك، هو السجود للأصنام. هذا عملٌ من أعمال الكفر الأكبر، فرجلٌ سجد للصنم، هذا العمل بذاته، بحكم الشرع يساوي ماذا؟ كفراً أكبر. هل يشترط شرطٌ آخر لنقول عن الفاعل – إذا ذَهَبَتْ الموانع ووُجدت الشروط – أن هذا كافر؟ لا يشترط.. بمعنى هل يشترط الإعتقاد؟ لا..

هذه نقطة خطيرة جداً، الذين يسجدون للأصنام، من القبور والأوثان وغيرها في البِيع، والتي تُسمَّى عندنا في آخر الزمان بالمساجد، سَجَدَ..، العلماء – من أهل السنة – جاؤوا وقالوا عن هذا الفاعل أنه كافر، أو أن هذا الفعل، فعل كفر أكبر.، ردَّ عليهم أصحاب الفرق الأخري، فقالوا: نعم**!** السجود للصنم كفرٌ، لكن يشترط لمن سجد للصنم لأن يكون كافراً، أن يعتقد أن هذا الصنم هو **المانع والمُعْطي**، وهو المتصرِّف في هذا الكون. فهم – بهذا – اشترطوا شرطاً آخر، وهو الاإعتقاد.. قالوا: إذا قال الرجل أنا أستغيث بهذا الصنم، وأطلب منه، لأني أعتقد هو النافع والضار، وهو المانع، وهو المعطي، وهو المتصرِّف..، فإنه يكفر. يعني اشترطوا شرط الإعتقاد..

نحن قسمنا الأمور إلى توحيد الربوبية وهو صفة الذات، وتوحيد الألوهية وهو الإستحقاق، وتوحيد الأسماء والصفات. الآن " السجود " في أي قسمٍ يدخل؟ في الالوهية. مِن حقه سبحانه وتعالى أن لا تسجد إلا له، هذا حقه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد**

لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " [245]، لكن هذا حق لله، لا يسْجَد إلا لله. فهو حقٌّ من حقوق الله.. إذن هو من توحيد الألوهية.

الآن، كونه المانع والمعطي والنافع والضار، أيُّ توحيدٍ هذا؟ توحيد الربوبية.

التكفير على الصحيح، وعامة كفر الناس – فيما تكلمنا لكم سابقاً –، والتوحيد الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل الناس عليه، ونازعه الناس فيه؛ هل هو توحيد الربوبية أم توحيد الألوهية؟ توحيد الالوهية. هم كانوا يقرون بأن الله الرازق وأن الله المحيي، وأن الله المميت، وكانوا يقرون بهذه الأمور. ففي ماذا كان شركهم؟ في صرف الأعمال التي لا تنبغي إلا لله، بصرفها لغير الله، وهي الأعمال التي لا تُصرَف إلا لإلٰهٍ، ومنها السجود والدعاء، والذبح والنحر وغيرها، فهم – أي كفار قريش – كانوا يعتقدون بتوحيد الربوبية، فأين كان شركهم؟ في صرف الأعمال التي يستحقها الإله الحق، إلى آلهة باطلة، ومنها السجود، الدعاء، النذر، جَعْلُ مصدر التشريع – أو طاعة التشريع –، وغير ذلك..

إذن، من قال أن السجود للصنم، حتّى يكون عملاً من أعمال الكفر الأكبر، لابدّ أن يعتقد الساجد ذن المسجود له ربٌ يحيي ويميت، وينفع ويضر، إذن هذا الرجل بماذا يكفِّر؟ بالربوبية. وكفار قريش هل كفروا بالربوبية؟ لا. إذن – على قاعدة هذا الرجل أو هذه الفرقة – أن كفار قريش مسلمون، وليسوا كفاراً!!.. [246]

الآن..، من الكفر، " الولاء والبراء "، أو من الكفر أو الشرك الذي ينافي توحيد الولاء والبراء، " القتال تحت رايةٍ كافرةٍ ضد رايةٍ مسلمة ". رجلٌ في صف المشركين، قاتل صف المسلمين، وهو يعلم –

---

[245] رواه ابن ماجه (١٨٤٣) والترمذي (١٠٧٩) وابن حبان (١٢٩٠). وصححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه، وفي ارواء الغليل٧/ / ٥٦).

[246] أي: لازم قول هذا الذي يقول باشتراط الإعتقاد..، لازم هذا القول أن يكون كفار قريش مسلمين، وهذا باطل. **وما لزم منه الباطل فهو باطل**. إذن القول باشتراط الإعتقاد في التكفير بأسباب الكفر، باطل ولا أساس له في الدين. والله اعلم.

بالشروط والموانع التي سنتكلم عنها -، هذا العمل كفرٌ أكبر، لأن أعلى درجات الولاء، هي النصرة، فهذا الرجل نصر الكفار على المسلمين - لا على الكفار -، فهذا ضد جميع مراتب الولاء والبراء، فهذا كفرٌ أكبر. هذا العمل بذاته، كفرٌ أكبر، بمجرد ما حمل السيف على المسلمين - وفي صف المشركين -.، هل هذا كفرٌ أكبر، أم أنه يحتاج إلى إعتقاد؟ هل قتال المسلمين نصرةً للكفار وتحت راية الكفار، هل هو كفرٌ أكبر، أم أنه يحتاج لكفر هذا الرجل، إلى " أن يجحد ويكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم "؟ لا يحتاج.

إذن ممكن الرجل يقول " لا إله إلا الله محمد رسول الله " و يقر ويصدق ويتابع بأمور كثيرة، لكنه قاتل تحت راية المشركين صفَّ المسلمين، هذا الفعل كفرٌ بذاته وبمجرده ولا يشترط إعتقاد عقائد المشركين حتّى يكون كفراً..

والدليل على هذا حتّى لا تستغربوه، حادثة أسر **العباس**، بيد المسلمين يوم بدر. **العباس** ماذا كان يعتقد؟ يعتقد صِدق محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتقد في قريش أنهم كفار، ومع ذلك قاتل تحت راية المشركين وقاتل المسلمين. فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا رسول الله إني قد كنت مسلماً، والقوم استكرهوني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" الله أعلم بإسلامك، إن يك ما تذكر حقاً فالله يجزيك به، فأمّا ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافدِ نفسك "** [٢٤٧].

إذن هذا في الولاء والبراء..

وهكذا في قضية **" القضاء والتشريع "**، لو أن رجلاً إعتقد في حكم الله أنه الحق وأنه الصواب، وأنه دين الله، وأنه يجب على الناس أن يلتزموه، وكل هذه، إعتقدها، ثم قال للناس: " حلالٌ لكم أن تشربوا الخمر "، ووضع لهم قانوناً بجواز شرب الخمر في الدولة، أو رخصة ممارسة الربا، هل هذا الفعل يحتاج

[٢٤٧] رواه الإمام أحمد رحمه الله في المسند (٣٣١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٤ من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

إلى إعتقاد حتّى يكون كفراً؟ وقد قلنا سابقاً أن مُطلق التشريع[248] كفر. الإجماع منعقد – كما نقله **الإمام الشاطبي** – أن مطلق التشريع كفرٌ أكبر.

الآن، هذا الرجل، جوَّز شرب الخمر، وهو مع ذلك يعلم حكم الله، ويعتقد أن حكم الله خيرٌ من حكمه، ويعتقد أن هذا الحكم الذي أصدره كفر، أو يعتقد أنه ليس بكفر، كل هذه الإعتقادات، وأي نوعٍ من أنواع الإعتقادات الذي يعتقده، هل يضر بأن يكون هذا الفعل بنفسه كفراً أكبر؟ لا، لا يضر. يعني هذا الفعل عندنا كفرٌ، بغضِّ النظر عن إعتقاد الرجل.

هذه النقطة مهمة، لأننا قلنا أنه إذا تجرَّد الحكم الشرعي على عملٍ من أعمال الكفر الأكبر، فإنه لا يقتضى وجود لوازمٍ أخري، حتّى يلتحق به الكفر، بخلاف الكفر الأصغر، فصاحبه عندنا لا يكفَّر..، لكن هناك عمل مكفِّرٌ آخر، وهو الإستحلال، والإستحلال ما هو؟ هو تكذيب الرب.. فانتبهوا لهذا، لأنه سيترتب عليه أمورٌ كثيرةٌ..

الآن، النقطة الأخري: السجدة للصنم، هل هذا الفعل بنفسه كفرٌ، أم أنه دالٌّ على وجود الكفر؟ نحن قلنا: أن كل طاعةٍ إيمانٌ، قلنا أن كلّ فعلٍ – من الإنسان – إيمانٌ إذا وافق الدين، وكل معصيةٍ كفرٌ، أي كل فعلٍ كفرٌ إذا خالف الشرع، أو قصد به غير الله..

إذن الفعل – السجدة للصنم أو غيره – هو بنفسه كفر، لا أنه دليل على وجود الكفر..

---

[248] **التفريق بين " مطلق الشيء " و " الشيء المطلق ":** إذا قيل " الشيء المطلق "، فيدخل فيه كل ما يطلق عليه هذا الشيء ولا يخرج منه شيءٌ من أجزاءه أو أفراده، فإذا قلنا الإيمان المطلق، أي: الإيمان الشامل لكل أفراده وكل شعبه، أي " الإيمان الكامل "، وإذا قلنا " التوكل المطلق " أي " التوكل الكامل " وهكذا. وأما " مطلق الشيء " أي فرد من أفراد الشيء، أي: أدنى ما يطلق عليه اسم هذا الشيء، فإماطة الأذى عن الطريق من مطلق الإيمان وأدنى شعبه، وأدنى درجات التوكل يقال لها: مطلق التوكل، وأدنى درجات التشريع، يقال لها: مطلق التشريع وهكذا..

حكم المُصرِّ على الكبيرة:

***النقطة الأخري**: هل الإصرار على الكبيرة كفرٌ؟ لا. لماذا؟ لأن الكبيرة بذاتها وبتكرارها، لا تتضخَّم ولا تصير كفراً، إلا بالإستحلال. يعني واحد - مثلاً - زنى وأصرَّ وبقي يزني، ومات وهو زاني، واحد يشرب الخمر ومات وهو شارب الخمر، فهذا إصرارٌ عملي، وليس هذا كفراً، إلا أن يستحلها، لكن قد يكون مؤدِّياً إلى كفر المئآل، قد يكون إصراره على الكبيرة سبباً لأن يصير مئآله إلى الكفر وأن يموت كافراً. ولكن نفس الإصرار على الكبيرة - بدون إستحلالها - ليس كفراً..

*نحن تكلمنا عن " عقد الإلتزام "، قلنا عقد الإلتزام، يقوم على " لا إله إلا الله محمد رسول الله ".

" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ". وقلنا أن عقد الإلتزام يتقرر بالمعرفة أولاً، ثانياً: التصديق، ثالثاً: الإقرار. **الإقرار عند أهل السنة يتضمن الإلتزام والإتباع**[٢٤٩]، لكن نحن ذكرنا الإلتزام والإتباع أيضاً، لأنْ لا يظن بعض الناس أن مجرد الإقرار كافٍ للإيمان، وإن لم يلتزم به عملاً، فلهذا وضعنا الإلتزام الذي هو الإتباع، هذا كله، سميناه نحن " **عقد الإلتزام** ".

لو أردنا أن نستخرج من النص " أشهد ان لا إله إلا الله "، عقد الإلتزام، فإنه عند أهل السنة والجماعة على معنيين: **كلمة " أشهد "، " الشهادة " تأتي بمعنيين:**

المعنى الأول: التصديق. **لمّا** واحدٌ يذهب ويشهد لواحد، يقال، هذا شهد له. ما معنى شهد له؟ صدَّقه. جاء ليصدِّق خبره. رجلٌ قال لرجل: " أنا لي عليه كذا، أو حَدَثَ معي قضية كذا "، يخبِر خبراً، فالآخر يأتي ويشهد على خبره، أي يصدِّق خبره، فالشهادة تأتي بمعني: تصديق الخبر.

[٢٤٩] قال الإمام **ابن رجب الحنبلى** رحمه الله: " حتّى قال كثيرٌ منهم: إن الرقبة المؤمنة لا تُجزئ في الكفارة حتّى يوجد منها **الإقرار، وهو الصلاة والصيام**. منهم: الشعبي والنخعي وأحمد في رواية ". اهـ [فتح الباري لابن رجب الحنبلى ١/ ص٥ ط. دار ابن الجوزي].

و المعنى الثاني: الشهادة تأتي كذلك: بمعنى **الإقرار**. لما واحدٌ يقول لواحد، شهدتُ أن لك عليَّ مائة دينار. هذا يعني أنه أقرّ بهذا. – قالوا: أقررنا[250] – الإقرار..

إذن ليس فقط أني شهدتُ لك، لكن كذلك، لما تقول: " لك عليَّ مائة دينار "، أنا صدّقتُ خبرك، إذا كان فيه دعوي..، وكذلك فيه، أني ملتزم بأني أؤدِّي إليك هذا الحق. إذن شغلت ذمَّتي بأمرٍ، شغلت الذمة بالأمر.. هنا التصديق متعلق بما؟ بالخبر، والإقرار متعلق بما؟ بالأمر، بحكم، أنه أنا محكومٌ أنا مَدينٌ لك، بحكم، بمائة دينار، أو ما شابه ذلك..

فالإقرار متعلق بالأمر، والتصديق متعلق بالخبر. **واللغة العربية وكل حالات وكلام الناس، منقسمة إلى شيئين: الشيء الأول: الخبر. والشيء الثاني: الإنشاء.**

الأخبار، تحتمل التصديق والتكذيب، والإنشاء يقتضي الأمر والنهي..

إذن أنا أشهد أن لا إله إلا الله – يعني –: أصدِّق أخبار الرب، أنا عَقَدتُ التزاماً بيني وبين الله أن أصدِّق كلَّ ما أخبرني به.. فأنا أصدِّق جميع الأخبار..، ثم الإقرار يتضمن أني، أنا عَقَدت عقد الإلتزام بيني وبين الله أن أمتثل جميع أوامره. وهذا هو عقد الإلتزام الذي لا يقبل إسلام الرجل إلا به، أن يقول: " أشهد أن لا إله إلا الله "، عَقَدَ عَقْدٌ بينه وبين الله أن يصدِّق جميع خبره وأن يمتثل جميع أمره..

هل يصح إسلام للرجل بغير هذا؟ لا يصح. لو قال – فقط –: " أنا أصدِّق أخبار السماء، ولا أمتثل أوامر السماء "، ما حكمه؟ كافر..، أو ردّ خبراً واحداً من أخبار السماء ما حكمه؟ كافر..، أو لم يقِرّ أمراً واحداً، أو ردَّ أمراً واحداً على الله. ما حكمه؟ كافر..

يجب أن نعلم أن إقرار الأمر، له صورتان: الآن قد يقول قائل، رجلٌ نهاه الله أن يقرب الزنا. فذهب فزني، هل يكفر؟ هل ينقض عقد الإلتزام نقضاً كاملاً؟ لا ينقض عقد الإلتزام نقضاً كاملاً، لكن هل يضعف عقد الإلتزام؟ نعم. ممكن أن يتكرَّر، يتكرَّر، حتّى يفرط وينقض عقد الإلتزام، ويكفر المرء.

---

[250] قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران٨١.

هذا الكفر سميناه سابقاً كفر المآل.. إذن الآن، قسمناه شيئين. لكن واحد يرُدُّ أمر الله. قال: أنا أرُدُّ حكم تحريم الزنا على الله – العياذ بالله! –، هذا ما حكمه؟ كافر..

إذن عندنا إمتثال الأمر، أو إقرار الأمر، ليس حالة واحدة، ولا مستوى واحد، ولكن المستويين. المستوى الأول: وهو قبول الأمر. والمستوى الثاني: الدخول في الأمر – أي إمتثال الأمر –..

الآن، ماذا يقابل التصديق؟ التكذيب.. وماذا يقابل الإمتثال؟ الإعراض.. إذن أهل السنة يقولون بكفرين – لا كفراً واحداً –، بخلاف أهل البدع الذين يقولون أن الإيمان هو التصديق فقط، إذن الكفر عندهم، واحدٌ وهو كفر التكذيب –..

لكن، إنتبهوا إلى قوله عزوجل: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [٢٥١].

هناك كفرين، ليس كفراً واحداً.. هذه القضية مهمة جداً إخواني، الإيمان: " قبول الأمر والدخول في الأمر "..

إمتثال الأمر، هل له مستوى واحد، أو مستويين؟ مستويين. المستوى الأول: القبول.. الآن، هل عدم القبول، أو ردُّ الحكم، كفرٌ ومُخرِجٌ من الملة؟ نعم هل له حالة واحدة أو حالتين ضده؟ حالة واحدة وهي الكفر.. وهو كفر الرَّدِّ.

ردُّ حكم الله وردُّ أمر الله وعدم قبوله، سواء كان صغيراً أو كبيراً، كفرٌ أكبر، حتّى ولو ردّ حكم الله بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في " عقل الأصابع " [٢٥٢]..

إذن، قبول الأمر، ليس ضده إلا حالة واحدة، وهو ردُّ أمر الله، الذي هو كفر أكبر، وطبعاً أن صُوَر ردِّ الأمر كثيرةٌ. مِن صُوَر ردِّ الأمر ماهو؟ التشريع. من صُوَر ردِّ الأمر، إمتثال أمر المشركين في التشريع،

---

[٢٥١] القيامة (٣١و٣٢).

[٢٥٢] عدم قبول أي أمر من أمور الدين، أو أي حكم من أحكام الدين، كفرٌ أكبر مخرج من الملة، **بإجماع العلماء**./ راجع [التشريع الجنائي في الإسلام، للأستاذ عبدالقادر عودة رحمه الله (٢/ ٧٠٨ – ٧١٠) وأحكام القرآن للجصاص رحمه الله (٣/ ١٨١) تفسير آية ٦٥ من سورة النساء منه. ومجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله (١٢/ ٤٩٦)].

يعني الآن، واحدٌ شرَّع، لكن الثاني ماذا صنع؟ أطاعه في التشريع. فهذا ردَّ أمر الله.. أما الدخول في الأمر..، إذا كان هذا الأمر، من أركان الدين، فإنّ ضِدَّه – أي عدم الدخول فيه – هو الكفر الأكبر، وإذا كان من واجبات الإيمان والدين، فإنَّ عدم الدخول فيه، هو كفرٌ أصغر..

إذن الدخول في الأمر، له مرتبتين، حسب الأمر. ولا تقولوا أن جميع الأوامر – كما يقول المرجئة: جميع الأوامر، الدخول فيها من واجبات الإيمان. لأن هناك بعض الأوامر من أركان الدين. والأمر، قد يكون أمراً، وذلك بأن يطلُبَ منك الفعل، وقد يكون نهياً. الآن، **إجماع الصحابة** منعقد على أن الأمر بالنسبة للجوارح، لا للقلب ولا للسان، لكن بالنسبة للجوارح في الأعمال البدنية، الأمر المجمع عليه – لدى الصحابة – أن تركه كفر أكبر، ماهو؟ الصلاة..

لكن هنا نقطة، إنتبهوا لها، لنُفَرِّق بين الأمر والنهي، هل هناك المناهي الكثيرة إذا فعلها المرء يكفر، أم النهي له صورة واحدة، بالقيام بها يقع المرء في الكفر الأكبر؟.. ألنرى قول **عبدالله بن شقيق** عندما قال: **" كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة "**. [253] هل كلامه هذا عن مسائل الأمر أم مسائل النهي؟ كلامه هذا، عن مسائل الأمر.. لكن مسائل النهي، هل الصحابة لا يرون أن من بصق على المصحف يكفر؟ نعم. هل البصق على المصحف، أمرٌ أم نهيٌ؟ إرتكب منهياً عنه أم قام بمأمورٍ به؟ إرتكب منهياً عنه. فإذن المنهيات التي تؤدِّي إلى الكفر الأكبر، كثيرة لكن أوامر الجوارح العملية [254]، الصحابة أجمعوا على ماذا؟ الصلاة.

إذن يجب أن نفهم الفرق بين الأمر والنهي، واحد يأتي ويحتج لك أن فقط ترك الصلاة كفر، لأن الصحابة أجمعوا على هذا، والبصق على المصحف ليس بكفر! فعليك أن تُفرِّق بين الأمر والنهي. فان أبواب الردة التي ذكرها العلماء واستتابوا فيها في كتبهم، أغلبهم في باب المنهيات، واحدٌ داس على

[253] أخرجه ابن أبي شيبة في " مصنفه " (١١/ ٢٥) وعبدالرزاق (٣/ ١٢٥) والآجري في " الشريعة " (٣٤).. والمروزي في " تعظيم قدر الصلاة " (٢/ ٨٩٢) عن **عبدالله بن شقيق** وأخرجه الحاكم في المستدرك (١٢) عن عبدالله بن شقيق عن أبي هريرة موقوفاً.

[254] لأن هناك أوامر كثيرةً للقلب واللسان، تركها كفرٌ أكبر. مثل: الإقرار بلاإله إلا الله و..

المصحف، واحدٌ ساب النبي صلى الله عليه وسلم، واحد سب الله عزوجل، واحدٌ سب الدين، واحدٌ احتقر الإسلام، واحد ظاهر المشركين على المسلمين و..، كلُّها - أو أغلبها - من باب الأعمال بإرتكاب المنهي عنه، واختلفوا في باب الأعمال المأمور بها، إذا تركها المرء، وأجمعوا قديماً على الصلاة. قديماً..، لكن حدث الخلاف بعد ذلك..

إذن هل فَرَّقتم بين قبول الأمر وبين الدخول في الأمر؟ وفرَّقتم بين الأمر وبين النهي؟!..

الآن نأتي إلى سؤال أخينا الذي سأله: **ما الفارق بين كفر إبليس لعنه الله وبين كفر آدم عليه السلام؟** - لنقل معصية آدم عليه السلام، حتّى لا يظن ظانٌ أننا نكفر آدم بمعصيته -. ماهو الفارق بينهما، ولماذا كفر إبليس لعنه الله بمعصيته ولم يكفر آدم عليه السلام بمعصيته؟

معصية آدم، قال له الرب: " لا تقرب الشجرة "، فعصى آدم ربه..، إذن معصية آدم عليه السلام في إرتكاب المنهيات. آدم عليه السلام إرتكب هذا النهي، أكل من الشجرة..

الآن، آدم عليه السلام، هل قَبِلَ حكم الله، أنه لا تقرب هذه الشجرة؟ نعم. لعدم وجود بينة على ردِّه لحكم الله. أنه ما قال: " أنا أرُدُّ أمرك ". فإذن هو قَبِل أمر الله.. لكن هل دخل في هذا الأمر؟ ما دخل فيه، وذلك بأن عصاه، - نتكلم عن المعصية -، إذن معصية آدم هي عدم الدخول في الأمر. إذن معصية آدم عليه السلام **أولاً**: في إرتكاب المنهي عنه.. **وثانياً**: في عدم الدخول في الأمر..، والدخول في الأمر كما قلنا له مرتبتان: **١** - إذا كان هذا الأمر من أركان الإيمان، فإن عدم الدخول فيه كفر أكبر. **٢** - وإذا كان هذا الأمر من واجبات الإيمان، فإن عدم الدخول فيه ليس كفراً أكبر.

الآن، هذا الأمر - أي عدم الأكل من الشجرة -، منهي عنه، هل هذا المنهي عنهه من باب المكفِّرات في دين الله؟ لا، ليس من هذا الباب. إذن معصية آدم عليه السلام، من باب المعاصى غير المكفرة. إذن هذه المعصية، كفر أصغر ومعصية غير مكفرة، ولزوال أثرها - في الآخرة - يحتاج إلى الإستغفار والتوبة..

الآن، نأتي إلى معصية إبليس لعنه الله، ونعوذ بالله منه:

معصية إبليس ما هي؟ هي بترك الأمر، تَرَكه، الآن هل إبليس قَبِلَ حكم الله، ثم بسبب النفرة وقع في ترك الأمر؟ - لأن المعاصي، عند أهل السنة، تقع بسببين، الشهوة والنفرة، الشهوة تقع في إرتكاب المنهي عنه، والنفرة تقع في ترك المأمور به -. ومعصية إبليس كان بترك الأمر. الآن لو أنه سجد لآدم فعلاً، ودخل في الأمر، لكنه لم يقبل الأمر إبتداءً، وردَّه على الله عزوجل، ماحكمه؟ الكفر.

إذن قبول الأمر، غير متعلق بالفعل وعدمه وهو لنفسه مكفِّر، قد يفعل الإنسان الأمر ولكن لا يقبله، كما يفعل المنافقون..، المنافقون لا يقبلون حكم الله ومع ذلك دخلوا فيه عملاً، إذن معصية إبليس في ترك الأمر، ثانياً، عدم القبول، قال لله عزوجل: " أنت أمرك غلطٌ، غير صحيح " - العياذ بالله -، لماذا غير صحيح؟ - قال - لعنه الله -، لأن أنا أصلِي من النار، وهو أصله من الطين، والنار أصل طيب والطين أصل خبيثٌ! كيف؟ النار عظيمةٌ[255]، تحرق، والنار ترتفع إلى الأعلي، والنار يحتاجها الناس في الطبخ وغيره. أما الطين، فإنه أول شيءٍ، أنه خبيث الرائحة، ثانياً: أنه لا يرتفع إلى الأعالي، ولكن ينزل إلى الأسافل، والذي يرتفع إلى الأعلي، أفضل من الذي ينزل إلى الأسفل. ثالثاً: الطين يحتاج إلى النار كثيراً في (..) وفي تَطييبه، - قال لعنه الله - وإذا كان أنا أصلي طيب وهو أصله ليس بطيب! " فكيف تأمر مَن أصله طيب أن يسجد لِمَن كان أصله غير طيب؟ ماهذا؟..

إذن، ردّ أمر الله تعالي، وما قَبِلَه..

الآن، ما الردُّ على إبليس؟ أول شيءٍ، هذا قياس في مورد النص. لكن هل هذا قياس صحيح؟ لا، بل هو قياس فاسد. قياس فاسد عقلاً، بعد ثبوت مخالفته لحكم الله، فهو فاسد أيضاً. لماذا؟ لأن النار من صفاتها الطّيش، لمّا تحرق لا تتفرَّق بين الطيب والخبيث، بخلاف الطين، فإنه طيب، فإنّ عامّة ما ينتفع به الناس، من الطين - أو من التراب -، والشجر والنبات وكل شيءٍ يخرج منها.

ثانياً: النار متكبرة، تتصاعد إلى الأعلي، وليس كل من يصعد إلى الأعلي، يستحق الصعود وليس كل من ينزل إلى الأرض، هو دني، الآن لمّا تكون السنبلة فارغةً إلى أين تكون رأسها؟ إلى الأعلي. ولمّا تكون

[255] هذه الكلمات، بيان، للأقيسة الفاسدة التي، احتج بها إبليس لعنه الله، في ردِّه أمر الله عزوجل.

مَليئاً، تكون رأسها إلى الأسفل ولذلك فإنه ليس كلُّ من يرتفع إلى الأعلى يستحق الإرتفاع. بل التواضع خيرٌ من التكبر.. كما قال الشاعر:

" تواضع، تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يرفع نفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع ".

ثالثاً: ليس كل من كان أصله طيباً، يكون طيباً. وقد يكون الشيء أصله فاسداً وهو طيب، فإن الصحابة رضي الله عنهم، أصولهم وآبائهم كفرة، وهم خير الناس وكذلك الشجر، بماذا ينتفع؟ بالعذرة..، فهذا ما يسمى عند علماءنا، بالإستحالة، الشيء يتحول. والقضية ليست قضية أصل، ولكن قضية الحال، على ماهو عليه..

المهم، ما يهمنا في هذا، أن إبليس ردَّ أمر الله، **وردُّ أمر الله له حالة واحدة، وهو الكفر**. وماذا يحتاج للعودة إلى الإسلام؟ يحتاج أن يتوب، وأن يعلِنَ إسلامه ويدخُل إلى الإسلام، من الباب الذي خرج منه – كما سنتكلم في باب الكفر –، من الباب الذي خرج منه، يعود منه إلى الإسلام..

*وتكلمنا في الدروس السابقة، عن قضية " إذا كان العمل كفراً أكبر، فانه لا يحتاج إلى الإعتقاد "، وتكلمنا أنه من قال مثلاً من المشايخ الذين نازعوا دعوة الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** عليه رحمة الله عندما قالوا: أن الإنسان إذا سجد للصنم لا يكفر حتّي.. يحتاج إلى إعتقاد، وأنه يعتقد في هذا الصنم أنه ينفع..، إذن هؤلاء لا يرون الكفر في الألوهية (الشرك في الالوهية)، إنما الكفر عندهم كفر الربوبية. أو كالذي يقول أن هذا **المُشرِّع** لا نستطيع أن نُكفِّره حتّى ننظر إلى قلبه، فنرى هل هو يرى حكم الله أقل مرتبة من حكمه؟!، لا يحتاج إلى هذا، لماذا؟

لأن الفعل بنفسه كفر أكبر مخرج من الملة، نحن قلنا، كما أن الإيمان قول وعمل ونية، الكفر كذلك قول وعمل ونية، فإذا حقّقنا أن هذا الفعل كفرٌ أكبر بنفسه، هذا يكفي لأن نجريه على صاحبه – إذا ذهبت الموانع ووجدت الشروط –، فهمتم هذه؟..، هذه قضية مهمة لأن هؤلاء لا يرون إلا كفر

التكذيب. واحدٌ يقول: الله يقول حكمي أفضل، فإذا قال هذا الشخص: لا، حكمي أنا أفضل، فحينئذٍ يكفر لأنه كذّب الله لا بإعراضه عن حكم الله، ولا بردِّه حكم الله عزوجل..

وقلنا هنا إخواني: عدم قبول أمر الله قد يكون بالقلب كما هو حال المنافق، وقد يكون باللسان وقد يكون بالعمل، فإن الصحابة – كما قال علماؤنا – كانوا يرون الجحودَ، عملاً.

الآن، نأتي إلى **ثمار مفاهيم الإيمان عند أهل السنة والجماعة:**

نحن تكلمنا أن الإيمان ماهو؟ العمل، هكذا قلنا – و أنه طبعاً موافق للسنة، موافق لدين الله والشرع والحق –، فهذا هو الإيمان، فهناك أعمال مكلف بها القلب، وهناك أعمال مكلف بها اللسان، وهناك أعمال مكلف بها الجوارح. سمينا الأعمال المكلَّف بها القلب، " الأقوال والأعمال "، وسمينا عمل اللسان، " الكلام، الأقوال " وسمينا عمل الجوارح، " العمل ". لكن كلها عمل. وكلها ناشئةٌ من ماذا؟ ناشئةٌ من إرادة وناشئة من قدرة.. – إنتبهوا لهذه القضية المنطقية الصحيحة بدلائل النبوة –، قلنا العمل، ينشأ من عمل باطني – من حركة باطنية –، من أمرين، من شقين: **الشق الأول**: قدرة تامة. **ثانياً**: إرادة جازمة.

لو يوجد موانع أقويٰ من قدرتك، فهل عندك قدرة تامة على العمل؟ لا، يعني قد يكون عندك قدرة على العمل، لكن يوجد موانع أقويٰ من قدرتك، فما عندك قدرة تامة على العمل، فالعمل عند أهل السنة والجماعة – الذي هو الإيمان – قدرةٌ تامّةٌ وإرادة جازمة، والعمل الموافق للسنة.

والعمل قد يتخلف بسبب القدرة..، قلنا الإرادة بشقيها، ما هما؟ الأول: العلم (تصور الشيء؛ حتّى تمشي إلى الإرادة له)، وثانياً: القوة الدافعة.

العمل قد يتخلف بسبب العلم، فهذا جاهل لا يعمل، إذا تخلَّف العلمُ، تخلَّفت الإرادة، إذا تخلَّفت الإرادة، يتخلف العمل، إذن هو متخلف الإيمان.

بمعني؛ هل إيمان الصحابة – إنتبهوا لهذه القضية –، هل إيمان الصحابة قبل نزول التكاليف هو نفس مرتبة إيمان الصحابة بعد نزول التكاليف؟ لا، لتخلف العمل، إنّ الأعمال التي كان يقوم بها

الصحابة بعد زيادة التكاليف، هذه هي الأعمال الإيمانية، إذن هي كلما زاد العمل، زاد الإيمان،..، عقد الإلتزام موجودٌ عندهم في كل مرتبة، وكذلك قبول أمر الله على أي أمرٍ يأتي، - إذا ردَّه يكفر، وبعد ذلك لا ينفعه عقد الإلتزام، ويبطل في أي مرحلة يكون -..

فإذن إيمان الصحابة..، ولذلك (**اليوم أكملت لكم دينكم**) المائدة٣. إذن: دينهم كان قبل ذلك تاماً أو ناقصاً؟ ناقصاً، كان دينهم قبل ذلك ناقصاً وجوداً وحالاً، وجوده في الأحكام الشرعية، وحالاً في تطبيقاتهم وأعمالهم.. - هذه قضية مهمة -، إيمان الصحابة بعد نزول التكاليف أعظم من إيمانهم قبل نزول التكاليف بإمتثالهم وتطبيقاتهم، [٢٥٦] ولذلك الصحابة كانوا يطلبون من الله زيادة التكاليف، [٢٥٧] لأنه بزيادة التكاليف، يزيد أبواب الدخول في الإيمان.. هذه قضية مهمة..

النقطة الثانية: قد يتخلف العمل، طبعاً ممكن أن يتخلف العمل، لضعف القوة الدافعة، مثلاً: محبة الله ضعيف عنده..

قلنا القوة الدافعة لها ثلاثة شقوق: ١ - الخوف. ٢ - المحبة. ٣ - الرجاء. وقلنا سابقاً: مَن عَبَدَ الله بالخوف وحده، فهو خارجي (حروري) - لأنه يرى أن ترك أي عمل يؤدي إلى الكفر، وهو يخاف من هذه القضية أكثر من غيره -. ومن عَبَدَ الله بالمحبة فقط، فهو زنديق.، يعني يترك العمل ويترك الأوامر ويأتي النواهي، وهو يحب الله ولا يخافه ولا يخاف النار. ومن هنا ضلال كلمة التي قالوها: " ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك "، هذه كلمةُ كفرٍ..

ومن عَبَدَ الله بالرجاء فقط فهو مرجيء، يرجو الله، وهو عنده، الإيمان فقط التصديق، والتصديق موجودٌ، خلاص، فهو مؤمن، فكل الوعود الالهية المعلقة على الإيمان في القرآن، - عند هذا الشخص يجب أن يقع - بمجرد التصديق! - لأن الإيمان عنده التصديق فقط -، إذن هذا مرجيء..

---

[٢٥٦] قال تعالى: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) التوبة ١٢٣.

٢٥٧ قال تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ..) [محمد ٢٠].

هذه عبارة أهل السنة والجماعة [٢٥٨]: " من عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي، ومن عبدالله بالمحبة فقط فهو زنديق، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة، فهو مسلم صحابي ومؤمن مُوَحِّد ".

الآن، نأتي إلى القضية الأخري: القدرة التامة: (تخلف العمل بسبب عدم وجود القدرة). **عدم وجود القدرة، له سببان: السبب الأول**: العجز. **والسبب الثاني**: الكسل. واحد يريد أن يأكل، لماذا لا يستطيع أن يأكل، لعدم وجود قدرته على الأكل، إما لعجزه عن تحصيل الأكل، قد يكون مشلولاً، قد يكون مريضاً، عاجزاً. إذا كان عدم تحصيله الأكل، لأنه عاجز، وهو يريد، وعنده إرادة قوية ويحب، وعنده الخوف والرجاء والمحبة، ولكن عاجز عن تحصيل الأكل، هل يأثم؟ لا.

إذن العجز لا يترتب عليه الإثم. - أنا أريد أن أفرِّق حتّى لا تغلطوا -..

الكسل، هل يترتب عليه الإثم؟ نعم. هل الكسل يقتضي عدم وجود الإرادة؟ نعم، واحد كسلان ما عنده إرادة، واضح؟..، القدرة إذا لم يحصل بسبب الكسل، فسببه عدم وجود الإرادة على تحصيل القدرة..، هل العجز مترتبٌ لعدم وجود الإرادة؟ لا يترتب، قد تكون الإرادة موجودة وقد تكون غير موجودة، فإذا كانت موجودة، فهو عجز وحده، وإذا كانت غير موجودة فهو الكسل..

طبعاً كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من العجز والكسل، [٢٥٩] - ليس مجال شرح الحديث، والحديث، الحقيقة - بفضل الله -، لو أجلس معكم ساعات طوال، لا نستوعب الإنتهاء منه -..

---

[٢٥٨] هذه العبارة، عزاها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (العبودية ص١٢٨) لبعض السلف دون تحديد. ونقلها الإمام الغزالي رحمه الله في (احياء علوم الدين ٤/ ١٦٦) عن مكحول الدمشقي رحمه الله.

[٢٥٩] عن انس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**اللهم أعوذ بک من العجز والكسل..**) الحديث (رواه البخارى ٦٣٦٣ ومسلم٢٧٠٦). قال النووي في شرح مسلم ٩/ ٢٦: (الكسل: هو عدم انبعاث النفس وقلة الرغبة مع إمكانه. واما العجز: فعدم القدرة عليه). ا ه.

إذن القدرة تتخلف بسبب العجز أو بسبب الكسل. ولمّا تخلفت القدرة التامة لتحصيل العمل، تخلف العمل. – وقلنا العمل هو الإيمان – فإذن تخلف الإيمان. – طبعاً نتكلم عن كماله لا أصله –، لأنّ هذا الفعل أو العمل، الذي إسمه إيمان، وهو شعبة من شعب الإيمان، تخلَّف..

هذه غريبة على أذهانكم كما ترون!، قد يقول قائل: رجلٌ عنده إرادة تحصُّل العمل، لكن عاجزٌ مشلولٌ، لا يقدر أن يحج، هذا إيمانه أقل من إيمان من حجَّ عملاً؟!!

الجواب: نعم. وهذا غير متعلق بالإثم والأجر. قد يكون أجر المتخلف أكثر، لكن هذا الإيمان غير موجود لديه – هذا الإيمان الذي هو العمل –، فغير موجود لديه هذا الإيمان، والوعود الالهية في الدنيا والأخرى مُعَلَّقة على الإيمان الكامل **(وعد الله الذين آمنوا)**. كل وعود الله تعالى التي وعد بها في كتابه للمسلمين، كلها وعود للإيمان وهو الإيمان الكامل..

فالعمل الذي هو الإيمان قد يتخلف لعدم وجود القدرة، فلا يترتب عليه الوعد الالهي، لأن الإيمان متخلف..

طيب! هذا منطقياً واضح، فما الدليل الشرع الذي يدل عليه؟

أنت تريد أن تجاهد، عندك الإرادة الكاملة لأن تجاهد، لكن أنت عاجز عن الجهاد – كوضعكم هناك عاجزين عن الجهاد – بالرغم أن بعض الناس عنده أجور مثل أجور المجاهدين، لكن هل هذا تخلف عنه وصف الإيمان الذي يساوي الجهاد؟ لأن الجهاد إيمان – هل تخلف عنه وصف الإيمان الذي هو وصف الجهاد – دَعْ الإثم –، تخلف أو لم يتخلف؟ هل هذا في النهاية، من الذين قال الله فيهم (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض)؟ لا، لأنه تخلف عنه الإيمان، تخلف عنه عمل الجهاد الذي هو إيمان. إذن لا يقع عليه الوعد إلا بوجود العمل، الفعل، – هذا غير مترتب بالإثم وعدمه، ها! –، لكن مترتب على وجود اسم الإيمان وحقيقته عملاً، الذي يترتب عليه الوعد..

.. الآن ما الدليل الشرع؟

عجيب جداً! إسمعوا لقوله صلى الله عليه وسلم عن النساء.. قال عنهن محمد صلى الله عليه وسلم: " مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ". قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ "؟ قُلْنَ بَلَى. قَالَ: " فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ بَلَى. قَالَ: " فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا ". [٢٦٠]

قال صلى الله عليه وسلم عنهن (ناقصات عقل ودين).. لمّا جئنا للعقل، يعني المرأة قليلة العقل قدراً – أو كوناً –، لكن الدين ليس قضية قدرية، بل قضية شرعية، وههنا العقل ماذا؟ قدري ترتَّب عليه حكم شرعي،.. لكن قلة عقلها، أمرٌ خلقي، لكن الدين والإيمان، كما قلنا هو عمل شرعي، تكليف؛.. إذن نقصان عقلها أمر قدري وخلقي. لكن ماهو العمل الذي تتركها المرأة حتّى ينقص دينها؟ قال صلى الله عليه وسلم: " المرأة تحيض وتنفس وتترك الصلاة ". ولكن هي تركت الصلاة بحكم الشرع.. – إنتبهوا لهذه القضية –، المرأة تركت الصلاة فما عملتها، لماذا؟ لعجزها عن شروطها. من شروط الصلاة الطهارة، فالمرأة ما قدرت على الصلاة لعجزها عن الشروط، لأنها ليست طاهرة وقت حيضتها، وهذا العجز، لا يترتب عليه الإثم، بل هي تتمثل أمر الله – بترك الصلاة في حال الحيض – لكن تركت الفعل لعجزها عن إتيانها بشروطها، ومع ذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم " ناقص الدين ". فهمتم؟! المرأة ناقصة الدين لتخلف العمل مع عدم وجود الإثم، – قضية الإرادة مسألة أخرى الإثم وغيرها –، لكن نتكلم عن ماذا؟ عن العمل، هل هذه القضية واضحة؟!.. [٢٦١]

الآن إنتبهوا لهذه القضية: قد يكون عجز اليوم، كسل البارحة، كيف؟ – مثلاً – عندك سُلَّمٌ، أنت كان ينبغي في حياتك الطبيعية أن تصعد كل يوم درجة، في اليوم الثلاثين، لازمٌ أن تكون في آخر السُّلَّم؛

---

[٢٦٠] حديث متفق عليه (بخارى باب ترك الحائض الصوم. رقم ٣٠٤) و(مسلم باب نقصان الإيمان.. رقم ١١٤).

[٢٦١] إن المرأة لا إثم عليها في هذا النقص – أي نقص الإيمان –؛ لأن نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به كمن ترك الصلاة والصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه، بلا عذر وقد يكون على وجه لا إثم فيه كمن ترك الجمعة أو الغزو أو غير ذلك مما يجب عليه لعذر أو عجز، وقد يكون على وجه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم وقت حيضتها، فهي بهذا الترك لا تكون آثمة، لأن الترك هنا تكليف، وإن كانت مع ذلك توصف بنقص الدين ". [راجع شرح النووي على مسلم ٢/ ٦٨].

وفي اليوم الثلاثين، سيأتيك تكليف يناسب حقيقتاً وجودك في هذه المرتبة وهو الدرجة الثلاثين. لكن التكليف جاء، وأنت كنت في مرتبة ثمانية وعشرين، إنك عاجز أن تكون الآن بالمرتبة الثلاثين.. هذا العجز لماذا حصل؟ لأنك كسلت البارحة. إنك تخلفت في يومين ولم تمشي درجتين. فأنت حينئذٍ تقول: وا.. التكليف..، عاجز عنه،.. نعم! ما فيه إثمٌ، لكن هذا، بسبب كسل البارحة. فهمتم هذه القضية؟..

لماذا نتكلم هذا الكلام؟ نتكلم هذا الكلام للأمر التالي: **أن الإيمان ليس هو فقط إرادة حصول الخير بالقوة الدافعة، محبة الله والخوف منه والرجاء اليوم الآخر، كما يتصور بعض الناس**، عندما يقول فلان مؤمن، يعني أنه يخاف الله بكثير، أو يرجو اليوم الآخر بكثير..

لنفهم هذه القضايا. فإذا جاء مثلاً دولة إسلامية ضعيفة، ضعيفة الشأن ما عندها قوة عسكرية، جاء الكفار فحاربوها، كانوا عاجزين عن حصول النصر، ماذا يعني عاجزين عن حصول النصر؟ يعني عاجزين عن القدرة على تحصيل الجهاد الذي قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾. [262]

.. ما حصل عندهم الآن؟ حصل لديهم عمل الجهاد الذي يؤدِّي إلى المدافعة، لكن هم دافعوا فانهزموا، ولم يحصل المدافعة..، لماذا حصلت الهزيمة؟ لتخلُّف القدرة التي تخلَّفَ عنه الإيمان الذي تخلَّفَت به المدافَعة..

لكن هم، المسلمون، يتحدثون: " جماعة مؤمنة "! ماذا يقصدون بالمؤمنة فقط؟ يقصرونه على جانب الإرادة ولا يدخلون القدرة التامة في موضوع حديثهم " الجماعة مؤمنين، أو غير مؤمنين "..، إذن، تصور قُدرات المسلم، هل هو جزءٌ من الإيمان؟ قُدراته؟ هل هو أكثر إيماناً من المؤمن الأقل قدرة؟ نعم!، الله يحب المؤمن القوي، هو أَحَبُّ عند الله من المؤمن الضعيف [263]، بالرغم قد يقول القائل: " أنا

---

[262] الحج (٣٨).

[263] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خيرٍ) الحديث. رواه مسلم (٢٦٦٤).

مشلول، لماذا يحب الله هذا صاحب العضلات؟ "!، الله يحبه، وإذا أجرك بعجزك، هذا مسألةٌ أخري، لكن هذه المحبة، والمحبة لزيادة الإيمان، دائماً كل شيءٍ معلق في الشريعة على ماذا؟ الإيمان.

ان الله يحب الذي أكمل وأكثر إيماناً..

إذن **وجود القدرة التامة جزءٌ من الإيمان،** فلما كان المسلمون عندهم إرادة طاعة الله بما يترتب عن تطبيق الأمر الشرعي وعندهم القدرة التامة لتحقيق وعود الله في الأرض، حينئذٍ يستحقون أن يسموا مؤمنين. وإذا تخلف واحدٌ مثلاً لا توجد القدرة التامة، ولا توجد إرادة طاعة الله، أو لم يكن خوف من الله أو.. هل هم متخلفوا الإيمان؟ نعم هم متخلفوا الإيمان. ولا يسمَّون المؤمنين..، هل يلحق بهم الوعد الإلهي؟ لا يلحق..، هناك جماعةٌ عندهم " القوة الدافعة والعلم " موجودة، لكن لايملكون القدرة، هل يحصل العمل؟ هل يقع عليهم الموعود الإلهي؟ لا..

إذن **ماهو مناط أو (علة)، تقدم المسلمين وتأخرهم؟** وجود الإيمان أو عدم وجوده، كل ما يوجد من مظاهر الخير في الأمة هو الإيمان، وكل مظاهر الضعف في الأمة هي عدم وجود الإيمان، وعليه عدم وقوع الوعود الإلهية..

واحد يأتي ويقول: " أنا مؤمن، أخاف الله، وأصلِّي و..، فالله مُطالَب بأن يدافع عني، لأني مؤمن! "، هذا فسَّر الإيمان بمفهوم إرجائي باطني..، ووجود القدرة التامة أمر ظاهر، والإيمان لابدّ من التلازم بينهما، فإذا فسره بالأمر الباطن فقط فهذا مرجيء. وإذا فسره بالأمر الظاهر فقط فهو منافق أو (ضال)، مثل بعض المشايخ، يقول: " أوروبا مؤمن أكثر منا ". لأنه يفسره بوجود ماذا؟ القدرة.

المؤمنون الآن، أو المسلمون الآن، - لأنه لا يوجد مؤمنون، إلا من رحم ربي، يوجد أفراد، لكن مجموع الأمة -؛ الآن عندهم الإيمان الباطن..، الجماعات الإسلامية، الحركات الإسلامية، لماذ لا يقع عليهم الموعود الإلهي؟ هم يبحثون ويتكلمون ويسألون المشايخ: نحن مؤمنون أم كفار؟ لا، نحن مؤمنون، نصوم، نصلي، وعندنا الحج ومحبة الله، نبكي من خشية الله و..، لكن في النتيجة، كل الوعود الإلهية لا تقع عليه، لماذا؟ الإيمان غير كامل. **والوعود الالهية معلقة بالإيمان** يا حضرات! هذه القضية

إفهموها، هذه القضية، سرُّ حديث القرآن، حديث الله في القرآن، بأن يتحصل المرء الإيمان الذي يترتب عليه الوعد..

إذن، المسلمون، تقدمهم في الدنيا والآخرة منوط بماذا؟ بالإيمان.. هل هذه واضحة؟! إرجعوا إليها، إقرؤوها تماماً، إسمعوها مائة مرة، هذه نقطة مهمة، وإلا إذا قلنا بالإيمان بالمفهوم الذي عند مشايخنا وخطبائنا، نذهب إلى تكذيب القرآن! – العياذ بالله – في النتيجة يكذِّب القرآن!..، هل الجماعة الفلانية، مؤمنة؟ يقول لك: نعم مؤمنة.. فلماذا لم يقع الموعود الإلهي؟ لأن الإيمان متخلّف، لعدم وجود القدرة، فيجب على المؤمن أن يتحصل القدرة، ليحَصِّل العمل الذي يترتب عليه الموعود الإلهي..

الآن تذكروا كلمةً لنا سابقاً، الآن واضحة أكثر.. قلنا: ماهي **التقوى** (في تفسير العلماء السابقين ومنهم ابن القيم)؟ " **تحصيل الأسباب المُوجِبَة لوقوع الفعل** ". تحصيل السبب الذي يوقع الفعل،. السبب أين هو؟ أين مجاله؟ السبب، إرادةٌ جازمة وقدرة تامّةٌ. الفعل كيف يقع؟ بإرادة جازمة والقدرة التامة. فتخلُّف أحدهما، هو تخلُّف التقوي. لأن التقوى يتخلف بتخلف أسباب تحصيل العمل، وإن كان هذا السبب، أو هذه القدرة قد تخلفت بالعجز، – لا نتكلم عن إرتباطه بالإثم والأجر، دَعُوا إرتباط الإثم وغيره –،.. الآن الحديث عن الموعود الإلهي في قضية الإيمان، الآن يوجد الإيمان عندهم بواحد من شقيه، لكن لا يوجد الإيمان بشقه الآخر، الذي ترتب عليه العمل، الذي ترتب عليه كمال الإيمان، الذي ترتب عليه الوعد..

رأيتم مصائبنا؟ أدركتم مصائب المسلمين ومشاكلهم في هذه القضية؟ عندما يتحدث المسلمون عن الإيمان الذي رتب الله عليه الوعود، أي معنى من الإيمان يتكلم عنه المشايخ؟ فقط المعنى الباطن للإيمان، حتّى العلم، الآن ذهب دوره، العلم، إما يتكلمون فقط عن خوفه من الله ومحبته لله، ورجائه لله، أما القدرة، فيقولون لك: الله ينصرك، سواء عندك القدرة أو ما عندك القدرة! كأنّ حركة الحياة تمشي بماذا؟ بخرق السنن!..

هذه قضية مهمة جداً، أشرحها الآن وإن كانت في توحيد القدر، **ما هي علاقة الظاهر بالباطن؟** علاقة تلازم غير مطلق. الآن علاقة السبب بالمسبَّب، علاقة تلازم، لكن لأي شيء غير مطلق؟ وقوع الكرامة وخرق السنن أحياناً ممكن، لكن حديثنا دائماً عن الأصل أو عن الأمر المستثني؟ عن الأصل.

لمّا الشيخ يجعل سنة الله على المؤمن جارية دائماً بقضية غير التلازم، مثل المرجئة، قال الأصل أنه لا تلازم بين الظاهر والباطن! هذا هو الأصل عندهم، وجعل التلازم هو الإستثناء!..

ونحن نقول: إذا وجد السبب، دائماً لازم أن يوجد المسبَّب، إذا وُجد الطعام؛ لازم أن يوجد الشَّبع. قد تتخلف؟ نعم قد تتخلف. لكن بماذا؟ بأمرٍ خارق للعادة، بإمتهان من الله، بكذا وبكذا. لكن ليست هذه، السنة الجارية، ولذلك كنت أقول للمشايخ الذين تكلمت معهم، نقول لهم: أتحدَّاكم إنكم، يوم في حياتكم، تخلفت السنة من أجلكم! المجاهدون، الأولياء..، إن كان لله أولياء في الأرض، فالذين يجاهدون في أفغانستان من الأولياء، شاء من شاء، وأبى من أبي، ولتحمرَّ لها الأنوف!!، هؤلاء أولياء الله في هذا الزمان، وظهرت على أيديهم كرامات، لكن لمّا كان المجاهد يضع رجله على اللغم، اللغم ينفجر عليه، لكن هل لأنه مجاهد ومن أولياء الله، يقال له إمشي وضع رجلك على اللغم لا يضرك! هل يحصل هذا؟ هذا ممكن، لكن السنة كيف؟ حديثنا عن السنة، حديثنا عن العلاقة الصحيحة السننية.. فهمتم كيف الآن التقوي؟

التقوى متخلفة بعدم وجود الأسباب، إما بتخلف الإرادة، وإما بتخلف القدرة.. صحيح إخواني؟

هذا، كلام علمائنا، كلامي في حديث (ناقصات عقل ودين)، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان، [٢٦٤] لست بدعاً من القول، أنا ناقل، لست بمفتري..

---

[٢٦٤] انظر " مجموع الفتاوى " (٧/ ٢٣٣).

إذن، ما هي حضارة الإسلام؟ الإيمان.

انظروا ماذا صنع الإيمان عند الصحابة، لأنه واضح لديهم بهذه المفاهيم، لكن الإيمان ماذا يصنع فينا في هذا الزمان، لأنه مجهول لدينا!!. ماذا يصنع فينا الإيمان الآن؟ يصنع فينا الإيمان، أن نهتم بجانب الباطن، لكن لما يأتي الحديث عن القدرة، يقول لك " دع هذا لمن هو أهل له، الله! الله يتدخل، الملائكة.. "، ويتكلم بكلام أفيون وغيره.. واضح إخواني؟

إخواني! هذه النقاط إهتموا بها، لأنكم بعد ذلك لا تفهمون القرآن، هذه المسائل، مفاتيح فهم القرآن..

الآن لندخل في قضية الوعود الإلهية..

هل فهمنا مناط تقدم المسلمين ومناط جهلهم وتأخرهم؟ ماهو مناطه؟ الإيمان علماً وعملاً..

الآن: الوعود الإلهية: **أولاً** بماذا مربوطة دائماً؟ بالإيمان، جميع الوعود الإلهية مربوطة بالإيمان. والإيمان هذا، تكليفٌ، ماهو هذا التكليف؟ تحصيل الأسباب الموجِبَة لوقوع الفعل. أنت مكلَّف بإنشاء الإرادة، وإنشاء القدرة عليه، والبحث عنه..

ثانياً: الإيمان عندنا، متعددٌ وليس مرتبة واحدة. هل في الدنيا شيءٌ واحد بذاته لا يتعدد، يصلح علة لكل شيء؟! لا. ماهو علة الشبع؟ الطعام. الطعام، ماهو؟ سبب، والماء سبب. اثنين التقوا بهذا الأمر، كلاهما سببٌ. هل نستطيع حينئذٍ بمنطق أرسطي الكذاب أن نضع الماء، مكان الطعام؟ لا. لا نستطيع أن نقول علة الشبع، الماء. لكن كلاهما سبب. لكن كل سبب يصلح لمسبّبه. وهذه قضية واضحة. هناك إرتباط ما بين العلة وما بين الفعل، إرتباط..، الشبع له علة خاصة، والحرق، له علة خاصةٌ، مرض السرطان علته غير علة مرض السل..

جميع تطبيق أمر الله ماذا إسمه؟ الإيمان. الآن، التداوي إيمان أم غير إيمان؟ إيمان. إذن علاج المرض البدني، ماهو؟ الإيمان، لكن أي نوع من أنواع الإيمان؟ أي شعبةٍ من شعب الإيمان؟ ما هو علة الشبع؟ الإيمان. لأن الأكل تكليف الهي والتكليف الإلهي هو الإيمان، هو الأمر، صحيح؟ " **كلوا واشربوا** "

[265]، أمرٌ الهي، ومن ترك الأمر، يأثم، وإذا مات لترك الأكل والشرب فهو قاتل لنفسه، فهمتم هذه القضية؟.. فإذن علة الشبع هو الإيمان، علة الرِّي، هو الإيمان.. لكن سؤالنا – لأنه الإيمان هو جميع أوامر الله –، ماهو النوع الذي يدخل في الإيمان، لكن له اسمٌ خاص وحالة خاصة، وهو من الإيمان الذي يصلح لهذه العلة؟ أو لهذا الشبع، أو لهذا الرِّي أو لهذا الحرق، أو لهذا القتل؟ لابدّ أن نبحث عنها في سنّة الله الكونية وسنة الله التشريعية. فهمتم هذه القضية؟!

ثالثاً: قلنا أن الإيمان هو علة الحياة. علة حياة المؤمن الحضاري ما هو؟ الإيمان. الحياة السعيدة، أو الحضارة، أن تكون شبعان، والحضارة أن تكون لك زوجة، والحضارة أن تكون عزيزاً، والحضارة أن يكون لك مسكن، وكلها أوامر إلهية..، الآن هل توسَّع لديكم مفهوم الإيمان؟!..

هل وجود بيتٍ للمسلم يأوي إليه من الإيمان؟ نعم. هل وجود قوة السلاح عندك من الإيمان؟ نعم..

كل علة، تصلح لشيءٍ في هذه الدنيا، مع أن العلل بينها ترابط، يعني الرِّي مع الشبع، مع كذا..، كلها علل مترابطةٌ، لكن في الواحدة، العلة هي التي تصلح لهذا الأمر..

الآن نأتي إلى الوعود الإلهية: الله عزوجل قال: ﴿**إن الله يدافع عن الذين آمنوا**﴾ الحج٣٨.

– إنتبهوا –! وعدٌ إلهي بالمدافعة عن المؤمنين،.. نعلم أن من الإيمان الزكاة؛ لنضع " الذين آمنوا "، هنا، بمعنى " الزكاة ". ومن الإيمان " الحج "، ومن الإيمان " ذكر الله في المساجد " وهكذا..، الآن لو قلنا بدائل عنها: ﴿إن الله يدافع عن الذين زكوا﴾. هل يصلح؟

ماهو المراد بالإيمان هنا في هذه الآية؟ الإيمان شعبٌ. والذي يقتضي الآن، نبحث عن الوعد الإلهي، ماهو اللازم له لتحقيقه؟ ماهي الأسباب التي توقع المدافعة؟ التي هي الوعد الإلهي في هذه الآية؟

---

[265] الاعراف (٣١).

نحن قلنا: التقوى ما هي؟ الأسباب الموجبة لوقوع الفعل. الآن الفعل ماهو؟ وقوع المدافعة. ما هو السبب – الذي هو التقوي، الذي هو الإيمان، الذي يوقع المدافعة؟ – ماهو السبب الذي به يقتضى حصول المدافعة؟ ماهو نوع الإيمان الذي يحصل به المدافعة؟ الجواب: المدافعة نفسها، التي هي بكل أنواع المدافعة الذي هو الجهاد..

إذن، (إن الله يدافع عن الذين دافعوا). صحيح؟..

إذا دافع، يحصل الوعد الإلهي، بأن الله يدافع عنه، لأنه طبّق أمر الله، بأنه إذا جاء كافرٌ عليك ليغزوك، ما المطلوب منك؟ الإيمان. إيمانك لهذه الحالة، هل هو أن تصلي؟ أو تزكي؟ أو تحج؟ أو تذهب إلى المساجد – كما فعل بعض المسلمين، كان إذا جاءهم جيش من الكفار يغزو بلادهم، ذهبوا إلى المساجد ليقرأوا صحيح البخاري! – هل قراءة صحيح البخارى عمل من أعمال الإيمان؟ نعم. لكن هل هي سبب الموجب لوقوع مدافعة هؤلاء الكفار؟ لا. إذن هل هم يستحقون وقوع الوعد الالهي عليهم؟ لا يستحقون.. واضح إخواني؟!

(إن الله يدافعوا عن الذين آمنوا). يعني: طبّقوا أمر الله بالمدافعة، لأن الله أمر بالمدافعة..

والدليل الأوضح من هذا: (**إن الله لا يغير ما بقومٍ حتّى يغيروا ما بأنفسهم**) [٢٦٦]، أي: إن الله لا يغير حتّى تُغيروا – إن الله لا يدافع حتّى تدافعوا..

إذن: وعود الله عزوجل في القرآن، تكليفٌ إلهي، بماذا؟ بتحصيل أسبابها، والسعي في إدراكها.

لما قال الله عزوجل (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) [٢٦٧]. ماهو الإيمان الذي إذا وقع من العبد استخلفه الله؟ رجلٌ ليس مستخلفاً، – أراد أن يستخلف –، ماذا يصنع؟ يغير هو، هو يغير، ويعمل ليحصل الإستخلاف..

---

[٢٦٦] الرعد (١١).

[٢٦٧] النور ((٥٥).

إذن، الوعود الإلهية هي تكاليف عملية، وهذا بالسعي في إدراكها، والسعي في تحصيل الفعل، الذي هنا، الإرادة والمحبة وحصول القدرة عليها. إذا لم يكن القدرة، فهو متخلف العمل، فليس له نصيب من الوعد الالهي..

الوعود الإلهية أوامر لتحصيل أسبابها والسعي في إدراكها..

وعلى هذا راجعوا حساباتكم وكلام مشايخكم وأعمالكم، وخطبائكم، راجعوا القضية..

إذن، الآن، إفهموا – و أنا أفهم معكم – لماذا الصحابة، **لمّا** فهموا الإيمان، صاروا بنوا الحياة، ونحن ما الذي أذلّنا؟ قضية عدم فهم الإيمان. القضية أنه: الصحابة فهموا الإيمان، فهمو الحياة فصاروا أسياد الدنيا والآخرة.. ونحن تركنا مفهوم الإيمان علماً، فأورثنا كذلك الجهل بالعمل..

نتابع المسألة لما يترتب عليها من الفوائد العظيمة: فإذن **لمّا** أنت تريد يا شيخ أن تقيم دولة الإسلام، ماذا تفعل؟ يعني الله عزوجل وعدك بأن يستخلفك، ماذا تعني إستخلاف الله لك؟ أن تقيم دولة الإسلام.. ما هو الأمر الذي يقيم دولة الإسلام؟ – ماهو سبب إقامة دولة الإسلام؟ – أن تقيمه في الواقع وعملاً..

فلمّا واحد يقول لك: لا، فقط أقمه في قلبك – أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم لكم على أرضكم –، إذن هذا ماهو حقه؟ أن يجعل مرجئياً، لأنه جعل الإيمان فقط التكليف الموجَّه إلى القلب، وجعل الإيمان فقط هو الإرادة، (أقمها في قلبك، تقم لك في الأرض!)! من يقيمها في الأرض؟ الله!؛ إذن هو يظن أن حركة الحياة تتم فقط بأن الله هو الذي يغير وليس عليكم إلا أن تغيروا قلوبكم، أي أراداتكم، أمّا قدراتكم، مالها ضرورة!!..

نأتي إلى حالة أخري، أو فهم آخر: قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) [٢٦٨].

[٢٦٨] **صحيح** بطرقه. رواه أبو داود (٣٤٦٢). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١).

لنري!، الآن نتيجة المعصية، هي الذل. ونتيجة الطاعة العزة (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) [٢٦٩]. إذن هذه – الآية – تكليف بماذا؟ هي تكليف بالإيمان الذي هو طلب العزة – وهو العمل بالطاعات –،.. مسلمٌ يذل نفسه، هذا تارك للإيمان، حتّى هو ليس بالمؤمن الذي يستحق الوعد الإلهي بالعزة..

الآن! رجلٌ عصى الله بالذِّلَّة، بما حصلت الذلة؟ بترك الجهاد.. – كما في الحديث –..

الآن، المشكلة الكبيرة، **لمّا** جئنا قال: لا يرفعه حتّى ترجعوا إلى دينكم. ماهو دينكم هنا؟ ماهو المقصود؟ ما هو السبب الموجب لوقوع بديل الذّلة وهو العزة؟ ما هو؟ الجهاد..

إذن، التبايع بالعينة وإتباع أذناب البقر، والإنشغال بالتجارة والزراعة – التي كلها حب الدنيا –، هي من أسباب **المُمَهِّدة** لترك الجهاد، الإنشغال بالتجارة والزراعة، يؤدِّي إلى ترك الجهاد في سبيل الله، وترك الجهاد يؤدِّي إلى الذلة، وهذا واضح بالمفهوم وبالمنطوق من قوله صلى الله عليه وسلم: (**ما ترك قومٌ الجهاد إلّا ذلّوا**).

طيب! ماهو الطريق لذهاب الذلة؟ الجهاد، الذي هو الدين، لا كما يقول البعض: " دينكم " – في الحديث –، يعني أن تصلحوا عقيدتكم ومعرفتكم بالله وعرفانكم، فقط أن يصلح لديكم العلم!، أو " إن ترجعوا إلى دينكم " أي: أن تتركوا الربا، أو.. أو..، هذا كله حقٌّ، وهو من الدين، ولكن هذا ليس هو السبب الموجب لوقوع الفعل، بل أسباب أخرى مساعدة لهذه، نحن لا نحتقر بهذا، كل شيء له سببه. مثلاً: الربا من آثاره أن يحصل الفقر، لما؟ يحصل الفقر.. " دُولة بين الأغنياء منكم "، يفقر الناس، وتحصل الطبقات، وفي النتيجة الحروب والمشاكل بين الناس..

إذن رفع الذلة أن تعودوا لدينكم، إذا جاء شيخ وقال: " تعودوا لدينكم " أي: تُصَلُّوا، هل تفسيره صحيح؟ لا، تفسيره غير صحيح، لأنه حين أراد ذلك، أراد أن يصرف الناس عن السبب الموجِب لوقوع الفعل الذي هو العزة، والعزة لا تقع إلا بالجهاد..، واضح إخواني؟..

---

[٢٦٩] المنافقون (٨)

إذن، وصلنا إلى هذه النقطة، **أن مناط تقدم المسلمين وتأخرهم الحضاري، هو الإيمان**، بأي مفهوم؟ بالمفهوم الإرجائي أو بالمفهوم الآن الواضح لدينا؟ بالمفهوم الواضح لدينا، بوجود القدرة وبوجود الإرادة..

و وصلنا إلى **أن الوعود الإلهية أوامر لتحصيل أسبابها والسعي في إدراكها**..

و وصلنا إلى أن **لكل نتيجة وفعلٍ، علة مُوجِبة لوقوعه**، أي لوقوع هذا الفعل، والحديث عن العلل الأخري، هو صرف العقول عن التفكر في العلة الموجبة، وهذا جهلٌ في دين الله عزوجل..

الإيمان عند الفرق المبتدعة:

تكلمنا عن الإيمان عند أهل السنة والجماعة وشرحناه واضحاً..

الآن. نأتي إلى الإيمان عند الفرق الأخري:

أولاً: الخوارج. **ثانياً**: المرجئة. ويقسم القسمين: ١ - غلاة المرجئة٢ - مرجئة الفقهاء.. **ثالثاً**: الكرامية (وهم من المرجئة، لكن فيه خلاف).

الخوارج:

نحن قلنا: أن عندنا - أهل السنة والجماعة - **أولاً**: الإيمان قول وعمل ونية، **ثانياً**: شعب متعددة، **ثالثاً**: شعبه على مراتب.. **رابعاً**: يزيد وينقص.. **خامساً**: الإستثناء في الإيمان[٢٧٠].

[٢٧٠] أهل السنة والجماعة: يرون جواز الاستثناء في الإيمان في أحوال، وذهب إلى هذا جمهور أئمتهم من السلف والخلف أي: قول الإنسان عن نفسه إذا سئل هل (أنت مؤمن؟) فيقول بإجابة ليس فيها ما يوهم الجزم والقطع بكمال الإيمان: (أنا مؤمن إن شاء الله) أو (أرجو..) أو نحو ذلك. لأن الذي يقول: إن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ ينبغي عليه إذا قال (أنا مؤمن) أن يستثني؛ لأنه لا يستطيع أن يجزم بأن معه كمال الإيمان، وإن جزم! فقد زكّى نفسه؛ لأن الإيمان

الآن سنرى بما يوافقنا الناس وبما يخالفنا..

هل الخوارج عندهم الإيمان قول وعمل ونية؟ نعم.. فلذلك الخوارج أقرب إلينا في مسمى الإيمان ممن سيأتي بعدهم فالخوارج يقولون الإيمان قول وعمل ونية.

الآن، هل الإيمان عند الخوارج على مراتب متعددة أم على مرتبة واحدة؟ كل الشعب عندهم على مرتبة واحدة بحيث إذا ذهب واحد منها، ذهب الإيمان. إذن الخوارج عندهم الإيمان مرتبة واحدةٌ، وهو قول وعمل ونية. والواجبات عندهم أركان. وهي أصل الإيمان وأصل الدين، إذا واحد سرق أو كذب، أو واحد ترك الصلاة، أو ترك الصوم.. هذا كافر عندهم.. جميع شعب الإيمان عند الخوارج، كلها اسمها إيمان، وليس واحد منها اسمه إيمان، بل كلها واحدة، وإذا ذهب الواحد، ذهب الكل..

وننبّه على أننا نتكلم عن الخوارج كأصول، أما وُجِدت الفروع في الخوارج تخالف في مسائل كثيرة، هذه، لا نبحث فيها الآن..

وعلى ما سبق، هل الإيمان عندهم يزيد وينقص؟ لا، لا يزيد ولا ينقص. قد يقولون: (يزيد في المستحبات)، قد يقولون، لكن هل ينقص عندهم؟ لا، لأنه إذا نقص، ذهب، إذن في النتيجة هل الإيمان

شامل للاعتقادات والأقوال والأعمال. وأهل السنة والجماعة: يرون الاستثناء في الإيمان؛ لشدة خوفهم من الله تعالى، وإثباتاً لأقداره، ونفياً لتزكية أنفسهم، لا شكاً فيما يجب عليهم الإيمان به، ولكن خوفاً أن لا يكونوا قاموا بحقائقه، ورجاء أن يأتوا بواجباته وكمالاته. ويمنعون الاستثناء إذا كان على وجه الشك في الإيمان؛ لأن الشك في ذلك كفر؛ بل يقصدون من ذلك: نفي الشك في إيمانهم من جهة، وعدم الجزم بكماله من جهة أخرى. فأهل السنة والجماعة لا يجزمون لأنفسهم بالإيمان المطلق؛ لأن الإيمان يشمل فعل جميع الطاعات، وترك جميع المنهيات، ولن يستطيع أحد أن يدعي لنفسه أنه جاء بذلك كله على التمام والكمال، وإن قال؛ فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين، وأولياء الله الصالحين! وضمّن لنفسه دخول الجنة ابتداءً، وهذا من التألي على الله تعالى – والعياذ بالله – ولا يقولها مسلم عاقل. وهم بعيدون عن تزكية أنفسهم، ولا أعظم للنفس تزكية وراء الشهادة لها بالإيمان الشامل لكل شعبة.

هو الإسلام عند الخوارج؟ يعني الرجل المؤمن هو المسلم، والرجل المسلم هو المؤمن، وضدهما الكفر الأكبر؟ نعم. وعلى هذا، فإنهم لا يستثنون في الإيمان.

الكرّامية:

الآن نأتي إلى الكرامية – سريعاً مع الفِرَق، سريعاً جداً –، الكرامية يقولون: الإيمان هو قول اللسان فقط، يعني: قول) لا إله إلا الله ومحمد رسول الله) باللسان فقط، ولا يدخلون قول القلب وعمله في الإيمان!

لكن، هذا الإعتقاد، هو الذي ذكروه في كتب " المقالات " و " الفرق ". لكن هل يمكن أنهم – في الحقيقة – لا يشترطون موافقة القلب مع اللسان؟ هذا بعيد جداً، واستبعدها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لكن كتب الفرق تذكر عنهم هذا، فنذكر عنهم ما قيل عنهم، ولا وجود لهم الآن فالأمر فيهم يسير..

المعتزلة:

المعتزلة ماذا يقولون؟ هل الإيمان عندهم قول وعمل ونية؟ نعم. هل هو شعب متعددة؟ لا، هم كالخوارج تماماً، لكن اختلفوا معهم في الحكم على المعين. **إذن في حقيقة الإيمان، المعتزلة خوارجٌ**، لكن الإختلاف بينهما في الحكم على المعين إذا ترك واجباً من واجبات الإيمان، فإنهم لا يقولون عنه لا مسلم ولا كافر، ولكن يقولون عنه أنه في " **منزلة بين منزلتين** "، وهو الفاسق، فهم يختلفون مع الخوارج في هذه المسألة، في الدنيا، ولكن يلتقون معهم في الآخرة، – بأن يقولوا أنه خالدٌ في النار ولا يخرج منها أبداً–..

المرجئة:

هناك **غلاة المرجئة**: قالوا: الإيمان هو المعرفة فقط، من عرف ربه فهو المؤمن سواء أقر، التزم، تابع، وصدّق، كل هذه، لا قيمة لها، المهم المعرفة، من عرف الله فهو المؤمن..

هذه العقيدة، مصيبة وطامة كبيرةٌ، لأن فرعون كان يعرف ربه وأبوجهل كان يعرف ربه (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) [٢٧١]، والمنافقون يعلمون ويعرفون ربهم، وإبليس يعرف ربه..، هؤلاء – كما ترون – من أضل خلق الله، ولذلك قال **الإمام أحمد** رحمه الله: " من قال الإيمان هو المعرفة فقط، فهو كافر " [٢٧٢]. لأنه بهذا يحكم بالإسلام على من حكم القرآن عليه بالكفر.. وهذا تكذيبٌ للقرآن، وهذا كفرٌ..

نحن قلنا الإيمان عندنا " عقد الإلتزام "، وقلنا هو: المعرفة، ثم التصديق والإقرار، الذي هو يتضمن المتابعة والإلتزام. لكن زدنا " المتابعة " لأن لا يظن ظانٌ أن الإقرار غير متابعة. وهذا سميناه " عقد الإلتزام " الذي تضمَّن أمرين اثنين، الأمر الأول: تصديق خبرالله عزوجل. ثانياً: إمتثال الأمر..

الآن **الفرقة الثانية من المرجئة** وهم ضلالهم أشد، قالوا: الإيمان هو التصديق، وهو المتعلق بماذا؟ بقضايا الأخبار..

إنتبهوا لهذه الإنحرافات ماذا جرت على أمتنا.. أغلب أهل البدع المعاصرين يقولون " الإيمان هو التصديق ". وهذه الفكرة، الحقيقة حملها الأشاعرة الذين غلب فكرهم على أهل السنة والجماعة، كما بينا سابقاً، قلنا أن الأشاعرة غلبوا أهل السنة على أرض الواقع وأخذوا أغلب الأمة إلى فكرهم. قالوا: الإيمان هوالتصديق..

و لنُقِرِّ ونعترف، أن **كلمة الإعتقاد** نشأت من هنا، فإن مسائل الإعتقاد التي صارت تميز الرجل عن الآخر كلّها لها تعلقات بمسائل التصديق. ولو رجعتم إلى الكتب التي تسمى العقائد – مثل متن

---

[٢٧١] النمل (١٤).

[٢٧٢] انظر (الإيمان الكبير) لابن تيمية ص٢٢٢.

العقيدة الطحاوية -، تجدون أنه لا يتكلم عن مسائل الأمر، ما فيه كلامٌ عن مسائل الأمر، كلها قضايا متعلقة بمسائل التصديق، يتكلم لنا عن الجنة، عن النار، عن الميزان، عن الصراط، ورؤية الله يوم القيامة وهكذا..، كلها كلام في مسائل الصديق التي هي الأخبار. أما الكلام على قضية الإيمان بمفهوم أهل السنة والجماعة وهو حق الألوهية لله الذي هو وصف الإستحقاق. هذا الكلام صار عليه (..).

ولذلك صار الناس لا يعدُّون الرجل مشركاً حتّى يكذِّب في مسائل الخبر، بأن يردَّ التصديق، فهذا كافر، أما الرجل الذي لم يمتثل الأمر، فهذا عندهم ليس بكافر..

الآن أغلب الناس في هذا الزمان من مشايخ وجهلة، يعتقدون أن الإيمان فقط هو التصديق، وزادوا على التصديق " زائد القول "، هؤلاء زادوا على التصديق " القول "، لماذا زادوا القول؟ هل لإعتبارهم أن القول من الإيمان، أم هو للدلالة على وجود الإيمان الذي هو التصديق في القلب؟ للدلالة..

فهؤلاء زادوا القول لأن التصديق، أمر قلبي ولا يمكن أن نعرفه، فكيف نعرف التصديق القلبي؟ - قالوا - من خلال قول الرجل " لا إله إلا الله محمد رسول الله ".. فليس زائد القول، لأن القول عندهم هو الإيمان، ولكن للدلالة على وجود الإيمان في القلب.

وليس هو عملٌ من أعمال القلب، ولا هو من الإيمان.. فهمتم؟!..

كلمة الإعتقاد، أنا أعتبرها من بدع القول التي إنتشرت في تاريخ أمتنا، لكن نضطر لإستخدامها كثيراً، لأنها صار وَقْعاً معيناً في عقول الناس..

فهؤلاء القوم، لا يرون. إلّا كفراً واحداً، الذي يضاد التصديق وهو التكذيب.

هل يرون الإعراض والتولِّي كفراً؟ لا يرونه كفراً، ولا يرون إلا كفر التكذيب، إذا جاء خبرٌ من عند الله، فرَدَّ الخبر على الله، فهو كافر..

ومن الأخبار التي جاءتنا عن الله، أنه سبحانه واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، فهم لا يرون إلا كفر الربوبية. بحيث لو قال واحدٌ هناك خالقين وهي الظلمة والنور، فهذا كافر عندهم. لكن واحد دَعيٰ

غير الله واستغاث بغير الله مع إعتقاده أنه لا ينفع ولا يضر إلا واحد، فهل هذا كافرٌ عندهم؟ لا. لأنه لم يكذِّب مسائل التصديق. ومسائل الألوهية هي حق الله بالعمل وأرادتنا، التي هي توحيد الله بأفعالنا، فهذا لا يرونه كفراً، يرونه من المعاصي..

الآن سنرى **ماذا أثمرت هذه الأمور في واقعنا من الشر**.. هذا موجود كله في عقول الناس..

لماذا النصارى كفار عندهم؟ فقط لأنهم قالوا المسيح ابن الله، لأنهم نسبوا لله عزوجل ولداً، والأصل أن لا يكون لله ولداً، فهذا كفرٌ في أسماء الله وصفاته أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فالنصارى كفار عندهم، فقط لأنهم قالوا: " ان لله تعالى ولداً ". اليهود لماذا؟ لأنهم قالوا عزير ابن الله، ولماذا كفَّروا المجوس؟ لأنهم قالوا بإلاهين الظلمة والنور، ولماذا كفر مشركوا قريش؟ لأنهم اعتقدوا أن هناك ارباباً غير الله.. لكن القرآن يكذِّب هذا الشيء، القرآن يدلُّ على أن كفار قريش كانوا يعتقدون أنه لا ربَّ في الكون إلا الله، لكن أين كان كفرهم؟ في صرفهم أعمال العبادة لغير الله. كانوا يدعون غير الله مع إعتقادهم أنه لا رب ولا خالق إلا الله. وكانوا يسجدون لغير الله مع إعتقادهم أن الله الإله الأعظم الذي يستحق العبادة والسجود و.. ولكن يسجدون لغير الله ليقربوهم إلى الله زلفي، واسطة بينهم وبين الله. ولذلك مثلاً من دلائل أن هؤلاء القوم - أي: مشركي قريش - كانوا يعتقدون بتوحيد الربوبية ويعتقدون بوجود الله ويعتقدون بقوته وعظمته، انظروا إلى دعاء أو إلى أبيات الشعر التي قالها **عبد المطلب**، جدُّ النبي صلى الله عليه وسلم، عندما جاء **أبرهة الحبشي** من أجل أن يغزو الكعبة، ماذا قال عبدالمطلب؟ عندما ذهب إلى أبرهة، قال له أبرهة: " ماذا تطلب مني "، قال عبدالمطلب: " أيها الملك! إنك قد أصبت لي مالاً عظيماً، فاردده عليَّ "، فقال له **أبرهة**: " لقد أعجبتنى حين رأيتك، ولقد زهدتُ فيك ". قال: " ولم؟ " قال **أبرهة**: " جئتُ إلى بيتٍ هو دينُك ودينُ آبائك، وعصمتُكم، ومنعتُكم؛ لأهدمه، فلم تكلِّمني فيه، وتكلِّمني في مئتي بعير لك "؟! قال عبدالمطلب: " أنا رب هذه الإبل، ولهذا البيت رب سيمنعه.. ". إذن هو يعتقد بوجوب الرب الذي يحمي البيت. فيعتقد بربوبية الله. بل لما رجع من عند أبرهة وتعلق بأستار الكعبة وحِلقها، وقال:

" لاهمَّ إنَّ العبد يمْنَعُ رَحْلَه فامْنَع حِلالك

لا يغلبَنَّ صليبُهم ومِحَالهم غَدْواً مِحَالك ". [٢٧٣]

" لاهمَّ "، يعني اللهم، إذن هو معتقد أنه لن يغلب الصليب، لأن الله أقوى منه، وهو يعتقد أنه ليس هناك قوياً إلا الله، وكل قوة في الدنيا هو مستمدة من الله سبحانه وتعالى.. [٢٧٤]

إذن هذا الكفر الذي يسمى كفر الإعتقاد.. أول كفرٍ وقع في الدنيا، هل هي متعلقة بردِّ خبر السماء أم بردِّ أمر السماء؟ أول كفر وقع ماهو؟ كفر إبليس. هل قال لله، أن هذا خبرٌ لا أصَدِّقه؟ بل كان يعتقد بتعظيم الله ولذلك أقسم لله على أمر أراد أن يوَثِّقه بقوله (**فبعزَّتك**)، فهو مازال يعتقد أن الله عزيز، قال: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) [٢٧٥]. إذن هو مازال يؤمن بعزة الله، ويثبت لله العزة، وكذلك هو يؤمن بيوم الدّين، منها قوله: (أنظرني إلى يوم يبعثون) [٢٧٦]. إذن هو يعتقد بيوم البعث..

إذن قضية تصديق الأخبار، ليست هو أول معصية وقعت في البشرية، بل أول كفر وقع في تاريخ بشريتنا، الكفر الذي وقع من إبليس وهو في مسائل إمتثال الأمر، ولذلك هذه من المسائل التي حاجج فيها أهل السنة أهل البدع، فقالوا: لا، ولكن كفر إبليس هو ردُّ أمر الله لأنه مكذِّب لخبر الله، جعلوا ردّ الأمر، دليلاً على عدم تصديق الخبر. من أين هذا الكلام؟ كل الدلائل التي في القرآن تدل على أن إبليس كان يصدق خبر الله وخبر السماء..

---

[٢٧٣] انظر " السيرة النبوية " لابن هشام، مع شرح أبي ذر الخُشنى (١/ ٨٤ – ٩١). وانظر السيرة النبوية للصلابي (١/ ٤٥ – ٤٦). قال **ابن الأثير** في " النهاية ": " فامنع حِلالك: الحِلال: القوم المقيمون المتجاورون، يريد بهم سكان الحرم " ا ه. ومعنى (لا يغلبن صليبهم..محالك): أي: لا يغلبن مكرهم مكرك. [الزاهر في معاني كلمات الناس **لابن الأنباري ١/ ص١٠**].

[٢٧٤] ومع كل هذا، كان عبدالمطلب على دين الشرك والكفر، ولم يكن مسلماً حنيفاً، والدليل على هذا، حديث وفاة أبي طالب. الذي ذكر فيه، أنأباطالب لم يؤمن وقال في آخر ما قال قبل موته [هو على ملة عبدالمطلب]! فمات مشركاً كافراً!. وهذا يدل على أنّ ملة عبدالمطلب ملة كفر وشرك. [والحديث متفق عليه].

[٢٧٥] ص (٨٢)

[٢٧٦] الاعراف (١٤)

إذن الكفر الذي قاتل عليه الأنبياء الناس، وكفَّر به الأمة، أيُّ كفر؟ هل هو كفر الربوبية أم الألوهية؟ كفر الالوهية، توحيد الله بأفعالنا..

هذه القضايا الإعتقادية المعرفية التي هي جزء من الإيمان ومتعلق بها التصديق، هذه القضايا ليست هي قضايا التي حارب عليها الأنبياء، وليس هي التي من أجلها، جُرِّدت السيوف، ولا من أجلها أقيمت الجنة ولا من أجلها أقيمت النار، إنما التوحيد الذي أقيم من أجله دين الله عزوجل هو مسائل الألوهية، أنت توحيدك لله من خلال إرادتك وعملك، أما أن تثبت لله توحيده أن الله واحد في ذاته، واحد في أسمائه، واحد في صفاته، فليس فقط هذا هو التوحيد الذي مطلوب من الإنسان، بل هو من أجل أن يبَيَن به توحيد الألوهية. يعني الله عزوجل يقول لك: " أنا الذي أمنعك – بمعنى أحميك – فلماذا تتوكل على غيرى "؟ واضح؟! فإذن توحيد الربوبية أُقيم من أجل، أنه دليلٌ لتوحيد الإلهية..، هذه القضية، فهمناها؟..

فلذلك قول هؤلاء الناس، أن الإيمان هو تصديق الخبر فقط، والقول، جعلوه – أهل البدع وأغلبهم من الأشاعرة الذين يقولون بهذا القول –، جعلوا الإيمان فقط هو التصديق والتصديق عندهم هل يزيد وينقص؟ لا، حالة واحدة، ولذلك الإيمان عندهم ما هو؟ هو الإعتقاد الجازم على أمر حقيقي، إذا أصابه الشك فحينئذٍ يكفر المرء.

إذن هل الإيمان عندهم قول وعمل؟ ليس قول وعمل. بل هو التصديق، حتّى لا يجعلون أعمال القلوب من الإيمان، أعمال القلوب التي هي التوكل، الإخبات، الإنابة، ليست من الإيمان، بل هو تصديق خبر الله فقط. والشيء الثاني: أن الإيمان عندهم شعبة واحدة، التصديق عندهم، والشعب لا تتكرَّر، ولذلك عندهم، هل يجوز الإستثناء في الإيمان عندهم؟ لو قال رجلٌ " أنا مؤمن إن شاء الله "، هذا ماهو عندهم؟ هو عندهم شاك في دينه وإيمانه. فلذلك عندهم الإستثناء في الإيمان، كفرٌ..

والغريب، أن الأشاعرة الذين يقولون أن الإيمان هو التصديق ودليل التصديق هو القول، يقولون بالإستثناء في الإيمان!، نحن قلنا سابقاً، أن الأشاعرة جماعة ملفِّقين، جماعة يقولون ما لا يعلمون، ويريدون أن يوفِّقوا، فلفّقوا، فما وفَّقوا!..

فالغريب جداً، الإيمان عندهم التصديق، ومع ذلك يقولون بالإستثناء في الإيمان! كيف؟ طبعاً، **أبوالحسن الأشعري** رحمه الله، كان جاهلاً بحقيقة مذهب أهل السنة في مسائل كثيرة، فمرات كثيرة، يصل إليه حكم من أحكام أهل السنة فيأخذه، من غير أن يعرف كيف نشأ هذا الحكم. ولكن يأخذه ليقرره على عقيدةٍ ما، وعلى طريقةٍ ما، فنظر فوجد أن أهل السنة، جماعة قالوا بالإستثناء في الإيمان، ويقولون " أنا مؤمن إن شاء الله "، هذا هو مذهب أهل السنة. طيب! كيف يستثني وهو يقول الإيمان هو التصديق؟ ولا يجوز أن يتعدد ولا يتشعب؟ فذهب إلى تفسيره، إلى الناحية التالية، قال: الإستثناء في الإيمان، ليس بإعتبار الحال - كما بينّا عند أهل السنة، نحن قلنا عند أهل السنة الإستثناء بإعتبار الحال، أي: هو الآن لا يجزم بأنه مؤمن كامل الإيمان، بسبب أنه لا يستطيع أن يقول: " أنا أتيتُ بجميع مراتب الإيمان الواجب ". وكل الناس يعصون، فهو أيضاً واقعٌ في المعاصي، فهذه المعاصي تُخَلِّفُ عنه الإيمان الواجب (بتمامه وكماله).. صحيح؟، هذا عند أهل السنة والجماعة، إذن هو الآن لا يجزم بإيمانه، - بأن يكون كامل الإيمان، لا بمعنى الشك في أصل الإيمان - فهو يقول " أنا مؤمن الآن إن شاء الله "، وكذلك هو يتمنّى أن يموت على الإيمان إن شاء الله.. هذا عند أهل السنة..

لكن هذا، عند أبوالحسن الأشعري وجماعته الأشاعرة، قالوا، الإيمان نستثني به، والإستثناء للمآل، يعني أنا مؤمنٌ الآن، وأتمنّى أن أكون كذلك مؤمناً عند الموت، فهو يجزم بإيمانه - اى بإيمانه الكامل الآن -، فهمتم هذه القضية؟..

إذن هم يستثنون في الإيمان، الآن مادام الإيمان عندهم التصديق فيما يتعلق بالخبر، فالنهاية، أنهم يرون بأي نوع من أنواع الكفر فقط؟ ضد التصديق، وهو التكذيب فقط، الجحود، فقط. هذا هو الكفر عند أهل البدع. ولذلك هم الذين يشترطون الإعتقاد في أسباب الكفر والأمور الكفري التي تقع بالقول وعمل الجوارح..

هؤلاء، لما كان الإيمان عندهم هو التصديق، فضد الإيمان عندهم - و هو الكفر -، هو ضد التصديق أي: التكذيب، الجحود. لو أن رجلاً قام يعمل من أعمال الكفر التي هي ضد التعظيم التام لله، وضد التبتُّل التام والعبادة والتذلل التام، مثلاً، قام وبصق على كتاب الله، فهل هذا يكفر عندهم؟

هو عندهم في الأصل، لا يكفر، لكن لا يستطيعون أن يقولوا أن هذا الرجل لا يكفر، لا يستطيعون، لأن سيوف أهل الملة كانت عليهم، [٢٧٧] كيف يبصق الرجل على المصحف، وتقول لا يكفر؟! فقالوا: يكفر. لكن هل كفَرَ بهذا العمل – كما عند أهل السنة –؟ لا، هذا عملٌ لا يكفِّر عندهم، لا يكفِّرون بالعمل،. لكن يرون أنّ هذا العمل دليل على عدم وجود التصديق في القلب، فهم يجعلونه ثمراً من ثمار عدم التصديق في القلب، فيُكفِّرون لا بالعمل، ولكن يكفِّرونه بعدم التصديق.، يعني هل يمكن للرجل أن يدوس على لمصحف، ومع ذلك، التصديق موجود في قلبه؟ أي لا يكون كافراً باطنا؟ ممكن..

نحن أهل السنة قلنا، لمّا الرجل داس على المصحف، يكفر باطناً وظاهراً.

هذا التأويل، وهذا التلازم الذي يجعلونه بين إرتكاب عمل من أعمال الكفر عند المرء وبين زوال التصديق في القلب، تلازم غير صحيح وغير مطلق. بل ممكن أن يصدِّق رجلٌ بأن القرآن من عند الله، وأن محمداً رسول الله، والقرآن كلام الله، ويعتقد أنه يجب إحترام القرآن وتوقيره، وممكن بعد ذلك أن يدوس على المصحف!. عامة المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام في هذه الأيام، نرى منهم هذه الأمور! الآن كثير من المنتسبين إلى الإسلام والذين يعتقدون بأن القرآن كلام الله و..، يسبُّون الله عزوجل، ويسبُّون الدين – العياذ بالله –، أمثال هذا، ممكن أن يكون مصدق الله عزوجل بأن الله عظيم ويجب تعظيمه؟ نعم! بل هو كذلك، ويعتقد أنه يجب أن يحترم ويصدِّق الرب. ويعرف ذلك ويصدِّقه ومع ذلك عَمِلَ عَمَلَ كفرٍ. لأنه لم يلتزم بعقد الإلتزام، بل نقضه، لم يلتزم بأن يعَظِّم الرب سبحانه. فهو عندنا – أهل السنة –، يكفر بهذا العمل، وإن لم يكذِّب خبر السماء، ووجدنا في الواقع – كثيراً – من يقوم بعملٍ من أعمال الكفر الأكبر، مع وجود التصديق في القلب..

إذن، المرجئة يقولون بإمكانية أن يكفر المرء ظاهراً، مع إيمانه في الباطن!!

ولذلك يقولون: نحن نحكم عليه في الظاهر أنه كافر ونقتله حداً بحكم الدنيا، لكن ممكن أن يكون في الآخرة في الجنة مع أبي بكر!! – لأنه ممكن أن يكون في الباطن مؤمناً!! –

[٢٧٧] معلوم أن هذا كان في زمنٍ كان فيه أهل الحق وأهل السنة صاحب دولة وشوكة..

ولذلك هم جاؤوا ليخرجوا من هذه الورطة، فقالوا: هناك كفر حقيقي وهناك كفرٌ مجازي!، الكفر الحقيقي هو ضد التصديق والكفر المجازي..

هم الأصل لا يكفِّرون أحداً، ولكن يخافون أن يقولوا هذا صراحتاً، فلا يكفِّرون إلا بإشتراط الإعتقاد، كيف نعرف الإعتقاد؟ قال شيخٌ منهم: (أنا لا أكفِّر أحداً حتّى يصعد على المنبر ويقول للناس " أنا كافر ")! فهمتم هذه؟! ولا يقول أحدٌ أنِّي كافر - إلا ما شاء الله -، بل كان قريش تزعم أنهم أهل الحق وأنهم أتباع ملة ابراهيم، والنبي صلى الله عليه وسلم لمّا سمّاهم كفاراً، إحمرَّت أنوفهم، وغضبوا جداً، وناقشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصموه، بل سمَّوه بالصابئي و..

إذن، هؤلاء الجماعة الذين قالوا " الإيمان هو التصديق "، هؤلاء من أكبر المصائب على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وللأسف، أن عامة المسلمين يقولون بهذا القول ويجعلون أن شرط الكفر، الإعتقاد والجحود. أن يجحد المرء..

لمّا رجلٌ شرَّع وقال للناس - مثلاً - عندي دستورٌ هذا، أن من زنى فإنه يقتل مطلقاً، بعض الناس يظن أن التشريع لمّا يكون أخف من الحكم الشرعي، فحينئذٍ يكفر صاحبه (أي: مشرّعه)، أما أن يكون التشريع أثقل من الحكم الشرعي فلا يكفر، يعني لو جاء رجلٌ وقال،: الحكم عندنا، أن من زني، فقد حلّ لنا أن نقتله في قانوننا ". هذا العمل، ماحكمه في الشريعة، هذا كفر أكبر أم أصغر؟ **هذا كفرٌ أكبر بإجماع أهل الملة**. الإجماع على أن التشريع - في ما يخالف شرع الله - عملٌ من أعمال الكفر الأكبر.[٢٧٨]

الآن، هذا الرجل، حتّى يكون عند أهل البدع كافراً، ماذا يشترطون له؟ أن يستحل التشريع، يشترطون الإستحلال، الذي هو تكذيب الله. أن يقول هو، هذا الأمر حلال، والله تعالى يقول حرام، فيكذِّب الله سبحانه وتعالي. أمّا هذا العمل، فلا يصلح أن يكون مكفِّراً. فلابدّ من شرط الإعتقاد!!

[٢٧٨] انظر " البداية والنهاية " لابن كثير (١٣/ ١١٩) - و " مجموع الفتاوى " لابن تيمية (٨/ ١٠٦) و (٣/ ٢٦٧) - وانظر (رسالة تحكيم القوانين) للشيخ محمد بن ابراهيم آل شيخ.

. الغريب يا إخوتي! أن **محمد بن عبدالوهاب** كان كلّ كتبه وكتب أتباعه وأبنائه ودعوته، كان من أجل تفهيم الناس هذه القضية! إقرأوا كتاب " **كشف الشبهات** "، كتاب صغيرٌ جداً، فقط في هذه القضية، وكتب كثيرة له، من أجل إقامة البيان على أن الإعتقاد – وما يسميه الناس إعتقاداً – ليس شرطاً في الكفر، لأنه حينئذٍ لا يرى إلا كفر الربوبية، ولا يرى كفر توحيد الإلهية..

الغريب! أن هذه القضية هي دعوة الشيخ عليه رحمة الله، ولكن الذين يتسبون لدعوته الآن، هم أبعد الناس عن هذه القضية.. من الذين يَتَسَمَّون بالسلفية وغير ذلك. أو الذين يرفعون هذه الشعارات كذباً وزوراً، هم أبعد الناس عن هذه القضايا ويشترطون الإعتقاد..

*هنا المصيبة! **ماذا جرت هذه القضية على أمتنا من بلايا ومصائب**؟ ماذا جرت؟ أين أثمر؟ هذه القضية يجب أن نُبَيِّنها، هذه هي التي تُعتَبر الفارق الكبير بين منهج أهل السنة والجماعة وبين منهج أهل البدع في الحكم على الأشخاص..

ابن تيمية – عليه رحمة الله – في كتابه " **الصارم المسلول** " [٢٧٩] عندما ناقش بعض أئمة الحنابلة في قضية " سبِّ النبي صلى الله عليه وسلم "، – سب النبي صلى الله عليه وسلم عملٌ من أعمال الكفر الأكبر –، فجاء بعضهم وقال: هذا السب صاحبه كافرٌ لأنه كذَّب رسول الله، أي – عنده – لا يسبُّ أحدٌ رسولَ الله حتّى يكذِّبه..

إعتبر ابن تيمية رحمه الله، شرط الإستحلال للحكم على هذا الرجل – ساب النبي صلى الله عليه وسلم – بالكفر، أنه من قول الجهمية وقول المرجئة..

فهذا شرطٌ باطلٌ في دين الله عزوجل للحكم على الأشخاص..

ماذا أثمرت هذه القضية في واقعنا؟

[٢٧٩] انظر (الصارم المسلول) ص٥١٣.

أولاً: مما أثمرت فيه، **لمّا** إنتشرت هذه المقالة السوء في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فصار المرء يكفي أن يعتبر نفسه مسلماً وهو يعتقد فقط ماجاء به الإسلام، فقط يعتقد، أمّا أن يقوم بالأعمال، فليس هذا شرطاً في الحكم على الرجل بالإسلام والإيمان**!** ولذلك هؤلاء القوم المرجئة، تصوَّروا لنا رجلاً مسلماً ومؤمناً، ولا يقوم بأي عملٍ من أعمال الإيمان، التي هي إمتثال الأمر، وقالوا عنه أنّه مسلم، وهذه النقطة جلَّاها **ابن القيم** رحمه الله في كتابه " **الصلاة** "، رجلٌ إدّعى أنه مسلم. ولم يقم بأي عملٍ من أعمال الإسلام، ماحكمه؟ الكافر. [280] كيف تعرف أن هذا الرجل لا يقوم بأيِّ عملٍ من أعمال الإسلام؟ بالصلاة، فمن ضَيع الصلاة، كان لغيرها أضْيع..

الآن نأتي إلى ثمار هذا القول المنحرف:

فكروا معنا قليلاً، إنتبهوا إلى المصيبة والطامة التي وقعت فيها الأمة..

أولاً: تركوا الأعمال، تركوا دين الله وتصوروا أنه يكفي للرجل أن يكون مسلماً، ذن يصدِّق فقط. من الذي استغلَّ هذا الإنحراف؟..

كلُّ دينٍ في الدنيا، ما يوجد دين في الدنيا أبداً، إلا ويطرح هذه القضايا: وهي: **١** - أن يأتي بأخبار. و**٢** - أن يأتي بأحكام. هذا هو الدين، «دين=يصَدِّق الخبر»، و«دين=يمتثل الأمر». وقد يطلق الدين على الخبر لوحده، وقد يطلق الدين على الحكم، كما سمَّى الله عزوجل: ﴿**ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك**﴾ [281]، هنا كلمة الدين على ماذا أطلقت؟ الحكم، حكم الملك، على تشريع الملك، قضاء وحكم الملك. وقد يطلق الدين على الأخبار ومسائل التصديق. لكن الدين هو الشامل للأمرين.

الآن، كل دينٍ في الدنيا، لابدّ له من أخبار، ولابدّ له من أحكام. الآن نأتي إلى **النصرانية** مثلاً: هل فيها أخبار؟ نعم فيها أخبار، - مثلاً - أنه يجب أن يصدِّق أن المسيح (ابن الله، أو هو الله، على خلاف

---

[280] راجع كتاب (**تنبيه الغافلين إلى إجماع المسلمين على أن ترك جنس العمل كفر في الدين**). للشيخ (حمدبن عتيق النجدي) رحمه الله.

[281] يوسف (٧٦).

بينهم)، ويجب أن يعتقد – على خلاف بينهم – هل هناك الجنة والنار، و..، هكذا عندهم أخبار، هل عندها أحكام؟ هل تضع النصرانية تشريعاً معيناً عندهم للأحكام؟ نعم. قاعدتهم: " دع ما لله، لله، وما ليقصر، لقصير "، ففيها قضايا أحكام الدنيوية، كيف تبيع، كيف تزوج و..، هذه متروكة للناس، والنصرانية تسمى ماذا؟ ديناً. في النصرانية، من الذي أعطى الناس حق التشريع في الأحكام؟ من؟ الدين نفسه، النصرانية نفسها، أعطى للناس هذا، وقال للناس: لكم حق أن تُشَرِّعوا، أمّا قضايا الأخبار، – قالت النصرانية – هي حق لي. فهي التي أعطاهم الحق في هذا، وهي التي سلبهم الحق في هذا، إذن هي دينٌ.

و **اليهودية** نفس الشيء..

الشيوعية، هل فيها أخبار؟ نعم، تقول في معتقداتها: " ليس هناك جنةٌ ولا نار، وليس هناك رب ولا خالق " – العياذ بالله –، هذه قضايا أخبارية تطرح. ولمّا جاءت للأحكام، هل وضعت للناس تشريعات؟ نعم. الإقتصاد لها فيه أسلوب معين، والسياسة لها أسلوب معين، والإجتماع، راجع نظرات **ماركس** و**لينين**، تجد أن هناك قانون ونظام إجتماعي معين، وضعوه، والنظام الإقتصادي، نظام إشتراكي..

إذن إخواني! الشيوعية أيضاً، تحمل أخباراً وأحكاماً، إذن هي دين..

فهمنا ما معنى الدين الآن؟..

الآن نأتي: المسلمون يعتبرون أن الدين فقط هو الأخبار، المسلمون المبتدعون، وهم عامة أهل الملة بعد القرون المفضلة وبعد غلبة الأشاعرة، للأسف، بعد أن جاء أعمدة كبار، نشروا الفكر الإرجائي، على رأسهم " **الجويني**، **الغزالي**، **الرازى** "، هؤلاء الكتل الكبيرة من الأئمة..، ليس الآن مكان ذكر كيف تم هذا الأمر..

الآن ما معنى المتدين والمتدينين عند أهل الملة؟ رجلٌ يصدِّق. يعني يقول أن القرآن حقٌ. هذا هو المتدين عند أهل الملة!

حتّى صاروا الآن، يميزون بين المؤمن والملحد - أو الكافر -، بأي قضية؟ فقط بأن هذا يعترف بوجود الله وهذا لا يعترف**!!** الآن في هذا الزمان يعتبرون هذا مؤمناً وهذا كافراً..، مَن المؤمن؟ فقط الذي يقول: أن الله موجود**!**، ولذلك الآن، " **إسحاق نيوتن** " عند هؤلاء، مؤمن**!!**..

وهذه مصيبةٌ لا نقولها جزافاً، " **أبوبكر الجزائري** "، في كتابه " عقيدة المسلم "، وقع في مثل هذه المصيبة.. وهو رجل يعتبر عند بعض السلفيين، " إماماً ". حتّى الشيخ " **عبدالمجيد الزنداني** "؛ عندما يتكلم عن الإيمان، يتكلم عنه بأي مفهوم؟ كتابُه، حتّى إسم كتابه المنتشر (**توحيد الخالق**)، على ماذا يتكلم في " توحيد الخالق "، فقط إثبات وجود الله، وإثبات أسماء الله وصفاته، فقط، ولا يتكلم عن توحيد الخالق، وهو توحيد أفعالنا لله عزوجل، لا يتكلم أننا لا نعبد إلا الله و..؛ **لمّا** لا يفهم هذا المرء هذه المسائل، يقع في الطامة الكبيرة بعد ذلك كما ترون، مع إحترامنا لألقاب وعظمة هؤلاء الذين ذكرناهم، لكن " **الحقُّ أحَقُّ أن يتَّبَع** "..

الأمَّة **لمّا** تتصوَّر " فلان متدين "، فقط يدخِلُ فيه الأخبار، ويزيد قليلاً وهي أعمال النسك. للبركة، لأنّها حقٌ الله، لأن الله واحدٌ في أسمائه وصفاته وذاته، فحقه أن يعْبَد، بمفهوم ماذا؟ النسك، أن نصلِّي، أن نصوم..، أعمال النسك، أن يذْكر الله، ومسبحته تدور على كرة الأرضية!، ولحيته يصل إلى نصف ساقيه، كثوبه، وهكذا..، الدين عند الناس فقط في هذه الأمور، حتّى لو أن رجلاً عندهم قام وصدَّق بالأخبار ولم يمتثل الأوامر، هذا ما عندهم؟ مسلمٌ مؤمن..

الآن، " **بريتانيا** "، عند هؤلاء المشايخ، ما يكفيها أن تُصْبح مسلمة؟ ماهو المطلوب منها بأن تفعله حتّى تكون مسلمة؟ فقط صِرْفُ: " الإعتراف بأن القرآن صحيح، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي، والدليل على - إتيانه بهذا الاعتراف - أن تقول: " لا إله إلا الله محمد رسول الله ". خلاص! فما بقي مشكلة بيننا وبينهم، والأمر إنتهي،! أمّا أنْ تُغَير نظام إقتصادها، وتغير نظام السياسة، وتغير نظام الإجتماع، فلا، ولا دخل لهذا في الدين!..، الآن، ما الفرق بين " **بريتانيا** " و " **المملكة العربية السعودية** "؟ ما الفرق؟ لا فرق، لا يوجد فرقٌ في نظام الحياة، القيم الحياة العظمى التي تحكم المجتمع ماهي الفرق؟ لا فرق..

بين بريتانيا وبين مصر، ما الفرق؟ فقط هؤلاء الجماعة..، هذا الخبيث - يقول: دين الدولة الرسمي هو الإسلام، وما مفهوم الدين عندهم؟ أنه أن القرآن حق، ونحن جماعة نصدِّق بأن القرآن حقٌ، ولا نقول - كما يقول النصارى - أن محمداً صلى الله عليه وسلم مفتري كذاب..، وفي الواقع والعمل، لا فرق بينهم وبينهم..، فهمتم خطورة هذه المسألة؟.

الآن المسلمون، لما وقعت بهم هذه المصيبة، صاروا يجعلون الكفر - الذي هو ضد التدين الإسلامى عندهم - هو من أتى بأخبارٍ مناقضة عن أخبار القرآن والسنة، فقط، أما رَجُلٌ جاء بأوامر وتشريعات ودين متعلق بالأحكام، بالولاء والبراء، بالقضاء والتشريع، مخالفٍ لأحكام القرآن، فليس هذا عندهم بكافر. إذن هم **لمّا** يقولون عن جماعةٍ " كفار "، ينظرون لأيِّ شيء؟ فقط الأخبار، الآن، النصرانية، هل عند المسلمين كفر؟ لماذا يقولون بكفرها؟ لأنها فقط..، الأخبار..، أمّا قضية (ما للقصير للقيصر، وما لله لله)، هذه يقولها " **سيد طنطاوي** " أيضاً، وليس بها باس!!

الآن، نأتي إلى الشيوعية، الشيوعية هل تقول للناس عندي أخبار مناقضة لأخبار القرآن والسنة؟ نعم. ولذلك هم - أي المرجئة، سريعاً جداً مع غبائم الشديد - إكتشفوا أن الشيوعية كفرٌ، يعني - مع غبائهم الكبير - لماذا؟ لأنها متعلقة بالأخبار لأنهم ينكرون وجود الله والقيامة و..، لو واحدٌ جاء وقال، ليس هناك جنة ولا نار، هذا كافرٌ عندهم..، ولو واحدٌ جاء وقال لهم: طيب! نحن قضايا الأخبار لا دخل لنا فيها، ولا ننكرها، نحن نريد فقط أن نضع النظام الإشتراكي، هل هذا كافرٌ عندهم؟ لا. ولذلك يقولون هذا مسلمٌ إشتراكي! وهذا، موجود، وواقع، نراه في أرض الواقع..

فلذلك، الشيوعيون أدركوا خطأهم، فجاؤوا في عملية " **إعادة البناء=البروستريكا** "، ليلحقوا بركب فرقة أخرى التي هي أثمرت في بلاد المتدينين الأغبياء الذين هم المسلمون (من أهل البدع)، وهي فرقة " العلمانية "..

الآن الشيوعية تطرح نفسها - فيما أعتبره بما يسَمَّى " إعادة البناء " - من خِلال عقيدة القوم، أنه إمرار الشيوعية من خِلال عقيدة القوم (المسلمين)، بحيث لا يناقض عقيدتهم، لا يقول - مثلاً: القرآن كذبٌ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس نبي و..، لا يطرحون هذه القضايا، لكن الإشتراكية تمشي، من

غير مناقضة لعقائد هؤلاء الناس، هذا هو إعادة البناء – في الحقيقة –، وهذا صرَّح به أكثر من خنزيرٍ من خنازيرهم،..

الشيوعية فشلت لأنها جماعة جاءت تطرح ديناً عند الأمة – الدين، بالمفهوم الذي عند الأمة –، لكن العلمانية، لا تطرح ما يتصور ديناً عند أهل الملة، لا..

العلمانية طبعاً، هي اللادينية. تقول: نحن في مسائل الأخبار لا نتدخل، أنت لك أن تقول " محمد رسول الله "، أنت حرٌ أن تقول: " أنت لا ديني "، أنت حرٌ، أن تقول " قرآن كلام الله "، أنت حرٌ..، هذا لادخل لنا فيه، الجنة والنار والغيب والملائكة والجن و..، هذا كلامٌ لا نتدخل فيه، كن كما شئت في هذه المسائل، و – تقول العلمانية – أُعطوهم هامشاً فيه مسائل النسك، لك أن تعبد الله وتصلي في المسجد و..

فهم قالوا: في مسائل الأخبار لا نتدخل، نحن نظامنا في هذه القضايا الثلاث التي هي: أحكام: **أولاً**: الإقتصادية. **ثانياً**: السياسية **وثالثاً**: الإجتماعية.

إذن العلمانية في الحقيقة، هي إفراز للنصرانية، لأن النصرانية تضع الأخبار ولا تتدخل في قضايا الأحكام وتتركها للناس، إفعلوا ما شئتم، نظِّموا حياتكم كما تريدون، بالمسألة التي تُعجِبُكم وتكتشفونها!، لها بعض الأحكام الخاصة، لكن لا تؤثر على المسيرة العامة في أساس نظرة " مَن له حقُّ إعطاء الأمر "..

إذن العلمانية – وهي اللادينية – قالت للناس: نحن مسائل الأخبار لا نتدخل فيها، بيننا وبينكم الأحكام، **لمّا** يأتي مَن يضع النظام الإقتصادي، لابدّ أن يرجع إلى قضايا معينة فيها، " الإقتصادية "، قالوا: النظام الحاكم فيها – أي في الأمور الإقتصادية – وهو " الرأسمالية " في العلمانية؛ و " السياسية " ما هي؟ الديمقراطية. و " الإجتماعية "، ماهي؟ الذي يسميها " الحريةالإجتماعية = الليبرالية "..، مفهوم هذه القضية؟..

والمسلمون المغفَّلون، عندهم الكفر ماهو؟ المتعلق بالتصديق. فجاءت جماعة العلمانيين وقالت لهم: لأن الإيمان عندكم متعلق بالتصديق، إذن أنتم مؤمنون والقضايا الأخرى ليست من الإيمان، هذه لا تضر إيمانكم!، فنحن نتدخل فيها..

في النتيجة، الأمة من خلال فكر الإرجاء الذي يرى الإيمان هو التصديق، ولا يرى الإيمان هو الإمتثال، لمّا جاءتهم الشيوعية، قالوا بأنها كفر. لكن عندما جاءت العلمانية، رجلٌ يقول أنا علماني، ويمكن أن يصلي ويسجد ويقرأ القرآن ويمكن أن يذهب إلى العمرة وأن يطلق لحيته..، فيقول المسلم، كيف أكفِّر هذا الرجل؟ وبعد ذلك يقول هذا العلماني؛ أنا مسلم، والقرآن حق وهو دستور الأمة. – طبعاً دستور الأمة بأي مفهوم؟ بمفهوم إعطاء الأخبار، أمّا دستور الأمة الذي يقول: " إجلس، أركض، أقتل، جاهد، عادى الكفار، أنصر أولياء المجاهدين و..، فهذه القضايا كلها تحت قدمه أضاعها –؛..

فلذلك العلمانيون ليسوا كفاراً عند هؤلاء المسلمين، بل هم مسلمون لأنهم لا يتدخلون في قضايا الأخبار..

بأيِّ بيئةٍ نجحت العلمانية؟ مع أيِّ فكرٍ؟ مع الفكر الإرجائي. فلذلك الآن، صار سهلاً جداً، ونسمع صباح مساء: " مسلم ديموقراطي "!، " مسلم رأس مالي "!، " مسلم ليبرالي "!، و...، وبعد ذلك، لا يجوز لأحد أن ينازعه في هذه القضايا، هذا، هو الواقع الذي نعيشه وأثمره الفكر الإرجائي، مع إستغلاله من جانب العلمانية..

فلذلك، فكر الإرجاء، كان هو التربة الطيبة التي أفرزت أو التي جنت العلمانية الكافرة منها العسل. والآن، عند المسلمين، الصعب جداً أن يكفِّروا واحداً علمانياً..، المصيبة، ديموقراطي، وكافر؟!..

بل، حتّى والله يا إخوتي، والله قابلت مشايخ يرفعون راية السلف وينتسبون للسلفية، ولا يكفِّرون الشيوعية، نعم!..، يقول أحدهم – نقول له: الشيوعي كافر، هذا الأصل، – يقول: " لا، ليس كلهم، لا نستطيع أن نجزم أن كل شيوعى كافر "! – لما؟ –.. قال: " والله إني زرت روسية، ورأيت بعض

أحِبَّاء الحزب الشيوعى يصَلُّون "!!.. الآن " البعثية " نفس الشيء، وهكذا.. فصار " مسلم بعثي "، مسلم علماني!!. هذه قضية غير مهمة لديهم..

هذا ما أفرزه قضية " الإيمان هو التصديق "، وكما ترون، الطامة كبيرةٌ والمصيبة عظيمةٌ. متى يكفِّر هؤلاء القوم علمانياً؟ حتى يصعد على المنبر ويقف ويقول: " الإسلام لا يصح، الإسلام غلط، الإسلام جهل وتخلف "، حينئذٍ يكفرونه. بل بعضهم لا يكفرونه، يقول: يمكن هو يقصد المسلمين لا الإسلام!!

يعني، هناك بعض الناس يقول: " والله لا أريد أن أسلم "؛ والمشايخ يقولون: " كيف؟ بل أنت مسلم "! يقول: " يا جماعة! أنا ما أريد أن أسلم "! يقول المشايخ: " لا لا لا، أنت مسلم "!..، نعم! والله وصل الأمر إلى هذه الدرجة! والله حُكام ديارنا، بملأ أفواههم وحركاتهم وأعمالهم يصيحون ليل نهار: " والله نبغض الإسلام، والله لا نريد محمداً، ولا جيش محمد، وإذا جاء محمد بجيشه سنحاكمه "، ومع ذلك، الشيخ يقول: " لا لا لا، والله هذا مسلم "!، هو يقول: " لا أريد الإسلام ". والشيخ يصِرُّ أنه مسلم!!

هذا ما أفرزه فكر الإرجاء في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يؤمنا الآن. الآن للأسف، هذا الفكر المنحرف، لم يجد من المشايخ ما يستحق من أن يهُبُّوا بقوةٍ من أجل مجابهته. لكن إذا يأتي واحد خارجيٌ - أي بفكر الخوارج -، نرى كيف يواجهونه بقوةٍ و..، الآن، هؤلاء جماعة " **شكري مصطفى** " في مصر، كم عددهم؟ ماهو أثرهم؟ " جماعة تكفير والهجرة=جماعة المسلمين "، في مصر، جماعة لا يعدو عددهم مائة، أو خمسين أو ستين، كم من المؤلفات أُلّفت عليهم، كم من الخطب قامت ضدهم، كم من الندوات، كم من المشايخ تكلموا والصحف والإعلام.. كأن الدنيا..، فقط، إذا كان واحد من الخوارج.، أمّا تسع أعشار الأمة من المرجئة، ولا تجد كلمة واحدة! لا تجد!.، ولذلك، الحقيقة، لا نخاف من فكر الخوارج، لا نخاف، الخوارج لم يكونوا يوماً من الأيام طامة كبيرةً، لكن الطامة تخرج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب فكر الإرجاء، ولذلك صدق **الشعبي** رحمه الله عندما قال: " **المرجئ شرٌّ من الخارجي** ". رجلٌ باسم الإسلام، يدَمِّر الإسلام، ويدَمِّر الأمّة. المرجيء شرٌّ من

الخارجي! لكن لا يوجد أحاديث تقول: " والمرجيء شر من الخوارج "، يوجد أحاديث عن الخوارج، لأنهم أول بدعة ظهرت، لكن الطامة فيمن جاء بعدهم..

هذه القضية، مهمة جداً أن نفهمها، هذا هو الإرجاء بطامته ومصيبته وآثاره على واقع الأمة الإسلامية. الدفاع عن هذا الفكر، كبير جداً، يذهبون إلى بعض الألفاظ **المُوهِمة** في كتب أهل العلم ويلصقونها، فالآن صار تُقَنَّن من خلال فكر أهل السنةِ والجماعة، الإرجاء صار يقَنَّن، تحت دعاويٰ وألفاظ باطلة. مثل: (لا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ مالم يستحله). هذا الكلام، واضح العبارة، وصحيح في موضعه، وهذا الكلام قيل رداً على الخوارج، قالها أهل السنة في الرد على الخوارج، ولذلك إضطر العلماء المتأخرين، أن يقولوا بضابطٍ بعدها كما صنعها **ابن تيمية** رحمه الله، قالوا: " ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ مطلقاً "، أي: " بأيِّ ذنبٍ "، لأن الخوارج قال: «أيُّ ذنبٍ يكفِّر». لكن نحن عندنا هناك ذنوبٌ مكفرة وهناك ذنوب غير مكفرة.

هذه القضية علينا إن شاءالله أن نفهمها ونستوعبها، ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بها..

مرجئة الفقهاء:

مرجئة الفقهاء هي أول فكر إرجائي ظهر في الأمة، لا أريد أن أستغرق فيه، لأن الكلام عليه يطول، أول هذا الفكر ظهر من رجلٍ وهو شيخ وأستاذ الإمام أبي حنيفة رحمه الله، إسمه **" حماد بن أبي سليمان "**، وتلميذه **أبوحنيفة**. هؤلاء قالوا: «الإيمان هو عمل القلب وقول اللسان». - بماذا يتفاضل الناس؟ - بالأعمال، وللأسف، متن العقيدة الطحاوية من هذا الفكر، - والآن لا أريد أن أُفَصِّل كثيراً -. إذن الناس عندهم يتساوون، لأن عمل القلب وقول اللسان مرتبة واحدة، والتفاضل يكون بالأعمال، مراتب الجنة بالأعمال. لكن أصل الإيمان في الناس واحد..

بعض أهل السنة جاؤوا وقالوا: أن هذا الخلاف بين أهل السنة وبين هؤلاء في الموضوع الذي ذكرناه، خلاف لفظي[٢٨٢]. لكن الحقيقة أنه ليس لفظياً، نستطيع أن نقول: الخلاف لفظي إذا كانت ثمار القولين واحدة، لكن ثمار القولين ليس واحدة، ثمار هذا القول غير ثمار قول أهل السنة والجماعة، وأثر هذا القول غير أثر قول أهل السنة والجماعة..

على قول مرجئة الفقهاء، واحد يسُبُّ الدين، هل هو كافر عندهم؟ هو كافرٌ. لكن هل كفَرَ بهذا العمل أم كفر لأنه إنتقض عمل القلب؟ كفر لأنه إنتقض عمل القلب. هذا واحد، والشيء الثاني: عند هؤلاء القوم، لو أن رجلاً ترك جميع الأعمال فهل يضر إيمانه؟ إنما يذهب التفاوت..

فلذلك، آثار هذا القول في الحقيقة، هي نفس، أو قريبةٌ جداً من آثار قول المرجئة الآخرين، لكن هؤلاء القوم، كانوا يهتمون كثيراً بموضوع العمل. يعني ليس كما قَصَّر المتأخرون من المرجئة. المرجئة صار يترك كثيراً من الأعمال، لكنَّ هؤلاء في الأعمال مثل أهل السنة، حالهم حال أهل السنة في إقبالهم على الطاعات وتركهم المعاصي. بل وَجَدنا شيئاً آخر، **لمّا** كان هؤلاء القوم وهم الأحناف، مُتَّهمين بالإرجاء – وهذا حق –، فتوسَّعوا في باب التكفير والمكفِّرات، لرد هذه التهمة، ولذلك، **أَوسَعُ الناس في باب المكفِّرات، هم الحنفية**. لماذا؟ ربما يكون سبب هذا، حتّى ينفوا عن أنفسهم تهمة الارجاء. والله اعلم.

والكلام فيهم يطول، ومن أراد التوسع يجدها في كتبهم..

يكفينا إلى هنا، ونسأل الله عزوجل أن نكون قد وُفِّقنا في شرح مبادئ أهل السنة والجماعة ومفاهيمهم في هذا الموضوع المهم جداً، وشيئاً يسيراً من فرق أهل البدع، حتّى تحذروا منهم ولا تقعوا في أخطائهم إن شاء الله.

[٢٨٢] انظر (مجموع الفتاوي، لابن تيمية ٧/ ٣٩٤).

معركة المجددين في التاريخ الإسلامي، مع خصومهم:

لكي يستقر الأمر في أذهاننا على المعاني الذي سقناها بالنسبة للتوحيد عند أهل السنة والجماعة، التوحيد الذي بعث به الأنبياء، وقاتلوا الناس عليه، وهو مناط دخول الجنة إذا تحقق العبد فيه، وهو كذلك مناط دخول النار إذا أعرض العبد عنه بسببٍ من الأسباب ونريد أن أُقَدِّم مقدمة مهمة في هذا الموضوع وهو أساس دعوة الأنبياء، وبعد ذلك أساس معركة المجددين في التاريخ الإسلامي.

بلا شك، نحن نؤمن بأن التجديد يحفظ في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، [٢٨٣] لأن الله عزوجل ختم الأنبياء بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، فلا نبي بعده، ولا رسول، وكان فيمن كان قبلنا، قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، كلّما هلك نبي، بعث الله نبياً غيره، إمّا ليجَدِّد معالم الدين الذي أُنْدُرِس، وإمّا ليقود الأمة على الدين الذي ورثه من الأنبياء السابقين؛ يعني كان دور النبي، ليس فقط دور الإرشاد والتعليم لدينٍ جديدٍ، أو لإحياء دين ثاني ودين جديد، وإنما كذلك دور الأنبياء هو سياسة الناس، كما في الحديث الصحيح:) **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي..**) الحديث. [٢٨٤] فإذن الأنبياء السابقين لم يكونوا فقط يأتوا بدينٍ يعَلِّموه الناس، ولكن يسوس الناس على شريعة هذا الدين الذي جاؤوا به. إذن هذا هو دور النبي، " **دعوة وتبليغ وهداية، وكذلك قيادة لهؤلاء التابعين** ".

ومحمد صلى الله عليه وسلم، خُتِمَت به رسالات السماء، والأمة لابدّ أن تَنْحَطَّ، كما إنحطَّت الأمم السابقة. ولكن منع الله هذه الأمة أن يطْبق عليه الشرك من جميع أقطارها، كما كان يطبق الشرك على الأمم السابقة. والله عزوجل برحمته حفظ هذا الدين وحفظ أصوله، التي هي (القرآن والسنة). قال

---

[٢٨٣] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنةٍ من يجدد لها دينها** ". [رواه أبو داود (٣٧٤٠).. والطبراني والحاكم والبيهقي. وهو حديث صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٩٩)].

[٢٨٤] متفق عليه.

تعالي): إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). [٢٨٥] و " الذكر " كما تعلمون، ليس فقط القرآن، ولكنه كذلك " السنة "، **فالسنة محفوظة كما القرآن محفوظ.**

هذه الأمة إنحطَّت، وسيصيبها ما أصاب الأمم السابقة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تقوم الساعة حتّى تَضْطَرِب ألَياتُ نساءِ دَوْس حول ذي الخَلصة)** [٢٨٦]. و " ذو الخلصة " كانت صنماً تعبدها قبيلة " دوس " في الجاهلية. هذا يعني عودة الشرك. وكذلك حديث **ثوبان** رضي الله عنه: (.. **وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**).. [٢٨٧]

فهذه الأمة يقع فيها الشرك، مثل ما وقع في الأمم السابقة، وليست مُبَرَّءة من الشرك. بعض الناس يظنُّ أنّ مجرَّد الإنتساب لمحمد صلى الله عليه وسلم، هو المانع من أن يلحق بهذا المنتسب بعض الشرك أو الشرك الأكبر، وأنتم تعلمون أن أوَّل مصيبةٍ وقعت في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، هي حركة الردة العظميٰ عن الإسلام – أي عن كل الإسلام –، وبعضها ردة عن النبوة (عن توحيد الإتباع)، وبعضها عن بعض شرائع الإسلام، وهكذا.

فالردة حصلت وما زالت الردة تقع، في كل زمان. والأنبياء قد انقطعوا، فلابدّ من التجديد. ولذلك **التجديد هو إقامة مقام الأنبياء السابقين.** المجددون يقومون مقام الأنبياء السابقين، مِن تجديد معالم الدين التي اندرست وانطسمت بفعل العوامل، عوامل كثيرة تؤدِّي إلى إندسار الدين وإنطماسه وإندراسه..

الذي نريد أن نبين في هذا المقام: " ماهي معركة المجدين؟ وعلى ماذا كانت تدور حركة التجديد في كل عصر "؟

---

[٢٨٥] الحجر (٩).

[٢٨٦] متفق عليه [رواه البخارى في " باب تغيير الزمان حتّى تعبد الاوثان " رقم (٦٥٨٣).. ورواه مسلم في صحيحه باب " لا تقوم الساعة " حتّى تعبد دوس ذا الخلصة ". رقم (٥١٧٣)].

[٢٨٧] رواه أبو داوود (٣٧١٠)، والترمذي (٢١٤٥) وقال: " حسن صحيح ". ورواه أحمد (٢٢٤٤٨) و..، وهو حديث صحيح. وصححه الأرناؤوط والألباني.

بعض الناس يظن أن حركة التجديد في أساسها، تقوم مثلاً لإحياء المسائل الفقهية، فيأتي المجدد إلى الفقه، مجدداً معالمه، حيث يقوم بدراسة الفقه دراسة جديدة على خلاف السابقين، فيظن أن هذا، هو التجديد، أو يظن أن التجديد، - كما يظن بعضهم - هو التجديد الروحي، الإحياء القلبي، بإنشاء الخلايا والزوايا والتكايا الصوفية. وبعضهم يظن التجديد؛ هو التجديد للأفكار، وهكذا..، لكن مادام قلنا أنَّ حركة التجديد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم يتشابه حركة بعث النبوة في الأمم السابقة، فما هي دعوة الأنبياء في الأمم السابقين؟ هي دعوة التوحيد. إذن **حركة التجديد في أمتنا، هي حركة إحياء التوحيد،** هذه نقطة مهمةٌ، ولذلك جميع المجددين في أمة محمد صلى الله عليه وسلم كانت خصوماتهم مع أقوامهم وأزمانهم وحكوماتهم وشعوبهم وأعداءهم، هي خصومات على مدار التوحيد. لأن " الطاغوت " يتجدَّد في الناس، والتوحيد يندرس. والإنتساب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لابدّ أن يقَنِّن له الطاغوت - من قِبَلِ إبليس وجيشه - بصورة تُلائم بعض المتشابه في دين محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه نقطةٌ لابدّ أن نفهمها. وهي أنه لا يستطيع الرجل المنتسب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يعَلِّم الناس طاغوتاً، أو أن يفرِض لهم ديناً شركياً جديداً، إلا من خلال النص - المزعوم - أو من خلال فهمٍ منكوسٍ لبعض متشابهات الشريعة. لأنه لا يستطيع أن يقول لهم أكفروا، وتعالوا لنترك دين محمد صلى الله عليه وسلم، تعالوا نُدَمِّر الإسلام ". ويوجَد بعض الطوائف المشركة كالقرامطة والإسماعيلية والباطنية وحركة الزندقة وهكذا.. بعض الفِرَق التي أرادت أن تُدَمِّر الإسلام وأن تَطْمِسه كلياً وتدعوا إلى نبوة جديدةٍ وألوهيةٍ جديدةٍ لغير الله سبحانه وتعالي، وعلى غير شريعة الإسلام. لكن هؤلاء أمرهم ظاهر ومكشوف للأمة، ولم تكن مشكلة طردهم وفضحهم وردهم، كبيرة، بالنسبة إلى العلماء، لأنهم أعلنوا أنهم بُرَءاءٌ من الإسلام، وأنهم يريدون أن يتبعوا ديناً غير دين الأسلام، ويتَّبعوا رسولاً غير رسول الإسلام..، فالمشكلة والطامة الكبيرة فيمن يأخذ النصوص والمتشابهات ويستخدمها في أمورٍ ككفر دون كفر و..، فكان دور العلماء المجددين في تاريخنا، هو إحياء التوحيد بمعالمه التي تَطْمِسُ وبنورها الذي يضيء ظلمات الشرك، التي أُحْيي من داخل النص المبارك، هذه هي حركة التجديد..

يظهر طاغوتٌ في مسألةٍ من مسائل التوحيد ويريد أن يطْمِس هذا الجنس - أو هذا الجزء - من التوحيد، - ونعلم أن يسير الشرك شرك، ويسير الكفر كفرٌ، لأن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً، والخالص يعني الصافي، لا شية فيه، والله عزوجل أغنَى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل أن يشرك معه أحد -، فيأتي هذا الطاغوت ويأخذ من داخل النص بعض العبودية لنفسه..، فحركة التجديد ماذا تصنع؟ لابدّ أن تبين أنّ هذه العبودية، هي حق خالص لله، وينبغي أن لا تصرف إلا لله، وأن هذا شرك، وصرف هذه العبودية لغير الله شرك. هذه هي حركة التجديد، وحركة التوحيد..

لنضرب أمثلة يسيرة من حركات التجديد التي تمت في أزماننا، أو في الأزمان السابقة من أزمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم..

بلا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم، هو أول مجدد لمعالم التوحيد التي اندرست بالنسبة للأمم السابقين، وكان الناس، العرب، يزعمون النسبة لإبراهيم عليه السلام؛ العرب من قريش والعرب في الجزيرة، كان ينتسب إلى ملة دبراهيم وينتسب إلى دين ابراهيم ويقول " نحن أولى الناس فيه، وهذه الكعبة بين أيدينا، ونحن أوليائها ونحن أهلها وسادتها ونحن أتباع ابراهيم، ويدَّعون أن كل ما يأتون به فهو من دين إبراهيم ". ولم يكونوا يقولون: " هذه عبادة لغير الله "، فيما كانوا يقومون به من أعمال الشرك، كانوا يقولون نحن نتخذ الأصنام وسائط وشفعاء عند الله. فيصرفون إليها النذور والدعاء، ويصرفون إليها الإلتجاء، والذبائح، ويصرفون إليها الخوف والرجاء، الذي لا ينبغي إلا لله عزوجل، ويقولون أن كل ما نأتي به هو من ملة إبراهيم. ولذلك لمّا دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد فتح مكة، وجد في الكعبة صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، ويتقاسمان بالأزلام، وهذا شرك. وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليقول لهم أن هذه الأمور، عبادة، وصرفها لغير الله شرك، وأنّكم كفار ومشركون..، كانوا يقولون نحن أهل الحق - و أن النبي صلى الله عليه وسلم في زعمهم صابئي -، بل كانوا - كما موجود في بعض النصوص - فكانوا يظنون أنهم أقرب إلى الله من النبي صلى الله عليه

وسلم، كما قال **أبوجهل** في غزوة بدر، أول الغزوة: (اللّهم انصر أولَى الطائفتين بالحق، اللهم انصر أوصلنا للرحم) [٢٨٨]..

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء بالتوحيد حتّى ظهرت معالمه واستضاء الناس بنوره، وطمست أعلام الشرك، وكشفت غياهب الضلال والشرك التي كانت غالبة على العالم؛ وبلا شك أن كفار قريش، كشف الله حُجَجهم الشركية وبينها، وما من حجة يأتي بها الناس لأمرٍ لطمس التوحيد وإعلاء الشرك، إلا وفي القرآن ما يرُدُّ عليه ويبَين أمره ويكشف ضلالَه من داخِل القرآن بالنص والجلاء، بالنصوص المحكمة البينة الواضحة الجلية..

نحن بينَّا أن التوحيد – الذي جاء به الأنبياء – هو صفة إستحقاق وليس صفة ذات..

بعد ذلك، الأمة بصفاء السنة وصفاء الفطرة والعقيدة، وصفاء التوحيد، كانت قوية في عدم قبول أي دخن يطمس هذا التوحيد.. لكن الشيطان أتى إليهم بألاعيب..

أول مصيبة – بلا شك –، قامت حركة الردة، وقام أبوبكر رضي الله عنه، ومعركة أبي بكر رضي الله عنه مع المرتدين هي معركة ماذا؟ التوحيد..

ثم جاءت الأمة ورَبَطَ أن تأخذ من زبالات اليونان وزبالات أهل الكفر، فدخلوا منطق اليوناني على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأدّى بهم إلى أن يقولوا أن القرآن ليس كلام الله، بل هو مخلوق**!!**، وأدّى بهم إلى أن جَرَّدوا ذات الله تعالى عن الصفات، ومئآل أمرهم – كما قال الإمام أحمد رحمه الله – التعطيل المحض، أي: أن يقولوا: ليس في الكون إلهٌ، وهو الذي أدّى إلى القول بوحدة الوجود..

٢٨٨ روى الإمام أحمد رحمه لله في المسند: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: " اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا الرَّحِمَ وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ–أي أهلكه –، فَكَانَ الْمُسْتَفْتِحَ». [مسندأحمد (٢٣٧١٠) قال الأرناؤوط: **حديث صحيح**]. وانظر تفسير آية (١٩) من سورة الأنفال من تفسير ابن كثير.

فكان من إحدى الحركات **التجديد الظاهرة البينة، هي فعل الإمام أحمد؛ ومعركته مع الناس على أمرين: الأمر الأول: توحيد الله** بالعبادة.. **والأمر الثاني**: توحيد مصدر التلقي. هذه هي معركة الإمام أحمد. قال للناس: أن هذا شرك وكفر، وجادل الناس عليها..

لم تكن حركة الإمام أحمد تجديداً في مسائل الفقه. لم تكن حركة الإمام أحمد التجديدية في مسألة من مسائل الفروع، ليحارب الناس – مثلاً –: " أنني أقول أن الطلاق هو كذا، وليس كما يقوله الناس "..، ليست هذه حركته التي سُجِن وعُذِّب من أجله وجادل الناس عليها. رحمه الله..

حركة الإمام أحمد التجديدية، هي ردُّ ما إستأثر الله به، من دون خلقه، إلى الله، وما أراد المشركون في ذلك الوقت أن يحرموا الرب عزوجل من هذا الحق. وهو صفاتٌ وأسماء له، والمعركة هذه، كانت واضحة وبينة، أنه حارب الناس وحفظ الله به زوال الدين، بأن بين للناس هذا الحق الذي ينبغي أن ينسَب إلى الله، ولا يسْلَب منه، لان هذا السلب، هو شرك وكفرٌ..

و ثُم الأمر الآخر – في معركته رحمه الله –، منع المناهج الباطلة في الإستدلال على الحق، وهو الذي إنتشر في ذلك الزمان، الذي يسمَّى بعلم الكلام. وظَنُّوا أن علم الكلام، هو منهج صوابٌ في الإستدلال به على الحق ومعرفة الصواب. وكانت الحرب طاحنةً، نصر الله عزوجل به، أهل السنة على غيره..

وكذلك، فإن الحركات التجديد، يدل على أن هذه الحركات كلها حركات على معركة التوحيد، وليدل على أن القائل بأن [الأمة تفهم التوحيد في أي طور، ولا ينبغي أن تجدد هذه المعالم]. هو ضالٌّ ومنحرفٌ ولا يعرف التوحيد. وسيتين لنا من كلام الأئمة أن «الذي لا يخاف على الأمة الشرك فهو في الأساس، لا يعرف ماهو التوحيد». الرجل الذي لا يخاف على الأمة أن تقع في الشرك، هو الرجل الذي لا يعرف ما هو التوحيد. كما قال الإمام **عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب،** قال – في كتابه **فتح المجيد** –: " الذي لا يخاف على نفسه النفاق، هو الذي لا يعرف ماهو التوحيد، واالذي لا يخاف الشرك على الناس، لا يعرف ماهو التوحيد " اه.

ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون النفاق على أنفسهم[289]..

ثم الحركة الثانية التي بين أيدينا، هي **حركة ابن تيمية** رحمه الله؛ ابن تيمية وإن حاول أعداؤه أن يصوِّروا أن خصومته مع خصومه كانت في مسائل فقهية، مثل الطلاق الثلاثة وغيره، لكن الحقيقة، أن معركة الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله - **أحمد الثاني** -، هي معركة التوحيد، وصرحت في غير موضع: " أن الأمة جهلت معنى الطاغوت وجهلت معنى التوحيد، وجهلت معنى (لا إله إلا الله) "، وبين ما وقع فيه الأمة من الشرك في عصره، وبين الشرك، شرك الفلاسفة، وبين شرك الصوفيَّة، وبين شرك المتكلمين، وبين شرك الجهلة من عبادة القبور وغيره، وبين كذلك شرك المتكلمين، وبين شرك الجهلة من عبادة القبور وغيره، وبين كذلك شرك التحاكم الذي قاتل التتار عليه، وهو معركة الدستور بين الموحدين وبين التتار. فمعركته واضحة، هي التوحيد؛ ولذلك أُتُّهِم بما أُتُّهِم به الأنبياء، بأنه يعيب آلهتنا، ويسَفِّه أحلامنا، ويحكم على الناس بالكفر والشرك..

الإمام أحمد بن حنبل، قالوا عنه خصومه، أنه من الخواج**!!**، لأنه رحمه الله قال: الجهمية كفار. كذلك ابن تيمية رحمه الله وصفوه بأنه خارجي ومن الخوارج!..

كذلك كانت معركة ابن تيمية رحمه الله، **معركة التوحيد ومعركة مناهج الإستدلال** - أو دلائل الإستدلال -، الذي هو توحيد الإتباع. لا مناهج فلسفية ولا كلامية ولا منطقية ولا الصوفية الكشفية ولا غيرها، بل النص هو العاصم وهو الحَكم بين اختلاف الناس في الأمور..

وكذلك **حركة محمد بن عبدالوهاب** رحمه الله، كانت المعركة، معركة التوحيد. ما جاء لأن يقول للناس كونوا حنابلة**!**، بعض الناس من الذين ينتسبون إلى حركته يظنون أن المعركة هي بين الحنابلة والحنفية. كما كانوا يظنون يوماً من الأيام أن حركة أحمد بن حنبل، هو يريد أن يجعل الناس حنابلة.

---

٢٨٩ قال ابنُ أبي مُليكة: «**أدركتُ ثلاثين من أصحاب النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - كُلُّهم يخافُ النفاقَ على نفسه**». [ذكره البخارى في صحيحه معلقاً في كتاب الإيمان٣٦: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله].

ولذلك قال بالنص: قال: " ما في يوم من الأيام، لا في كلمة قلتها ولا في خطبة خطبتها، ولا في كلمة كتبتها، أن قلتُ للناس كونوا حنبلياً، أو دعوت إلى مذهب الحنابلة ". هذا كلام الإمام أحمد رحمه الله. بل مرة – رحمه الله – قيل له، لماذا لا تُؤلِّف كتاباً فقهياً، قال: لو أن الرجل تعبد الله على أيِّ مذهب ويسَعه هذا التقليد، فإنّ عبادته صحيحة..

. لم يكن هذه قضيته رحمه الله، بل كان إبتغاؤه مرضاة الله، وكان القضية، قضية " من يريد الإسلام، ومن لا يريده "، قضية " من يعرف الرب على حقيقته أو لا يعرف الرب على حقيقته، من يعبد الله بطريقة شركية ويعبد معه غيره، أو من يعبد الله مخلصاً له الدين "..

. كذلك كان الإمام محمد بن عبدالوهاب..، بعض الناس الآن يطوف، ممن حملوا الدعوة، أو من أتباع الدعوة، يطوف في البلاد ويدعو الناس إلى مذهب الحنبلي ويظن أن هذا، هو دعوة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله..، هكذا صارت المسألة، والصحيح أنها مسألة خطأ، كان دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من أجل بيان التوحيد، ولذلك كان لا يدعو الناس إلى الفقه، لم يكن يدعو الناس أن يصبحوا حنبلياً أو شافعياً أو..، أو كما يزعم بعض الناس يدعوهم إلى مذهب جديدٍ بأن يكونوا سلفياً!..

والجامع لجميع حركات التجديد، هو إحياء التوحيد وإماتة الشرك، وإحياء منهج التلقي ببيان الطرق الباطلة من المعرفية الإشراقية عن طريق الصوفية، أو الكلامية الفلسفية، التي كلُّها يؤدي إلى الشرك في مسائل ما يتعلق بالتوحيد، يعني مناهج الإستدلال في التوحيد وليست مناهج الإستدلال في مسألة فقهية. ولم تكن الخصومة في مسائل أصول الفقه، وإن كانت هذه المسائل تبقى مسائل ينبغي أن تناقش في حدود اختلافات المسلمين والمذاهب بعضهم البعض. المسائل التي يحتمل الخطأ والصواب، وليس ما يحتمل الشرك والكفر..

فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي حلقة من سلسلة حلقات حركة إحياء التوحيد..

الآن، وفي هذا الزمان، ماهي المعركة بين أتباع الأنبياء وبين أتباع الطواغيت؟ ماهو الذي عمّت بليته الأمة؟ معركة السيادة، معركة السلطات التشريعية، معركة " أن سلطة التشريع والحاكمية لمن، لله أم

الطاغوت»؟.. على هذا الأساس نحن نريد أن تكونوا مجددين، وربما يكون المجدد واحداً، أو حركةً أو جماعةً – كما قال النووى رحمه الله –..

الزِّي الجديد والثوب الجديد للطاغوت الآن، هو المشرِّع، والدساتير والقوانين، غير قانون الله عزوجل..

و " **سيد قطب** " هو الذي بدأ حركة التجديد في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله.. و " **أحمد شاكر** " رحمه الله، كان معركته في هذا واضحة، وبين أن معركة اليوم هي هذه المعركة. اما " سيد قطب " عليه رحمة الله كان من أكثر الناس معيشة عندها، وأكثر الناس رؤية لها من خلال النص القرآني، – وهكذا الله سبحانه وتعالى يؤتي فضله من يشاء –، فسيد قطب رحمه الله، هو أعظم من جدَّد معركة التوحيد في هذا العصر إلى الآن..

*وكنا نتمنَّى أن تكون حركة الصحوة التي بعثها الشهيد سيد قطب – عليه رحمة الله – بطريق تفسير التوحيد الذي جلَّ أمره بالنسبة لهذا العصر، هو والإمام محمد بن عبدالوهاب عليه رحمة الله، ثم جل أمر موضوع الحاكمية الإمام الشهيد سيد قطب رحمة الله، وقبله **أبو الاعلى المودودي** – قبل أن ينحرف به السفينة –، كنا نتمنَّى أن يكون هذا الإتجاه قد أخذ أبعاداً حقيقية في صحوة الأمة وإقبالها على الحق، كنا نتمنَّى ذلك، لكن للأسف، أصاب هذه الحركة، – حركة البعث للتوحيد –، أصابها بعض الإنحطاط من داخلها، لأن هناك أسباب قدرية رافقت هذا الأمر، وهناك أسباب – في الحقيقة – شرعية، جعل هذا البعث لم تكتمل مسيرته. من الأسباب الحقيقية التي جعلت هذا الفكر لا ينتشر ولا يقوم على ساقٍ قوية وعلى سوقٍ قادرةٍ على الرد على المخالفين، نعتبر أن جهد – مثلاً " سيد " – كان مع جماعةٍ قد إنتشرت أفكارهم وحملت أفكارهم فكر الإرجاء أو بذرة الإرجاء، كان شغل سيد مع جماعة إخوان المسلمين. وجماعة إخوان المسلمين في أصلها جماعة تحمل بذر الإرجاء، بل بذرة الصوفية!. كان " **حسن البناء** " عليه رحمة الله، صوفياً، فلذلك عودي فكر " سيد " من قبل التيار الذي أراد أن ينبثق معه وبه للإحياء، فلم يستطع أن يفلح في شيءٍ. فمن داخل التيار ومن داخل تيار الإصلاح، أصابه الإحباط..

. كتاب " **نحن دعاة لا قضاة** "، قام بلا شك بالرد على فكر الإحياء والبعث الذي قام به سيد قطب رحمه الله. من قرأ هذا الكتاب، يجد أن هذا الكتاب أُريد به الرد على **سيد قطب** رحمه الله بإحياء معالم التوحيد الحق الذي بَثَّه وخلطه في كتابه " **في ظلال القرآن** " وجمعه في كتابه " **معالم في الطريق** "..

للأسف " أبو الأعلى مودودي " ورثه أقزام، بعد ذلك الذين يسمّون بالجماعة الإسلامية في باكستان، جماعة دخلوا في الديمقراطية، وصاروا حزباً سياسياً و..، فلذلك لم تأخذ هذه الأفكار أبعادها الحق..

معالم الفكر الإرجائي في واقعنا:

معالم الفكر الارجائى في واقعنا، **أولاً**: " **إسباغ الشريعة على الواقع** ". لأنه عند الفكر الإرجائي، مجرد وجود التصديق. هو الإيمان، أما بعد ذلك، الأعمال والممارسات، لا يضر بها إيمان الناس. إذن، – عند هذا الفكر –، الواقع، شرعي على عِظَمِ ما فيه منَ المناقضات للدين والمناقضات للشريعة، فإنّه لا يخرج أن يكون مؤمناً مسلماً!. فلذلك من أَهَمِّ معالم الفكر الإرجائي الحديث، " **أنه يسبغ الشرعية على الواقع التعيس الكافر** ".

ثانياً: **جماعات الفكر الإرجائى تُقَدِّمُ " الإسلام بلا تكاليف** ". إسلامٌ ليس فيه تكاليف!..

فالناس يقبلون على هذا الإسلام الذي يدخلهم الجنة من غير تكاليف، من غير مشقة، لا فيه دِماء، ولا فيه إعلان البراءة، ولا فيه الحركة ولا فيه بغض الكفار والبراءة منهم، ولا فيه القتال والجهاد ولا فيه شيء..

ثالثاً: الرد على الآخرين ونبذهم بوصف الخوارج. وسبّهم وشتمهم بأنهم خوارج..

ولذلك، دائماً، هؤلاء المرجئة في العصر، صدورهم هي التي تتلقَّىٰ السِّهام مِن أهل الحق عن أهل الكفر. يعني هم الذين دائماً يقفون **المُتَتَرَّس** بهم الكفر! دائماً يضعهم الكفر ويحْضُر هؤلاء المشايخ وهذه التنظيمات وهذه الأفكار، لتكون سدّاً أمام الفكر الحق في كشفهم وتَعْرِيتهم..

ولذلك هؤلاء المرجئة في هذا العصر،..، نحن كما قلنا أنّ الخوارج ضُلّال، ونعتقد أنهم كلاب أهل النار، ولكن في الواقع، الواقع المعاصر يثبت أن المرجئة هم الخطر الأكبر على حركات البعث الإسلامى والإصلاح..

الآن، يأتي واحد ويريد أن يصلِحَ؛ الآخر الشيخ يقول له: ماذا تصلح؟! الواقع صحيحة، ما الذي تريده؟! [290]

هي ما يصِلُ بالمشايخ أن يقولوا إنَّ حكام مصر لا يرُدُّون لله حكماً ولا يأتون جُهداً في أن تَبْلُغ الدعوة مداها!! [291]، مصيبة! طامّة!..، إذن، لماذا تقوم أنت؟! ماهو ضرورة عملك مادام يصل إلى هذه الدرجة؟!

إذن **المَعْلَمُ الثالث** من معالم الفكر الإرجائي: **وقوف الكفر وراءهم مُتَتَرِّساً**.. [292]

---

[290] سُئل د. **محمود الزهار** – وهو من أعيان جماعة " حماس " –، سئل عن تصريح نقلته على لسانه مجلة " ديرشبيغل " الألمانية قال فيه:: «أنه يمكن لنا إقامة إمارة إسلامية في غزة لاحقاً»، هل لازلتم على موقفكم؟ فأجاب بما يدعو للعجب حقاً: «لسنا في حاجة لإمارة إسلامية، نحن نعيش في واقع إسلامي، والمجلة لم تنقل الصورة واضحة، وحرفت الأقوال، ونحن نعيش الإسلام منذ قرون، وليس هذا إنقلاب على العلمانية لنقيم الإسلام، وحتّى المسيحين». اهـ. [مقابلة خاصة على موقع " الجزيرة توك " ٦/ ١١/ ٢٠٠٧]. نقلاً عن (**حديث الإفك. للدكتور أكرم الحجازي**) ص١١٩.

[291] بعض المشايخ الموالين للحكومة الكافرة في مصر، منهم " **محمد متولي الشعراوي**، **ومحمد الغزالي**، **ويوسف القرضاوي**، وآخرون "، أصدروا بياناً في (١/ ١/ ١٩٨٩) م. وقالوا فيه: (إنهم يعتقدون في إيمان المسئولين بمصر، وأنهم لا يردُّون على الله حكماً، ولا ينكرون للإسلام مبدأ). من [صحيفة الإتحاد: ١/ ٢/ ١٩٨٩.. م.].

[292] قال " **مأمون الهضيبي** " – عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين بمصر والمتحدث باسم نواب الإخوان بالبرلمان: «إن وجود الجماعة – أي الإخوان – يمثل مصلحة للحكومة، لأنه تلجأ إلينا كثيراً لضبط التيار الدينى المتطرف». [جريدة الشرق الأوسط. ١١/ ٥/ ١٩٨٧].

ويقول " **عمر التلمساني** ". المرشد الثالث للجماعة: " أنا على إتصال دائمٍ بأجهزة الداخلية لمساعدتها في ترسيخ الأمن ". [ذكريات لا مذكرات ص١٧٥].

فلذلك قد تضطر الحركات الجهادية أن تقتل مَن تترَّس الكفار به، وهذا الفعل سيكون سبباً لإثارة البغضاء على الحركات الجهادية، يعني **لمّا** الحركة الجهادية تجد أنَّ هذا المسلم المرجيء، لا نُبيحُ دَمَهُ إلا إذا وقف في صف الردة.، بمجرد إرجاءه لا نقتله - لا نقتله لإرجائه -، لكن **لمّا يقف في** صف الردة، في أسلوبٍ عملي عسكري سياسي، دخل في نظامهم، ستضطر الحركات الجهادية أن تصيبه ببعض سهامهم..

هذا الفعل - للأسف - سيكون سبباً لصرف الناس عن الحركة، لأن الناس أغلبهم لا يفرِّقون بين شيخ وشيخ، كلٌّ عندهم شيخ، وكلهم حامل عمائم، ولكلهم لحية، فلن تُفرِّق..، فمثل هذه الأعمال سينفر الناس عن الحركات الجهادية، ويقولون - لجهلهم بالحقيقة -، أنهم جماعة قتلة وسفّاكون الدِّماء..

وهذه الدَّعاوي وهذه الشعارات، هي التي صرفت أنظار الأمة الإسلامية أن تتوجه إلى **دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب** رحمه الله، وبقيت هذه الدعوة لم تبلغ مداها، بأنْ تكون حركةً كاملةً تَنبعث بها الأمة كلها. ولذلك، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما قُضِيَ عليها من قِبَل الكفار، بل قُضي عليها من قبل عساكر **محمد علي**، و**ابراهيم باشا**، ابنه؛ وارسل معركةً وراء معركة، حتّى ذهب ابراهيم باشا إلى " **الدرعية** " وقتل أهلها وساق الأبناء والدعاة، وقتل أكثر من مائة عالم، بعدأان أجلسهم عنده في القصر وجعل النساء يغَنِّين وكذا..، فالعساكر المصرية الضالة المنحرفة، - وقد يكون أغلبهم منافقاً ومرتداً -، جاؤوا وقضوا على الدعوة، وأخذوهم معهم إلى مصر، ودمَّروا " مدينة الدرعية ". وبقوا في مصر إلى أن مات " محمد علي "، فرجع عامة أبناء وأحفاد الشيخ، منهم " **عبدالرحمن بن حسن آل شيخ** " صاحب فتح المجيد وغيرهم، رجعوا إلى " الدرعية "، فأحيوها من جديد، التي سميت بـ " دولة التوحيد الثانية "..

إذن، للأسف، أن حركات البعث الإسلامي، التي تريد أن تحيى الإسلام من جديد، لا يستطيع الكفر أن يقف أمامها، لكن عامة ما يقضي عليها، هم المنتسبين إلى الإسلام..

إذن للأسف، أن حركات التجديد، ستُجابَه من قِبَلِ المسلمين وقِبَلِ العلماء، والذي أَحبط دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، هو فتاوى المنتسبين للعلم من الصوفية والمرجئة والضُّلّال..

والذي أحبط حركة الإحياء التي أرادها سيد قطب رحمه الله، هو نفس صف سيد، الصف الذي إنتسب إليه..، فقام ناسٌ، أوّل شيء، كتاب (**نحن دعاة لا قضاة**)، فردَّ على فكر سيد. والآن، ناسٌ يقومون بسبِّه وشتمه، ويزعمون أنه يسُبُّ تاريخ المسلمين ويكفِّرهم، من هؤلاء مثلاً " **علي جريشة** "، كتابه " **حاضر العالم الإسلامي** "، فقد جعل مقدمته وخاتمته في الرد على " **محمد قطب** "، لأنه يقول أن الأمة ما عادت تفهم لا إله إلا الله. يقول له: " كيف الأمة لا تفهم لا إله إلا الله "؟!..

ثم كذلك الآخر، وهو " **سالم البهنساوي** "، وهو في كتابه " **شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر** "، جعل هذا الكتاب في الرد على " محمد قطب "، حين أراد محمد قطب أن يقول للناس: «عودوا إلى معنى لا إله إلا الله وجَلُّوه، وواجب على الحركات الإسلامية، أن تُجَلِّيه للناس وتشرح للناس معنى التألية الحق»، فاعتبر " **سالم البهنساوي** "، أن هذا الرجل - أي محمد قطب -، يضَلِّل الأمّة**!!**..

مَن قال أن الأمة ليست ضالة؟**!** يعني، الذي يظن أن الأمة على الخير والبركة، فهذا خبيث النفس، أو أنه عميلٌ ماجور**!** وعلماؤنا الثقات عليهم رحمة الله - من القرون التي فيها علماؤنا الثقات عند الجميع - كانوا دائماً ينبِّهون الناس بجهلهم بمعنى العبادة؛ «**ابن تيمية** " رحمه الله، كتابه في " الرد على البكري " وقضية عبادة القبور، وشرط الإعتقاد، وقال: " أنتم ما فهمتم معنى العبادة "؛ كتابه (التوسل والوسيلة)، شرحٌ لمعنى العبادة التي جهلها الناس في عصره، وجعلوا الإستغاثة والتوسل ليس من جنس العبادة..، وكذلك **محمد بن عبدالوهاب** في كتابه " كشف الشبهات "، يبين ويقول وينبِّه أن الناس جهلوا معنى العبادة و..

وكذلك قام سيد قطب رحمه الله وقال: " جهل الناس معنى لا إله إلا الله ". وكذلك قال " محمد قطب ". ويقوله كل من يأتي ويريد إنقاذ الأمة من الشرك والضلال..

و أنتم إكتشفتم، هذا الجهل وهذا الضلال، بعد أن بينَّا لكم منهج أهل السنة والجماعة، إكتشفتم بعد هذا، هل كنتم على ضلال في هذا الفهم أم لم تكونوا. وأنتم من صميم قلوبكم تَتَمنَّون لو أنّ الأمة تعرف ما شرحناه لكم، فلو أنّ الأمة عرفت ما شرحناه لكم، الذي هو مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ومفهوم الكفر عند أهل السنة والجماعة وبيان طرق وبدائل أهل البدع، وكذلك بدع أهل البدع في هذا المفهوم. لمّا يقع الناس الآن في شِباك الشرك والكفر وهم لا يشعرون..

كيف تريدون أن نشعر أن الواقع جيدٌ، وشيخٌ يعلن أنه صار مُفتياً للقوّات الأمريكية؟!، لمسلمي قوات الأمريكية!!، ما هذا؟! هذا يفهم معنى التوحيد؟! شيخكم " **عمر التلمساني** "، عليه رحمة الله ونسأل الله أن يرحمه، في كتابه " عمر بن الخطاب شهيد المحراب " يقول: " أن مسألة الإلتجاء إلى القبور، مسألة ذوقيةٌ، ولا تعلق لها بالعقيدة "!!.. هل هذا فهم التوحيد؟!..

مجرد أنه تريد أنت أن تَستَعدى الناس على هؤلاء القوم، سريعاً يقولون للناس، أنظروا هؤلاء يشتمونكم،.. هكذا يريد هؤلاء، والقارئ عندهم كأنه.. مع الاعتذار؛ هؤلاء القوم لا يجادلون بالعلم، يجادلون بمجرد الناس، مثل..، أنظر عندما أراد أهل الكفر أن ينَفِّروا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا قالوا لهم؟ قالوا: إنه يكفِّر آباءكم..

فإذا كان آباؤهم كفار، فأنا ماذا أصنع؟! فالقصد - إخواني! -، إذا الأمة ضَلَّت، فنحن ماذا نصنع؟! هل نسكت ونقول لهم: أنتم على الخير والبركة!، إذا صار أغلب الأمة صوفياً عابداً للقبر..

كتاب " **شرح جوهرة التوحيد** "، ماذا فيه من التوحيد؟ شرح جوهرة التوحيد، لإبراهيم البيجوري، شيخ الأزهر١٣ سنة. شرح متن عقيدةٍ، **لإبراهيم اللقاني**، اسمه " جوهرة التوحيد ". هذا الكتاب، هو الكتاب المعتمد في " الأزهر "، وشيوخ الأزهر كلهم متخرِّجين من تحت قدمه، ومشايخ الزيتونة، من تحته كذلك، وعامة مشايخ بلاد الشام، يدرسون هذا الكتاب. فانظروا ماذا فيه من التوحيد؟ من التوحيد الذي فيه - طبعاً التوحيد عنده كأهل الكلام، هو توحيد الله ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، أما توحيد الألوهية، فانظروا ماذا يقول -، يقول: [ومَن لم تَظهَر كرامته بعدَ موتِه، كما كانت تظهر في حياته، فليس بولي!! - قال -: وقد تزيد - أي كرامة الميت قد زيد - و يوَكلُ الله على قبر كلِّ

وليٍّ مَلَكاً، يقضي حوائج سائليه – أي سائلي صاحب القبر –، قال: والصحيح أن الولي يخرج بنفسه ويقضي حوائج سائليه]!!..

انظروا هذا التوحيد!، هذا كتاب ما سمعت أحداً تكلّم عليه بكلمة!، والله عزوجل وفَّقنى بأن نشطت في الردِّ على هذا الكتاب..

في حديث «إحياء والدَي النبي صلى الله عليه وسلم»، **الحديث الموضوع**، يقول: " هذا حديث موضوع، لكنه ربما صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف "!!..

أعظم درجات التوحيد عند هذا الرجل، التوحيد الذي يأتي بطريق الكشف، الذي هو وحدة الوجود، هذا أعلى درجات التوحيد عنده!!..

على من تدافعون؟! أنا أعجب! على من تدافعون؟! تدافع عن مشايخَ هذه مرتبتهم؟!، وتدافع عن حكامٍ هذا حالهم؟!..

هذا الفكر الإرجائي، مصيبة وطامةٌ كبيرة، فالقضية قضية خطيرة. وهي قضية ليست متعلقة بفروع الدين ومسائل الفقه، لكن واحدٌ يعتقد أن الله عزوجل، يجيز لك أن تسأل غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله! فالقضية خطيرة..

*يا إخوة! هناك نقطة علينا أن ننتبه لها: عندما نتكلم عن لفظٍ من الألفاظ، لا ينبغي للشيخ أن يذهب ويحاججنى بمفهوم اللغة، نتكلم عن هذا اللفظ بإعتباره في عقول الناس الموجودين الآن. يعني الآن مثلاً، يأتي شيخ ويقول: " التعددية السياسية، جائز في الإسلام "، ويذهب حتّى يسوق الأدلة عن التعددية السياسية، يقول: " كانت في المجتمع الإسلامي، خوارج، وكانت فيه معتزلة، وكانت فيه مرجئة، وكانت فيه شيعة،. كانت فيه أهل السنة "، ويحتج بهذا على جواز التعددية السياسية!..

بالله عليكم! هذا الرجل، هل يوجد أكذب منه في الدنيا عندما يرى على أرض الواقع أنه، التعددية السياسية التي موجودة الآن، هي التي تجيز وجود من يسب الله ورسوله، مقابل من يقول أن الإسلام حق!..

فما هي هذه التعددية السياسية بمفهومها المعاصر؟ هل هي التعددية السياسية عند **المأمون**؟!

هل يوجد أجهل من هذا الكلام؟! هل يوجد أضلّ من هذا الكلام؟!

فالتعددية السياسية، تَكلَّمْ عليها بالصورة الموجودة على أرض الواقع! لا تَقُلْ في التعددية السياسية، بالمفهوم الذي عند الإغريق!!

ولذلك، من أخطاء **حسن البناء** – رحمه الله –، **لمّا** جاء وتكلّم عن الوطنية والقومية، صار تكلم عن الوطنية بمفهوم الإسلام!. يا شيخ!! الوطنية الموجودة الآن، هي بديلٌ عن الإسلام، أي: هي دينٌ، غير دين الإسلام، وفيها، بدَل أن، أنا أرتبط بالمسلم الموجود في أقاصي البلاد، بدل هذا، في هذه الوطنية، لا علاقة لي بهذا المسلم، ولا ولاء بيننا ولا أعرفه، ولكن ولائي وعلاقتي على أساس الوطن، فالمصري وإن كان كافراً أو قبطياً ومشركاً، هو، أخٌ له ويواليه و..، هذه هي الوطنية الآن، وهذه هي القومية!..

إذن، **لمّا** أنت تحتج بأمورٍ مثل " وطنية الإسلام، وأن الإسلام دعيٰ إلى إحترام الوطن، وغرس الأشجار في الوطن "! تكلم عن أين؟ فيجب عن تتكلم بالمفهوم الموجود الآن، تكلم عما عليه الناس..، فهذه المسائل بقيت مُتَمَيعة..

الآن، موضوع " الحكم بغير ما أنزل الله "، مشايخ جالسين، يقَلِّبون كتب التاريخ ليعلموا ما هو " الحكم بغير ما أنزل الله "، هل هو كفر أكبر أم أصغر؟..

يا عمِّ! دع هذا! ما هو صورة الحكم بغير ما أنزل الله الآن على أرض الواقع؟ ما هو حالته؟ تحدث عن هذا. هل إثنان من البقر، المنسوبين إلى البشر، يختلف في أن إعطاء حق التشريع لغير الله، أنه كفر؟!.. تكلّم عن هذا، عن الواقع الموجود الآن! ولا تكلم عن الحكم بغير ما أنزل الله في حاكم ظلم، أو حاكمٍ ضرب مَن أَمَرَ بالمعروف و..، لا تَكلّم عن القديم، تكلّم عن الواقع الآن! عن الذي يقول: " السيادة للشعب "! إذهب واقرأ ما معنيٰ " السيادة " في كتب القريٰ ودساتيرهم وتفسيرهم الفقه القانون الكافر؟!.. نعم إخواني!..

أمّا أن تتكلم عن الحكم بغير ما أنزل الله بالصورة التي كان في القديم، بحيث يظلم الحاكم في حكم أو قضية..، هذا تدليس وجهلٌ وضلال..

هذه مصائب وطامات، فإذا أردنا أن نعالج الواقع الموجود..، والأمة بسبب عدم وضوح هذا الأمر، صارت تخرج من دين الله أفواجاً!..، دعاة شغّالين ليل نهار، وما لهم أي أثرٍ على أرض الواقع إلّا من رحم ربي!.. وهذه الجماعات والفئات المتدينة من الناس فليس بفعل المشايخ! أنا الذي أجزم به، مع احترامي لكل الجهود، وما ينبغي أن تتوقف -، لكن كل هذا التدين الموجود في المساجد، تَدَينٌ عاطفي، وهو بفعل الإسلام الذاتي!، نعم، للمشايخ جهود، لكن الناس الموجود في المساجد، جاؤوا إلى المساجد بحبهم الذاتي والفطري لدينهم، لا بجهود الدعاة، بل هو إقبال إلى الدين بصورة العاطفة، والآن، - في الحقيقة -، لا دور كبير للمشايخ في هذه القضية! هذه قضية موجودة في فطرة كل إنسان أن يتدين..

ما هو مقدار مستوى العطاء العلمي العملي الأرادي لحركة الأمة في الإقبال على الحق الآن؟ شيوخ قائمين ودعاة، فقط، حاملين هَمَّ ثلاثة أمور: " الحكام، وأنّ هؤلاء الحكام مسلمون، ومكفِّريهم خوارج، والتنظيم بدعة، والجهاد سَقَطَ "!! خلاص!..

من هؤلاء من يقول: " مِن الفقه (فقه الواقع)، أن تَدَعَ فقه الواقع، لتكون من أفقه الناس بفقه الواقع "!!، يقول هذه الكلمة! يقول: جهلك بالشيء هو فقهه "!!، وبعد هذا إذا طلبنا منه الحكم على الواقع الذي يعيش فيه، تَبَجَّح، ومن فقهه للواقع يقول عن " **صدام الحسين** "، إنك الأمل المرتجيٰ، وجيشك - يا صدام (البعثي) - وجيش **ملك حسين** - طاغوت أردن - به يفتح المسجد الأقصى ويعيد دولة لا إله إلا الله فيه!!..

هذا من فقه الواقع الذي ترك بسببه فقه الواقع، فهو الواقع، فهو من أفقه الناس بفقه الواقع!! طامّات ومصائب كبيرة..

لذلك، فإنّ حركة الإحياء التي قام بها العلماء، للأسف ماتت!، ما معنيٰ ماتت؟ لا يعني هذا أن طائفة الحق لا يوجد، بل طائفة الحق موجود وقائمة بالحق، لكن يعني أن حركة الإحياء للأسف، أُجهِدَت وأُجهِزت من قِبَل المنتسبين للإسلام، من قِبَل مشايخ وأصحاب العمائم!!..

الآن فكر **سيد قطب** – عند الناس –، فكر مُتَكلِّس، يقولون أن فكر سيد، فكر متكلس، ما معنى متكلس؟ كيف؟ يعني فكر جامد، أفرزته السجون!، هكذا يقولون، يقولون: أنظروا إلى سيد لمّا كان خارج السجن، كان يتكلم لنا عن " التصوير الفني في القرآن " وعن " مشاهد القيامة في القرآن "، يعني كله كلام شعر وكلام ترقيق القلوب، ولما سُجِن تكلم عن " أن الحاكم كافرٌ، أُخرجوا عليه، دمروه، أُقتلوه.. ". قالوا: فهذا فقه السجون!! هكذا يقول " **محمد عمارة** " وجيشه وهكذا يقول " **يوسف القرضاوي** " [293] وجيشه!!..

الآن! كتب سيد، مهجور في القري، وعليها السب وعليها الشتم الكبير!!

كتبٌ ألّفها من أجل أن يبين للناس، أن: " سبب ضلال الأمَّة أنها ما فهمت الألوهية، – وهذه كلمة حق – و كلّ الإنحرافات التي تصيبنا فهي عدم فهم الألوهية ".

هذه الكلمة، الآن صارت موضع قلق كثير عند الكثيرين، ويعلقون عليها – يعني عجيب! –، يقولون: " الناس لم يفهموا الالوهية؟ "! كيف؟!، والشيوخ ما فهموا لا إله إلا الله؟!..

هذه هي طامات الفكر الإرجائي!، الآن صار هَمُّ الشيخ المتدين، فقط، أن يتكلم عن الفكر الإسلايي! وعن اللقاء الإسلامي المسيحي! وعن تقريب الأديان! وعن اللقاء السني الشيعي!!..، وهؤلاء هم الذين يقولون نفهم " لا إله إلا الله "!! طامة ومصيبة عظيمة جداً..، ماذا نصنع؟!!..

ولذلك أنا أتوقع أن هذا الفكر الجهادي بهذه المفاهيم القائمة، الذي سيقضي عليها – لا قدر الله – ليس الكفر!، الكفر ضعيف جداً جداً أمام هذا الفكر – بفضل الله عزوجل –، لكن أخاف أن يقضَى

---

[293] أنظروا كتابه المشئوم " **فقه الجهاد!!** ". كيف يقول في حق " سيد قطب " رحمه الله بمثل هذه الأقوال الباطلة الظالمة الفاسدة المفسِدة! (ولا حول ولا قوة إلا بالله)!!

عليه مِن قِبَل هؤلاء القوم، من قبل هؤلاء الضُّلّال!،.. عندنا - الآن - في بلاد االشام، مازال، لمّا يريدون أن يشتموا المرء، يقال له ماذا؟ " وهابي "! " وهابي "!. والآن إخواننا المجاهدون الذين يتعلمون الدين في بلادهم، يسمون " خوارج "! جماعةٌ يسمونهم " التكفيريين "! وجماعة يسمونهم " جماعة التكفير "! تكفير!.. هؤلاء التكفيريون!!..

وما الذي يراد بهذه الدعاوي والألقاب؟ فقط التنفير عن هذا الحق، تنفير عامة الناس عن هذا الفكر الحق!!..

هذه المصائب والطامات، كلها آثار إنحراف الفكر العالم الإسلامي! وكما قلتُ، وأُعِيدُ وأُكرِّر: نخاف أن يقضَى على هذا المدِّ البسيط لهذا الفكر الجهادي، وإن كنتُ لا أرى هذا المد كبيراً - و للأسف -، أمام هذه التيارات الكبيرة من الإنحراف،.. نخاف عليكم! نخاف أن يقضَى عليكم من قِبَل المشايخ!، وأن يحرَّضوا من قِبَل الدولة، " خوارج "! " خوارج "! " خوارج "!.. " التكفيريون "! " ضد الوحدة الوطنية "! - تارةً، وتارةً، - ضدالإسلام!، و " ضد السنة "!، " هؤلاء يكفِّرون العلماء "! وهؤلاء.. وهؤلاء.. وهؤلاء..، نفس التُّهم التي أُتُّهِم به أئمة الدعوة النجدية وكل الحركات التجديد في تاريخنا الإسلامي..

نسأل الله العافية وحسن الختام..

توضيحات في حقيقة " التأويل ": [294]

التأويل، يعَدُّ مانعاً من موانع التكفير، فما هو التأويل وما هي معانيه؟

التأويل لغةً مِن " آل الأمر "، وهو " التحوّل ". (آل: أي تحوَّل وانتقل من حالةٍ إلى حالة. و " آل الأمر " تطلق على " الحسيات " و " المعنويات "). وما يهُمُّنا نحن في هذا الباب، هو " المعنويات "، وأما " الحسيات " ما لنا فيها، نحن لسنا فيزيائيين لنتكلم عن إنتقال الأمر من حالة حسية إلى أخري..

الآن نريد التكلم في إنتقال المعنويات، كيف تنتقل المعاني؟

كل شيءٍ في الدنيا، له ثلاث وجودات، وبعض العلماء قال له " أربع وجودات ":

الوجود الأول: هو الوجود الحقيقي له، وهو عينه. وهو الخلق.

والوجود الثاني: هو الوجود الذهني.

والوجود الثالث: الوجود اللفظي.

وبعض العلماء قال، ورابعاً: الوجود الكتابي. (وهذا الأخير لا يهمنا، لأنه تابع للوجود اللفظي).

نضرب لكم مثالاً: إخواني! قال العلماء: ان المطلقات لا وجود لها إلا في الأذهان. ما معنى هذه الكلمة؟ أصور لكم إياها: الآن كلمة (الرجل)، أين وجودها فقط؟ في ذهنك. هل لها وجود على أرض الواقع؟ هكذا مطلقة من غير إنتساب؟ لا. أعطونى هذا، أي بمعناه مطلقاً، لا ينتسب. هذا لا يوجد في الواقع، بل هو حقيقة ذهنية محضة ومجردة عن الوجود الخارجي، حتّى يكون منسوباً[295]، رجلٌ طويل، رجلٌ صغير، رجل إنكليزي، رجل عربي، وهكذا..، فالمطلقات – قال العلماء –، لا وجود لها إلا في الأذهان. من هنا، لما يقول المعطلة: (الله، لا فوق ولا تحت، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا..)، هذا، في الحقيقة، لا وجود له إلا في الذهن، ولا يمكن تصوره على أرض الواقع..، فمِن هنا، أنّ المطلقات التي زعم الفلاسفة..، الفلاسفة لأنهم عباقرة فيما يزعمون دجلاً وزوراً، زعموا أن كل

[294] راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٢٧٠ – ٣١٤).

[295] انظر " النحو الوافي " لعباس حسن. (ج١/ ص٢٢ و١٧٥و١٧٦).

كلامهم في المطلقات، أما الدخول إلى مسائل الأعيان، فهو مسائل العوام - يعني نحن -!، أما هم دائماً يتكلمون في المطلقات!..

الآن، نحن كلّ تعلُّقنا بماذا؟ بالوجود الحقيقي. والوجود الذهني واللفظي، تابعٌ للحقيقي.

الآن، نحن نريد أن نعرف ما هو القلم؟ هذا قلمٌ، هذا وجود حقيقي له. ثانياً: وجود لفظى " قلم "، وهو كذلك له وجود ذهني. إنتبهوا، الوجود الذهني والوجود اللفظي، تابع للوجود الحقيقي. من هنا لما أراد الله عزوجل يقول عن دين " الحق "، **ما معنى دين الحق؟** أن كلّ ما أمر به، له حقائق حقيقية أو حقائق ذهنية فقط؟ حقائق حقيقية!، دين الحق..

إذن، الخلق، سابق على الوجود الذهني والوجود اللفظي. لا يوجد شيءٌ - إلا إذا لم يعرفه الناس -، لا يوجد شيءٌ، يكون له وجود حقيقي، - - وهو عيني -، وليس له وجود ذهني أو لفظي، لا يوجد.، قد لا يوجد له وجود ذهني عند بعض الناس، لكن يوجد له الوجود الذهني عند بعض الناس الآخرين.، أما عدم الوجود اللفظي، فلا يوجد أبداً، لقوله سبحانه وتعالى): **وعلّم آدم الأسماء كلّها)** [٢٩٦]، فكل ما خلق الله فَعَلَّمه لآدم، عُلِّم ماذا؟ إسمه، أسمائها، ما علَّمه بأن يقول له نحو: (هذا قمرٌ وهو يتحرك بالطريق الفلاني، وله هذه الوظائف و..)، ما علَّمه هذا، بل فقط علَّمه أنّ هذا هو القمر..، ثم بعد ذلك ماهو القمر، وكيف ينير، وكيف يشرق؟ هذا يأتي بطريق، إما بهداية الله، بأن يعَلِّمَه، وإمّا عن طريق التجربة، كما هي سنن الله تعالى في الخلق..

الآن، لو أن هناك شيءٌ له وجودٌ ذهني، - وطبعاً يتبعه الوجود اللفظي -، لو أن هناك شيئٌ له وجود ذهني، وليس له الوجود الحقيقي، هذا إسمه **" الأسطورة "**، وهذا هو الشرك. ونتيجته الشرك. من أجل هذا حارب الإسلام الأوهام والخرافات، وجاء الإسلام بالحق، حتّى لا تعلقت الأذهان بأوهام ذهنية..

[٢٩٦] البقرة (٣١).

طبعاً، الحقيقة الوجودي، لا تقصر فقط على الحقائق المادية، ولكن كذلك على سنن الله الإجتماعية والخلقية، لو أنّ إنساناً تصوَّر أنَّه مؤمن، صار عنده وجود ذهنيٌ بأنه مؤمن، وأنه تستلزم نزول نصرة الله عليه، وهو على الحقيقة غير موجودة (أي ليس بمؤمن)..، كما يظن بعض المشايخ ويظن بعضنا أن هذه الجماعة قد بلغت حداً يستحق أن ينصرها الله عزوجل، وفي الحقيقة لم تبلغ، بل أنها – ذهنياً – تعتقد أنها قد بلغت لوازم النصرة، وهي في الحقيقة لم تبلغ؛.. هذا الأمر ماذا؟ ضلال وانحراف..

طبعاً – في إرتباط هذا الأمر بالشريعة –، يجب أن نعلم أن أيَّ إختلال في مطابقة الوجود الذهني والوجود الحقيقي، أيَّ اختلالٍ فيه، يعتبر ضلالاً وتزويراً وكفراً. كيف؟! الوجود العيني، يجب أن تعرفه كما هو، وأيُّ تزويرٍ فيه يؤدي إلى الشرك. ومن أمثال هذا، **السحر**. لو جاء رجلٌ وزوّر لنا حقيقة الشيء، هذا ما اسمه؟ السحر.

مثلاً: هذا في الأصل، حبلٌ، فزوّرها فأراها للناس أنها حية تسعي، زوّر لهم حقائق الأشياء، هذا سحر! تزوير حقائق الأشياء كفرٌ..

هذه القضية، تصل إلى درجة تزويرٍ لحقيقة المرأة، المرأة المشوَّهة!، لا يجوز للمرأة أن تأشِرَ أسنانها، حيث تَتَجمَّل للناس! [٢٩٧]، يجب أن يبقى الوجود الحقيقي كما هو!..

تصوّروا هذه القضية، تصوّروا قضية عظمة الإسلام في قضية تقرير بقاء الحقائق الكونية كما هي!..

[٢٩٨]

---

[٢٩٧] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمُتَنمِّصات والمتفلِّجات للحسن المغيرات خلق الله** ". [رواه مسلم ٣٩٦٦]. قال النووي رحمه الله في شرحه: « (المتفلِّجات): المراد مُفْلَجَات الأسنان بأن تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرّباعيات، وهو من الفَلج، وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات، وتَفعل ذلك العجوز ومن قاربها في السِّن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان، لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار ". اه.

[٢٩٨] ومن مصاديق هذه المسألة في الشريعة: أنّ مَن جُهِل أبوه، لا يدعى بغير اسم أبيه الحقيقي، بأن يقال له مثلاً: (ابن فلان)، بل يدعى مولى وأخاً في الدين، منعاً من تغيير الحقائق. كما جاء في آية (٥) من سورة الأحزاب.

بعض الناس، كل إهتمامهم بالشرعيات، لَمّا تأتي إلى الحقائق، لا يهتمون بهذه المسألة، ولذلك من ضلال المسلمين قديماً، أنهم اعتقدوا بقضية تغير الجواهر إلى جواهر أخري، حيث اعتقدوا بالكيمياء!، ما معنى الكيمياء عند الأوائل؟ تحوُّل المعادن إليٰ الذهب!، ضلالٌ كبير..، فالحقائق كما هي لا تتحول..، " لا تتحول "، ليس معناه أن لا تتغير بحسب السنة وعن طريق سنة الله في الكون، مثلاً: المني أصبح جنيناً، والجنين صار طفلاً، هذا جارٍ بالسنة، لكن تغيير الحقائق بتستيرها لا يجوز. مثلاً: لحيتك بيضاءٌ، إذا سترتها بالسواد، أنت مُزوِّر!. لأنَّ الله أنزل الشريعة مطابقة للحقيقة الكونية،.. هكذا تمشي الشريعة مع الحقيقة الكونية، فإذا اختلط عندك الحقيقة الكونية، فالشريعة تَخْتَلُّ، يعني تصير بحيث تَنزل على مُسمَّيات غير صحيحة!، هذا الذي ينتهي بالضلال في الأمة، يعني، تنزل الأسماء الشرعية على حقائق باطلة، مثل " إسباغ الشرعية على واقع غلط وغير شرعي "، ومثل أن نُسَمِّي مسلماً، كافراً، والكفر إسلاماً، والإسلام كفراً..

الآن، مثلاً: (مَهْرُ المثل)، مهر المثل، أي: مَهْر المرأة مثل أمثالها، هناك إمرأة لها ثلاثون سنة، فزوَّرت حالها، فصارت كأن عمرها عشرون سنة، وتعاملنا معها بمهر المثل، هل إختلَّ الميزان أو لم تختل؟ إختلّ..

من هنا، أنّ الحقائق الكونية مقدسة، وتجاوزها كفرٌ وضلال..، والحقائق الشرعية لا قيمة لها، وما لها أي احترام، إذا نزلت على حقائق غلط، أو عند عدم وجود الحقائق الصحيحة..

أضرب لكم مثالاً: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)..، بقرة، بقرةٌ، هذا حقيقةٌ لفظي، مستقر في الذهن على حقيقة معينة. الآن، لو جئنا وحملنا لفظ " البقرة " على معنى آخر غير ما إستقر على الأمر الكوني الذي نشأ منه اللفظ الشرعي – لَمّا علَّم آدم الأسماء كلها – هل هذا المدلول الجديد الذي حملنا عليه لفظ " البقرة "، هل هذا العمل – أي تغيير الحقيقة الذهني –، هل تَسَبَّب في إختلال الفهم من مراد الشارع بهذا النص، ومن ثَمَّ عدم تحصيل المراد بالنص؟ نعم! ويحصل بهذا، الاختلال، والغلط والضلال والمصيبة!..، تصوّروا لو أنّ واحداً حمل " البقرة " على أنها " الشاة "، كيف صارت القضية؟!..، هذا المثال الذي ضربته لكم، مثال في مسألةٍ عاديةٍ، وفي دقائق الأمور تكون القضية أخطر

بكثير! يعني عندما تكون هذه القضية في ألفاظ " الإيمان " و " الإسلام " و " التوحيد " و " لا إله إلا الله " و " الصلاة " و " الموالاة " و " المعاداة " و " المسلم " و " الكافر " و " جماعة المسلمين " و..، عندما تكون في أمثال هذه الأمور، تصوَّروا كيف تصير القضية!!..، وعامة ضلال الأمة في هذه الأمور؛ لا يوجد ضلالٌ في تاريخ الإنسان إلا وكان بدايته من هذا..

بعض الناس يتصور أن الأمور التي قال الشرع بأنها معاصي، إنما صارت معصية بورود أمر الشارع، نعم! هذا حق، أن الإنسان يعصي الله بإقتراف هذه الأمور، لكن هل هي في حقيقتها هي ضد الحق؟ هل في ذاتها باطل؟ نعم! [٢٩٩] بمعني، لمّا الإسلام حرّم شرب الخمر، هل الشارع، أنشأ هذا الحكم، لأنّ الخمر في حقيقتها مُفسِدة أم فقط بورود الحكم صارت مفسدة؟ يعني لو شربها المرء قبل ورود أمر الشارع، هل يسكر؟ وهل يختل عقله؟ نعم. إذن الحقيقة الكونية هي الأصل، وجاء الشارع بالشرع من أجل أن يبين لنا حقائق الأمور الدنيوية وحقائق الأمور الأخروية. والأمور الأخروية لا يمكن أن تكشفها إلا بالوحي..

أنت مسلمٌ تريد أن تُرضى الرب، ماذا يريد الرب لأن يرضي؟..، أن الإنسان يذهب ويحسن إلى الكافر الذي يسُبُّ الله عزوجل، وهو ظانٌّ أن بهذا الإحسان إليه، يرضي الرب، هل في الحقيقة يرضى الله بهذا؟ لا. هذا الرجل، لم يعلم الحكم الشرعي، بأن يعاديه، فالأصل أنّ الحقيقة أنّ الله عزوجل، يبغض هذا، وينبغي لعباده أن يبغضوه، وهذه هي الحقيقة، والشريعة جاءت بها. **والأنبياء جاؤوا ليعَرِّفونا بحقائق الكون والحياة..**

إذن الحقيقة الذهني واللفظي، تابع للخلقي والعيني، والإرتباط بين اللفظ وبين الحقيقة، إرتباطٌ، في أول شيء: كوني، وثانياً: شرعي.، وهو مادام ثبت أنّه كوني، لابدّ أنه لازم أن يكون شرعياً..

[٢٩٩] ارجع إلى موضوع " التحسين والتقبيح العقلى ".

الآن، ماهو إرتباط هذا بالشريعة؟ الشريعة، تكشف لك إياه، وتقول لك، هذا حلال وهذا حرام، هذا تعامل معه، وهذا لا تتعامل معه،.. و أيُّ تجاوز بحقائق الأسماء، لإطلاقها على غيرها، فالدينُ خلاص! إنتهي! ولا يبقى منه شيء..

دورنا نحن الآن، أن نُصلح إرتباط الحقيقة اللفظي بالحقيقي، يعني الآن المصيبة لدينا – نحن المتدينين، أما غير المتدينين، فأمرهم واضح، لأنهم لم يدخلوا في الدين بالكلية –؛ الآن ضلال المتدينين بماذا؟ أنهم مازالوا يتعاملون مع النص، لكن أين ضلالهم؟ في إنزال النص على غير وقائعه. لأن الأسماء التي موجودة في أذهانهم، غير حقيقية.

والضلال من المشايخ في أنهم ينزلون الألفاظ الشرعية على غير حقائقها، لّما تسألوهم عن حكم الله المجرد المطلق، هل يجيبونك بالصحيح؟ نعم يجيبك بالصحيح، لأنه يعلم حكم الله، لكن لما يأتي إلى الواقعة (..) التزوير، يذهب ويتناول النص، ليلائم التزوير، فهو يلائم التزوير بتناوله للنص..، والحقيقة تَغير، لكن بقي " سحروا أعين الناس واسترهبوهم[٣٠٠] "!، سحرة فرعون، سحروا أعين الناس، وسحرة طواغيتنا سحروا عقول الناس!، السحر عند سحرة فرعون وتزويرهم وقع على ماذا؟ الذهني. لكن عند سحرة طواغيتنا أين وقع؟ اللفظي. هل سمَّى النبي صلى الله عليه وسلم التزوير اللفظي سحراً؟ نعم. قال صلى الله عليه وسلم: **(إن من البيان لسحراً)**. [٣٠١] والسحر كفرٌ وشرك. ولذلك، أصحاب الطواغيت من هؤلاء المشايخ والصحفيين والمتكلمين في حقائق الحياة الآن، كلّهم مزوِّرون، كذّابون، دجلة، سحرة، وحكمهم حكم السحرة..

الآن، لو أن شيئاً يكون غائباً عن عينك، وهو عينية موجودة، لكن غائب عن عينك، مثلاً: " الكتاب "، رجلٌ لا يعرف ماهو الكتاب، فأردنا أن نبين له ماهو الكتاب، فما هي الطريقة التي نستخدمها، ليصبح الكتاب العيني، مفهوماً لديه في لفظه وذهنه؟

---

[٣٠٠] الأعراف١١٦.

[٣٠١] رواه البخارى (باب ان من البيان لسحراً) رقم (٥٣٢٥).

إذن نريد أن ننقل الأمر من حقيقة إلى حقيقة (حقيقة لفظية، ذهنية، حقيقية). والإختلاف بين الحقائق، يصير أسطورة، أي الوجود الذهنية للشيء دون وجود حقيقي له. الذي قال بالإمامة – بالمفهوم الذي لدى الروافض –، هل لها وجود حقيقي؟ لا، فهي أسطورة، شرك، ضلال، رجلٌ اعتقد أن القمر انكسف لأنه مات فلان! هذا ما اسمه؟ الشرك، هذا هو الشرك، الشرك، عدم وجود الحقائق. وهل هذا الشرك أكبر أو أصغر، فهذا بحسب مقدار الشرك الذي مارسه الرجل، يكون أكبر أو أصغر. أرجو أن تكون هذه القضية قد إتضحت لديكم.

الآن هناك لفظٌ، واحد أُطلِق عليه لفظٌ، لا يعرف هذا الرجل حقيقته فنحن نريد أن نُعرِّف حقيقته له بأمرين أو بطريقتين، ماذا هو الأمر الأول؟ أن نُحضر له حقيقة الشيء. نأتي بكتاب، ونقول له هذا هو الكتاب. ثانياً: ان نُفسِّره له، مثلاً ليس لدينا كتاب لنحضره له، فنفسره له بأن نقول مثلاً: الكتاب أوراق، ورق مصنوع من كذا ومن كذا، ومكتوب فيه و..، فيصبح لديه معرفة ذهنية تصورية له. – بحسب قدراته وقدراة الشارح –..

الآن، **هذا هو التأويل في لغة القرآن**..

الآن، " الجنة "، عينية موجودة، ولكن غائبةٌ عنا، يريد الله عزوجل أن يعرِّفنا إياها، فقال لنا: في الجنة الرُّمَّان..، نحن نعرف إبتداءً رُمَّان الدنيا، لا رُمَّان الجنة.. وهل رُمَّان الجنة، حقيقة إسمه رمان، أو فقط للتقرير؟ حقيقة اسمه رمان، اسمٌ مشترك بين رمان الدنيا ورمان الجنة، لكن هل هذا الرمان، هو الرمان الدنيا؟ لا، بل كما قال تعالى (و أُتوا به متشابهاً) [٣٠٢]. فأراد الرب عزوجل، أن يعرِّفنا إياه فعرَّفناه بالتفسير – أولاً –، أو بما نعرفه؟ بان ندخل الجنة ونراه ونأكل منه. الآن، لمّا ندخل الجنة ونرى الرمان. ونعرف حقيقته، هذا، اسمه، " تأويل الخبر القرآني " بأنّ في الجنة رمّان.

[٣٠٢] البقرة (٢٥). والقاعدة الصحيحة تقول: " إشتراك الألفاظ (أو الأسامي)، لا تؤدِّي إلى اشتراك الصفات، أو تشابه الصفات ".

فالآن عرفناه حقيقةً، ولمّا واحد يأتي يفسِّر لنا الرُّمان حتّى نعرفه ذهنياً، نقول: أَوَّلَ لنا إياه، نقله من حقيقته اللفظية إلى حقيقته الذهنية. **هذا هو التأويل**.

ولذلك مثلاً: لما ذكر الله تعالى علامات واشراط الساعة، وقال: (**و لمّا يأتهم تأويله**) [٣٠٣]، هنا، " تأويله "، ما معناه؟ حقيقته. أي: لمّا جاءت حقيقته.

الله عزوجل أخبرنا أنّ في آخر الزمان، تخرج الدابة، ماذا تأويل الدابة؟ أن تأتي الدابة وتخرج ونراها فندرك حقيقتها، أو أن يفسرها لنا النبي صلى الله عليه وسلم..

من هنا، **التأويل في لغة القرآن والعرب، ماهو؟** حقيقة الشيء الذي ظهر لنا لفظاً، أو تفسير الشيء، أن يعرِّفنا إياه بألفاظه وأشكاله، وهكذا، فيُفَسِّره لنا حتّى يصبح لدينا صورة ذهنية عنه. أو يعرِّفنا بحقيقته، هذا هو التأويل في لغة القرآن.، " آل " أي: تحوّل من حالةٍ إلى حالة، كانت حالته ذهنية، فصارت حقيقية، كانت حالته لفظية، صارت ذهنية، فصارت حقيقية، هذا هو التأويل في لغة القرآن.

الآن، هل أسماء الله لها تأويل بهذا المعني؟ نعم، التأويل هو الحقائق، إما حقائق عينية، وإما حقائق ذهنية، وإما حقائق لفظية. انتقال من حالة إلى حالةٍ. هل أسماء الله لها تأويل؟ نعم. بهذا المعني. مثلاً: ما تأويل صفة الله (استوى على العرش)؟ إما أن يفسِّرها لك: فيقول لك " استوى على "، لغةً يعني علا وارتفع. حقيقة الأمر هو مستوي على العرش. ولم تَطّلع كيفيته، وستعجز عنها. حقيقة الأمر هي التأويل الواقعي..

الآن نأتي إلى أن نعرف أين حصل الإنحراف في فهم قوله سبحانه وتعالي: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [٣٠٤].

---

[٣٠٣] يونس (٣٩).

[٣٠٤] آل عمران (٧).

التأويل، بهذا المعنى الحقيقي في لغة العرب، وهو التحول، وفي لغة القرآن، ولغة القرآن لغة العرب..، لكن أين صار الإنحراف؟ كلمة " التأويل "، إنحرفت، فصِرْنا لمّا أردنا أن نُفَسِّر هذه الآية، صار صعباً علينا!

الآن، جزءٌ من الإنحراف، في قضية الذهني والعقلي.، كلمة " **التأويل** "، عطلنا حقيقتها، والله سبحانه وتعالى تعامل بالمعنى الحقيقي لها. لكن إذا دخل الإنحراف في كلمة " التأويل "، فيأتي ويفسر القرآن على كلمة " التأويل "، بحسب تفسيرها الخطأ لديه!..

ما هو التأويل في لغة المتأخرين؟

كل شيءٍ في الدنيا، خلقي ومعنوي، فتنةً من قبل الله وحقيقة..

الآن، هذا الورق أبيضُ، هل ممكن أن نكتشف فيه شيئاً من السواد؟ هل ممكن هذا؟ نعم، ممكن، بل لايمكن أن يكون أبيضاً خالصاً مائة بالمائة (١٠٠٪)، يعني: ليس في الدنيا المطلقات، أو (..)، الآن الخمر! هل فيه المنافع؟ نعم. لماذا أقام الله المنافع في الخمر؟ فتنةً للناس، حتّى يمتحنهم، و**لا يمتحنهم بخلاف الحقيقة**،..، هل الشارع امتَحَنهم بخلاف الحقيقة؟ هل قال لهم: الخمر جيدة وطيبة ومفيدة، ومع ذلك حرمتها عليكم؟ هل هكذا؟ لا. هذا كقول الظاهرية. نحن الذين نقول بالتعليل وبالحكمة في أفعال الله وأحكامه. فإذن الحقيقة، أن الشارع تعامل مع الحقيقة. ماهي الحقيقة إخواني؟ هو ماذا؟ الظاهر. **ماهو الظاهر عندنا؟ هو المعنى المتبادر إلى الذهن إبتداءً، أو ما إستقرت عليه أصلاً، في لغة العرب.**

الآن، مامعنى التأويل عند المتأخرين، في لغة أهل الكلام؟ هو: [صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر محتمل بوجود قرينةٍ، بوجود دليلٍ جَعَلْنا نَصْرِف اللفظ عن الظاهر إلى معنىٰ آخر..]. هذا الكلام باطلٌ! السبب: ماهو المعنى الظاهر؟ هو المعنى الذي رافقته قرينة، فإذا وُجِد بالقرينة، لا يسَمَّى التأويل، بل هو المعنى الحقيقى المراد من اللفظ حينئذٍ. كيف؟ أضرب لكم مثالاً:

" يد الإنسان، يد الحيوان، يد الكرسي،.. ". الآن لنأخذ واحدة واحدة: " يد الإنسان "، ما هو المعنى المتبادر إلى الذهن منه ابتداءً؟ اليد. ولو قلت " يد الحيوان " هل تقول: هذا تأويل، وصرفت اللفظ من ظاهره الذي هو أصلاً في الإنسان إلى معنى آخر محتمل وهو الحيوان، لقرينة لفظية، وهي وجود لفظ الحيوان؟ هل تقول هكذا؟ لا. أم هو حقيقة، والظاهر هنا، غير الظاهر هناك، بالرغم من إشتراك الالفاظ..، هل كان في هذا تأويلاً؟ لا. ولكنهم سموه تأويلاً!، لماذا سموه تأويلاً؟ قالوا لأن " اليد "، حقيقة في الإنسان، ومجاز في غيره – أو في الحيوان – فلابدّ من التأويل!!..

الآن نأتي إلى بعض الأمثلة: نحن لمّا قلنا " يدُ الله "، هل تحتاج لتأويل؟ – والتأويل بمعناها الحقيقي، هل لها تأويل؟ نعم. إلى حقيقة ذهنية موجودة، حقيقة ذهنية بمعنى التفسيرية، لا التكييفية، لأن الحقيقة الذهنية لها قسمان: ١ – حقيقة تكييفية. ٢ – حقيقة تفسيرية. فالتفسير واضح لنا، لكن الكيفية مجهولة لنا. لأنَّها غيب..

الآن، فهي معنيٰ التفسير في أذهاننا موجود وحقيقة على أرض الواقع في ذات الله سبحانه وتعالي، هل له يدٌ حقيقيةٌ، إسمها اليد؟ وتليق بجلاله؟ نعم.

قالوا – أي المبتدعة –، هذه اليد، يدالله، ليست حقيقة على الله، هي حقيقة على الإنسان، أخذت على الله مجازا!، لوجود قرينة، أنها نُسِبت إلى الله!! هذا هو التأويل عند هؤلاء..

لكن في الحقيقة – كما قلنا –، قدّرنا أنّ المطلقات لا وجود لها، إلّا في الأذهان، فكلمة " اليد "، لا يصبح لها على أرض الواقع شيءٌ إلا إذا قيدت، إذن التأويل عندهم، هو صرف اللفظ عن ظاهره – وهو المعنى المتبادر إلى الذهن –..

في حالٍ أن كلَّ شيءٍ حقيقة، ولغة العرب حقيقة، ومن هنا، أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، المجاز في القرآن، قال، لأن الشارع يتعامل بالحقائق[٣٠٥]..

---

[٣٠٥] انظر مجموع الفتاوى (٧/ /٨٨و٩٠ – ٩٦و١٠٨). (لتفصيل هذا الموضوع، راجع كتب المرجع من أصول الفقه، وراجع " معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة " للجيزانى ص١١٥ – ١١٠).

صار هكذا، التأويل عند أهل البدع..

الآن، كيف نُنزل كلمة (وما يعلم تأويله إلا الله) على المعنى الشرعي؟ وكيف نُنزلها على المعنى البدعي؟ لأنا قلنا، أن المصيبة هي أن نأتي باللفظ ونحمله على معنى آخر، غير معناه الأصلي المراد به. قلنا معنى التأويل: إمّا التفسير، وإمّا حقيقته.

*إذا كان النص (اللغوي) يحتمل خبراً، فتأويله ماهو؟ تأويله، وقوعه.

لكن إذا كان النص، يحتمل حكماً شرعياً، أو أمراً شرعياً، فما هو تأويله؟ تأويله، العمل به، وتطبيقه وإمتثاله. ولذلك كانت تقول **عائشة** رضي الله عنها: **" كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثِر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللَّهم ربّنا وبحمدك اللَّهم اغفر لي، يتأوَّل القرآن "** [٣٠٦]..

أي: انتقل من حالة الأمر إلى حالة التطبيق، وهذا هو التأويل. والقرآن فيه أخبار وأحكام. فالأخبار، هناك أخبار نعلم حقائقها، ورأينا بأم أعيننا، وهناك أخبار غيبية، من الأخبار الغيبية، كيفية ذات الله سبحانه وتعالى وكيفية صفاته. الآن كيفية الذات، (لا يعلم تأويله الا الله)، بمعني، التأويل، وهو حقيقة الشيء. هل يعلمها الراسخون في العلم؟ لا. - لا يعرفون كيفية الذات والصفات -، فقط عندنا الأسماء ونعلم معناها..، وكذلك لا يوجد في الأرض من الجنة إلا الأسماء فقط!..

فنحن نعلم الأسماء، ولا نعلم كيف الحقائق، وإذا رأيناها، صرنا نعرف حقيقتها. يعني لما ندخل الجنة ونعرف حقيقتها، نقول هذا، تأويل الجنة..

فعلى هذا المعني، هذا (لا يعلم تأويله إلا الله)، لأنه من أمور الغيب ولا يعلمها أحد إلا الله، لكن إذا كانت في قضايا الأحكام، هل يعلم تأويلها الراسخون في العلم؟ نعم.

---

[٣٠٦] متفق عليه (البخاري. باب التسبيح والدعاء في السجود. رقم٨١٧. ومسلم.. باب: ما يقال في الركوع والسجود. رقم٧٤٦). وانظر (مجموع الفتاوى ج١٣/ ص٢٧٠ - ٣١٤)

الآن نأتي إلى قضية (صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر محتمل لقرينة) حينئذٍ (وما يعلم تأويله إلا الله) - بإعتبار حقيقته -، حينئذٍ على فهم المتكلمون: (وما يعلم تأويله إلا الله) والراسخون يعلمونه أيضاً! بصرف ظاهره إلى معنى آخر، فهم يعلمون حقيقته!!..

أما، الأحكام الشرعية، هل فيها متشابهات - بأن لا يعلم أحد معناها إلا الله -؟ نعوذ بالله! هل الله يأمرنا بأمر ولا يفسره لنا ولا يبسطه لنا؟!..

إذن الأحكام الشرعية واضحة ويعلمها الراسخون في العلم، فأين تكون المتشابهات؟ في الأخبار بالغيبيات؛ إذن التأويل الذي أراد الله أن يبين زيغ الناس فيه، ماهو؟ في قضية الأخبار بأسمائه وصفاته وماشابه ذلك. ولكن، هل يعلم الراسخون في العلم تفسيره؟ نعم. لا يمكن أن يوجد آيةٌ في القرآن، ذكرها الله تعالي، ولا نعلم معناها، لا يمكن،[٣٠٧] لكن أين جَهْلُنا به؟ في حقيقتها وكيفيتها.

ومن هنا **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: «القرآن على أربع أقسام: قسمٌ في القرآن، لا يسَعُ لأحدٍ الجهل به. - مثلاً: قل هو الله أحد -. وقسمٌ لا يعلمه أحد، إستأثر الله بعلمه " - الآن ما هو الذي إستأثر الله بعلمه؟ بعض المشايخ قالوا: التفسير!، إذا كان كذلك، فلماذا ذكرها الله سبحانه؟ وهذا نسبة العبث إلى الله! ذكره ولم يذكر لنا تفسيره!، من هنا لمّا يقول **مجاهد** رحمه الله): عَرَضْتُ القرآن على ابن عباس ثلاث عرضاتٍ أوقفتُه عند كلِّ آيةٍ أسأله عن معناها)[٣٠٨]، هل كلامه صحيح؟ نعم. يتكلم عن ماذا؟ عن التفسير. وما آية في القرآن إلا وفسرها العلماء. فهذا القسم الذي لا يعلمه إلا الله، هو الحقائق الكونية، لا يعلمها إلا الله..

[٣٠٧] **اتفق العلماء** على أن ليس في القرآن ما لا معنى له. **واتفق السلف** على أن جميع ما في القرآن مما يفهم معناه، ويمكن إدراكه بتدبر وتأمل، وأنه ليس في القرآن ما لا يمكن أن يعلم معناه أحد. [انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٢٨٦) و(١٧/ ٣٩٠). وانظر (معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة) ص١٠٦].

[٣٠٨] رواه الطبرى في تفسيره (ج١/ ص٩).

قرأ **عمر بن الخطاب** على المنبر قوله تعالي: (وفاكهةً وأبّاً) [309] فقال: «هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلّف يا عمر». [310] الآن، هل يعلم **عمر** رضي الله عنه أن (أبّاً) نبات أو لا يعلم؟ هو يعلم، لكن ماهي حقيقته وكيف هو و..، هذا الذي قال عنه، لا أعلمه. وقال هذا من التكلف. يعني لا ضرورة لمعرفته..

متى يصبح معرفته غير تكلف؟ **لمّا** يحتاج له، مثلاً، هناك مرض، وشفاءه في هذا النبات، وهكذا..

قال **ابن عباس**: «وقسم ثالث: يعرفه أهل العلم». أي مسائل الأحكام الشرعية، هذا، أهل العلم يعرفونها، ويفسرونها بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وقال: «وقسم رابع: يعرف من لغة العرب، أي تعرفه العرب بألسنتها»[311].

هل هناك تضارب بين كل هذه الأقسام؟ لا. قد تكون الآية، نعلم تفسيرها، ولا يعلم حقيقتها إلا الله، ومأخوذة من لغة العرب، والنبي صلى الله عليه وسلم أيضاً فسّرها بلغة العرب..

والتأويل في لغة الأصوليين، معناه الإجتهاد، أي هو عملٌ، مثل تخصيص العام، وتقييد المطلق، عملٌ، عمل مجتهدٍ في إدراك الحكم الشرعي، هذا إسمه التأويل..

*بعد أن عرفنا هذه المسائل، نعيد ونكرر بأن مصيبة الأمة المتأخرة - بخلاف الأوائل -، أنهم أخذوا الألفاظ الشرعية وانقلبوا معانيها إلى معاني باطلة، وصاروا ينزلونها على حقائق - بلا شك -، باطلة، لأن الألفاظ، معانيها في أذهانهم باطلة. ومن هذه الألفاظ، كلمات " الدين "، " العبادة "، " الإله "، " الإيمان "، " الكفر " و..

---

[309] سورة عبس (٣١).

[310] أنظر " فضائل القرآن " لأبي عبيد ص٢٢٧.. و " مجموع الفتاوى " (١٣/ ٣٧٢).

[311] ذكر أبو حيان الأندلسي رحمه الله، قول إبن عباس، في تفسيره " البحر المحيط " ج٣/ ص٢٨، وذكره شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوي) ١٣/ ٣٧٥.

ما هو مقصد الجهاد في الشريعة؟

كل فعلٍ من أفعال الشريعة له مقاصد خاصة به. الآن ماهو مقصد الجهاد؟

مقصد الجهاد في الشريعة فقط " **إزالة حكم الكفر** "، إذا رجعنا إلى نصوص الشرعية، لوجدنا مقصد الجهاد، " إزالة حكم الكفر "، لا إزالة الكفر!، لأننا إذا أزلنا حكم الكفر من بلدةٍ ما، واستولىٰ المسلمون على هذه البلدة، جاز للكفار أن يبقوا داخل الدولة - كأهل الذمة -؛ **إذن هل مقصد الجهاد أن نقتل الكافر؟** لا، مقصد الجهاد، لئن تكون كلمة الله هي العليا. وكلُّ الناس، المسلم والكافر يكونوا تحت كلمة الله وتحت حكم الله، هذا هو مقصد الجهاد. وهذا واضح من قوله تعالي: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ٣١٢.

ما معنى " الدين " في الآية؟ الحكم. وليس قصد (ويكون الدين كله لله) أنَّ كلّ الناس يكونوا في دين الله، بمعنى أن يسلموا. بل " كل الناس يكونوا في دين الله "، بمعنى (يكونوا تحت حكم الله). هذا هو مقصد الجهاد..

فحيث وُجدت أرضٌ محكومةٌ بحكم غير الإسلام في مسألةٍ كلِّيةٍ أو مسألةٍ جزئيةٍ، يجب قتالها لنعيد هذا الحكم لله. هذا هو مقصود الجهاد.

إذن، مقصد الجهاد: " ليكون الدين كله لله تعالي، في كلِّ شيء ". والدين هنا، بمعنى الحكم.

هذا، هو مقصد الجهاد، ولا كما يقول بعض مشايخنا: " أن الجهاد لإزالة الموانع أمام الدعوة الإسلامية، من أجل أن نوصل الدعوة إلى جميع الناس بلا أيِّ مانع ".، لأن النصوص لا تقول هذا الكلام! بل تقول: " أنتم قاتلوا لإدخال الناس في دين الله "؛ مامعنى هذا؟ أي: أن يكونوا كلهم تحت حكم الله عزوجل..

لنواجه نحن وإياكم هذه الآية العظيمة ونرى بعض فوائدها العظيمة، لنستفيد منها في قضيتنا..

---

[٣١٢] الأنفال (٣٩).

(وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله). بما فسر العلماء " الفتنة " في هذه الآية؟ بالشرك، **أجمع أهل العلم** على تفسيره بـ (الشرك).

السؤال: لماذا سمَّى الله تعالى الشرك بالفتنة؟ الفتنة، هي ضد الصلاح. وقلنا أن معنى الدين هنا، الحكم. الآن، إذا كان الحكم في قضية من القضايا لغير الله، ماذا يكون؟ يكون الشرك. فهذه الآية دليل على ماذا؟ على شرك القضاء والحاكمية. ولا يقصد هذه الآية من " الفتنة " أن لا يكون شرك العبادة (شرك النسك). لأنه مسموح به في داخل الدولة الإسلامية، وجود شرك النسك! كيف؟ واحد يهودي يقول: " هو يقول: عزير ابن الله "، هل هذا مسموح به في داخل الدولة الإسلامية - بأن يقول بهذا، اليهود في مجامعهم وغيره، بهذا القول -؟ نعم. هل مسموح في داخل الدولة الإسلامية لمشرك - من أهل الذمة - أن يقول: " واللات والعزى "؟ على الصحيح نعم - و هذا فتوى ابن تيمية -، على خلاف الجمهور، وهو يجيز أن يكون أهل الذمة في داخل الدولة الإسلامية بكل أنواع المشركين، بخلاف الجمهور الذين يقولون، الجزية لا تؤخذ من المشركين، وفقط تؤخذ من اليهود والنصارى والمجوس. لكن على الصحيح تؤخذ، ولا يوجد أدلة خاصة فيها، فيجوز في داخل الدولة الإسلامية - أو في داخل دار الإسلام - أن يبقى المشركون مع شركهم في نسكهم وإعتقاداتهم بعنوان أهل الذمة..

إذن ماهو الشرك (=الفتنة) الذي، قال الله تعالى (حتّى لا تكون فتنة)، ويقاتل عليه الناس؟ هل هو شركهم في النسك أم هو شرك حكهم وقوانينهم ودساتيرهم؟ هو شرك حكمهم. والآية واضحة. والآية أكبر حجة على أن الحكم بغير ما أنزل الله، سمّاه الله فتنة، و**إجماع أهل العلم** على أن الفتنة هي الشرك. فمن هنا، نرى أن الحكم بغير ما أنزل الله، سماه الله تعالى شركاً، سواء في أفراده أو بمجموعه. والعلماء احتجوا بهذه الآية، كقول **ابن تيمية** رحمه الله: " والدين هو الطاعة[٣١٣]، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله، وجب القتال حتّى يكون الدين كله لله ". [٣١٤]

[٣١٣] اي: الحكم.

[٣١٤] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٤٤).

إذن لمّا يحْكم في مسألة من المسائل، قانوناً يضعونها، ويلتقوا عليها وينفذوها فيما بينهم، وهي خلاف الشريعة، هل هذه شرك؟ نعم. ف (قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة). أي الشرك..

الآن، ثانياً: لماذا سمّى الله عزوجل الشرك فتنة؟ بالرغم - يا إخوتي! - على أن وجود الكفار في بلاد المسلمين - محكومين تحت حكم الإسلام -، ليس فتنة، - لأن الله أجاز بها، ومن الجهة الأخرى قال " حتّى لا تكون فتنة "، فلمّا أجاز بوجود الكفار في بلاد المسلمين، فهذا يدل على أن هذا ليس من الفتنة التي قال تعالى " حتّى لا تكون فتنة "!. فلماذا سمّى حكم الشرك فتنة ولم يسمِّي الشرك بذاته فتنة - حسب الآية؟ وهي في الحقيقة، بذاته الفتنة، ولكن لماذا لا يسميه هنا فتنة؟ لأن الفتنة هي ضد الصلاح، الفتنة بما تقع؟ بالتي هي الهرج والمرج، ضعف الموارد الإقتصادية، فساد الحياة الإجتماعية، هذه كلها من الفتنة، كيف تقع؟ لماذا تقع؟ تقع بفساد الحكم - بشرك الحكم -، لا بوجود الشرك في داخل دولة الإسلام - أو دار الإسلام -. لو وجد الشرك في داخل بلاد المسلمين، وهذا البلاد محكومة بأحكام الإسلام، ونعلم أن الإسلام أذِن بها - أي أَذِن بوجود المشركين في دار الإسلام بأن يكونوا أهل الذمة، ويمارسون طقوس وأعمالهم الشركية فيما بينهم -، فهل يأذن الإسلام بفتنةٍ؟ لا يأذن الإسلام بفتنة، ولكن لمّا أذِن بهذا، دلّ على أن هذا ليس فتنةً مادام محكومة بأحكام الإسلام.، قلنا سابقاً أنَّ الله عزوجل يقول: (حتّى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون) [٣١٥]. فإذا فسر أهل العلم، " صاغرون " بالمحكومين بأحكام الإسلام - وهذا تفسير الإمام الشافعي رحمه الله وجماعة من أهل العلم - [٣١٦]، إذن (الصاغرون) أي: المحكومون بأحكام الإسلام، إلا بعض الخواص التي تركناها لهم كنسكهم وعبادتهم الشركية. [٣١٧]

---

[٣١٥] التوبة (٢٩).

[٣١٦] راجع أحكام القرآن للإمام الشافعي رحمه الله.

[٣١٧] طبعاً بالضوابط والشروط التي يشترطها لهم الحكومة الإسلامية، وهي تلك الشروط التي ورد في " العهد العمري " أو " الشروط العمرية "، لأهل الذمة. [راجع: أحكام أهل الذمة. لابن القيم الجوزية رحمه الله].

إذن – إنتبهوا – لماذا نقاتل؟ مِن أجل أن نعيد حكم الله إلى الأرض، لا من أجل أن نزيل الشرك العبادي من الناس والأفراد[318]، ولكن من أجل أن نزيل الشرك ذات الشوكة والقوة والمنعة، وإقامة حكم الله في الأرض. هذا هو سبب القتال.

الآن، سمّى الله عزوجل الشرك فتنة، والشرك – في هذا الموضع – هو الحكم بغير ما أنزل الله، كما إستقر لدينا في النقطة الأولي..

.. وسعينا إلى إصلاح الأمة من الداخل، بأن تزيل الفتنة، هل ممكن أن تزول الفتنة حسب نص الآية؟ لا يمكن. إذن بما تزول الفتنة التي هي – لنقل: الفساد الإجتماعي، والفساد الإقتصادي، والفساد السياسى –، بما تزول، حسب منطوق الآية؟ تزول بتحكيم الشريعة. فالأصل أن نسعيٰ جاهدين عن طريق نفس القتال لأن نحكم كتاب الله لتزول الفتنة التي هي نتيجة الشرك..

لمّا حاكمٌ يحكم بغير ما أنزل الله، فيبيح الزنا، فهل تُصبح للأمة فتنة؟ نعم، وتصبح للأمة المعاصي والفتن الإجتماعية من الزنا، والفتن الإقتصادية بسبب عدم تحكيم الشريعة، والفتن السياسية بعدم تحكيم الشريعة..، فتنتشر الفتن..

والطريق، كما تظهر الآية، هو أن نقاتل، حتّى نستلم الحكم فتزول الفتنة، التي هي الإختلال في داخل حياة البشر، مِن الظلم السياسى والفساد الإقتصادى وعدم توزيع الثروة بطريقة عادلة، والفساد الإجتماعي، السرقة، القذف وماشابه ذلك..

رأيتم الآية كيف تطرح القضية؟ تطرح قضية القتال لإزالة الحكم، فبإستلام الحكم وتطبيق شرع الله، ستزول الفتنة..

[318] وإن كان هذا بنفسه، هدفاً مستقلاً ومقصداً من مقاصد الشريعة، والشريعة تسعى إليه من ضمن تحكيم شرع الله في الأرض، بإزالة جميع الموانع في طريق إبلاغ رسالة الحق إلى الناس، ومن ثم تبيين الحق لهم، لتخرج الناس من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإسلام. فتنبه!!..

إذن، كيف تزول الفتنة؟ هل في الأخير أم في الإبتداء - أو الأول -؟ الفتنة التي هي نتيجة الشرك، الشرك الذي هو الحكم بغير ما أنزل الله، كيف نبدأ نحن أولاً؟ **أولاً لابدّ من القتال**. لماذا نقاتل؟ لتحكيم الشريعة. التي هي معناها إزالة الشرك التي تؤدِّي إلى القضاء على الفتن، التي هي إنتشار الصلاح..

الآن، الحركات الإسلامية تريد ماذا تصنع؟ لماذا تسعي؟ تسعى إلى الإصلاح، تريد إصلاح بعض الأعمال السياسية، لأنه السياسيون كذابون ولصوص وسارقون، فتريد أن تصلح، أن تمنع الزنا، وشرب الخمر، وتنشر الصلاح، فإذا إنتشر الصلاح والعدل الإجتماعي، والحرية السياسية والأمن الغذائي، وما شابه ذلك، حينئذٍ تطبيق الشريعة يصبح سهلاً، وحينئذٍ لا يطالَب بالتدريج بالشريعة..، الذين يقولون بتدريج تطبيق الشريعة، لماذا يقولون بهذا؟ لأنهم يريدون أن يصلحوا وتُحكم الشريعة، يصلحوا وتُحكم الشريعة، يصلحوا وتُحكم الشريعة و..، فهمتم؟، إذن التدريج يكون تابعاً لماذا؟ لعملية الإصلاح، كلَّما أصلحنا شيئاً، حكمنا الشريعة..، ولا يقولون أنّ الشريعة يجب أن تُحكم لتَقضي على الفساد، لا يطرحون هذه القضية..

فالتنظيمات القائمة للإصلاح - إما الإصلاح السياسي، وإما الإقتصادي، وإما الإجتماعى -، تنظيمات إسلامية قائمة لينتشر الصلاح، حينئذٍ تُطَبَّقُ الشريعة! وحينئذٍ نستلم الدولة! ويصير لنا جيش - أي: جيش الدولة يكون جيشنا! -، وحينئذٍ يمكن لنا أن نقاتل، فنصبح لنا القوة والشوكة والمنعة!! [٣١٩] أليس هذا، طريق التنظيمات الموجودة الآن؟!..

ومتى نقول لهم: عليكم أن تكونوا أصحاب قوة وشوكة ومنعة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، يقولون: القوة والشوكة والمنعة موجودة! وهي الجيش - أي جيش الطاغوت! -، وهذه بعد إستلام

---

[٣١٩] طبعاً هؤلاء، جهلوا حركة الحياة وسنن الله في حركة التاريخ وبناء الأمم والحكومات، وغفلوا أن قوى الشر والفساد، يفسدون وينشرون الشر والكفر ليل نهار، وما يقوم به هؤلاء التنظيمات من الإصلاح المزعوم - وما أقله! -، يقوم قوى الشر والفساد، في المقابل، بأضعاف أضعافه من نشر دينهم وفسادهم، والقضاء على كل بذرٍ للإصلاح قبل نبته وميلاده! فهل من مُدَّكر؟!

الدولة!. كيف تستلم الدولة؟ بأن نصلح المجتمع ونستلم الدولة من هذا الطريق، لنُحَكم الشريعة، فحينئذٍ يكون الجيش لنا!!..

وطريق القوة والشوكة والمَنَعَة التي يحصل بها القتال، القتال نفسه بماذا يحصل؟ يحصل بالجماعة، لابدّ أن يكون طائفة وتكون لها شوكة وقوة ومنعة..

إذن، الطريق الصحيح لإقامة هذه الآية، أن تُنشيء جماعة، وشرطها قوة وشوكة ومَنَعَة، تقاتل لتحكيم الشريعة. وبعد أن تستلم الحكومة، تُطَبِّق حكم الله، فتقضي على الشرك الذي يقضي على الفتنة، فينتشر الصلاح، ويستقيم جميع نواحي الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية و..

ولذلك إخواني! فكروا عمق الفساد والمفاسد في مجتمعاتنا!، ما الذي يقضي عليها؟ الآن، هل مشكلة المجتمعات في قِلَّة الدعاة والوعاظ والخطباء؟ تعالوا لنرى السعودية! بالله عليكم!، كم عدد الوُعَّاظ والخطباء والمدرِّسين والشيوخ وطلبة العلم والجماعات، كم عددهم؟ في تاريخ الدولة السعودية، **لم يمُر** مثل هذا العدد، ثلاث، أربع جامعاتٍ تتخرج كلُّهم الطلبةَ والدعاةَ والوعاظَ. هل الفساد، يزيد أم ينقص؟ يزيد. فما الذي يقضي عليه؟ **لمّا** جاء **محمد بن عبدالوهاب** رحمه الله إلى جزيرة العربية، كانت من أفسد البلاد قاطبةً – المنتسبة إلى الإسلام – على وجه الأرض!، من شرك بالله، من عبادة القبور، من قطاع الطريق، ناسٌ لصوصٌ من الدرجة الأولي!، كان قديماً، آباؤنا يقولون: " الذاهب إلى الحج مفقود، والراجع منه مولود "! من كثرة الخطرات واللصوص و..

كيف قضى عليها محمد بن عبدالوهاب؟ بالقوة، بالسيف. حتّى صارت الجزيرة مَشَتْ كأنها ساعة " كوارتز " كما يقولون!..

الآن، الدعوة الدعوة! والإصلاح والإصلاح، والفساد يزيد!! فمجتمعاتنا بمثل هذا الفساد الذي موجود الآن، بأي شيءٍ يقضيٰ عليه؟ فقط أن تكون جماعة أصحاب قوة ومنعةٍ..، بَس! مدة ثلاث أربع سنوات، يصير الناس على الصراط المستقيم..

وقد يعجب الناس أن يكون طريق القوة، طريق التربية!، بعض الناس من المخدوعين بنظريات هؤلاء الخنازير من أمثال " **داروين** " و " **دوركايم** " و..، قد يعجبون من هذا الأسلوب..، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ليعَلِّق أحدُكم سَوْطَه في بيته ليراه أهلُ بيته "!!

لماذا أقام الشريعة الحدود؟ ردعاً وزجراً للناس. أمّا واحد - كما يصنع الغرب - يأتي ويصنع الموبقات وبعد ذلك يعتبروه مريض نفسياً! يرُدُّونه إلى طيب النفس! ويصير مريضاً، ويلبسونه لباس النظيف والجيد و..، هكذا ثلاث أربع سنوات، يقولون أنه مريض! ولا يعاقَب! و..، وبعد ذلك نرى أدَّى إلى أيِّ طاماتٍ هذا الأسلوب الحضاري - كما يزعمون -!!

إذن لابدّ في البداية من الرَّدع، هذه قانون ربّنا: (فشرِّد بهم من خلفهم) [320].. هذا قانون الرَّدع. فتحكيم الشريعة من جماعةٍ ذات قوة وشوكة ومنعة، جماعة مسلمة، يقضي على الفتن، ولا نريد أن نصلح - بذلك الأسلوب الذي نقدناه -، والدولة (الكافرة) تفسد، نصلح ونقضي على الفساد، وفي المقابل الحكومة تفسد، نقضي على الفساد، والحكومة تفسد ولذلك وبهذا الطريق، سنوات بقينا، بل مئات، بل آلاف سنين، بقينا ندعو إلى الله والصلاح و..، كما يزعم دعاة التربية: " **نريد أن نُرَبِّي حتّى يعطينا الله الدولة** "! أيُّ تربية؟ الذي يرَبِّى الناس..، بالله عليكم! كم عدد الصحابة الذين أسلموا قبل الشوكة والمنعة، وكم عدد الصحابة الذين أسلموا بعد الشوكة والمنعة؟! (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)، بعد متي؟ بعد الشوكة والقوة، لكن في مكة، طيلة مكة، ما أسلم سوى مائتي رجل..

الآن قد يقول قائل، هذا أسلم خوفاً!، لنفرض أنه أسلم خوفاً، أما بعداً، بعد أن دخل في إجتماع المسلمين وحضر إقامة الصلوات في المساجد و..، يزيد إيمانه ويحسن إسلامه ويشعر بحلاوة الإيمان..، كما قال **أنس بن مالك** رضي الله عنه: " **و إن كان الرجل ليسْلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيراً حتّى يكون الإسلام أحَبَّ إليه من الدنيا وما عليها** ". [321]

[320] الأنفال (٥٧)..

[321] رواه مسلم.

ثانياً: إفرض أن حَضْرتَه أَسْلَم خوفاً، أو عامَّة الموالي أسلموا خوفاً – فرضاً –، لكن أنظروا إلى أولادهم كأمثال " حسن البصري " و " سليمان بن يسار " و " عكرمة " و..

كل هؤلاء أولاد الموالي، وهؤلاء هم الذين نقلوا العلم والدين إلينا. لنفرض أن آبائهم أسلموا خوفاً، ماذا نقول في الأبناء؟!

و افرض أنّا ما كفرنا في ظِلِّ حكومة الكفر، لكن هل نأمن على أبناءنا وأبناء أبناءنا، أن يسلموا من الكفر؟! أنت لاتكون مؤثراً على الأفراد من بعدك، من الجيل القادم، إلا من خلال النظام الموجود الذي يحكم عليك وعليهم..

ولذلك **إذا وُجِدَ حكم الإسلام، وُجِد العلماء، ووُجِد الصلاح**. ولكن الحكم بالإسلام، ليس فرداً حاكماً يغَير، الإسلام لا يكون إلا من خلال جماعة مسلمةٍ. الآن هناك حاكم ديكتاتور، فقال للناس أنا أسلمت، هل يغَير شيئاً من الواقع؟ لا. لاينفع، مادام الطائفة التي تحكم الناس، طائفة الكفر والردة. فلابدّ أن تكون الجماعة الحاكمة هي جماعة مسلمة.

عامة من يطرح قضية التدريج في الأحكام الإسلامية، لا يتصور أن الإسلام يحكم عن طريق القوة. الآن لو أنت تمسك الدَّولة عن طريق القوة، وتكون عندك القدرة من أول يوم، هل أنت قادر على أن تفرض الأحكام على الشعب؟ نعم. هل يحتاج إلى التدريج؟ لا. تأتي وتُعْلِن لعامة الناس: نحن نُطَبِّق أحكام الشرع من اليوم، مَن يسرق نقطع يده و..، نعلن حكم الله في كل مسألة..، ومادام معك القدرة فلا يستطيع أحدٌ أن يقربك. ولكن عندما دخلت عن طريق البرلمان، فلا تستطيع أن تُطَبِّق شرع الله، لأن أمرك في يد الناس! لابدّ أن يوافق الناس..

فعامة الأسئلة التي تدور في أذهان المسلمين، كيف نطبِّق الشريعة كلها؟! و..، لأنهم يتصورون أن المسلمين يأخذون الدولة والحكومة بغير قتال..

لكن متى أخذتَها بالقوة وكنتَ ذا قوةٍ، تُطَبِّق حكم الله ولا يستطيع أحد أن يمنعك منه، وإذا أراد أحد أن يعانده، فتستخدم القوة في تنحيته عن الطريق..

فمن هنا هذه الآية (**وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة**)، هي الدليل لنا في قتال المشرك وفي قتال المسلم الذي امتنع عن تطبيق بعض الشريعة.. [٣٢٢] «**إنتهى**».

---

[٣٢٢] بهذا، نكون قد إنتهينا من تفريغ وكتابة ما تيسر لنا من أشرطة "دروس في مسمى الإيمان"، للشيخ الفاضل العالم المجاهد "أبي قتادة الفلسطيني"، ثبته الله على الحق ويزيده من فضله ويبارك في عمره ويرفع درجاته وينفع به عباده ويحسن عاقبته، ويحشرنا معه تحت لواء سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. آمين!

ونُنبه على أننا لم نقم بكتابة بعض الأجزاء من الدروس، كموضوع (الحكم على المعين وشروط التكفير وموانعه والحكم على الطائفة). ومن أراد الإطلاع على كلام الشيخ في هذه المسائل، فبإمكانه الرجوع إلى الأشرطة والإستماع لها..

هذا، ونحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وإحسانه بنا، بأن وفقنا لإتمام هذا العمل. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ونصرةً لدينه ونصيحةً لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم. وأن يتقبله منا بفضله وكرمه، إنه سبحانه وتعالى الجواد الكريم الرؤوف الرحيم.

نسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا ويرجح به كفة حسناتنا، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة وأن يجعله سبباً لفوزنا برضوانه والنجاة من النار، إنه سبحانه كريمٌ جوادٌ رؤوف رحيم.

ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب نافعاً لجميع عباده المؤمنين. آمين!

ربّنا لا حول لنا ولا قوة إلا بك، فلك الحمد حتّى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضي.

ربّنا! أحينا مسلمين وأمتنا شهداء سعداء، واجعل خير أيامنا، يوماً نلقاك فيه.

ربّنا! آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربّنا! تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

آمين آمين! برحمتك يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلوات والبركات على سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

" لا تنسونا من صالح دعائكم ".

الفهرس

لقد وصلني بعض التفريغات لهذه الدورة في مسمى الإيمان التي قام بها أخوة صدق وأخوات كذلك، وطلبوا مني النظر فيها لتصلح للنشر كتاباً، ولكنها جاءت في أوقات عصيبة ، أحكمت علي الدنيا بأسوارها وقيدها، فلم أنشط لها، وما زلت أعلن عجزي في النظر لما يفرغ من أشرطة كلامية إلى كتب وأوراق، وأترك الأخوة يفعلون هذا، لما يرون من انتفاعهم بذلك، كما أن بعض الأخوة يفرغون بعض المقالات والأجزاء إلى أشرطة سمعية والناس في ما يعشقون مذاهب كما يقولون. والآن قام الأخوة الأحبة ممن لهم مقامات الجهاد والعمل لدين الله تعالى ومقارعة الطواغيت بتفريغ هذه الأشرطة، فجزاهم الله خير الجزاء، وأسأل الله تعالى أن يجعلها في موازين أعمالهم يوم القيامة، وأن يحصل لفعلهم القبول من الله والرضى، فيكون لها النفع في النفوس والعقول والقلوب، كما أسأله تعالى أن يجعل لها القبول في الأرض، وأن يغفر لقائلها ، والعامل على تسجيلها ، ونشرها وتفريغها، فهو سبحانه تعالى أهل العطاء والكرم جل في علاه،

الشيخ أبي قتادة الفلسطيني

الأنصار
AL-ANSAR
مؤسسة الأنصار الإعلامية